



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٣٦٥٣

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى مكة المكرمة
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة



١٠٠١٥٢١

٣٤٦٥٣

مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفي المتوفى عام ٧١٠ هـ دراسة وتحقيقاً وتعليقاً

من أول سورة لقمان إلى آخر سورة الطور

إعداد الطالب :

إبراهيم بن علي بن إبراهيم الحذيفي

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور :

أمين محمد عطيه باشا

الجزء الأول

العام الدراسي ١٤٢١ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

ملأح الرساله

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين، أما بعد: فهذا ملأح لرساله الدكتوراه المعنونه: مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفي رحمه الله، المتوفى سنة ٧١٠هـ دراسة وتحقيقاً وتعليقاً من أول سورة لقمان إلى آخر سورة الطور، تتكون من مقدمة وقسمين رئيسيين وخاتمة، أما المقدمة: فتشمل على أهمية الموضوع وسبب اختياري له. وأما القسمان فهما القسم الأول: الدراسة وتنقسم إلى بابين:

الباب الأول: عصر المؤلف وحياته ويشتمل على فصلين: الأول العصر الذي عاش فيه المؤلف من جوانبه: السياسية والعلمية والاجتماعية، الثاني: حياة المؤلف وفيه ستة مباحث، الأول: كنيته ولقبه ونسبه ومولده ونشأته ووفاته، الثاني: طلبه للعلم، الثالث: شيوخه وتلاميذه، الرابع مذهبه وعقيدته، الخامس: أعماله العلمية وذكر أهم مصنفاته، السادس: مكانته العلمية وآراء العلماء فيه.

الباب الثاني: دراسة الكتاب، وقد جعلت لهذه الدراسة تمهيداً وفصلين، التمهيد: وتحدثت فيه عن نشأة التفسير بالمأثور ونشأة التفسير بالرأي والفرق بينهما، الفصل الثاني: تحدثت فيه عن نسبة الكتاب ونسخه، وفيه مبحثان: الأول: توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه، الثاني: وصف لنسخ الكتاب والمخطوطة، أما الفصل الثاني وعنوانه: أهمية الكتاب ومنهج المؤلف فيه. وفيه مبحثان، الأول: أهمية الكتاب العلمية، الثاني: منهج المؤلف في الجزء المحقق. أما القسم الثاني: فقد اشتمل على النص المحقق، ثم الخاتمة: وقد ذكرت فيها: كيفية الاستفادة من هذا التحقيق والتعليق ورجوعي إلى عدة علوم وفنون ثم ذكرت ما امتاز به تفسير النسفي، ومنها: (١) أنه جمع أغلب الفنون المتعلقة بالتفسير في كتاب واحد. (٢) تفسيره من التفاسير التي هي وسط بين الطول والقصر مع عدم الإخلال ما أمكن بعبارات جمعت بين النكت البلاغية والمحسنات البديعية، (٣) من خلال تفسيره يتضح للقارئ فهمه الواعي، وإطلاعه الواسع، والاطيان بالمعلومات النادرة والفوائد الجمة، وغير ذلك. ولكن مع هذا وجد عليه مأخذ لو تتبعته ومن ثم فندت وخاصة المسائل العقدية لظهر الكتاب في أحسن مظهر وأجمل صورة ومن أهمها: (١) الأخطاء العقدية التي وقع فيها من خلال تمسكه بالمذهب الماتريدي وبث ذلك في كتابه. (٢) ذكره للإسرائيليات وإن كان ذلك قليل، مع عدم التعليق عليها أحياناً خاصة على المكذوب والموضوع منها. (٣) إيراده للأحاديث الضعيفة بل الموضوعية وخاصة في فضائل السور مع عدم بيان درجتها أو التعليق عليها وغير ذلك.

ثم ختمت الرسالة أخيراً بفهارس: تشمل على فهارس المراجع، الأعلام، الكنى، القبائل، الأماكن، الأديان والمذاهب، ومن ثم فهرس الموضوعات. وبهذه الفهارس أتممت هذه الرسالة، والحمد لله أولاً وأخيراً، ظاهراً وباطناً وأصلي واسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين،،

عميد كلية الدعوة وأصول الدين:

المشرف على الرسالة

الطالب:

د. عبد الله بن عمر الدميحي

أ. د. أمين محمد باشا

إبراهيم بن علي الحديفي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاء وجعله هدايةً للناس وقواماً ، به تطمئن قلوب المؤمنين، وتشرح صدور المتقين ، أحمده سبحانه وتعالى ، الحي القيوم الذي لا يموت، ذو الجلال والإكرام ، والمواهب العظام ، والمتكلم بالقرآن، والخالق للإنسان ، والمنعم عليه بالإيمان ، وصلى الله وسلم على نبيه الذي أرسله بكتابه المبين ، الفارق بين الشك واليقين ، الذي أعجزت الفصحاء معارضته ، وأعيت الألباء مناقضته ، وأخرست البلغاء مشاكلته ، فلا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، جعل أمثاله عبراً لمن تدبرها ، وأوامره هدى لمن إستبصرها ، وشرح فيه واجبات الأحكام ، وفرّق بين الحلال والحرام ، وكرر فيه المواعظ والقصص للأفهام ، وضرب فيه الأمثال ، وقصّ فيه غيب الأخبار^(١) ، وعلى آله وصحبه الأتقياء الأتقياء الأبرار الذين حفظوا القرآن في الصدور والسطور بعد حفظ الله له ، فهو المعجز على مر الدهور والعصور الشافي لما في الصدور ، أما بعد :

فإن القرآن العظيم هو المصدر الأول لهذه الشريعة السمحاء ، النقية البيضاء ، والذي تقوم عليه حياة الأمة ، والذي تسعد به في الدنيا والآخرة ، وفيه الفلاح والنجاح .

لذا فالاشتغال بتفسيره هو خير ماتصرف فيه الجهود ، وتقضى فيه الأزمنة والعهود وقد أودع الله - عزوجل - في هذا الكتاب العزيز من الكنوز العلمية في شتى النواحي ماجعل المهرة والحذاق من أهل كل فن يتسابقون إلى إبراز المكنون من جواهر فنهم وحسن ملكتهم، بالإضافة قبل هذا وبعده توفيق الله - عزوجل - ومن بين هؤلاء الإمام الجليل : أبو البركات عبدالله بن أحمد النسفي المتوفى سنة ٧١٠هـ ، الذي عُرفَ بغزارة علمه، واشتغاله بتفسير القرآن الكريم فأصبح كتابه من أشهر كتب التفسير .

ولمّا عَلِمْتُ أن كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى قد سمحت بتحقيق

(١) مختصر من مقدمة القرطبي رحمه الله في الوجيز في فضائل القرآن ص ١٧ ، تحقيق وتعليق

الدكتور: علاء الدين على رضا ، مطبعة دار الحديث .

ودراسة هذا الكتاب أردت أن أكون أحد الطلاب المتقدمين لخدمة هذا الكتاب ، وبخدمته خدمة لكتاب الله - عزوجل - وحتى يتسنى لي أيضاً الجمع بين الدراسة الموضوعية والتحقيق ، فإن موضوع رسالتي في الماجستير كان بعنوان : (الأمانة وأهميتها في الإسلام) وبذلك تتم الفائدة - إن شاء الله - بالجمع بين الدراسة الموضوعية والتحقيق ، وقد كان نصيبي من هذا الكتاب تحقيق جزء : (من أول سورة لقمان إلى آخر سورة الطور) وبذلك أكون قد أسهمت في دراسة وتحقيق القدر المطلوب من تفسير الإمام : النسفي - رحمه الله - .

أسباب اختيار الموضوع :

القرآن الكريم هو دستور هذه الأمة ، ونبراس حياتها ، وبدونه لا حياة لها ولا سعادة وقد بين الله - عزوجل - أن فيه كل ماتحتاجه البشرية في دنياها وأخرها قال سبحانه وتعالى : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(١) .

لذلك فيعد تفسيره أهم العلوم التي اشتغل بها العلماء قديماً وحديثاً، وقضوا فيه اوقاتهم ، وأفنوا في سبيلها أعمارهم ، بيد أن كل واحد منهم اتبع منهجاً معيناً وسلك فيه طريقاً مختلفاً ، وكلها لاتخلو من فوائد لطلاب العلم والباحثين .

وأهم الأسباب التي دعت لاختيار الموضوع هي :

(١) - رغبتني الشديدة في خدمة كتاب الله الكريم طمعاً فيما عنده من الأجر العظيم والمغفرة والرضوان .

(٢) - سعة علم الإمام النسفي - يرحمه الله - واشتغاله بالعلوم المختلفة مما جعل تفسيره مشتملاً على كثير من العلوم والفنون .

(٣) - مكانة الكتاب العلمية، وشهرته بين طلاب العلم، وتدرسه في كثير من معاهد العلم والجامعات، مما يستدعي ضرورة دراسة ومناقشة بعض الآراء العقديّة والرد عليها وبيان مذهب السلف فيها .

(٤) - المساهمة - ولو بجهد متواضع - في تحقيق شيء من تراثنا الإسلامي

(١) سورة الأنعام آية : ٣٨ .

العظيم .

٥) - أن في اشتغالي بتحقيق قدر من هذا الكتاب ما يدعوني إلى الرجوع إلى كثير من كتب التفسير والقراءات والحديث واللغة والفقه والعقيدة وغيرها ، ولا يخفى ما في ذلك من الفوائد العلمية العظيمة التي يحرص عليها طالب العلم .

لهذه الأسباب اخترت هذا الموضوع ليكون بحث رسالتي لنيل درجة الدكتوراه من قسم الكتاب والسنة - إن شاء الله تعالى . وجعلته بعنوان :

كتاب : مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفي المتوفى سنة ٧١٠ هـ دراسةً وتحقيقاً وتعليقاً من أول سورة لقمان إلى آخر سورة الطور .

خطة البحث :

تتكون خطة البحث من مقدمة وقسمين رئيسيين وخاتمة .

المقدمة : وتشمل أهمية الموضوع وأسباب إختياري له وخطة البحث ومنهجتي فيه وعملي في التحقيق والتعليق .

وأما القسمان فهما :

القسم الأول : الدراسة وتنقسم إلى باين :

الباب الأول : عصر المؤلف وحياته ويشتمل على فصلين ، الفصل الأول :

العصر الذي عاش فيه المؤلف وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الحالة السياسية .

المبحث الثاني : الحالة العلمية .

المبحث الثالث : الحالة الإجتماعية .

الفصل الثاني : حياة المؤلف وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : كنيته ولقبه ، ونسبه ، ومولده ، ونشأته ، وفاته .

المبحث الثاني : طلبه للعلم .

المبحث الثالث : شيوخه وتلاميذه .

المبحث الرابع : مذهبه وعقيدته .

المبحث الخامس : أعماله العلمية .

المبحث السادس : مكانته العلمية وآراء العلماء فيه .

الباب الثاني : دراسة الكتاب ، وقد جعلت لهذه الدراسة تمهيداً وفصلين :

التمهيد : سأحدث فيه عن نشأة التفسير بالمأثور ، والتفسير بالرأي .

الفصل الأول : نسبة الكتاب ونسخه وفيه مبحثان :

المبحث الأول : توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه .

المبحث الثاني : وصف نسخ الكتاب الموجودة .

الفصل الثاني : أهمية الكتاب ومنهج المؤلف فيه وفيه مبحثان :

المبحث الأول : أهمية الكتاب العلمية .

المبحث الثاني : منهج المؤلف في الجزء المحقق دراسة تفصيلية .

القسم الثاني : النص المحقق .

الخاتمة والفهارس .



منهجي في التحقيق

أهم الأعمال التي قمت بها من خلال التحقيق والتعليق :

- (١) - عزو الآيات إلى سورها ، والتي استشهد بها النسفي رحمه الله في تفسيره .
- (٢) - تخريج الأحاديث من مصادرها من كتب الحديث ما أمكن ، مع الاختصار أحياناً على الصحيحين إن كان الحديث فيهما أو في أحدهما ، مع بيان درجة الحديث الذي في غير الصحيحين ، وذلك : بنقل أقوال العلماء الناقدين سواء من المتقدمين أو المتأخرين في بيان درجة الحديث من الصحة أو الضعف بقدر الإستطاعة ، وإن لم أجد أتوقف في بيان حكمه .
- (٣) - عزو الأقوال التي في معنى الآية إلى قائلها ما أمكن من كتب التفسير ما استطعت إلى ذلك سبيلاً .
- (٤) - إذا ورد في معنى الآية قولين أو أكثر ، أحاول التوضيح ، وذلك بالرجوع إلى كتب التفسير ، والنظر في الراجح من الأقوال ، ومن ثم أبدى ما أراه أقرب إلى الصواب حسب ما يترجح لدي .
- (٥) - عزو المسائل الفقهية إلى كتب الفقه ، أو كتب أحكام القرآن ومن ثم كتب التفسير الأخرى إن أمكن .
- (٦) - عزو الآثار من أقوال الصحابة أو التابعين ومن بعدهم إلى كتب التفسير وغيرها إن وجدت فيها بقدر الإستطاعة .
- (٧) - توثيق القراءات الواردة في الآية من كتب القراءات ، مع ذكر قائلها ووجه القراءة فيها أحياناً ، وبيان القراءات الشاذة مع عزوها إلى مصادرها وهي قليلة .
- (٨) - إذا كان هناك خطأ عقدي في معنى الآية ، أو ما يتعلق بالأسماء والصفات ، أذكر القول الصحيح ، وذلك بنقل مذهب أهل السنة والجماعة من بعض كتب التفسير ، مع الرجوع أحياناً إلى كتب العقيدة إن إحتاج الموضوع إلى ذلك .
- (٩) - عزو الأقوال في أسباب النزول الوارد في الآية إلى كتب الحديث إن وجدت أولاً ، وكتب أسباب النزول ثانياً مثل : الواحدي والسيوطي عليهما رحمة الله ، وذكر بعض كتب التفسير التي ذكرت هذا السبب زيادةً في التوثيق .

- (١٠) - لم أتطرق في الأغلب على الأوجه الإعرابية في المسألة ، نظراً لطول ذلك ، ولا سيما أن اللغة بحر لا ساحل له ، ولكن في بعض الأحيان أشير إلى شيء من ذلك ، لمزيد من الفائدة والتوضيح ، وتوثيق ذلك من كتب اللغة .
- (١١) - ترجمة الأعلام الواردة في المخطوط ، مع ترك المشهورين منهم ، سواء كانوا من الصحابة - رضوان الله عليهم - كالخلفاء الراشدين ، أم من التابعين أم ممن جاء بعدهم ، مع التوقف أحياناً في الترجمة إذا لم أعثر على ترجمته .
- (١٢) - عزو الأبيات الشعرية إلى دواوين قائلها إن عُرِفَتْ أسماؤهم ، وإن لم أقف على أسمائهم ولم أعثر عليها في دواوين الشعر أعزوها إلى كتب الإعراب مثلاً ، أو إلى كتب التفسير التي ذكرتها ، وأتوقف أحياناً في العزو لعدم العثور عليها .
- (١٣) - ذكر لطائف وفوائد في بعض الآيات ، أرى من الغبن فواتها لي وللقارئ ، خاصة وأنها درر ونفائس ، ولا يمكن العثور عليها إلا بالغوص في كتب التفسير .
- (١٤) - الإستعانة ببعض أقوال المفسرين في بيان معنى الآية أو جزء منها ، والتي لم يتطرق النسفي رحمه الله إلى بيانها وشرحها .
- (١٥) - ذكر بعض الأدلة من القرآن ، أو السنة ، أو أقوال الصحابة رضي الله عنهم ، أو التابعين أو من بعدهم من علماء الأمة ، في شرح الآية أو جزء منها ليتضح المعنى أكثر .
- (١٦) - شرح بعض الألفاظ التي تحتاج إلى توضيح معناها ، وذلك بالرجوع إلى كتب المعاجم واللغة .
- (١٧) - عزو الأمثال إلى كتب الأمثال ، وإن لم أقف عليها أنه على ذلك ، وهي قليلة جداً في الجزء المحقق .
- (١٨) - ترتيب كتب التفسير أثناء العزو إليها ، مرتبة حسب سنة الوفاة .
- (١٩) - إضافة الصلاة والسلام على الرسول ﷺ أو بقية الأنبياء ، والترضي على الصحابة رضوان الله عليهم ، والترحم على التابعين وتابعيهم ، وبقية علماء الأمة الإسلامية ، وجعلت ذلك من صُلب النسخة الأصل (أ) .
- (٢٠) - التعريف بالأماكن والبلدان ، والقبائل ، والأديان والمذاهب ، التي ذُكِرَتْ

في المخطوط ، وذلك بالرجوع إلى المراجع الخاصة بذلك .

(٢١) - تشكيل الكلمات المُحتملة لعدة معاني ، لاسيما القراءات ، وبعض الألفاظ والجمل ، ليتضح المعنى .

(٢٢) - شرح بعض الكلمات والجمل الغامضة ، وبيان مراد النسفي منها ، وذلك بالرجوع إلى كتب التفسير ليتضح المعنى أكثر .

(٢٣) - إقتصرت على مراجع المتقدمين من علماء التفسير رحمهم الله ، وإن كان قد ذكرت بعض المتأخرين لزيادة الفائدة ، أمثال الشوكاني والآلوسي وابن عاشور عليهم رحمة الله جميعاً .

(٢٤) - قمت بعمل فهرس في آخر الرسالة تشمل على : فهرس المراجع ، فهرس الأعلام والكنى ، فهرس القبائل ، فهرس الأماكن ، فهرس الأديان والمذاهب ، فهرس الموضوعات ويشتمل : فهرس السور مع ذكر أرقامها في النص المحقق وتحتوي كل سورة على : شواهد الآيات التي ضمن كل سورة ، أطراف الأحاديث التي ضمن كل سورة مع بيان درجة الحديث ما أمكن إلى ذلك سبيلاً ، شواهد الشعر الذي ضمن كل سورة .

هذا هو عملي ومنهجي في التحقيق ، وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم ، أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به ، وأرجو من الله عزوجل أن أكون بهذا قد قدمت خدمةً لهذا الكتاب العظيم في بابه، الجليل في موضوعه ، حيث إنه يتعلق بكلام الله عزوجل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، والله يعلم أنني حاولت بذل الجهد المستطاع ، وفي حدود الإمكانيات المتاحة ، وحدود الزمن المقدر نظاماً لإتمام هذا العمل ، ومن ذلك كله فقد يكون غابرت عني بعض الأمور ، أو حصل تقصير وحلل في البعض الآخر ، هذا وإن التقصير والنقص من شيم البشر ، وذلك لانشغالي بالتدريس في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية الدعوة بجامعة أم القرى، وإلى واجبات أخرى كثيرة ، فإن أصبت فمن الله ، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان ، وأستغفر الله العلي العظيم أولاً وآخرأ .

ولا يفوتني بهذه المناسبة : إلا أن أشكر لمن كان له الفضل بعد الله عزوجل في

إخراج هذا التحقيق إلى حيز الوجود ، فإن من واجبي أن أعترف لأهل الفضل بفضلهم ، كيف ، ونحن ننتمي إلى مجتمع إسلامي أساسه الإحترام والتقدير والشكر ، وهذا ما نصت عليه النصوص ، فمن ذلك قوله ﷺ: « لا يشكر الله من لا يشكر الناس »^(١) وعليه فإنني أشكر فضيلة الأستاذ الدكتور : أمين محمد عطيه باشا ، المشرف على هذه الرسالة - حفظه الله - والذي قدم كل ما بوسعه من إرشاد وتوجيه ولم يأل جهداً في ذلك ، سواءً في الجامعة أو البيت ، رغم إنشغاله بالتدريس والإشراف على زملاء آخرين ، مع إعطائي الحرية بالإعتماد على النفس وهو ما كنت أحتاجه في مثل هذه المرحلة ، ولقد استفدت ولله الحمد والمنة من علمه الجرم وخلقه الفاضل وسعة صدره ، فارجو من الله عزوجل أن يجزل له المثوبة ، وأن يعظم له الأجر مقابل ما قدم لي ولزملائي خلال إشرافه على هذه الأطروحة ، والله أسأل أن يطيل في عمره ، وأن يحسن في عمله ، وأن يزيد في علمه إنه القادر على ذلك ، كما أجزل شكري وتقديري لهذه الجامعة جامعة أم القرى والتي أتاحت لي ولغيري الإلتحاق بها ، وهو شرف عظيم ، فأحمد الله عزوجل على ذلك ، ولا أنسى أن أخص بالشكر والتقدير أيضاً كلية الدعوة وأصول الدين ممثلة في عميدها ووكيلها حفظهما الله ورعاهما ، والتي كانت السبب بعد الله عزوجل في تسجيل هذه الأطروحة الجامعية : (الدكتوراه) ، وكذلك قسم الكتاب والسنة والعاملين فيه وعلى رأسهم رئيس القسم والذي تخرجت منه ، وكذلك أيضاً رئيس قسم الدعوة وجميع أعضائه والذي أعمل فيه حالياً ، وأيضاً قبل ذلك وبعده أدعو الله عزوجل أن يجزل المثوبة لوالدي الكريم ، وأن يطيل في عمره ويحسن في عمله ، وأن يمتعه بالصحة والعافية ، فلقد كان فضله عظيماً عليّ بعد الله عزوجل بالدعاء لي دائماً وأبداً ، والمتابعة المستمرة ، والتشجيع المستديم في طلب العلم ، والله أسأل أن يعظم له الأجر

(١) أخرجه أبو داود في سننه ج٤ ص ٢٥٥ ، كتاب الأدب ، باب في شكر المعروف ، مطبعة دار الفكر ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ج٢ ص ٢٩٥ ، مطبعة دار الكتب العلمية ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته ج٢ ص ١٢٧٦ ، مطبعة المكتب الإسلامي .

والمثوبة، وأن يثقل بذلك موازين حسناته ، وفي الختام أدعو الله عز وجل أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، وأن يتقبل منا صالح العمل ، وأصلي وأسلم على من الصلاة عليه تبارك الأعمال وتركيها ، وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« قلم السفر السنة »

وتنقله إلى بابي ج :

- الباب الأول : عصر المؤلف وحياته ، ويشتمل على فصلين :
- الفصل الأول : العصر الذي عاش فيه المؤلف ، وفيه ثلاثة مباحث :
- المبحث الأول : الحالة السياسية في عصر الإمام النسفي رحمه الله .
- المبحث الثاني : الحالة العلمية .
- المبحث الثالث : الحالة الاجتماعية .

المبحث الأول :

الحالة السياسية

عاش الإمام النسفي رحمه الله في عصر مليء بالأحداث والمستجدات ، هزّ كيان الدولة الإسلامية بصفة عامة ، وأثر فيها تأثيراً مباشراً ، وأضعفها بل أسقطها ، بعد أن كانت متماسكة ، مترابطة رديحاً من الزمن في الشرق والغرب ، مروراً بعهد الخلفاء الراشدين ، والدولة الأموية بعد ذلك ، وإن حصل ما حصل فيها من الصراعات ، والخلافات أدّى في النهاية إلى قيام الدولة العباسية في الشرق ، والتي أخذت بزمّام الأمور ، ومن ثمّ ترسيخ الدولة الإسلامية وتوسيع رقعتها على نطاق أكبر ، ولكن مع مرور الزمن بدأت الفرقة تنشب أظفارها في جسد هذه الدولة ، والفتنة تكشر عن أنيابها ، وكانت هذه العوامل وغيرها إيذاناً بضعف هذه الدولة ، وإن كان مر عليها زمن لاح عليها الاستقرار ، وبدى عليها الإستمرار ، وبقيت في مد وجزر ما شاء الله ، ثم هبّت عليها أعاصير الإنحدار والسقوط ، بتولّي خلفاء وحكام ليسوا أهلاً لقيادة دفة الحكم ، حتى أتت الطامة الكبرى ، والمصيبة العظمى ، التي لم يشهد التاريخ لها مثيلاً ، وهو : إجتياح التتار والمغول عاصمة الدولة الإسلامية ببغداد سنة ٦٥٦هـ ، فعاثوا في الأرض فساداً ، وأهلكوا الحرث والنسل ، فكانت قاصمة الظهر ونكبة الدهر ، يصورها لنا الإمام ابن الأثير رحمه الله في تاريخه بصورة عامة حيث يقول تحت عنوان : « خروج التتر إلى بلاد الإسلام » : (لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة إستعظماً لها كارهاً لذكرها ، فأنا أقدم إليه رجلاً وأوخر أخرى ، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين .. ، ثم رأيت ذلك لايجدي .. إن هذا الفصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التي عقت الأيام والليالي عن مثلها ، وعمّت الخلائق وخصت المسلمين ، فلو قال قائل : إن العالم منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يتل بمثلها ، لكان صادقاً ، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها ، ولعل الخلق لا يرون مثل الحادثة إلى أن ينقرض العالم ، وتفنى الدنيا إلا بأجوج ومأجوج ، وأما الدجال فإنه يُبقي على من اتبعه ويُهلك من خالفه ، وهؤلاء لم يبغوا على أحد ، بل قتلوا النساء والرجال والأطفال ، وشقوا بطون الحوامل ، وقتلوا الأجنة ، فإن قوماً خرجوا من أطراف الصين فقصدوا بلاد تركستان ، ثم منها إلى بلاد ماوراء النهر مثل : سمرقند وبخارى وغيرهما ، فيهلكونها ويفعلون بأهلها ما نذكره ،

ثم تعبر طائفة منهم إلى خراسان فيفرغون منها ملكاً وتخريباً وقتلاً ونهباً ، ثم يتجاوزنها إلى الرِّيِّ وهمدان وبلد الجبل وما فيه من البلاد إلى حد العراق في أقل من سنة ، هذا ما لم يُسَمَّع بمثله ، ومضت طائفة أخرى غير هذه الطائفة إلى غزنة وأعمالها وما يجاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان ، ففعلوا فيها مثل ما فعل هؤلاء وأشد هذا ما لم يطرق الأسماع مثله .. ولم يبت أحد من البلاد التي لم يطرقوها إلا وهو خائف يتوقعهم ويتربص وصولهم .. ثم يبين لنا ابن الأثير رحمه الله عن دياناتهم وعاداتهم وتقاليدهم ومساكنهم فيقول : (أما دياناتهم فإنهم يسجدون للشمس عند طلوعها ، ولا يُحرِّمُون شيئاً ، فإنهم يأكلون جميع اللواب حتى الكلاب والخنازير وغيرهما ، ولا يعرفون نكاحاً بل المرأة يأتيها غير واحد من الرجال فإذا جاء الولد لا يُعرف أباه .. ، وهم نوع كثير من الترك ، ومساكنهم جبال طمفاج من نحو الصين ، وبينها وبين بلاد الإسلام ما يزيد على ستة أشهر)^(١).

وهذا تصوير عام من ابن الأثير رحمه الله لهؤلاء العجر وتحركاتهم وإستيلائهم على المدن الإسلامية وما صاحب ذلك من جرائم بشعة .

ولابن كثير رحمه الله وقفة مع هؤلاء وكيفية دخولهم بغداد وما نتج عنه من هلاك للحرث والنسل وخراب للبلاد حيث قال :

(دخلت سنة ست وخمسين وستمائة .. واستهلت هذه السنة وجنود التتار قد نازلت بغداد .. ووصل هولاء كوا بجنوده الكثيرة الكافرة الفاجرة الظالمة الغاشمة ممن لا يؤمن بالله واليوم الآخر .. فمالوا على البلاد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان ، وأختفى الكثير منهم ... ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى ، ومن إلتجأ إليهم ، وقد اختلف الناس في كمية من قُتِلَ ببغداد من المسلمين في هذه الواقعة ، فقليل ثمانمائة ألف ، وقيل ألف ألف وثمانمائة ألف ، وقيل : بلغت القتلى ألفي ألف نفس ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، ولا

(١) الكامل / لابن الأثير جـ ١٠ ص ٣٩٩ و ص ٤٠٠ بإختصار ، راجعه وصححه : د. محمد

يوسف الدقاق ، مطبعة دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧ هـ .

حول ولا قوة إلا بالله العظيم^(١) ، ويقول الإمام السيوطي رحمه الله في وصف المأساة الكبرى : (قال الموفق عبداللطيف في خبر التتار : هو حديث يأكل الأحاديث ، وخبر يطوي الأخبار ، وتاريخ يُنسي التواريخ ، ونازلة تُصغّر كل نازلة ، وفادحة تطبق الأرض ، وتملؤها ما بين الطول والعرض ..)^(٢) ، ثم استولى المغول على أغلب بلاد الشام وبهذا يتبين لنا بعد ها العرض المختصر عن هجوم التتار والمغول على الدولة الإسلامية المتمثلة في الدولة العباسية ما خلفته من آثار وخيمة^(٣) ، سواء من الناحية السياسية أو الاجتماعية أو الدينية أو الاقتصادية^(٤) ، فلا شك أن لذلك الأثر البالغ على جميع المسلمين آنذاك في أنحاء المعموره ، وفي سنة ٦٦٣ هـ توفي هولاءكو ، وتولي ابنه «أباقا» ابن هولاءكو سنة ٦٦٣ إلى سنة ٦٨٠^(٥) ، ومن الأحداث الهامة في حياة هذا السلطان محاربهه للمصريين في الشام فأعد جيشاً كبيراً التحم به في عدة معارك مع جيوش السلطان الظاهر بيبرس رحمه الله ، ولكنها أسفرت جميعاً عن إندحار جيوش المغول ، وإنتصار

- (١) البداية والنهاية / لابن كثير ج ٧ ص ٢١٣ باختصار وتصرف ، مطبعة دار الريان ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨ هـ ، وانظر : العبر في خبر من غير / للذهبي ج ٣ ص ٢٧٧ تحقيق وضبط أبو هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول ، مطبعة دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٥ هـ ، ودول الإسلام / للذهبي ج ١ ص ١٥٩ ، تحقيق : فهم شلتوت ، محمد مصطفى إبراهيم ، مطبعة الهيئة المصرية ، طبعة عام ١٩٧٤ م .
- (٢) تاريخ الخلفاء / للحافظ جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، مطبعة دار السعادة ، طبعة عام ١٣٧١ هـ .
- (٣) انظر : المغول في التاريخ / د. فؤاد عبدالمعطي الصياد ج ١ ص ٢٧٩ ، فقد تكلم عن نتائج سقوط بغداد ، مطبعة دار النهضة العربية طبعة عام ١٩٨٠ م .
- (٤) انظر : الدولة الخوارزمية والمغول ، غزو جنكيز خان للعالم الإسلامي وآثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية ، تأليف : حافظ أحمد حمدي ، مطبعة دار الفكر .
- (٥) المغول في التاريخ ج ١ ص ٣٢٤ ، مؤرخ المغول الكبير رشيد الهمذاني تأليف د/ فؤاد الصياد ، طبعة دار الكاتب العربي ، مطبعة عام ١٣٨٦ هـ . وقد تحدث فيه المؤلف عن حياتهم وحرورهم فهو مصدر في تاريخهم .

السلطان الظاهر بيبرس عليها إنتصاراً رائعاً ، وعُمِّرَ آباقا نحو خمسين سنة إلى أن توفي سنة ٦٨٠ هـ ثم خَلَفَهُ بعده وفاته أخوه آباقا خان، وكان مسيحياً ثم أسلم بعد ذلك بعد تأثره بالإسلام والمسلمين ، ثم تولى من بعده أرغون خان من سنة ٦٨٣ هـ إلى سنة ٦٩٠ هـ ، ثم خلفه : كيخاتون من سنة ٦٩٠ إلى ٦٩٤ هـ ، ثم بايدو خان واستمر في الحكم عدة أشهر ، ثم جاء من بعده : محمود غازان خان من سنة ٦٩٤ إلى ٧٠٣ هـ ، وكان قد أسلم قبل توليه الحكم بنحو أربعة أشهر^(١) ، وبعد هذا العرض الموجز والمقتضب عن الحياة السياسية وما عاصرها من مستجدات وأحداث في عصر الإمام النسفي رحمه الله ، ولاشك أنه رحمه الله عايش بعض هذه الأحداث وسمع الكثير منها، ولكنه كان بعيداً عن مباشرتها ، همه طلب العلم ونشره ، ومن ثم إيصاله للمسلمين ، وما مؤلفاته المطبوع منها أو المخطوط إلا أكبر دليل على ذلك ، ونشأته : شأن العلماء الذين من قبله أو بعده ، همهم التفرغ لطلب العلم وتحصيله ، وملاقاة الشيوخ ومجالستهم والإستفادة منهم والرحلة في ذلك .

وسيتضح ذلك في الأبواب والفصول القادمة إن شاء الله .

(١) انظر : المغول في التاريخ مؤرخ المغول الكبير رشيد الهمداني ج ١ ص ٥٨ وما بعدها .

المبحث الثاني:

الحالة العلمية

حينما اجتاحت التتار العالم الإسلامي وأسقطوا الدولة العباسية تركوا آثاراً سيئة ، وذكرى محزنة ، ومن ضمن الآثار السيئة التي خلفوها إحراق الكثير من الكتب وإلقاء الكثير منها أيضاً في نهر دجلة حتى أسودَّ ماؤه من كثرة ما أُلقي فيه ، وحتى كادت المؤلفات تُؤلَّفُ في دجلة جسراً^(١) ، كما قُتل الكثير من العلماء ، ودُمِّرت المدارس العلمية والمساجد، وفي هذا الإجتياح فُقد الكثير والكثير من التراث الإسلامي، لاسيما الموجود ببغداد العاصمة الإسلامية، والتي كانت مركزاً هاماً للعلوم والآداب، يهرع إليه العلماء، وطلاب العلم، فلقد كانت بغداد غنية بعلمائها وأدبائها، فلما حلت النكبة ببغداد على أيدي المغول، قُتل العلماء وشُرِّد من نجا منهم، وقصارى القول: أن سقوط بغداد بعد أن سقطت بخارى^(٢) ونيسابور^(٣) والرِّي^(٤) وغيرها من مدن العلم والأدب ، كان حقاً جناية كبيرة على الحضارة والثقافة الإسلامية^(٥) . وهكذا جنى التتار على أغلب التراث الإسلامي، حتى أن حلب وغيرها من بلاد الشام لم تسلم من هذه الجناية البشعة ، وفي

(١) الأدب العربي وتاريخه د/ محمد محمد خليفه وزكي سويلم ص ١٠ و ص ١١ .

(٢) بخارى : بالضم من أعظم مدن ماوراء النهر وأجدها ، يُعبرُ إليها من أمل الشط ، بينها وبين جيحون يومان ، ولاشك أنها مدينة قديمة نزهة كثيرة البساتين واسعة الفواكه جيدتها .
انظر : معجم البلدان ج ١ ص ٤١٩ ، باختصار ، تحقيق : فريد عبدالعزيز الجندي ، مطبعة دار الكتب العلمية .

(٣) نيسابور : بفتح أوله ، وهي : مدينة عظيمة ، ذات فضائل جسيمة ، معدن الفضلاء ، ومنبع العلماء ، يقول الحموي ، لم أر فيما طوفت من البلاد مدينة كانت مثلها ، بينها وبين الرى : مائة وستون فرسخاً ، وكان المسلمون فتحوها في أيام عثمان رضي لله عنه .
انظر : معجم البلدان ج ٥ ص ٣٨٢ .

(٤) الرِّي : بفتح أوله ، وتشديد ثانيه ، وهي مدينة : مشهورة من أمهات البلاد ، وأعلام لمدن ، كثيرة الفواكه والخيرات ، وهي : محط الحاج على طريق السابلة وقصبة بلاد الجبال ، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخاً .

انظر : معجم البلدان ج ٣ ص ١٣٢ .

(٥) انظر : المغول في التاريخ ج ١ ص ٢٨٠ و ص ٢٨١ .

هذا العصر المشئوم عاش الإمام النسفي ، ولا بد أنه تأثر بما تأثر به علماء المسلمين في ذلك الوقت ، ولكن أبي الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، تحمس العلماء في هذه الفترة الحرجة ، وتحملوا الأمانة الملقاة على عواتقهم ، وتفرغوا لنشر العلم وتقييده ، فإنه وإن أحرقت كثير من الكتب وأغرق الكثير منها أيضاً ، إلا أن العلم كما هو مكتوب في السطور محفوظ في الصدور ، فخرج العلماء رحمهم الله بعد أن هدأت الأوضاع ، وتنافسوا تنافساً شديداً وشريفاً مما كان له الأثر البالغ في إثراء المكتبات بالكتب النافعة والعلوم المفيدة .

ومما يدلنا على ذلك ما حفلت به كتب التراجم والطبقات حيث إنها ترجمت لكثير من العلماء وفي شتى الفنون في عصر الإحتياج المغولي المقيت ، وسأذكر على سبيل المثال لا الحصر أسماء العلماء ومؤلفاتهم في أهم الفنون لتبين مدى إهتمام العلماء في بلاد المسلمين بنشر العلم وفي أحلك الظروف في هذه الفترة الحرجة :

أولاً : كتب التفسير وعلوم القرآن : وهي من أعظم العلوم وأجلها ، فمن ذلك :

(١) - الجامع لأحكام القرآن للإمام المفسر / أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، المتوفى سنة : إحدى وسبعين وستمئة للهجرة .

(٢) - مدارك التنزيل وحقائق التأويل / للإمام المفسر : عبدالله بن أحمد النسفي ، المتوفى سنة : عشرة وسبعمئة للهجرة .

(٣) - البرهان في تناسب سور القرآن / للإمام العلامة : أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي ، المتوفى سنة ثمان وسبعمئة للهجرة .

(٤) - ملاك التأويل في مشابه اللفظ من التنزيل / للإمام : أحمد بن إبراهيم الغرناطي صاحب كتاب البرهان في تناسب السور .

(٥) - لباب التأويل / للإمام المفسر : علاء الدين بن محمد بن إبراهيم البغدادي ، الشهير بالخازن ، المتوفى سنة : خمس وعشرين وسبعمئة للهجرة .

(٦) - غرائب القرآن ورغائب الفرقان / للإمام المفسر العلامة : نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمّي النيسابوري ، المتوفى سنة : ثمان وعشرين وسبعمئة للهجرة .

(٧) - البحر المحيط / للإمام المفسر : محمد بن يوسف الشهير بأبي حبان الأندلسي الغرناطي ، المتوفى سنة : أربع وخمسين وسبعمائة للهجرة .
وغير ذلك من كتب التفسير سواء المخطوط أو المطبوع .

ثانياً : كتب الحديث وشروحه مع مصطلح الحديث :

وفي هذا العصر ظهرت الكثير من كتب الحديث مع شروحاتها ، وفي الحقيقة أنه عصر حافل بالتأليف والتصنيف والإهتمام بالسنة وشروحاتها فمن ذلك :

(١) - رياض الصالحين / للإمام المحدث الحافظ : مكي الدين أبي زكريا يحيى ابن شرف النووي ، المتوفى سنة : إحدى وسبعين وستمائة للهجرة .

(٢) - المنهاج شرح صحيح مسلم / للإمام المحدث الحافظ : النووي رحمه الله .

(٣) - شرح سنن أبي داود / للإمام المحدث : سعد الدين ، أبي محمد مسعود بن أحمد العراقي المصري الحنبلي ، المعروف بالحارثي ، المتوفى سنة : إحدى عشر وسبعمائة للهجرة .

(٤) - الإقتراح في المصطلح والإمام / لتقي الدين بن دقيق العيد ، المتوفى سنة : إثنتي عشرة وسبعمائة .

ثالثاً : كتب السيرة النبوية : وهي ماتعنى بحياة الرسول ﷺ وماحصل في حياته من غزوات ، ومعارك ، وحوادث :

(١) - الصارم المسلول على شاتم الرسول / لشيخ الإسلام : أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحراني ، المتوفى سنة : ثمان وعشرين وسبعمائة للهجرة .

(٢) - عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير / للإمام : فتح الباري الدين اليعمري الأندلسي المشهور بابن سيد الناس ، المتوفى سنة : أربع وعشرين وسبعمائة للهجرة .

رابعاً : كتب التاريخ والتراجم :

(١) وفيات الأعيان وأنباء الزمان مما يثبت بالنقل أو السماع ، أو أثبتته العيان / للإمام : شمس الدين بن خلكان ، المتوفى سنة إحدى وثمانون وستمائة للهجرة .

(٢) - نهاية الأرب في فنون الأدب / لأبي العباس شهاب الدين المعروف



بالنويري ، المتوفى سنة ثتان وثلاثون وسبعمئة للهجرة .

(٣) - تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير الأعلام / للإمام المحدث عمار شمس الدين

الذهبي المتوفى سنة : ثمان وأربعين وسبعمئة للهجرة .

خامساً : كتب العقيدة :

(١) - عمد عقيدة أهل السنة والجماعة / للإمام : عبدالله بن أحمد السفي ،

المتوفى سنة : عشر وسبعمئة للهجرة .

(٢) - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، الفرق بين الحق والباطل ، الفرقان

بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان ، منهاج أهل السنة ، درء تعارض العقل والنقل /

لشيخ الإسلام : ابن تيمية ، المتوفى سنة : ثمان وعشرين وسبعمئة للهجرة .

سادساً : الفقه وأصوله :

المذهب الحنبلي :

(١) - الرعاية الكبيرة : للإمام : نجم الدين أبي عبدالله أحمد بن حمدان الحراني ،

المتوفى سنة : خمس وتسعين وستمائة للهجرة .

(٢) - الفتاوى وما فيها من فقه وأصول / لشيخ الإسلام : ابن تيمية الحراني ،

المتوفى سنة : ثمان وعشرين وسبعمئة .

(٣) - قواعد الأصول ومعاهد الفصول / للإمام : صفى الدين عبدالمؤمن بن كمال

الدين البغدادي الحنبلي المتوفى سنة : تسع وثلاثين وسبعمئة للهجرة .

الفقه الشافعي وهي كثيرة منها :

(١) - روضة الطالبين / للإمام المحدث : أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ، الدمشقي

المتوفى سنة : ست وسبعين وستمائة ، وله أيضاً : المجموع شرح المذهب ولم يتمه .

(٢) - المغني / للإمام : سراج الدين بن موسى بن دقيق العيد ، المتوفى سنة :

خمس وثمانين وستمائة للهجرة .

(٣) - منهاج الوصول إلى علم الأصول / لقاضي القضاة : ناصر الدين أبي الخير

عبدالله بن عمر البيضاوي المتوفى سنة : خمس وثمانين وستمائة للهجرة .

الفقه الحنفي وهي كثيرة منها :

- (٢) - كنز الدقائق في فروع الحنفية / للإمام : أبى البركات بدالله بن أحمد النسفي المتوفى سنة : عشر وسبع مائة للهجرة .
- (٣) - كشف الأسرار شرح المصنف على المنار / للإمام النسفي رحمه الله أيضاً .
الفقه المالكي وأصوله وهى كثيرة منها :
- (١) - الذخيرة / للإمام شهاب الدين أبى العباس أحمد القرافى ، المتوفى سنة أربع وثمانين وستمائة للهجرة .
- (٢) - التنقيح في الأصول / للإمام العلامة : للإمام شهاب الدين أبى العباس أحمد القرافى ، صاحب كتاب الذخيرة .
سابعاً : كتب اللغة والنحو :
- (١) - الألفية / لجمال الدين بن مالك الأندلسي ، المتوفى سنة : ثنتان وسبعون وستمائة للهجرة ، ولابن مالك رحمه الله : التسهيل ، الكافية الشافية ، ولامية الأفعال ، وشواهد التوضيح .
- (٢) - شرح الكافية لابن الحاجب / لقاض القضاة : عبدالله بن عمر البيضاوي ، المتوفى سنة : خمس وثمانين وستمائة للهجرة .
- (٣) - لسان العرب / لابن منظور الإفريقي ، المتوفى سنة : إحدى وعشرون وسبعمائة للهجرة .
- وغير ذلك من الكتب في ذلك العصور التي هي في كل فن ، وقد عُلِمَ بعضها كالمطبوع والكثير منها لم يُعلم ، إما لأنه مفقود أو أنه لازال حبيس المكتبات لم يظهر إلى النور ، وقصدت بهذا : بيان الحياة العلمية العامة والتي كانت في عصر الإمام النسفي رحمه الله في جميع الأمصار تقريباً ، ولا أدعى في ذلك الحصر بل التمثيل ، وما أشرت إليه غيظ من فيض^(١) ، وإلا فلعلماء المسلمين عليهم رحمة الله صولات وجولات في نشر العلم وكتابته في كل عصر من العصور ، وعلى مر الأزمنة والدهور ، وسأتحدث عن الحياة العلمية الخاصة بالنسفي في الفصل الثاني إن شاء الله .

(١) انظر كتب التراجم والاعلام والتي تحدثت عن هؤلاء العلماء ومؤلفاتهم في ذلك العصر .

البحث الثالث :

الحالة الاجتماعية

والقصد من الحالة الإجتماعية في عصر النسخى رحمه الله ، أي : حال المجتمع آنذاك بصفة عامة ، بجميع طبقاته على مستوى العالم الإسلامي ، يقول الدكتور : حسن إبراهيم حسن : (يتألف المجتمع الإسلامي عادةً من الخاصة ، وهم أصحاب الخليفة من ذوي قرباه ، ومن رجال الدولة البارزين كالأشراف والوزراء والقواد والكتاب والقضاة والعلماء والأدباء ، وكان لهؤلاء باب خاص يدخلون منه لمقابلة الخليفة ، كما جعل لهم مطابخ خاصة ، وإسطبلات خاصة ، ويقابل الخاصة العامة ، وهم السواد الأعظم من الناس ، ولهم مرافق خاصة : كباب العامّة ، ومطابخ العامّة ، وتنظم هذه الطبقة : أهل الحرّف والصنائع والتجار والفلاحين والجند والرقيق ، ويقال لهم : العامة والدهماء ، وهم في العادة أقل ثقافة ودرايةً بأمر دينهم ولو كانوا من ذوي اليسار كطبقة التجار)^(١) وهذا هو الحاصل في جميع بلدان العالم الإسلامي آنذاك ، ولكن قد يختلف جزئياً من مصر إلى مصر بحسب العادات والتقاليد ، وقد ذكر المؤرخون أنه بعد إجتياح التتار والمغول للعالم الإسلامي تحسن الإقتصاد وزادت نسبة التبادل التجاري بين الأمصار بعضها لبعض ، فأنتعشت الأسواق آنذاك ، بعد أن توقفت الحركة التجارية بين الأقاليم الإسلامية بعضها لبعض أثناء الإجتياح المغولي ، يقول الدكتور : محمود زياده : (... وقد صَحِبَ هذا الهجوم الحربي العنيف من ناحية المغول ، إضطراب وفوضى إجتماعية مؤقتة في الأقاليم الآسيوية بلا إستثناء ، وتأثرت النواحي الإقتصادية في هذه القارة ، فخربت المباني ، وبارت الأرض ، ووقفت الحركة التجارية ، وتَفَشَّت الأمراض والأوبئة ، وانتشر الفقر)^(٢) ولاشك أن العالم الإسلامي قد تأثر بهذا في معيشته ، ويختلف الحال من طبقة إلى طبقة ، ومن فرد إلى فرد ، غنى وفقراً ، ولكن بعد أن كشفت الغمة عن أفراد هذه الأمة ، تحسن الوضع ، وتدرج

(١) تاريخ الإسلام / د. حسن إبراهيم حسن ، العصر العباسي الثاني ، ج ٤ ص ٦٢٥ ، مطبعة

النهضة المصرية ، الطبعة الأولى عام ١٩٦٧ م .

(٢) دراسات في التاريخ الإسلامي من العصر العباسي إلى قبيل العصر الحاضر د/ محمود محمد

زيادة ، ص ٥٠٥ ، مطبعة دار التأليف ، طبعة عام ١٣٨٩ هـ .

الإنتعاش في المعيشة بين الأفراد ، كلٌ بحسب طاقته وإمكانيته ، يقول الدكتور : حافظ حمدي ، واصفاً ذلك الحال : (حتى ما إذا حلت أواخر القرن السابع الهجري ، نرى العاصفة تهدأ ، والحياة تعود تدريجياً إلى سابق عهدها والمغول يحكمون الأقاليم المتحدة من شرق آسيا إلى أواسط أوروبا ومن جنوب روسيا حتى الخليج الفارسي ، وكان طبيعياً أن تضمحل الطرق التجارية البرية في زمن الغزو ، وفي الفترة التي تلت الغزو مباشرة ، وكان من أثر ذلك أن عظمت أهمية الطريق البحري بين غرب آسيا وشرقها بعد أن إنعدمت المواصلات البرية)^(١) ويبين لنا الدكتور محمود زيادة الطرق الأساسية بإيجاد طريقين أساسيين للتجارة :

(الطريق الأول : ويسير من البحر الأسود ، ويخترق شمال تركستان إلى أواسط آسيا ثم إلى الصين ، والطريق الثاني : برّي بحري في نفس الوقت يسير إما من طرايزون أو خليج الاسكندرية إلى تبريز ثم إلى هرمز على الخليج الفارسي ، ثم من طريق المحيط الهندي إلى بلاد الهند والشرق الأقصى .. فكان للغزو المغولي أثره في نشأة كثير من المستعمرات والمراكز التجارية في غرب آسيا . وكان من أثر ذلك كله التبادل التجاري بين شرق آسيا وغربها ، وبين القارتين الأوربية والآسيوية ..)^(٢) وهذا هو ما مرَّ به العالم الإسلامي أثناء وبعد الغزو المغولي باختصار والذي تأثرت به جميع الأقاليم الإسلامية سلباً وإيجاباً ، أما الحالة الإجتماعية التي مرت بها : (نَسَف)^(٣) والتي هي موطن الإمام النسفي رحمه الله ، فهي كغيرها من الأقاليم الأخرى ، إلا أنها تمتاز بكثرة آبارها ووفرة بساينها ، فيكون إعتماد أهاليها على المنتج المحلي لهذا الأقليم ، والإمام النسفي رحمه الله كغيره من علماء الأمة الإسلامية إذ أنه يكتفى بالقوت القليل ليتفرغ لطلب العلم ومن ثم نشره ، والمصادر التاريخية لم تحكي قصة حياته بالتفصيل ،

(١) الدولة الخوارزمية المغول ص ٢٩٧ .

(٢) دراسات في التاريخ الإسلامي ص ٥٠٥ و ص ٥٠٦ باختصار ، وانظر : الدولة الخوارزمية والمغول ص ٢٩١ وما بعدها .

(٣) وساتحدث عنها إن شاء الله عند ترجمته الإمام النسفي ص ١٧ .

كما هو الحاصل لعلماء العراق والشام ومصر في عهده ، وإنما وصفته بالزهد ، وهو دليل على بعده عن ملذات الدنيا وسباقها المحموم ، فتفرع لما هو أهم وأعظم ، ألا وهو طلب العلم والترقي في مدارجه ، حتى وصل إلى ما وصل إليه من بروز في العلم ونشره .

الفصل الثاني :

حياة المؤلف وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول :

كنيته ، ولقبه ، ونسبه ، ومولده ، ونشأته ، ووفاته .

هو : عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي^(١) علامة الدنيا ، الملقب بحافظ الدين ، المكنى بأبي البركات ، الفقيه ، الحنفي الأصولي ، المفسر ، المحدث أحد الزهاد والمتأخرين ، صاحب التصانيف المفيدة ، المتكلم ، أصله من بلدة : إيدج^(٢) ، وتاريخ مولده غير معروف ، فلم تشر المراجع التاريخية إلى ذلك ، ولكن يستنتج من وفاة شيوخه أنه ولد في النصف الأول من القرن السابع الهجري تقريباً ، ونشأ وترعرع في هذه البلدة وخرج منها طالباً للعلم ودخل بغداد ، وحج ، ثم عاد إليها ومكث بها حتى مات ، وقد اُختلِفَ في سنة وفاته : ف قيل سنة ٧٠١ للهجرة ، وقيل سنة ٧١٠ للهجرة ، وقيل سنة ٧٢٤ للهجرة ، والراجح من هذه الأقوال أنه توفي سنة ٧١٠ هـ ، وهو قول أكثر الذين ترجموا له ، وكانت وفاته ليلة الجمعة من شهر ربيع الأول ، ودفن في بلدة : إيدج^(٣) .

(١) نسبة إلى نَسَفَ : بفتح أوله وثانيه ثم فاء ، وهي مدينة كبيرة كثيرة الأهل ، بين جيحون وسمرقند ، خرج منها جماعة من أهل العلم في كل فن .. وهي على مدرج بخارى وبلخ ، وهي في مستواه ، والجبال منها على مرحلتين فيما يلي كشي ، وأما ما بينها وبين جيحون فمفازة لاجبل فيها ، ولها نهر واحد يجري في وسط المدينة ، وهي مجمع مياه كشي فيصير منها هذا النهر فيشرع إلى القرى ، ولنسف قرى كثيرة ، ونواح ، ولها منبران سوى المدينة ، ولها آبار تسقي بساتينهم ومباقلهم والغالب على نسف الخصب ، وقد خرج منها خلق كثير من أهل العلم .

معجم البلدان ج ٥ ص ٣٢٨ باختصار ، تحقيق : فريد عبدالعزيز الجندي ، مطبعة دار الكتب العلمية .

نسف : تقع حالياً في الجنوب الغربي من الاتحاد السوفيتي ، وهي بين جيحون وسمرقند ، كتاب بلدان الخلافة الشرقية / ركي لسترنج ص ٨٤٠ ، مطبعة مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية عام ١٤٠٥ هـ

(٢) إيدج : من قرى سمرقند عند الجبل ، وذكر الحموي إيدج أخرى وقال : وهي بلدة بين خورستان وأصبهان . قلت : وهذه في إيران حالياً فالأولى هي : مسقط رأس النسفي رحمه الله ، انظر : معجم البلدان ج ١ ص ٣٢٤ بتصرف وإختصار .

(٣) انظر : كنيته ولقبه ونسبه ومولده ونشأته ووفاته : الجواهر المضيئة في طبقات الحنيفة /

⇐ للعلامة الإمام المحدث : مجي الدين أبي محمد عبدالقادر الحنفي المصري جـ ١ ص ٢٧١ ،
 الطبعة الأولى ، بحيدر آباد ، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة / لابن حجر جـ ٢ ص ٢٤٧ ،
 مطبعة دار الجيل ، تاج التراجم في من صنف من الحنفية / للإمام الحافظ زين الدين قاسم بن
 قَطْلُوبِغَا الحنفي ص ١١١ و ١١٢ وقال رحمه الله : (كان ببغداد سنة عشر وسبعمائة) ،
 عني بتحقيقه : إبراهيم صلح ، مطبعة دار المأمون ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١٢ هـ ، مفتاح
 السعادة / لأحمد بن مصطفى الشهير : بطاش كبرى زاده ، جـ ٢ ص ١٨٨ ، مطبعة دار
 الكتب العلمية ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٥ هـ ، أبجد العلوم / لطاش كبرى زاده جـ ٣
 ص ١١٩ ، مطبعة دار الكتب العلمية ، وقد قال رحمه الله : (أنه مات سنة ٧٧٣) ، قلت :
 وهو قول بعيد جداً ، وذكر عنه أنه حج أيضاً ، كشف الظنون / للعلامة : مصطفى عبدالله
 القسطنطي الرومي الحنفي ، الشهير بالملا كاتب الجلبي ، والمعروف بالحاجي خليفه جـ ٢
 ص ١١٦٨ و ١١٦٩ ، مطبعة دار الفكر طبعة عام ١٤٠٢ هـ ، الطبقات السنوية في تراجم
 الحنفية / للمولى : تقى الدين عبدالقادر المصري الحنفي جـ ٤ ص ١٥٤ و ١٥٥ ، تحقيق :
 د. عبدالفتاح الحلو ، مطبعة هجر ، الطبعة الأولى عام ١٤١٠ هـ الفتح المبين في طبقات
 الأصوليين / لعبدالله المراغي جـ ٢ ص ١٠٨ ، الناشر محمد أمين ، الطبعة الأولى عام ١٣٩٤ ،
 معجم المؤلفين / لعمر رضا كحاله جـ ٦ ص ٣٢ ، مطبعة دار إحياء التراث العربي ، طبقات
 المفسرين / أحمد بن محمد الأدنه وى من علماء القرن الحادي عشر ص ٢٦٣ ، تحقيق :
 سليمان بن صالح الخزي ، الناشر : مكتبة العلوم والحكم ، الطبعة الولي عام ١٤١٧ هـ ،
 الفوائد البهية / للعلامة أبي الحسنات : محمد عبدالحى اللكنوي الهندي ، ص ١٠١
 و ١٠٢ ، مطبعة السعادة ، الطبعة الأولى عام ١٣٢٤ هـ .



الهيكل الثاني:

طلبه للعلم.

لم تذكر كتب التراجم كيفية طلبه للعلم منذ صغره مثلاً ، وبماذا بدأ من العلوم ، ولكن يستنتج من خلال كتبه المؤلفه ، أنه بدأ كغيره من العلماء في حفظ المتون ، مثل القرآن وكثير من السنة واللغة العربية و علم القراءات ، وغير ذلك من العلوم والتي هي من الأساسيات ، فلم يصل إلى هذه المنزلة ، وهذا العلم إلا بعد أن تدرّجَ ومرَّ على هذه المراحل بكل تأكيد ، وأيضاً هناك الرحلة في طلب العلم ، فقد ذُكِرَ أنه سافر إلى بغداد وأنه حج ، ولا بد من إنه التقى بالعلماء هناك وأخذ منهم ودارسهم واستفاد من هذه الرحلة ، ولكن هذه المراجع لم تذكر من لقي من العلماء في بغداد وكيفية الاستفادة منهم ، ومن هذا المنطلق فلا بد للنفسى رحمه الله من شيوخ تتلمذ على أيديهم وأستفاد منهم حتى أصبح عَلماً بارزاً ، وعَالِماً متمكناً ، يُشار إليه بالبنان ، ويُذكر باللسان ، والمترجم لهم قِلة ، وفي المبحث القادم سأتحديث عنهم .

الهيكث الثالث :

شيوخه ، وتلاميذه .

شيوخه : لاشك أن للإمام النسفي شيوخ كثير ولكن سأذكر ما وجد في كتب

التراجم من شيوخه :

(١) - محمد بن عبدالستار بن محمد محمد العمادي الكردي : نسبته إلى الجدّ المنتسب إليه البراتقيني ، من أهل براتقين قسبة من قصبات كردر ، وكردر : ناحية كبيرة من بلاد خوارزم ، كان مولده ببراتقين في الثامن عشر من ذي القعدة سنة تسع وخمسين وخمسمائة من الهجرة ، أستاذ الأئمة على الإطلاق ، الموثوق إليه في الأفاق ، المنعوت : شمس الدين ، وكنيته أبو الوجد ، رحل إلى ماوراء النهر وتفقه بسمرقند على شيخ الإسلام : برهان الدين أبي الحسين : على بن أبي بكر المرغيناني صاحب الهداية ، والشيخ : مجد الدين السمرقندي المعروف بإمام زاده ، وسمع الحديث منهما ، وتفقه ببخارى ، على جملة من علمائها ، وسمع التفسير والحديث منهم وبرع في معرفة المذهب ، وأحيا علم الأصول والفقه بعد إندراسه من زمن القاضي : أبي زيد الدبوسي وشمس الأئمة السرخسي ، وتفقه على خلق كثير منهم الشيخ : سراج الدين محمد أحمد القرشي الضريير وغيرهم ، مات ببخارى يوم الجمعة تاسع محرم ، سنة اثنتين وأربعين وست مائة ، ودفن بسيرمون^(١) .

(٢) - علي بن محمد بن علي الرامشي البخاري ، الملقب بحميد الملة والدين ، الضريير ، الإمام العلامة ، نجم العلماء ، كان إماماً كبيراً فقيهاً أصولياً محدثاً مفسراً ، حافظاً ، متقناً ، ومن تأليفه : الفوائد الفقهية في شرح الهداية ، لشيخ الإسلام : برهان الدين علي المرغيناني الحنفي ، توفي يوم الأحد ذي القعدة سنة ، ست وستين وست مائة للهجرة ، وصلى عليه الإمام : حافظ الدين النسفي في خلق في الصحراء التي قبالة تل أبي حفص الكبير ، ودفن بهذا التل ، ووضعه حافظ الدين في القبر بوصية له بالصلاة

(١) انظر ترجمته : الجواهر المضيئة ج ٢ ص ٨٢ و ٨٣ باختصار وتصرف ، تاج التراجم ص ٢٤٦ و ٢٤٧ ، سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٢٣ ص ١١٢ ، مطبعة مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٥ هـ ، الوافي بالوفيات / لصالح الدين الصفدي ج ٣ ص ٢٥٤ ، الناشر دار فرائز شتايز ، طبعة عام ١٣٩٤ هـ ، الفوائد البهية ص ١٧٦ و ١٧٧ .

عليه ، قيل حضر الصلاة عليه قريب من خمسين ألف رجل^(١) .

(٣) - محمد بن محمود بن عبدالكريم الكردي ، المعروف بخواهر زاده ، العلامة بدر الدين ، ابن أخت الشيخ : شمس الدين بن محمد بن عبدالستار الكردي ، شمس الأئمة ، تفقه على خاله : شمس الدين ، توفي سلخ ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وست مائة من الهجرة ، ودُفِنَ عند خاله^(٢) .

تلاميذه :

الإمام النسفي له تلاميذ كثير، ولا غرو في ذلك لغزارة علمه ، وكثرة إطلاعه ، وذياح صيته ، وبروزه في كثيرٍ من العلوم ، ولكن لم يذكر العلماء بالتعريف والترجمة سوى ، الإمام : الحسين بن علي بن الحجاج بن علي ، الملقب : حسان الدين السُّغْنَاقِي^(٣) الحنفي ، الإمام العالم العلامة ، القدوة الفهامة ، كان إماماً عالماً فقيهاً نحوياً جلياً ، سمع من الإمام النسفي^(٤) وتفقه على الإمام حافظ الدين الكبير : محمد ابن محمد بن نصر البخاري ، وفوض إليه الفتوى وهو شاب ، وعلى الإمام فخر الدين : محمد بن محمد بن إلياس المَائِمَرُغِيّ ، وروى عنهما الهداية بسماعهما من شمس الأئمة الكردي .. واجتمع في حلب بقاض القضاة : ناصر الدين محمد بن القاضي كمال الدين ، وكتب له نسخة من شرحه على الهداية ، وأجاز له روايتها ، ورواية جميع مجموعاته ومؤلفاته خصوصاً ، وكان ذلك في غرة شهر الله المظعم رجب الفرد ، من شهور سنة إحدى عشرة وسبع مائة ، وله شرح التمهيد للمكحولي في مجلد ضخيم ، والكافي في شرح أصول الفقه لفخر الإسلام أبي اليسر البزدوي ، وغير ذلك ،

(١) الجواهر المضيئة ج ١ ص ٣٧٣ ، تاج التراجم ص ١٥٩ ، كشف الظنون ج ٢ ص ٢٠٣٢ و ص ٢٠٣٣ ، الفوائد البهية ص ١٢٥ .

(٢) الجواهر المضيئة ج ٢ ص ١٣١ ، الفوائد البهية ص ٢٠٠ .

(٣) قال اللكنوي : نسبة إلى سِنَغَاق : بكسر السين ، وسكون العين المعجمة ثم نون بعدها ألف بعدها قاف ، بلدة في تركستان ، انظر : الفوائد البهية ص ٢٠٠ .

(٤) الجواهر المضيئة ج ١ ص ٢٧١ .

ودخل بغداد ، ودرس بمشهد أبي حنيفة ، ثم توجه إلى دمشق حاجاً فدخلها في سنة عشر وسبعمائة من الهجرة ، وكانت وفاته بمرور سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة للهجرة ، وقيل سبع^(١) .

(١) انظر ترجمته : الجواهر المضيئة ج ١ ص ٢١٤ و ص ٢١٥ ، الدر الكامنه ج ٢ ص ١٤٧ ، تاج التراجم ص ٩٠ ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة / للسيوطي ج ١ ص ٥٣٧ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى الحلبي ، طبعة عام ١٣٨٤هـ ، مفتاح السعادة ، ج ٢ ص ٢٦٦ وقد ذكر طاش كبر زاده سنة وفاته ، الطبقات السنية ج ٣ ص ١٥٠ و ص ١٥١ ، مطبعة دار الرفاعي ، طبعة عام ١٤٠٣هـ ، كشف الظنون ج ١ ص ١٧٧٥ .

الهيكل الرابع:

مذهبه وعقيدته.

مذهبه : حنفي المذهب .

ومذهبه واضح من خلال كتابه التفسير : مدارك التنزيل ، بالإضافة إلى كتب التراجم التي ذكرت ذلك عنه .

عقيدته : ماتريديّ العقيدة بل عُدَّ من أعيان الماتريديه ومن مشايخها ومن مؤيديها^(١)، ودليل ذلك كثرة إستشهاده بمؤلفات : أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي ، المتوفى سنة ٣٣٣هـ ، ومن هذا المنطلق وقع في أخطا في تأويل بعض الصفات ، والتي من خلالها خالف مذهب أهل السنة والجماعة فيها ، وقد بينت ذلك من خلال التحقيق ، والماتريدية تنسب إلى أبي منصور الماتريدي^(٢) ، وأهم آراء الماتريدي إجمالاً :

(١) - لا يرى الماتريديه مسوغاً للتقليد بل ذمه وأورد الأدلة العقلية والشرعية على فساده .

(٢) - يذهب في نظرية المعرفة إلى لزوم النظر والإستدلال ، وأنه لاسبيل إلى العلم إلا بالنظر وهو قريب من آراء المعتزلة والفلاسفة في هذا ، ثم يذكر أدلة كثيرة على وجود الله مستخدماً أدلة المعتزلة والفلاسفة في حدوث الأجسام وأنها دليل على وجود الله .

(١) الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات / للشمس السلفي الأفغاني ص ٢٦٢ و ص ٢٦٣ ، مطبعة مكتبة الصديق ، الطبعة الأولى عام ١٤١٣هـ ، وقد عدّه السلفي هنا من أعيانهم .

(٢) وتنسب هذه الطائفة إليه ، وهو أحد علماء القرن الثالث الهجري ولد في ماتريد ، وهي من بلدان سمرقند فيما وراء النهر ، تلقى علوم الفقه الحنفي والكلام على أحد كبار علماء ذلك العصر ، وهو نصر بن يحيى البلخي المتوفى سنة ٣٦٨هـ ، وغيره من كبار علماء الأحناف ، حتى أصبح من كبار علماء الأحناف ، ولقد كان له مناظرات ومجادلات عديدة مع المعتزلة في الأمور التي خالفهم فيها ، وقد إتحد في الهدف مع الأشعري ، في محاربة المعتزلة ، وكان معاصراً له ، وأما في العقائد فكان على إتفاق مع مآقره أبو حنيفة رحمه الله في الجملة ، توفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مائة بسمرقند .

انظر ترجمته : الجواهر المضيئة ج ٢ ص ١٣٠ ، تاج التراجم ص ٢٠١ ، مفتاح السعادة ج ٢ ص ٢٢ ، فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها / غالب عواجي ص ٨٧٠ ، الناشر : دار لينه ، الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ .

- (٣) - يوافق في الاعتقاد في أسماء الله السلف ، ويرى أن أسماء الله توقيفية فلا نطلق على الله أي اسم إلا ماجاء به السمع .
- (٤) - يرى أن المؤمنين يرون ربهم والكفار لا يرونه ، ويخالف الأشعري هنا ، في أن الماتريدي يرى أن الأدلة على إمكان رؤية الله تعالى عقلاً غير ممكنة ، بينما يستدل عليها أبو الحسن الأشعري بالعقل .
- (٥) - هو أقرب مايكون إلى السلف في سائر الصفات ، وإن كان بعض الصفات يذكر التأويل ثم يسكت . .
- (٦) - في القضاء والقدر ، هو : وسط بين الجبر والإختيار فالإنسان فاعل مختار على الحقيقة لما يفعله ، ومكتسب له ، وهو خلق الله ، حيث يخلق للإنسان عندما يريد الفعل قدرة يتم بها ، ومن هنا يستحق الإنسان المدح أو الذم على هذا القصد ، وهذه القدرة يقسمها إلى قسمين :
- (أ) - قدرة ممكنة : وهي ما يسميها لسلامة الآلات وصحة الأسباب .
- (ب) - وقدرة ميسرة زائدة على القدرة الممكنة : وهي التي يقدر الإنسان بها على الفعل المكلف به مع يسر ، تفضلاً من الله تعالى .
- (٧) - يقول الماتريدي بخلق أفعال الأعباد ، وهو : يفرق بين تقدير المعاصي والشروع والقضاء بها ، وبين فعل هذه المعاصي ، فالأول من الله ، والثاني : من العبد بقدرته وإختياره وقصده ، ويمنع أبو منصور الماتريدي من إضافة الشر إلى الله ، فلا يُقال رب في الأوراث والخبائث ، ولو أنه خالق كل شيء ، وهذا الشق الأخير معروف عن السلف ، أما تقسيمه القدرة وجعل العبد فاعلاً باختياره وقصده وقدرته من وجه ، ولو كان الله هو الفاعل من وجه آخر ، فيه : حيداً عن مذهب السلف في ذلك .
- (٨) - في مسائل الإيمان : لايقول بالمنزلة بين المنزلتين ، ولايقول بخروج مرتكب الكبيرة عن الإسلام ، ويرى أن الإيمان هو : التصديق بالقلب ، دون الإقرار باللسان ، وهنا يفترق الماتريدي عن السلف ، وعنده لايحوز الاستثناء في الإيمان لأن الاستثناء يستعمل في الشكوك والظنون .
- وبين الماتريدي والأشعري مسائل كثيرة إتفقوا فيها وأخرى إختلفوا فيها فما

اختلفوا فيه :

(١) - مسألة القضاء والقدر : فقال الماتريدية : إن القدر هو تحديد الله ازلاً كل شيء بحده الذي سيوجد به من نفع ، وما يحيط به من زمان ومكان ، والقضاء : الفعل عن التنفيذ .

وقال الأشاعرة : إن القضاء هو إرادة الأزلية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص ، والقدر : تعلق تلك الإرادة بالأشياء في أوقاتها المخصوصة .

(٢) - وأختلفوا في أصل الإيمان : فذهب الماتريدية إلى أنه يجب على الناس معرفة ربهم ، ولولم يبعث فيهم رسولاً .

وذهب الأشاعرة : إلى عدم وجوب الإيمان ، وعدم : تحريم الكفر قبل بعثه الرسل .

(٣) - كما اختلفوا في زيادة الإيمان ونقصانه وشرفه .

(٤) - وأختلفوا في المتشابهات كما ذكر .

(٥) - كما اختلفوا في النبوة هل يشترط فيها الذكور ف جعلها الماتريدية شرطاً ، ونفى ذلك الأشاعرة .

وأما المسائل التي إتفق عليها أهل الكلام : من الأشعرية والماتريدية والمعتزلة والجهمية تشمل ما يلي إجمالاً :

(١) - تقديم العقل على النقل .

(٢) - جهل أولئك بمعنى توحيد الألوهية .

(٣) - معنى التأويل عندهم ، الذي : هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى المعنى المرجوح .

(٤) - تعطيل النصوص عن مدلولاتها .

هذا ما ذكره الدكتور : غالب العواجي ملخصاً عن الماتريدية وآرائهم^(١) ، وإلا

(١) فرق معاصره ص ٨٧٠ وص ٨٧١ وص ٨٧٢ وص ٨٧٣ ، بتصرف يسير .

فالموضوع طويل، وقد ألفت وكتبت فيه كتب ورسائل^(١).
وقد اقتصر على ذكر : أهم آراءهم لتتضح الصورة عن الماتريديّة أكثر ، والنسفي رحمه الله متأثر ، بآراء الماتريديّة ، ومن ثم بثها في كتابه : مدارك التنزيل ، فمن الأخطاء العقديّة التي وقع فيها في على سبيل المثال: عند قوله تعالى في سورة السجدة : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ استولى عليه بإحدائه^(٢) ، وعند قوله تعالى : في سورة الشورى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٣) وأستشهد بقوله تعالى : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ المائدة آية ٦٤ حيث قال : (معناه بل هو جواد من غير تصور يدٍ ولا بسط لها ، لأنها وقعت عبارة عن الجود ، حتى إنهم إستعملوها فيمن لايد له) فهنا تعطيل لصفة اليد من جهة ، وتأويل من جهة أخرى ، وغير ذلك من الأمثلة والتي هي موجودة في كتابه مدارك التنزيل وقد نبهت على ذلك في حينه .

(١) الماتريديّة وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات / للشمس الأفغاني ، وهي رسالة ماجستير في ثلاث مجلدات وقد أجاد وأفاد فيها مؤلفها فليرجع إليها لتمام الفائدة ، الماتريديّة دراسة وتقويماً / لأحمد بن عوض الله اللهيبي الحربي ، مطبعة دار العاصمة ، الطبعة الأولى عام ١٤١٣ هـ .

(٢) السجدة ، آية : ٤ ، ص ٢٧ .

(٣) الشورى آية ١١ ، ص ٤٥٥ و ص ٤٥٦ .

الهيكل الكامل:

أعماله العلمية.

والراجع من هذه الأقوال ما أمكن .

وغير ذلك من الأمور التي لا بد من بيانها خدمةً للنص المحقق ، مع العلم أن لكتاب مدارك التنزيل وحقائق التأويل أهميةً سأذكرها في الفصل الثاني من الباب الثاني إن شاء الله .

ثانياً : ما صنفه في العقيدة :

(١) - عمدة العقائد^(١) ، أوله : (قال أهل الحق حقائق الأشياء ثابتة ..) إلخ .

وقد شرحه النسفي رحمه الله بشرح وسماه : الإعتقاد في شرح العمدة ، وله شروح كثيرة لعلماء آخرين :

أ) - شَرَحَهُ : جمال الدين محمد بن أحمد القونوي ، المتوفى سنة ٧٧٠ للهجرة ، وسمى ذلك الزبدة .

ب) - وشرحه : شمس الدين محمد بن إبراهيم النكساوي ، المتوفى سنة ٩٠١ للهجرة^(٢) .

ثانياً : ما صنفه في الفقه :

للإمام النسفي عدة كتب في الفقه بجانب أنه شرح كتباً أخرى فقهية وأهمها :

(١) - كنز الدقائق في فروع الحنفية^(٣) : أوله : (الحمد لله الذي أعز العلم في الأعصار وأعلى جزبه في الأمصار ..) إلخ ، لخص فيه الوافي بذكر ماعم وقوعه ، حاوياً لمسائل الفتاوى والواقعات ، وجعل الحاء علامة لأبي حنيفة رحمه الله ، والسين :

(١) وهو مطبوع باعتناء الأستاذ : كيورتن في لندن سنة ١٨٤٣ هـ ومعه عقائد نجم الدين النسفي ، انظر : معجم المطبوعات العربية ، يوسف سر كيس ج ٢ ص ١١٥٣ ، الناشر مكتبة يوسف سر كيس وأولاده ، طبعة ام ١٣٤٩ هـ .

(٢) انظر : الجواهر المضيئة ج ١ ص ٢٧١ ، تاج التراجم ص ١١١ وسماه : قَطُّوْبُغَا : (العمدة في أصول الدين) ، الدر الكامنة ج ٢ ص ٣٥٢ ، الفتح المبين ج ٢ ص ٢٠٨ ، مفتاح السعادة ج ٢ ص ١٨٨ ، كشف الظنون ج ١ ص ١١٩ ، وج ٢ ص ١١٩٨ ، الطبقات السننية ج ٤ ص ١٥٥ ، الفوائد البهية ص ١٠٢ .

(٣) مطبوع : معجم المطبوعات ج ٢ ص ١٨٥٣ .

لأبي يوسف رحمه الله ، والميم : لمحمد ، والزاي : لزفر رحمه الله ، والفاء : للشافعي رحمه الله ، والكاف لمالك رحمه الله ، والواو : لرواية اصحابنا ، وزيادة : الطاء للإطلاقات ، وقد إعتنى به الفقهاء فشرحه الإمام فخر الدين أبو محمد عثمان بن علي الزيلعي ، وسماه : تبين الحقائق لما فيه ما أكثر من الدقائق ، توفي سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ، وأوله : الحمد لله الذي شرح قلوب العارفين بنور هدايته .. الخ ، بالإضافة إلى عدة شروح ذكر صاحب كتاب كشف الظنون^(١) .

(٢) - شرح الهداية ، وهو في الأصل : يسمى بالهداية في الفروع لشيخ الإسلام : برهان الدين علي ابن أبي بكر المرغيناني الحنفي المتوفى سنة ثلاث وتسعين وخمسائة ، وهو شرح على متن له سماه : بداية المهتدين ، وقد ابتداء الهداية بقوله : (الحمد لله الذي أعلى معالم العلم وأعلامه ..)^(٢) .

(٣) - المنافع شرح الفقه النافع^(٣) ، والمتن : للإمام : ناصر الدين أبي القاسم محمد بن يوسف الحسيني السمرقندي ، المتوفى سنة : خمسين وستمائة هجرية ، أوله : (الحمد لله رب العالمين حمداً امده الأبد ..) الخ ، قال : سألتموني أن أصوغ لكم في الفقه كتاباً نافعاً فاستخرت الله في كتاب نظريّ الدراية صحيح الرواية وسميته الفقه النافع ، وشرحه الإمام النسفي رحمه الله وسماه : المستصفي ، وقيل : هو المصطفى ، أوله : (الحمد لله الذي أيد أوليائه ..) الخ^(٤) .

(٤) - المستصفي في شرح المنظومية النسفية في الخلاف^(٥) ، والمنظومه : لأبي

(١) كشف الظنون ج ٢ ص ١٥١٥ ، وذكر في الجواهر المضيئة ج ٢ ص ٢٧١ ، الدر الكامنة ج ٢ ص ٣٥٢ ، تاج التراجم ص ١١١ ، الطبقات السنوية ج ٤ ص ١٥٤ ، الفوائد البهية ص ١٠٢ وقال اللكنوي : (كنز الدقائق متن مشهور في الفقه) .

(٢) ذكر في : تاج التراجم ص ١١١ ، الطبقات السنوية ج ٤ ص ١٥٥ ، مفتاح السعادة ج ٢ ص ١٨٨ ، وغيرها من كتب التراجم .

(٣) الجواهر المضيئة ج ٢ ص ٢٧١ ، تاج التراجم ص ١١١ .

(٤) كشف الظنون ج ٢ ص ١٩٢٢ .

(٥) الجواهر المضيئة ج ٢ ص ٢٧٠ و ٢٧١ ، الدر الكامنة ج ٢ ص ٣٥٢ ، تاج التراجم

حفص عمر بن محمد بن أحمد النسفي ، المتوفى سنة سبع وثلاثين وخمسمائة أولها :

باسم الإله رب كل عبد والحمد لله ولي الحمد

أتمها في يوم السبت من شهر صفر سنة أربع وخمسمائة ، وعدد أبياتها الفان وتسعة وستون وستمائة ، ولها شروح كثيرة ، منها شرح الإمام النسفي رحمه الله سماه المستصفي ، ثم اختصره وسماه : المصفي^(١) .

(٥) - الوافي في الفروع^(٢) : أوله : (الحمد لله لمن منّ على عباده بإرسال رسله ..) الخ ، وقال رحمه الله : كان يخطر ببالي إبان فراغي أن أولف كتاباً جامعاً لمسائل الجامعين والزيادات حاوياً لما في المختصر ونظم الخلافات مشتملاً على بعض مسائل الفتاوى والوقاعات فالفته وأتمته في أسرع وقت وسميته بالوافي .. ثم شرحه وسماه الكافي^(٣) .

وغير ذلك من الكتب التي ألفها عليه رحمه الله في علم الفقه .

رابعاً : ما صنفه في علم أصول الفقه :

(١) - منار الأنوار ، في أصول الفقه^(٤) ، وهو : متن متين جامع نافع ، وهو فيما بين كتبه المبسوطه ومختصراته المضبوطه ، أكثرها تداولاً ، وأقربها تناولاً ، وهو مع صغر حجمه ووجازة نظمه ، بحر محيط بدر الحقائق ، وكنز أودع فيه نقود

ص ١١١ ، وسماه : بن قلطوبغا : " المصفي " ، الطبقات السننية ج ٤ ص ١٥٤ ، الفوائد البهية ص ١٠٢ .

(١) كشف الظنون ج ٢ ص ١٨٦٧ ، باختصار وتصرف .

(٢) الجواهر المضيئة ج ٢ ص ٢٧١ ، الدر الكامنة ج ٢ ص ٣٥٢ ، تاج التراجم ص ١١١ ، الطبقات السننية ج ٤ ص ١٥٤ ، الفتح المبين ج ٢ ص ١٠٨ .

(٣) كشف الظنون ج ٢ ص ١٩٩٧ .

(٤) الجواهر المضيئة ج ٢ ص ٢٧١ ويقول ابن أبي الوفاء القرشي الحنفي : (وله المنار في أصول الفقه) ، الدر الكامنة ج ٢ ص ٣٥٢ ، تاج التراجم ص ١١١ ، الطبقات السننية ج ٤ ص ١٥٤ ، الفوائد البهية ص ١٠٢ .

الدقائق^(١) ..

(٢) - كشف الأسرار شرح المصنف على المنار^(٢) ، وهو شرح : منار الأنوار ، وأوله : (أحمدالله ذا الحجة الباهرة ، والعزة القاهرة ، على نعمه العظام ، ومننه الجسام ..) الخ ، وقد اعتنى به العلماء فشرحوه عدة شروح ، فمنهم : سعد الدين أبو الفضائل الدهلوى وسماه : إفاضة الأنوار في إضاءة أصول المنار ، المتوفى سنة : إحدى وتسعين وثمانمائة وأوله : (الحمدلله الذى ألهمنا معالم الإسلام ..) الخ ، وغير ذلك من الشروح الكبيرة^(٣) .

هذه أهم مؤلفاته رحمه الله ، والتي هي دليل على مكانة العلمية ، وعلو شأنه ، وإرتفاع مكانته وقدره في زمانه ، فالمطبوع منها قليل والمخطوط كثير ، والمفقود الله أعلم بحاله ومكانه .

(١) كشف الظنون ج ٢ ص ١٨٢٣ و ص ١٨٢٤ .

(٢) تاج التراجم ص ١١٢ ، الطبقات السنية ج ٤ ص ١٥٥ ، مفتاح السعادة ج ٢ ص ١٨٨ ، الفوائد البهية ص ١٠٢ .

وهو مطبوع في مجلدين ومتداول ومعه : شرح نور الأنوار على المنار / للحافظ شيخ أحمد الحنفي الصديقي صاحب الشمس البازغة ، المتوفى سنة : ثلاثين ومائة وألف للهجرة .

(٣) كشف الظنون ج ٢ ص ١٨٢٣ إلى ص ١٨٢٧ ، وقد أطل الحاجي خليفة في ذكر من إعتنى بشرحه .

الهيكل السادس:

مكاته العلمية وآراء العلماء فيه .

تبوأ الإمام النسفي رحمه الله مكانةً علميةً عظيمةً ، ومزيةً في عهده كبرى ، إذ أنه قدم للمكتبات الإسلامية ثروة علمية في أغلب الفنون ، أبقت ذكراه عالقةً في الأذهان على مر العصور والأزمان ، فأصبح علماً بارزاً ، وعالمًا متمكنًا خلال ما أُلّف ، وأعماله خير شاهد على ذلك ، ومما يؤيد مكانته العلمية أقوال العلماء فيه ، والذين تكلموا عن حياته وبيان مؤلفاته فعلى سبيل المثال :

- (١) - يقول ابن حجر العسقلاني رحمه الله : (عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي علامة الدنيا أبو البركات ، ذكره الحافظ عبدالقادر في طبقاته فقال : أحد الزهاد المتأخرين ، صاحب التصانيف المفيدة)^(١) .
- (٢) - ويقول تقي الدين عبدالقادر العزي المصري الحنفي : (عبدالله بن أحمد النسفي ، أحد الزهاد المتأخرين ، والعلماء العاملين)^(٢) .
- (٣) - ويقول القنوجي : (حج وظهرت فضائله ، له وجاهة في كل دولة ، واسع العلم كثير المهابة)^(٣) .
- (٤) - وقال : أحمد بن محمد الأدنة وى : (كان إماماً في جميع العلوم ، ومصنفاته في الفقه والأصول أكثر من أن تُحصى)^(٤) .
- (٥) - وقال اللكنوي الهندي : (كان إماماً عديم النظر في زمانه ، رأساً في الفقه والأصول ، بارعاً في الحديث ومعانيه)^(٥) .
- (٦) - وقال الذهبي في التفسير والمفسرين : (أحد الزهاد المتأخرين ، والأئمة المعترين)^(٦) .

(١) الدر الكامنة ج ٢ ص ٣٥٢ .

(٢) الطبقات السنية ج ٤ ص ١٥٤ .

(٣) أبجد العلوم ج ٣ ص ١١٩ .

(٤) طبقات المفسرين ص ٢٦٣ .

(٥) الفوائد المضيئة ص ١٠٢ .

(٦) التفسير والمفسرون / د. محمد حسين الذهبي ج ١ ص ٣٠٤ ، مطبعة دار الكتب العربية ،

الطبعة الثانية ، عام ١٣٩٦ هـ .

هذه بعض أقوال أهل العلم في النسفي رحمه الله وفي مؤلفاته ، والتي تدل دلالة واضحة على علو مكانته العلمية ، فاشتهر علمه ، وذاع فضله وصيته ، في عصره وبعد عصره ، وأصبحت كتبه محل إهتمام الباحثين ، ومجال خصب للدارسين، وفوائد يستقي منها الطالبين ، لاسيما كتابه : مدارك التنزيل وحقائق التأويل .

الباب الثاني :

« دراسة الكتاب »

وتشمل هذه الدراسة تمهيداً وفصلين :

- التمهيد : نشأة التفسير بالمأثور ، والتفسير بالرأي .
- الفصل الأول : نسبة الكتاب ونسخه ، وفيه مبحثان :
- المبحث الأول : توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه .
- المبحث الثاني : وصف نسخ الكتاب الموجودة .
- الفصل الثاني : أهمية الكتاب ومنهج المؤلف فيه ،
وفيه مبحثان :
- المبحث الأول : أهمية الكتاب العلمية .
- المبحث الثاني : منهج المؤلف في الجزء المحقق
دراسة تفصيلية .

التجهيز:

نشأة التفسير بالمأثور ، والتفسير بالرأي .

من المعروف أن القرآن نزل بلسان عربي مبين ، ولذلك فهم الكثير من القرآن الكريم لدي كثير من الصحابة رضوان الله عليهم ، ولكن قد يصعب فهم بعض الآيات فإنه اللغة وحدها لا تكفي ، بل لابد من معرفة ما يحيط بالآية من أحداث وملابسات ، كأسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ، والعموم والخصوص ، وأول منازل وآخر منازل ، وغير ذلك فضلاً عن القدرة على الإستنباط ودقة الفهم^(١) ، ومن ثم بدأ التنافس ، وأشد حب فهم القرآن الكريم ومعانيه بين الصحابة رضوان الله عليهم، والمسلمون من بعدهم في فهم آيات الله ، والنظر فيها ، وبيان معانيها ، وإستنباط أحكامها ، وذلك حرصاً منهم على التطبيق والعمل ، وقد كان التفسير في أول الأمر عن طريق الرواية ، فالصحابه رضوان الله عليهم يروون عن النبي ﷺ والتابعون يروون عن الصحابة ، وهكذا ، ثم بدأت بعد ذلك محاولات شخصية لفهمه وبيان معانيه ، فأتسعت تلك المحاولات وتشعبت تلك التفسيرات ، متأثرة بالمعارف المتشعبة ، والعقائد المتباينة ، فأتسم التفسير بالجانب العقلي وتلون بالوان العلوم والأراء ، وبحسب التعصب والأهواء ، وبهذا يظهر أن طرق التفسير ومصادره تنقسم إلى قسمين :

أولاً : التفسير بالمأثور ، ثانياً : التفسير بالرأي .

أولاً : التفسير بالمأثور هو : ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نقل عن الرسول ﷺ ، وما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم ، وما نقل عن التابعين ، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص القرآن^(٢) والتفسير بالمأثور أفضل أنواع التفسير وأعلاها منزلة لأنه :

- (١) - إما أن يكون تفسير للقرآن بكلام الله تعالى فهو اعلم بمراده .
- (٢) - وإما أن يكون تفسير له بكلام الرسول ﷺ فهو المبين لكلام الله تعالى .
- (٣) - وإما أن يكون بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم ، فهو الذين شاهدوا

(١) انظر : أصول التفسير ومناهجه / د. عبدالرحمن الرومي ، الناشر مكتبة التوبة ، الطبعة الأولى

عام ١٤١٣ هـ .

(٢) التفسير والمفسرين ج ١ ص ١٥٢ .

التنزيل ، وهم أهل اللسان ، وتميزوا عن غيرهم بما شاهدوه من القرآن والأحوال حين النزول ، ولكن ينبغي أن يُعلم أن هذا مشروط بصحة السند عن رسول الله ﷺ ، أو عن الصحابة رضي الله عنهم^(١) .

وقد تحدث الإمام ابن تيمية رحمه الله في كتابه : مقدمة في أصول التفسير عن مصادر التفسير بالمأثور حيث قال : (إن أصح الطرق في أن يفسر القرآن بالقرآن ، فما أجْمَل في مكان فإنه قد فُسِّر في موضع آخر ، وما أختصر في مكان فقد بُسِطَ في موضع آخر ، فإن أعيالك ذلك فعليك بالسنة ، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له .. والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه ، فإن لم تجده فمن السنة .. وحينئذ إذ لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعت في ذلك إلى أقوال الصحابة ، فإنهم أدرى بذلك ، لِمَا شاهدوه من القرآن ، والأحوال التي إختصوا بها ، ولِمَا لهم من الفهم التام والعلم الصحيح ، لاسيما علماءهم وكبرائهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدون والأئمة المهديين ، وعبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، ومنهم الحَبْر : عبدالله بن العباس رضي الله عنهما .. وإذ لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ، ولا وجدته عن الصحابة فقد رجعت كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد ابن جبر رحمه الله فإنه آية في التفسير .. وكسعيد بن جبير ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وعطاء بن أبي رباح ، والحسن البصري ، ومسروق بن الأجدع ، وسعيد بن المسيب .. وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم^(٢)) ، وبعد بيان مصادره وطرقه والتي يعتمد عليها التفسير بالمأثور لابد من التحري في ذلك والتدقيق والتمحيص، يقول الإمام الزرقاني رحمه الله : (وكلمة إنصاف في هذا الموضوع أن التفسير بالمأثور نوعان : أحدهما ما توافرت على صحته وقبوله ، وهذا لا يلقى بأحدٍ رُدُّه ، ولا يجوز إهماله وإغفاله ، ثانيها : ما لم يصح

(١) أصول التفسير ومناهجه ص ٧١ و ص ٧٢ .

(٢) مقدمه في أصول التفسير / لتقى الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ص ٩٣ وما بعدها ، تحقيق الدكتور : عدنان زرزور ، مطبعة مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية عام ١٣٩٢ هـ ، باختصار وتصرف .

لسبب من الأسباب .. وهذا يجب رده ولا يجوز قبوله ولا الإشتغال به ، اللهم إلا لتمحيصه والتنبيه إلى ضلاله وخطئه حتى لا يغتر به أحد^(١) والتفسير بالمأثور قد مرّ بمراحل .

يقول الذهبي رحمه الله : (تدرج التفسير المأثور في دَوْرِيهِ : دَوْرُ الرَّوَايَةِ وَدَوْرُ التَّدْوِينِ ، أما في دور الرواية : فإن رسول الله ﷺ يبين لأصحابه ما أشكل عليهم من معاني القرآن ، فكان هذا القدر من التفسير يتناوله الصحابة بالرواية بعضهم لبعض ، ولمن جاء بعدهم من التابعين ، ثم وُجِدَ من الصحابة من تكلم في تفسير القرآن بما ثبت لديه عن الرسول ﷺ ، أو بمحض رأيه وإجتهاده ، وكان ذلك على قلة يرجع السبب فيها إلى الروعة الدينية التي كانت لهذا العهد ، والمستوى الرفيع لأهله .. ثم وُجِدَ من التابعين من تفرغ للتفسير ، فروى ما تجمع لديه من ذلك عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة ، وزاد على ذلك من القول بالرأى والإجتهاد ، بمقدار مازاد من الغموض الذي ان يتزايد كلما بُعدَ الناس عن عصر النبي ﷺ والصحابة ، ثم جاءت الطبقة التي تلى التابعين ، وروت عنهم ما قالوا ، وزادوا عليه أيضاً بمقدار مازاد من غموض ، وهكذا ظل التفسير يتضخم طبقةً بعد طبقة ، ثم ابتدأ التدوين ، فكان أول مادون من التفسير ، هو التفسير المأثور ، على تدرج في التدوين كذلك فكان أصحاب رجال الحديث والرواية هم أصحاب الشأن الأول في هذا ، وقد رأينا أصحاب مبادئ العلوم حين ينسبون - على عاداتهم - وضع كل عِلْمٍ لشخص بعينه ، يعدون واضع التفسير - بمعنى جامعهم لاملونه - الإمام : مالك بن أنس الأصبحي رحمه الله إمام دار الهجرة ، وكان التفسير إلى هذا الوقت لم يتخذ له شكلاً منظماً ، ولم يُفرد بالتدوين ، بل كان يُكتب على أنه باب من أبواب الحديث المختلفة ، ثم بعد ذلك : انفصل التفسير عن الحديث ، وأُفِرِدَ بتأليف خاص ، فكان أول ما عُرف من ذلك ، الصحيفة التي رواها : علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما .. ومن ثم تطور الأمر ووجدت من ذلك

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن : للشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني ص ٤٩٣ باختصار ، مطبعة

موسوعات من الكتب المؤلفة في التفسير ، جمعت كل ما وقع لأصحابها من التفسير عن النبي ﷺ وأصحابه وتابعيهم ، كابن جرير رحمه الله (١) ، ومن ثم توالت كتب التفسير بالمأثور وكثرت فمنها على سبيل المثال لا الحصر :

- (١) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن : لابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ .
- (٢) - تفسير القرآن العظيم : لابن أبي حاتم الرازي المتوفى سنة ٣٢٧هـ .
- (٣) - بحر العلوم : لأبي الليث السمرقندي المتوفى سنة ٣٧٥هـ .
- (٤) - الكشف والبيان عن تفسير القرآن : لأبي إسحاق الثعلبي المتوفى سنة ٤٢٧هـ .
- (٥) - تفسير القرآن : للإمام العلامة أبي المظفر السمعاني ، المتوفى سنة ٤٨٩هـ .
- (٦) - معالم التنزيل : لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ، المتوفى سنة ٥١٦هـ .
- (٧) - تفسير القرآن العظيم : لابن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ .
- (٨) - الدر المنثور في التفسير بالمأثور : لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ .

ثانياً : التفسير بالرأي : والمراد بالرأي الإجتهد ، وعليه فإن التفسير بالرأي عبارة عن تفسير القرآن بالإجتهد ، بعد معرفته بالأدوات التي يحتاج إليها المفسر (٢) ، فإن كان الإجتهد موفقاً ، أي : مستنداً إلى ما يجب الإستناد إليه بعيداً عن الجهالة والضلالة ، فالتفسير به محمود ، وإلا فمذموم (٣) ، والأمور التي يجب استناد الرأي إليها في التفسير كثيرة أمهاتها أربعة ذكرها الزركشي في البرهان :

(الأول : النقل عن رسول الله ﷺ ، وهذا هو الطراز الأول ، ولكن يجب الحذر من الضعيف والموضوع فإنه كثير .

(١) التفسير والمفسرون ج ١ ص ١٥٢ و ١٥٣ و ١٥٤ باختصار .

(٢) انظر : التفسير والمفسرون ج ١ ص ٢٥٥ .

(٣) مناهل العرفان ص ٥١٧ .

الثاني : الأخذ بقول الصحابه ، فقد قيل أنه في حكم المرفوع مطلقاً ، وخصه بعضهم بأسباب النزول ونحوها مما لا مجال للرأى فيه .

الثالث : الأخذ بمطلق اللغة ، فإن القرآن نزل بلسان عربي مبين مع عدم صرف الآية عن ظاهرها إلى معان خارجة محتمله إلا بما كثر وأشتهر .

الرابع : التفسير بالمقتضى من معنى الكلام ، والمقتضب من قوة الشرع ، وهذا النوع هو الذي دعا به النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما^(١) .

فهذه أهم الأمور التي يجب الاستناد إليها عند التفسير بالرأى .

والتفسير من خلال ما تقدم ينقسم إلى قسمين : (أ) - محمود . (ب) - ومذموم .

(أ) - التفسير بالرأى المحمود : هو التفسير المستمد من القرآن ومن سنة الرسول ﷺ ، عالماً باللغة العربية ، خبيراً بأساليبها وأن يكون بصيراً بقواعد الشريعة حتى ينزل كلام الله على المعروف من تشريعه^(٢) ، وقد أجاز العلماء رحمهم الله هذا التفسير وأنه محدود بحدود ، ومقيد بقيود إذا توفرت جاز وإلا فلا^(٣) ، وقد ذكرت أهمها . ومن هذا المنطلق يكون التفسير بالرأى المحمود جائز ، يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله في مقدمة التفسير : (فأما من تكلم - يعني في التفسير - بما يُعلم من ذلك لغةً وشرعاً فلا حرج عليه)^(٤) .

(ب) - التفسير بالرأى المذموم : هو التفسير بمجرد الرأى والهوى ، فهو لا يستند إلى نصوص الشريعة ، بل حاد عنها وترك سبيل الجادة ، وفسر بحسب معتقده ورأيه

(١) انظر : البرهان في علوم القرآن / للزركشى ج ٢ ص ١٥٦ وما بعدها ، تحقيق : محمد أبو

الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابى الحلبي ، باختصار وتصرف .

(٢) انظر : مناهل العرفان ص ٥١٨ ، وأصول التفسير ومناهجه ص ٨١ .

(٣) انظر : التفسير والمفسرون ج ١ ص ٢٢٥ وما بعدها وقد أطلال الذهبي في التفصيل فليرجع

إليه لتمام الفائدة ، مناهل العرفان ص ٥٢٢ ، أصول التفسير ومناهجه ص ٧٨ .

(٤) مقدمة في أصول التفسير ص ١١٤ .

الباطل، فهذا زيع وضلال وقبل هذا قول على الله بغير علم والعياذ بالله، فلا سند صحيح ولا دليل إلا برأى وباطل عليل، فحملوا الآيات مالا تحتمل، ضلالاً وغاية وعدم خوف من الله وهذا النوع من التفسير لا شك في تحريمه^(١)، يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله : (فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام^(٢) ..) والأدلة على تحريمه كثيرة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين :

(أ) - فمن الكتاب قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾^(٣) .

(ب) - من السنة حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن الرسول ﷺ أنه قال : « من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار »^(٤) .

(ج) - ومن أقوال الصحابة رضي الله عنهم أجمعين : (أَيُّ أَرْضٍ تُقَلِّبُنِي ، وَأَيُّ سَمَاءٍ تُظَلِّبُنِي إِذَا قَلَّتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَمْ أَعْلَمْ)^(٥) .

(د) - ومن أقوال التابعين رحمهم الله ، قال مسروق رحمه الله : (إتقوا التفسير فإنما هو رواية عن الله)^(٦) .

ونشأ عهد التدوين للتفسير بالرأى الجائز من قديم كغيره من العلوم ، فألفت فيه كتب اختلفت في منهجها ، بحسب إختلاف مشارب مؤلفيها ، وظفرت المكتبات الإسلامية بكثرة زاخره من الكتب المؤلفه في هذا الموضوع ، كثرة تضحمت على مر العصور وكر الدهور ، حتى إزدحمت بذلك المكتبات ، وهذه الكتب تنوعت فيها الإتجاهات ، وبرزت فيها التخصصات ، وأظهر فيها كل مؤلف فنه ورغبته فمن من

(١) انظر : مناهل العرفان ص ٥١٨ ، وأصول التفسير ومناهجه ص ٨١ .

(٢) انظر : مقدمة في أصول التفسير ص ١٠٥ .

(٣) سورة الإسراء آية : ٣٦ .

(٤) أخرجه الإمام في مسنده ج ١ ص ٢٣٧ ، وقد ضعفه الألباني في مشكاة المصابيح ج ١

ص ٧٩ ، مطبعة المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٥ هـ .

(٥) مقدمة في أصول التفسير / ابن تيمية ص ١٠٨ .

(٦) مقدمة في أصول التفسير / ابن تيمية ص ١١٣ .

مكثر في الصناعة النحوية والبلاغية ، ومن تغلبت عليه النزعة الفلسفية والكلامية ، ومن كثرت عنده الناحية القصصية والإسرائيلية ، وغير ذلك من النواحي والمشارب ، ولكن الجميع ينتظم تحت شيء واحد هو :

التفسير بالرأى الجائز^(١) ، ويسمى هذا اللون من التفسير : التفسير بالاجتهاد ، والتفسير بالدراية ، والتفسير بالعقل^(٢) ، وهذه بعض الكتب التي كتبت في هذه المجالات :

(١) - مفاتيح الغيب / لأبي عبدالله محمد بن عمر بن الحسين بن علي البكري الطبرستاني ، الرازي ، الملقب بفخر الدين ، المولود سنة : أربع وأربعين وخمسمائة من الهجرة ، والمتوفى سنة : ست وستمائة من الهجرة بالري .

(٢) - أنوار التنزيل وأسرار التأويل / لقاضي القضاة : ناصر الدين أبو الخير ، عبدالله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشافعي ، وهو من بلاد فارس ، توفى سنة : إحدى وتسعين وستمائة ، وقال ابن كثير وغيره توفى سنة : خمس وثمانين وستمائة من الهجرة بمدينة تبريز .

(٣) - مدارك التنزيل وحقائق التأويل / لعبدالله بن أحمد النسفي ، الحنفي ، المتوفى سنة عشر وسبعمائة للهجرة ودفن ببلدة : إيدج .

(٤) - لباب التأويل في معاني التنزيل / لعلاء الدين أبو الحسن ، علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر البغدادي الشافعي ، المشهور بالخازن ، ولد ببغداد سنة : سبعين وستمائة من الهجرة ، وتوفى سنة : إحدى وأربعين وسبعمائة من الهجرة ، بمدينة حلب .

(٥) - البحر المحيط / لأثير الدين ، أبو عبدالله ، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلس ، الغرناطي ، الشهير بأبي حيان ، المولود سنة : أربع وخمسين وستمائة من الهجرة ، والمتوفى سنة : خمس وأربعين وسبعمائة من الهجرة

(١) انظر : التفسير والمفسرون ج٢ ص ٢٨٨ و ص ٢٨٩ .

(٢) أصول التفسير ومناهجه ص ١٠٠ .

بمصر .

(٦) - غرائب القرآن و رغائب الفرقان / لنظام الدين بن الحسن بن محمد بن الحسين ، الخراساني ، النيسابوري ، المعروف بالنظام الأعرج ، المتوفى سنة ثمان وعشرين وسبعماية من الهجرة .

(٧) - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم / لأبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى ، العمادي ، الحنفي المولود في سنة : ثلاث وتسعين وثمانمئة من الهجرة بقرية قريبة من القسطنطينية ، والمتوفى سنة : اثنين وخمسين وتسعمائة من الهجرة .

(٨) - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / لأبي الثناء ، شهاب الدين ، السيد محمود الأفندي الألوسي البغدادى ، المولود سنة ، سبع عشرة ومائتين بعد الألف من الهجرة في جانب الكرخ من بغداد ، توفى رحمه الله سنة سبعين ومائتين بعد الألف من الهجرة في كرخ^(١) .

هذه أهم التفاسير بالرأى وقد ذكرتها على سبيل المثل لا الحصر .

(١) انظر : التفسير والمفسرون ج ٢ ص ٢٩٠ وما بعدها .

الفصل الأول : نسبة المحتاب وتهيئة هيكته :

- المبحث الأول : توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه .
- المبحث الثاني : وصف نسخ الكتاب الموجوده .

الجزء الأول :

توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه .

نسبة كتاب : مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفي رحمه الله وبهذا المسمى بالإجماع من الذين ترجموا له ، ومما يزيد ذلك قوة وإستناداً ، أن الإمام النسفي رحمه الله في مقدمة كتابه ذكر إسم الكتاب ونسبته إليه بعد أن ذكر منهجه فيه ، حيث قال : (.. حتى شرعت فيه بتوفيق الله والعوائق كثيرة ، وأتممته في مدة يسيرة ، وسميته : بمدارك التنزيل وحقائق التأويل ، وهو الميسر لكل عسير ، وهو على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير)^(١) ، بالإضافة إلى من ترجموا له رحمه الله ، فعلى سبيل المثال : قال الأذنه وي صاحب كتاب طبقات المفسرين : (وصنف المدارك في التفسير)^(٢) ، ولم يذكر إسمه كاملاً لشهرة الكتاب ، وقال تقى الدين الغزي صاحب الطبقات السنية : (وله المدارك في التفسير)^(٣) ، وقال المراغي صاحب كتاب الفتح المبين : (له مصنفات جليله ، منها مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، المعروف بتفسير النسفي)^(٤) ، وقال الحاجي خليفه في كشف الظنون : (مدارك التنزيل وحقائق التأويل في التفسير ، للإمام حافظ الدين عبدالله بن أحمد النسفي)^(٥) ، وغير ذلك من كتب التراجم ، أو الكتب التي أهتمت بالتفسير والمفسرون قديماً وحديثاً ، فنسبة مدارك التنزيل للإمام النسفي حقيقة لامجال للشك منها من خلال ماتقدم ، ويضاف إلى ذلك شهرته بين العلماء وطلاب العلم بهذا الإسم .

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل ج ١ ص ٢ ، مطبعة دار الفكر .

(٢) طبقات المفسرين ص ٢٦٣ .

(٣) الطبقات السنية في تراجم الحنفية ج ٤ ص ١٥٥ .

(٤) الفتح المبين في طبقات الأصوليين ج ٢ ص ١٠٨ .

(٥) كشف الظنون ج ٢ ص ١٦٤٠ .

الجزء الثاني:

وصف نسخ الكتاب الموجوده .

إعتمدت في التحقيق في الجزء المقرر من كتاب مدارك التنزيل وحقائق التأويل من أول سورة لقمان إلى آخر سورة الطور على ثلاث نسخ والمطبوع :

(١) - النسخة الأولى : وهي الأحمدية ، أو الحلبية من سوريا ، وتبدأ من نصف اللوحة رقم : (١١٠/أ) إلى (نصف ٢٢٥/ب) ، وهي كاملة وليس فيها نقص ، ومكتوبة بخط واضح ومقروء ، والآيات فيها مخطوطة بخط أحمر ، ولكنها لا تظهر عند التصوير ، وقد ذكر في آخر المخطوطة أنها تنقسم إلى جزئين ، الجزء الأول : من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الكهف وكتبت في عام : ٧٢٥ هـ ، غير أن وجد فيه نقص من آية : ٣٨ من سورة الرعد إلى نهايتها ، وكذلك سورة إبراهيم كاملة ، وسورة الحجر إلى آية : ٣٥ منها ، والجزء الثاني : يبدأ من أول سورة مريم إلى آخر القرآن ، وقد كتب عام : ٧٢٧ هـ ، وهي مخطوطة في مكتبة الأسد حالياً برقم : (١٣٢٣٠) ، وكانت في المكتبة الظاهرية بحلب - سوريا ، والتي سميت فيما بعد بمكتبة الأسد الوطنية ، وقد كتب هذه النسخة السيد : ميكائيل حاجي محمد بن حاجي بن موسى بن عمر ، ولعله قد إستعان في بعض صفحاتها بناسخ آخر كما هو واضح ، وتحتوي كل لوحه على أربعة وعشرين سطراً والمقاس : ٢٩ × ٢٠ س ، وقد إعتمدت عليها وجعلتها هي الأم لأنها أقرب نسخة إلى حياة المؤلف ، بالإضافة إلى أنها شاملة إلى كامل الجزء المكلف بتحقيقه ، وقد رمزت إليها ب : « أ » .

(٢) - النسخة الأزهرية : وهي من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، محفوظة فيها برقم : (٣٦٠٤٠) ، وهذه النسخة لا تحتوي على القرآن كاملاً ، وإنما من أول القرآن إلى آخر آية : (٨٢) من سورة الواقعة ، وهي مشتراه من السيد : رضوان دعبولى رقم : ٢٠ ، وبها سقط من قوله تعالى من سورة المائدة آية ٤٩ : ﴿ .. إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصَيِّبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ .. ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ .. وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ سورة الأعراف آية : ١١٦ ، وبها نقص أيضاً من آخر سورة إبراهيم إلى آية : (٣٥) من سورة الحجر ، وقد كتب في عام ١٠٢٥ للهجرة ، ومصدر هذه النسخة كما هو مبين في صفحة الغلاف : الأعلام ٤/١٩٢ ؛ الأزهرية : ١٠/٢١٤ ، الكشف : ٢/٦٤ ، وعليها دمغيات لكل من : محمد يحيى

المولى ، ومحمد رفيع ، وخطها : معتاد ، وعدد الأوراق : (٢٧٤) ورقه ، والأسطر : ٢٥ سطراً ، المقاس : ٣٠ × ٢٠ س ، وقد رمزت إليها بحرف : « ب » وهي الثانية .

(٣) - وهي نسخة غير كامله ، تبدأ من سورة مريم إلى آخر الصفات وتتكون من : (٣٤٣) لوحة وخطها معتاد ، واعتبرتها مساعده للنسختين الماضيتين ، وعدد الأسطر : ٢٢ سطراً ، والمقاس ، ٢٨ × ٢٠ س ، ولم يُعرف تاريخ كتابتها ، وإن كانت ناقصة إلا أنها هي التي كانت موجوده أثناء بداية التحقيق .

ورمزت إليها بحرف : « ج » ، وهي الثالثة .

(٤) - المطبوع : وأعتبرته أيضاً مساعداً لنسخة : (أ) و(ب) و(ج) ، وذلك للأمور التالية :

أ - لأنه كامل ، ب - لأنه لم يتوفر لديّ حينما بدأت التحقيق نسخة كامله غير التي ذكرت ، فجعلته مساعداً .

ج - المطبوع الذي إعتدته ، ليس محققاً ولا معلقاً عليه ، وهو مطبوع بمطبعة دار الفكر، وإن وُجدَ غيره فهو ليس محققاً تحقيقاً علمياً دقيقاً .

الفصل الثاني :

أهمية الكتاب ومنهج المؤلف فيه ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : أهمية الكتاب العلمية .

المبحث الثاني : منهج المؤلف في الجزء المحقق دراسة
تفصيلية .

البحث الأول :

أهمية الكتاب العلمية .

لمدارك التنزيل وحقائق التأويل ، أهمية كبيره ، إذ إنه يعتبر مرجع من مراجع كتب التفسير ، فإنه قد جمع كثيراً من الفنون وبثها في هذا الكتاب ، فهو بحق موسوعة علمية تفسيرية جمع في ثناياه : القراءات ، الناسخ والمنسوخ ، أسباب النزول ، الأحاديث ، ما أثر عن الصحابة والتابعين وأقوال الأئمة ، الآراء الفقهية ، الأوجه البلاغية ، النحو والصرف ، بالإضافة إلى شهرة الكتاب وذياع صيته بين العلماء وطلبة العلم ، وتدرسه في كثير من معاهد العلم في البلاد الإسلامية وغيرها ، وغير ذلك من الأمور مما سيتضح إن شاء الله من خلال المبحث الثاني من هذا الفصل ، بالإضافة إلى أسلوبه الراقى ، ومعانيه الدقيقة ، وقوة ألفاظه .

وقد صور الإمام النسفي قيمة الكتاب العلمية في جُمْلٍ مختصرة وكلمات سجعية مرصعة بالبيان والفصاحة والتبيان ، بين من خلالها أهمية الكتاب وقيمه العلمية ، حيث قال في مقدمة المدارك : (قد سألتني من تتعين إجابته كتاباً وسطاً في التأويلات ، جامعاً لرجوه الإعراب والقراءات ، متضمناً لدقائق علمي البديع والإشارات ، ليس بالطويل الممل ، ولا بالقصير المخمل ، وكنت أقدم فيه رجلاً وأوخر أخرى إستقصاراً لقوة البشر ، عن درك هذا الوتر ، وأخذاً لسبيل الحذر ، عن ركوب متن الخطر ، حتى شرعت فيه بتوفيق الله والعوائق كثيرة ، وأتممته في مدة يسيرة ، وسميته : مدارك التنزيل وحقائق التأويل)^(١) ، وبالفعل فالكتاب ملئ بأغلب الفنون ، وكلامه تصوير وبيان لقيمة الكتاب العلمية ، ويستخلص من كلامه : عدم إستعجاله على الإقدام على تفسير كلام الله عزوجل ، وهذا هو حال العلماء الذين عرفوا قيمة كتاب الله عزوجل وما يحتويه من معانٍ وأحكامٍ وحِكَمٍ كيف لا ؟ وهو الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ويقول الذهبي رحمه الله في التفسير والمفسرون : (هذا التفسير إختصره النسفي رحمه الله من تفسير البيضاوي ومن الكشاف للزمخشري ، غير أنه ترك ما في الكشاف من الاعتزالات ، وهو تفسير وسط بين الطول والقصر ، جمع فيه صاحبه بين وجوه الإعراب والقراءات ، وَصَمَّنَهُ ما اشتمل عليه الكشاف من النكت البلاغية ،

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل ج ١ ص ٢ ، بإختصار يسير .

والمحسنات البديعة ، والكشف عن المعاني الدقيقة الخفية ، وأورد فيه ما أورد الزمخشري في تفسيره من الأسئلة والأجوبة ، لكن لا على طريقته من قوله : فإن قيل ... قلت ، بل جعل ذلك في الغالب كلاماً مدرجاً في ضمن شرحه للآية .. (١) والناظر في هذا التفسير يجد فيه فهماً واعياً ، وخبرة دقيقة ، وإطلاعاً واسعاً ، ومعلومات نادرة ، وفوائد جمّة ، وعلم غزير ، ومن المعروف أن النسفي رحمه الله قد استفاد كثيراً من تفسيري البيضاوي والكشاف أيما استفادة ، فأخذ من البيضاوي : معناه الدقيق ، وفهمه الواعي ، وتوجيهه السديد ، وإيجازه المركز ، وعلمه المعزز ، وأخذ من الزمخشري خبرته الواسعة ، ومناقشته للأراء المتعددة ، مع فرض رأيه واختيار ما يراه ، على أنه لم يقع فيما وقع فيه الزمخشري ، في كشافه من التعصب لمذهب الاعتزال ، وحمل الآيات في تعسف على تأييد أصوله وقواعده (٢) ، إلا أن النسفي وقع في المذهب الماتريدي بل عدّ من أعيانه ، فلم يخلو الكتاب منه لاسيما عند تعرضه للأسماء والصفات ، كما مرّ آنفاً في الحديث عن مذهبه وعقيدته (٣) ، ولا شك أن كتابه مدارك التنزيل : له قيمته العلمية من كتب التفسير ، وأضحى هذا الكتاب له مكانة علمية معروفة ومشهورة بين العلماء وطلبة العلم ، ومن ذلك أيضاً تدريسه في كثير من معاهد العلم في البلاد الإسلامية وغيرها .

(١) التفسير والمفسرون ج ١ ص ٣٠٥ .

(٢) انظر : مناهج المفسرين / د. منيع عبدالحليم محمود ص ٢١٧ ، مطبعة دار الكتاب العربي .

(٣) ص ٢٧ .

الهيكلة الثاني:

منهج المؤلف في الجزء المحقق دراسة تفصيلية.

للإمام النسفي رحمه الله منهج في تفسيره مدارك التنزيل ، وهو كغيره من المفسرين قد يتفق معهم في بعضها وقد يختلف في البعض الآخر ، وسأذكر في هذا المبحث إن شاء الله منهجه من خلال الجزء المكلف بتحقيقه :

أولاً : القراءات :

الإمام النسفي رحمه الله ، أكثر من ذكر القراءات الواردة في الآية أو الآيات ، وهذه ميزة عظمى لكتاب المدارك ، فجانبا أفادته من الناحية التفسيرية ، تجد أن القراءات لها النصيب الأعظم كذلك ، ومنهجه في القراءات كالاتي :

(١) - ذكره للقراءات المتواترة دون ذكر أوجه الإعراب فيها ومثال ذلك :

كقوله تعالى في سورة لقمان : ﴿ هُزُوا ﴾ بسكون الزاي والهمزة حفص ، وبضم الزاي بلا همز حفص ، وغيرهما بضم الزاي والهمزة^(١) ، وكقوله تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ﴾ في سورة سبأ ، قال بسكون الياء حمزة وغيره بفتحها^(٢) .

(٢) ذكره للقراءات المتواترة مع توجيه للقراءة ، وهذه ميزة أخرى بالإضافة إلى ذكره للقراءات وفي الجزء المحقق الكثير من ذلك فمثلاً : قوله تعالى في سورة الأحزاب : ﴿ وَاللَّعْنَةُ لِعَنَّا كَبِيرًا ﴾ بالباء عاصم على أشد اللعن وأعظمه ، وغيره بالياء تكثيراً لأعداد اللعائن^(٣) ، وكقوله تعالى في سورة ص : ﴿ قَالَ فَالْحَقُّ ﴾ : بالرفع كوفي غير عليّ على الإبتداء ، أي الحقُّ مني ، أو على الخبر ، أي : أنا الحقُّ ، وبالنصب غيرهم أنه مُقَسَّمٌ به ، كقوله والله لأفعلنَّ ، يعني : حُذِفَ عنه الباء فاتنصب وجوابه لأملأن^(٤) .

(١) ص ٥ آية : ٦ .

(٢) ص ١٣١ آية : ١٣ ، وانظر ص ٥٥٠ ، في سورة الجاثية : ﴿ وتصريف الريح ﴾ آية : ٥ .

(٣) ص ١١٤ آية : ٦٨ .

(٤) ص ٣٢١ ، آية : ٨٤ ، وانظر : القراءة في : ﴿ إحسانا ﴾ قوله تعالى : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً ﴾ سورة الأحقاف آية ١٥ ص ٥٧٨ ، وقوله تعالى في سورة الذاريات آية : ٢٣ ص ٧١٢ : ﴿ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ في : ﴿ فَوَرَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ سورة الذاريات آية :

(٣) - ذكره للقراءات الشاذة مع التنبيه عليها أحياناً ، والقراءات الشاذة قليلة ونادره في الجزء المكلف بتحقيقه كقوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ وَمَاهِي بَعْوَرَةٌ ﴾ والعورة ذات العورة ، وهي قراءة بن عباس رضي الله عنهما^(١) .
وكقوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ ﴾ يقول النسفي : (وقرئ شاذاً كُلَّهُنَّ بالنصب تأكيداً لَهُنَّ في آتيتهن)^(٢) .

ثانياً : أسباب النزول :

تعرض الإمام النسفي رحمه الله لأسباب النزول ، إذ أنه يبان لمراد الآية وتوضيح لمعانيها ، يقول الواحدي رحمه الله في بيان أهمية أسباب النزول : (إذ هي أوفى ما يجب الوقوف عليها ، وأولى ما تُصرف العناية إليها ، لإمتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها ، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها ، ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب ، إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقعوا على الأسباب ، وبحشوا عن علمها وجدوا في الطلاب)^(٣) ، وقال بن تيمية رحمه الله : (معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية ، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب)^(٤) ، فمن هذا المنطلق كان سبب النزول مظهراً من مظاهر تمييز كتاب المدارك ، فمن ذلك : عند قوله تعالى في سورة لقمان : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ... ﴾ نزلت في النظر بن الحارث ، وكان يشتري أخبار الأكاسرة من فارس ، ويقول : إن محمداً يقصُّ طرفاً من قصة عادٍ وشمود ، فأنا أحدثكم بأحاديث الأكاسرة فيميلون إلى حديثه ويتركون إستماع القرآن^(٥) ، ومثال آخر : كان عمر رضي الله عنه يُجِبُّ ضربَ الحجاب عليهنَّ ويودُّ أن

(١) ص ٦١ ، آية : ١٣ .

(٢) ص ٩٨ ، آية : ٥١ .

(٣) أسباب النزول / للواحدى ص ٤٢ و ص ٤٣ ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، الناشر دار القبلة ، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٧ هـ .

(٤) مقدمة في أصول التفسير ص ٤٧ .

(٥) ص ٣ ، آية : ٦ .

ينزل فيه ، وقال : يا رسول الله يدخل عليك البرُّ والفاجرُ ، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت^(١) ، وغير ذلك من الأمثلة والتي ذكرها النسفي رحمه الله في تفسيره ، والتي جعلت من كتابه المدارك ذا قيمة علمية ظاهرة .

ثالثاً : ذكر الفوائد المستنبطة من الآيات :

من منهج الإمام النسفي رحمه الله في تفسيره أنه يأتي أحياناً بالفوائد المستخلصة من الآيات بعبارة سهلة وموجزة ، والتي على ضوئها يسير المرء وتكون نبراساً له في حياته ، ومسلكاً حقاً في علمه وعمله ، ومن ذلك ما ذكره في آخر سورة الصافات بعد قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (إشمطت السورة على ذكر مقاله المشركون في الله ونسبوا إليه مما هو منوّه عنه ، وما عاناه الرسول ﷺ من جهتهم وما خولوه في العاقبة من النصرة عليهم ، فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عمّا وصفه به المشركون ، والتسليم على المرسلين والحمد لله رب العالمين ماقيض من حُسن العواقب ، والمراد : تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يَخِلُّوا به ولا يغفلوا عن مضمّنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد^(٢) ، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى في سورة الذاريات : ﴿ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾^(٣) فذهب إليهم في خفية من ضيوفه ، ومن أدب المضيف أن يُخفي أمره ، وأن يبادر بالقرى من غير أن يشعر به الضيف حذراً من أن يُكفّه ، وكان عامة مال إبراهيم عليه السلام البقر^(٤) .

رابعاً : المناسبات للآية أو الآيات :

وقد تعرض الإمام النسفي رحمه الله لهذا ، وذلك لربط الآيات أو ربط أجزاء الآية

(١) ص ١٠٤ ، آية : ٥٣ وانظر : سورة الزمر آية : ١٣ ، ص ٣٣٤ ، سورة الحجرات آية : ١٣ ص ٦٧٥ و ص ٦٧٦ .

(٢) ص ٢٧٧ ، آية : ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ .

(٣) آية : ٢٦ .

(٤) ص ٧١٤ .

بعضها ببعض ، يقول السيوطي رحمه الله : (وَعِلْمُ الْمُنَاسِبَةِ عِلْمٌ شَرِيفٌ قَلَّ إِعْتِنَاءُ الْمَفْسَرِينَ بِهِ لِدَقَّتِهِ)^(١) وبالفعل هو علم عظيم وعمل جسيم، ومن الأمثلة على ذلك : (أ) - ربط جزء الآية بعضها ببعض، كقوله تعالى في سورة الشورى : ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ حيث قال رحمه الله : (ووجه مناسبة إقتراب الساعة مع إنزال الكتب والميزان ، إن الساعة يوم الحساب ووضع الموازين بالقسط ، فكأنه قيل أمركم بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع فاعملوا بالكتاب والعدل قبل أن يفاجئكم يوم حسابكم ووزن أعمالكم^(٢)) .

(ب) - ربط الآية بالآية :

كقوله تعالى في نفس السورة : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ، أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ﴾ حيث قال النسفي رحمه الله : (لَمَّا ذَكَرَ إِذِاقَةَ الْإِنْسَانِ الرَّحْمَةَ وَإِصَابَتَهُ بِصِدِّهَا أَتَبَعَ ذَلِكَ أَنْ لَهُ تَعَالَى الْمُلْكُ وَأَنَّهُ يَقْسِمُ النِّعْمَةَ وَالْبَلَاءَ كَيْفَ أَرَادَ ، وَيَهَبُ لِعِبَادِهِ مِنَ الْأَوْلَادِ مَا يَشَاءُ فَيُخَصُّ بَعْضًا بِالْإِنَاثِ ، وَبَعْضًا بِالذُّكُورِ ، وَبَعْضًا بِالصَّنْفَيْنِ جَمِيعًا ، وَيَجْعَلُ الْبَعْضَ عَقِيمًا)^(٣) .

خامساً : طرح الآراء الفقهية :

الإمام النسفي كما هو معروف يتبع المذهب الحنفي ، ودائماً ما يذكر هذا المذهب ، ويؤيده، وإن كان أحياناً يذكر رأى الجمهور ، ومن الأمثلة على ذلك عند قوله تعالى في سورة الأحزاب : ﴿ إِنَّ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ .. ﴾ :

(١) الإتيان في علوم القرآن / للسيوطي ج ٢ ص ٢٩٩ ، تقديم وتعليق الأستاذ : محمد شريف سكر ، وراجع الأستاذ : مصطفى القصاص ، مطبعة دار إحياء العلوم ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧ هـ .

(٢) ص ٤٦٠ و ص ٤٦١ الآية رقم ١٧ .

(٣) ص ٤٨٣ الآية رقم ٤٩ ، وانظر : سورة الأحزاب قوله تعالى : ﴿ ... وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ آية ٧١ ص ١١٦ وغير ذلك .

(وفيه دليل جواز النكاح بلفظ الهبة ، لأن رسول الله ﷺ وأُمَّته سواء في الأحكام السلطانية إلا فيما خصه الدليل^(١)) ، وعند قوله تعالى في سورة الأحقاف : ﴿ وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ .

(وفيه دليل : على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لأن مدة الرضاع ، إذا كانت حولين لقوله تعالى : ﴿ حَوْلِينَ كَامِلِينَ ﴾^(٢) بقيت للحمل ستة أشهر ، وبه قال أبو يوسف ومحمد رحمهما الله^(٣)) .

سادساً : ذكره وجوه الإعراب وشواهد اللغة :

وقد أكثر النسفي رحمه الله من الإعراب ، وأطال في بعض المواضع ، ولأهمية هذا المنهج ، يقول السيوطي رحمه الله : (ومن فوائد هذا النوع : معرفة المعنى ، لأن الإعراب يميز المعاني ، ويوقف على أغراض المتكلمين)^(٤) ، والحق أن الكتاب مليء بالإعراب ، فلو أفرد الإعراب وجمع في كتاب واحد لأصبح كتاباً مستقلاً ، وسأذكر بعض الأمثلة : كقوله تعالى في سورة لقمان : ﴿ أَوْلَيْكَ عَلَىٰ هُدًى ﴾ مبتدأ وخبر ، ﴿ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ صفة الهدى ، ﴿ وَأَوْلَيْكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ ﴾ عطف عليه^(٥) ، ومن الأمثلة على ذكره الأوجه الإعرابية حينما قال عند قوله تعالى في سورة سبأ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا ﴾ على أنه عطف بيان لها ، وقيل : هو بدل ، وعلى هذين الوجهين هو في محل الجر ، وقيل : هو في محل الرفع على تقدير : هي أن تقوموا ، أو

(١) ص ٩٥ ، آية : ٥٠ .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٣٣ .

(٣) ص ٥٧٨ ، آية : ١٥ ، وانظر : عند قوله تعالى في سورة الأحقاف آية : ٣١ ص ٥٩٥ : ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيَجْرِمَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ قال أبو

حنيفة رحمه الله : لا ثواب لهم إلا النجاة من النار لهذه الآية) .

(٤) الإتيقان ج ١ ص ٤٨٨ .

(٥) ص ٣ ، آية : ٥ .

النصب على تقدير : أعنى^(١) ، ومثل قوله تعالى في سورة فاطر: ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ ﴾
خبر ثانٍ لذلك ، أو خبر مبتدأ محذوف ، أو مبتدأ والخبر : ﴿ يَدْخُلُونَهَا ﴾^(٢) . وغير ذلك من الأمثلة والتي هي مبثوثة في كتاب المدارك .

سابعاً : ذكره الأوجه البلاغية والإعجازية في الآية أو الآيات :

إن الحديث عن هذا الموضوع يحتاج إلى مؤلفات مستقلة ، فالقرآن كله من أوله إلى آخره معجز ، ولاغرو في ذلك فهو كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، يقول القاضي عياض رحمه الله : (إعلم أن القرآن منطوق على وجوه من الإعجاز كثيرة ، وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة أوجه : أولها بحسن تأليفه ، وإلتزام كلمه وفصاحته ، ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن ، والثاني : صورة نظمه العجيب ، والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ، ومنها نظمها ونثرها الذي جاء عليه ، ووقفت عليه مقاطع آياته ، وأنتهت إليه فواصل كلماته ، ولم يوجد قبله ولا بعده ، نظيره ، والثالث : ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات ومالم يكن فوجد كما ورد ، والرابع : ما أنبأه من أخبار القرون السالفة ، والأمم البائدة ، والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك ، فيورده ﷺ على وجهه ويأتي على نصه ، وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب ، فهذه الأوجه الأربعة من إعجاز القرآن بينة لانزاع فيها^(٣) ، والإمام النسفي رحمه الله تعرض للأوجه البلاغية والإعجازية في تفسيره .

مثاله قوله تعالى في سورة سبأ : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِىِّ مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾ (في هذا النظم من الفخامة ما لا يخفى ، حيث جُعِلت

(١) ص ١٥٣ ، آية : ٤٦ .

(٢) ص ١٨٩ ، آية : ٣٣ .

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى / للقاضي عياض اليعصبي ، ج ١ ص ٢٥٨ وما بعدها باختصار ، مطبعة دار الكتب العلمية .

الجبال بمنزلة العقلاء الذين إذا أمرهم بالطاعة أطاعوا ، وإذا دعاهم أجابوا ، إشعاراً بأنه ما من حيوان وجماد إلا وهو منقاد لمشيئة الله تعالى ، ولو قال : آتينا داود منا فضلاً تأويب الجبال معه والطير لم يكن فيه هذه الفحامة^(١) .

وكقوله تعالى في سورة يس : ﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾ يقول النسفي : (ولم يقل قيل له ، لأن الكلام سيق ليبان المقول لالبيان المقول له مع كونه معلوماً^(٢)) .

ثامناً : في بيان الناسخ من المنسوخ :

وهذا العلم من الأهمية بمكان ، يقول ابن عبدالبر رحمه الله في جامع بيان العلم بسنده إلى يحيى بن أكثم رحمه الله : (ليس من العلوم كلها علم واجب على العلماء وعلى المتعلمين وعلى كافة المسلمين ، من علم ناسخ القرآن ومنسوخه ، لأن الأخذ بناسخه واجب فرضاً ، والعمل به واجب لازم ديانةً ، والمنسوخ لا يعمل به ولا ينتهى إليه ، فالواجب على كل مسلم عالمٍ علم ذلك ، لئلا يوجب على نفسه وعلى عباد الله أكثر مما يوجب الله ، أو يضع عنهم فرضاً أوجب الله)^(٣) ، فهو علم له مكانته ومزيتته ، والإمام النسفي قد بث هذا العلم في المدارك ، وساذكر بعض الأمثلة :

(أ) - نسخ الحكم وبقاء التلاوة :

كقوله تعالى في سورة الأحزاب : ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَغْبَبَكَ حُسْنُهُنَّ .. ﴾ الآية ، يقول الإمام النسفي : (عن عائشة وأم سلمة رضی الله عنهم أجمعين ، مامات رسول الله ﷺ حتى أحلَّ له أن يتزوج من النساء ماشاء ، يعنى أن الآية نسخت ، ونسخها إما بالسنة ، أو بقوله : ﴿ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ ﴾^(٤) وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف)^(٥) ، وهذا نسخ القرآن

(١) ص ١٢٥ ، آية : ١٠ .

(٢) ص ٢٠٨ ، آية : ٢٦ . وغير ذلك من الأمثلة .

(٣) جامع بيان العلم وفضله / للإمام بن عبدالبر ج ٢ ص ٣٥ ، مطبعة دار الفكر .

(٤) سورة الأحزاب آية : ٥٠ .

بالقرآن أو بالسنة .

(ب) - نسخ التلاوة وبقاء الحكم :

كما في سورة الأحزاب ، وهى آية الرجم : ﴿ الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ﴾^(١) .

تاسعاً : الرد على أهل الكفر والإلحاد والفرق الضالة :

وهو ما يعطي كتاب المدارك قيمة علمية ، كقوله تعالى في سورة السجدة: ﴿ وَلَوْ سِئْنَا لَا تَتِنَا كُلُّ نَفْسٍ هُداها ﴾ يقول النسفي : (وهو حجة على المعتزلة فإن عندهم شاء الله أن يعطى كُلُّ نَفْسٍ ما به إهتدت ، وقد أعطاها لكنها لم تهتد ، وهم أولوا الآية بمشيئة الجبر ، وهو تأويل فاسد)^(٢) ، وكقوله تعالى في سورة الأحزاب : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ : (.. وإن صلى على غيره على سبيل التبع كقوله صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيه ، وأما إذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلاة فمكروه ، وهو من شعائر الروافض)^(٣) ، وكقوله تعالى في سورة الأحزاب : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِليًا وَلَا نَصِيرًا ﴾ : (هذا يرد مذهب الجهمية لأنهم يزعمون ان الجنة والنار تفتيان)^(٤) .

العاشر : التقليل من ذكر الإسرائيليات مع الرد عليها أحياناً ، وهو ما يتميز به تفسير

النسفي ؛

كقوله عند قوله تعالى في سورة ص : ﴿ .. فَأَحْكُمُ بَيْنَنَا وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ ، وما يحكى أنه بعث مرة بعد مرة أوريا إلى غزقه البلقاء وأحب أن

(٥) ص ١٠٠ و ص ١٠١ ، آية : ٥٢ .

(١) ص ٤٤ .

(٢) ص ٣٣ ، آية : ١٣ .

(٣) ص ١٠٧ و ص ١٠٨ ، آية : ٥٦ .

(٤) ص ١١٣ آية : ٦٤ - ٦٥ .

يُقتل ليتزوجها ، فلا يليق من المتسمين بالصلاح من أفنان المسلمين ، فضلاً عن بعض أعلام الأنبياء^(١)) ، فالنسفي هنا علق على هذا الخبر ، وأحياناً لا يعلق وذلك مثل تفسيره لقوله تعالى في سورة الأحزاب : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ .. ﴾ : (زينب بنت جحش ، وذلك أن رسول الله ﷺ أبصرها بعدما أنكحها زيداً فوقع في نفسه ، فقال : « سبحان الله مقلب القلوب » ، وذلك أن نفسه كانت تحفو عنها قبل ذلك لاتريدها ..)^(٢) القصة ، فذكر النسفي هذا الخبر ولم يعلق عليه ، وكقوله رحمه الله حول قوله تعالى في سورة ص : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴾ : (وأما ما يروى من حديث الخاتم والشیطان وعبرة الوثن في بيت سليمان عليه السلام فمن أباطيل اليهود)^(٣) ، فمن خلال الأمثلة : يتضح أنه يرد على الإسرائيليات في الغالب .

الحادي عشر : إستشهاده بالشُّعْرِ : إِذْ أَنْ الشُّعْرَ دِيْوَانَ الْعَرَبِ وَجَمَعَهُ الْفَصِيحَ وَالْبَلِيغَ ، فَهُوَ يُؤَكِّدُ الْمَعْنَى وَيُوضِحُهُ مَعَ الْمُؤَكِّدَاتِ الْآخَرَى ، وَفِي كِتَابِ الْمَدَارِكِ الْعَدِيدِ مِنْ ذَلِكَ ، كَقَوْلِهِ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ لَقْمَانَ : ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ وَنَضِيرُهُ قَوْلُ أَوْس :

الْأَلْمَعَى الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الْـ ظَنَّ كَأَنْ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا^(٤)

وكقوله عند قوله تعالى في سورة يس : ﴿ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ .. ﴾ (ويجوز أن يراد من ثمر المذكور وهو الجنات ، كما قال رؤبة : فِيهَا خُطُوطٌ مِنْ سَوَادٍ وَبَلَقُ كَأَنَّهُ فِي الْجِلْدِ تَوَلِيْعُ الْبَهَقِ

(١) ص ٢٩١ آية : ٢٢ .

(٢) ص ٨١ آية : ٣٧ .

(٣) ص ٣٠٢ آية : ٣٤ .

(٤) ص ٣ . آية : ٤ ، وقد فسر المعنى السمين الحلبي في الدر المصون ج ٥ ص ٣٨٦ حيث قال : يعنى أن الألمعى هذا الذى ظن شيئاً كان كمن رآه وسمعه ، كذلك المحسنون هم الذين يفعلون هذه الطاعات .

فقيل له ، فقال أردت : كأن وذاك^(١) .

وغير ذلك من الأمثلة الشعرية .

الثاني عشر : ذكر الأمثلة العربية :

تأكيداً لمعنى الآية ، وتوضيحاً وبياناً لمدلولها ، فبالمثال يتضح المقال ، وإن لم يكن من ذلك ، مثل ماورد عند قوله تعالى في سورة سبأ : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ : (هذا خطاب للملائكة وتقريع لكفار وارد على المثل السائر : إياك أعنى واسمعى ياجارة^(٢)) .

وعند قوله تعالى في سورة يس : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ ﴾ : (تقدحون ، ثم ذكر من بدائع خلقه إنقداح النار من الشجر الأخضر مع مضادة النار والماء وانطفائها به ، وهى الزناد التى تودي بها الأعراب ، وأكثرها من المرخ والعفار ، وفى أمثالهم : فى كل شجر نارٌ ، واستمجد المرخ والعفار ، لأن المرخ : شجر سريع الوري ، والعفار : شجر تقدح منه النار^(٣)) .

وعند قوله تعالى في سورة الصافات : ﴿ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ والذى قال إبراهيم عليه السلام معراض من الكلام ، أي : ساسقم ، أو من فى عنقه الموت سقيم ، ومن المثل : كفى بالسلامة داءً^(٤) . وغير ذلك من الأمثال .

الثالث عشر : الإستدلال بأقوال الصوفية : وذلك وجد فى تفسيره ، مع أن الأولى تركه ، لما يحصل فى بعض عباراتهم من غموض وعدم وضوح ومن الكتاب والسنة الصحيحة ، وأقوال الصحابة والتابعين ، مافيه غنية وكفاية ، والأمثلة فى ذلك

(١) ص ٢١١ و ص ٢١١ آية : ٣٥ ص ٥٠٤ ، وانظر : سورة الزخرف عند قوله تعالى : ﴿ وَكُن يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ .. ﴾ الآية رقم : ٣٩ ، وهو قول الخنساء رضي الله عنها : ولولا كثرة الباكين حولي ...

(٢) ص ١٥٠ الآية : ٤٠ .

(٣) ص ٢٢٩ و ص ٢٣٠ ، الآية : ٨٠ .

(٤) ص ٢٥٣ آية : ٨٩ .

كثيرة منها : عند قوله تعالى في سورة السجدة : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ الآية ، يقول النسفي: وعن ابن عطاء : أبت جنوبهم أن تسكن على بساط الغفلة وطلبت بساط القربة ، يعنى صلاة الليل^(١) ، وعند قوله تعالى في سورة فاطر : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (قال الواسطي : من إستغنى بالله لا يفتقر ، ومن تعزز بالله لا يذل ، وقال الحسين : على مقدار إفتقار العبد إلى الله يكون غنياً بالله ، وكلما إزداد إفتقاراً إزداد غنىً ، وقال يحيى : الفقر خير للعبد من الغنى لأنّ المذلة في الفقر والكبر في الغنى ، والرجوع إلى الله بالتواضع ، والمذلة خير من الرجوع إليه بتكثير الأعمال ، وقال الشبلي : الفقر يُجرُّ البلاء وبلاؤه كله عز^(٢)) .

وعند قوله تعالى في سورة فاطر أيضاً : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ قال ابن عطاء : إنما قدم الظالم لثلاث يأس من فضله ، وقال سهل : السابق : العالم ، والمقتصد : المتعلم ، والظالم : الجاهل ، وقال أيضاً : السابق : الذى إشتغل بمعاده ، والمقتصد : الذى إشتغل بمعاشه ومعاده ، والظالم : الذى إشتغل بمعاشه عن معاده^(٣)) ، وغير ذلك في بقية السور ، وهذا المنهج هو ما عليه أكثر كتب التفسير بالرأى ، ولم أتعرض لأساسيات والتي هي منهج كل المفسرين إلا ماندر ، مثل تعرضهم لتفسير القرآن بالقرآن ، والقرآن بالسنة ، وبأقوال الصحابة والتابعين ومن تبعهم ، وعلماء السلف ، وهذا المنهج مبثوث في كتاب المدارك كغيره من كتب التفسير ، وفي هذا المبحث ذكرت أبرز وأهم ماتعرض له الإمام النسفي من خلال الجزء المكلف بتحقيقه ، والذي من خلاله يظهر منهجه في كتاب المدارك^(٤) .

(١) ص ٣٥ آية : ١٦ .

(٢) ص ١٧٦ و ص ١٧٧ ، آية : ١٥ .

(٣) ص ١٨٨ آية : ٣٢ .

(٤) وهناك رسالة دكتوراه هي بعنوان : منهج النسفي في تفسير القرآن الكريم ومقارنته بمنهج الزمخشري والبيضاوي وأبي السعود، إعداد : محمد لطفي محمد جاد ، إشراف الأستاذ الدكتور: سمير عبدالعزيز شليوه ، كلية أصول الدين قسم التفسير ، جامعة الأزهر ، نوقشت عام ١٤١٢هـ .

النص المحقق

من أول سورة لقمان
إلى آخر سورة الطور

سورة لقمان مكية^(١) وهي ثلاث أو أربع وثلاثون آية .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

/ ﴿أَلَمْ تَلِكْ ءَآيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ ذي الحكمة ، أو وصف بصفة الله عزوجل [١١٠/أ] على الإسناد المجازي^(٢) ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ حالان من الآيات ، والعامل معنى الإشارة^(٣) في: ﴿تَلِكْ﴾ حمزه بالرفع^(٤) على أن: ﴿تلك﴾ مبتدأ و: ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾

(١) يقول السيوطي رحمه الله : أخرج بن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن بن عباس رضي الله عنهما قال : (إنها نزلت سورة لقمان بمكة) ، وقال : وأخرج بن النحاس في تاريخه عن بن عباس رحمه الله عنهما قال : (سورة لقمان نزلت بمكة سوى ثلاث آيات فيها نزلت بالمدينة ﴿﴾ ولو أن مافي الأرض من شجرة أقلام ... ﴿﴾ إلى تمام الآيات الثلاث) . الدر المثور جـ٧ ص ٥٠٣ ، مطبعة دار الفكر، الطبعة الأولى عام ١٤٠٣هـ وقال الماوردي رحمه الله في النكت والعيون جـ٤ ص ٣٢٦ (مكية كلها في قول الجميع ...) مطبعة مؤسسة الكتب الثقافية راجعه وعلق عليه : السيد عبدالمقصود عبدالرحيم ، الطبعة الأولى عام ١٤١٢هـ وانظر المحرر الوجيز لابن عطية جـ١٣ ص ٧ ، تحقيق المجلس العلمي بمكناس ، طبعة عام ١٤١٣هـ ، وقال بن الجوزي رحمه الله في زاد المسير جـ٦ ص ٣١٣ : (هي مكية في قول الأكثرين) . مطبعة المكتب الإسلامي ، الطبعة الرابعة عام ١٤٠٧هـ . وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ١٤ ص ٥٠ .

(٢) والمراد بالحكيم هنا كما يقول السمرقندي في بحر العلوم جـ٣ ص ١٨ : (يعني هذه آيات القرآن المحكم من الباطل، ويقال : أحكم حلاله وحرامه ، ويقال : محكم لايرد عليه التناقض) ، تحقيق وتعليق الشيخ : علي محمد معوض ، والشيخ : عادل أحمد عبدالوجود، د : زكريا عبدالمجيد التوتي ، مطبعة دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى عام ١٤١٣هـ .

(٣) إعراب القرآن / للنحاس جـ٢ ص ٥٩٩ تحقيق د. زهير غازي زاهد ، مطبعة العاني ببغداد . والتبيان في إعراب القرآن/العكبري جـ٢/١٠٣٤ ، تحقيق علي البجادي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، والفريد في إعراب القرآن المجيد/للهمداني جـ٤ ص ٥ تحقيق د. فهمي النمر وفؤاد مخيمر . مطبعة دار الثقافة ، الدر المصون / للسمين الحلبي جـ٥ ص ٣٨٥ ، مطبعة دار الكتب العلمية . الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ .

(٤) النشر في القراءات العشر / لابن الجزري جـ٢ ص ٣٤٦ مطبعة دار الكتب العربي ، تصحيح الفروع علي محمد الصباغ أي : بالرفع في رحمة ، وإتحاف

خبره ﴿وَهْدَى﴾ خبر بعد خبر ، أو خبر مبتدأ محذوف^(١) ، أي : هو أو وهى هدى ورحمة . ﴿لِلْمُحْسِنِينَ﴾ للذين يعملون الحسنات المذكورة في قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ ونظيره قول أوس^(٢) :
 الألمعي الذي يظن بك الـ ظن كأن قد رأى وقد سمعاً

أو الذين يعملون جميع ما يحسن ، ثم خصّ منهم القائمين بهذه الثلاثة لفضلها .
 ﴿أَوْلَيْكَ عَلَى هُدًى﴾ مبتدأ وخبر^(٣) . ﴿مَنْ رَبِّهِمْ﴾ صفة لهدى . ﴿وَأَوْلَيْكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾ / عطف عليه . ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ نزلت في النظر ابن^(٤) الحارث وكان يشتري أخبار الأكاسرة من فارس ويقول إن محمداً يقص طرفاً من قصة عاد وثمود ، فأنا أحدثكم بأحاديث الأكاسرة ، فيميلون إلى حديثه ويتركون إستماع القرآن^(٥) ، واللغو : كل باطل ألهى عن الخير وعمّا يعني ، ولهو الحديث نحو السمر بالأساطير^(٦) التي لا أصل لها والغناء ، وكان ابن عباس وابن مسعود رضي الله

﴿ فضلاء البشر / للشيخ أحمد البنا ج ٢ ص ٣٦١ ، مطبعة عالم الكتب حققه وقدم له : د/ شعبان محمد إسماعيل .

(١) انظر الدر المصون / للسمين الحلبي ج ٥ ص ٣٨٥ .

(٢) لأوس بن حجر يرثى فضالة بن كلدة . ديوان أوس بن حجر ص ٥٣ ، تحقيق وشرح الدكتور : محمد يوسف نجم ، مطبعة دار صادر ، الطبعة الثالثة عام ١٣٩٩ هـ .

(٣) المصادر السابقة في الإعراب .

(٤) وكان من الأسرى الذين أسرهم النبي ﷺ في معركة بدر ، وإسمه النظر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبدمناف بن عبدالدار ، قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه صبراً عند رسول الله ﷺ بالصفراء . السيرة النبوية / لابن هشام ج ٢ ص ٣٤٨ علق عليها وخرج أحاديثها : عمر عبدالسلام تدمري ، مطبعة دار الريان ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨ هـ .

(٥) أسباب النزول / للواحد ص ٤٠٠ مطبعة دار القبلة ، الطبعة الثالثة ، عام ١٤٠٧ هـ ولياب النقول / للسيوطي ص ١٦٩ مطبعة دار إحياء العلوم ، الطبعة الرابعة ، عام ١٤٠٣ هـ .

(٦) الأساطير : الأباطيل والأساطير أحاديث لانظام لها . لسان العرب / لابن منظور ج ٤ ص ٣٦٣ ، مطبعة دار صادر ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١٠ هـ ، والقاموس المحيط / للفيروزابادي ص ٥٢٢ ، مطبعة مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية عام ١٤٠٧ هـ ، مادة : سطر .

عنهم : يحلفان أنه الغناء^(١) ، وقيل الغناء : مفسدة للقلب منفذة للمال مسخطة للرب^(٢) . وعن النبي ﷺ : « مَا مِنْ رَجُلٍ يرفع صوته بالغناءِ إلا بعثَ اللهُ عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخرُ على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بأرجلِهِمَا حتى يكون هو الذي يسكت »^(٣) .

والإشتراء من الشراء كما روي عن النضر^(٤) ، أو من قوله إشتروا الكفر بالإيمان أي إستبدلوه منه وأختاروا عليه ، أي يختارون حديثه على حديث الحق ، وإضافة اللهو إلى الحديث للتبيين ، بمعنى من ، لأن اللهو : يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث ، والمراد بالحديث : الحديث المنكر . كما جاء في الحديث : « الحديث في المسجد

(١) جامع البيان / للطبري جـ ٢١ ص ٦١ مطبعة مصطفى الباي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الثانية عام ١٣٧٣هـ ، النكت والعيون / للماوردي جـ ٤ ص ٣٢٨ ، وتفسير القرآن العظيم / لأبي مظهر السمعي جـ ٤ ص ٢٢٦ مطبعة دار الوطن ، الطبعة الأولى عام ١٤١٨هـ ، معالم التنزيل / للبغوي جـ ٦ ص ٢٨٤ ، تحقيق محمد عبدالله النمر ، وعثمان ضميريه ، وسليمان الحرش مطبعة دار طيبة طبعة عام ١٤١٢هـ .

(٢) نسبه ابن القيم رحمه الله إلى الضحاك في كتابه : إغاثة اللفهان جـ ٢ ص ٣٧٦ تصحيح الفروع وتعليق : محمد عفيفي ، مطبعة المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية عام ١٤٠٩هـ . وكذلك الألوسي في روح المعاني جـ ١١ ص ٦٨ .

(٣) أخرجه ابن الدنيا في ذم الملاهي ص ٤٨ . تحقيق ودراسة عمر وعبد المنعم والناشر مكتبة ابن تيمية ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١٦هـ .

وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير جـ ٨ ص ٢٠٤ بنحوه حققه وخرج أحاديثه : حمدي عبدالمجيد السلفي ، مطبعة الزهراء الحديثه ، طبعه عام ١٤٠٥هـ .

وأخرجه الهندي في كنز العمال جـ ٤ ص ٣٩ . تصنيف نديم مرعشلي ، مطبعة مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٩هـ .

وضعه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته جـ ٣ ص ٤٥١ ، مطبعة المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ، عام ١٤١٠هـ ، وذكره الواحدى فى أسباب النزول ص ٤٠٠ .

(٤) المقصود به : النضر بن الحارث . كما بين ذلك أبي الليث السمرقندي في كتابه بحر العلوم بقوله : (يعنى من الناس ناس يشترتون أباطيل الحديث وهو النضر بن الحارث ...) . جـ ٣ ص ١٩٠ .

يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش»^(١). أو للتبعيض ، كأنه قيل : ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه^(٢) . ﴿لِيُضِلَّ﴾ أي : ليضل الناس من الدخول في الإسلام ، وإستماع القرآن ، ليضل مكى وأبو عمرو^(٣) : أي ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ويزيد فيه ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دين الإسلام أو القرآن ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي : جهلاً منه بما عليه من الوزر به ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ أي : السبيل بالنصب^(٤) كوفي غير أبي بكر عطفاً على^(٥) ليضل ، ومن رفع عطف على يشتري^(٦) ﴿هُزُوا﴾ بسكون الزاي حمزة وبضم الزاي بلا همز حفص وغيرهما^(٧) بضم الزاي والهمزة^(٨)

(١) ذكره الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين ج١ ص ١٣٩ . وقال عنه العراقي : (لم أقف له على أصل) مطبعة دار القلم ، صحح بإشراف الشيخ : عبدالعزيز السيروان ، الطبعة الثالثة . وقد ذكره الزمخشري في الكشاف ج٣ ص ٤٩١ ، مطبعة دار الكتاب العربي ، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٧ هـ ، والآلوسي في روح المعاني ج ١١ ص ٦٧ ، قلت : وبالفعل لم أقف على أصل الحديث .

(٢) الكشاف للزمخشري ج٣ ص ٢٩١ ، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج٨ ص ٤٠٨ ، الناشر المكتبة التجارية ، مراجعة : صدقي محمد جميل .

(٣) يقول السمين الحلبي في الدر المصون ج٦ ص ٣٨٦ : (قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿لِيُضِلَّ﴾ بفتح حرف المضارعه والباقون بضمه من أضلَّ غيرُهُ) ، النشر في القراءات العشر / ج٢ ص ٢٩٩ . وإتحاف فضلاء البشر / للشيخ أحمد البناء ج٢ ص ٣٦١ .

(٤) الحجة القراءات السبع ص ٥٦٣ للإمام الحسين بن أحمد بن خالويه ، تحقيق وشرح الدكتور: عبدالعال سالم مكرم ، مطبعة دار الشروق ، الطبعة الثانية عام ١٣٩٧ هـ ، النشر في القراءات العشر / ج٢ ص ٣٤٦ ، وإتحاف فضلاء البشر / ج٢ ص ٣٦٢ .

(٥) زيادة من (ب) . والمطبوع ج٣ ص ٢٧٩ .

(٦) بحر العلوم / للسمرقندي ج٣ ص ١٩ ، المحرر الوجيز : لابن عطية ج١٣ ص ١٠ ، تحقيق المجلس العلمي بمكناس ، طبعة عام ١٤١٣ هـ ، زاد المسير لابن الجوزي ج٦ ص ٣١٨ ، مطبعة المكتب الإسلامي ، الطبعة الرابعة عام ١٤٠٧ هـ ، والجامع مع الأحكام القرآن / للقرطبي ج١٤ ص ٥٧ .

(٧) في المطبوع بصيغة الجمع (غيرهم) .

(٨) النشر في القراءات العشر ج٢ ص ٢١٦ ، اتحاف الفضلاء ج٢ ص ٣٦٢ .

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي : يُهينهم ، ومن لإبهامه يقع على الواحد ، والجمع ؛
أي : النضر وأمثاله .

﴿وَإِذَا تُلْتَمَسُ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا﴾ أعرض عن تدبرها متكبراً رافعاً نفسه عن
الإصغاء إلى القرآن . ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ يشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو
حال من مستكبراً ، والأصل كأنه والضمير ضمير الشأن^(١) . ﴿كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾
ثقلًا وهو حال^(٢) من لم يسمعها ، وأذنيه نافع^(٣) ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ ولا وقف لأن: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال من
ضمير في لهم^(٤) . ﴿وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا﴾ مصدران مؤكدان الأول مؤكد لنفسه والثاني
مؤكد لغيره^(٥) ، إذ لهم النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد
بالوعد ، وحقاً يدل على معنى الثبات فأكد به معنى الوعد ومؤكدهما جنات النعيم .
﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يغلبه شيء فيهن أعدائه بالعذاب الأليم^(٦) . ﴿الْحَكِيمُ﴾ فيما
يعفل فيثيب / أولياؤه بالنعيم المقيم . ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ جمع عاد
﴿تَرَوْنَهَا﴾ الضمير للسماوات ، وهو إستهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله بغير
عمد كما تقول لصاحبك : أنا بلا سيف ولا رمح تراني . ولا محل لها من الإعراب
لأنها مستأنفه، أو في محل الجر صفة العمدة^(٧) ، أي : بغير عمد مرئية ، يعنى أن عمدها
بعمد لا ترى ، وهى إمساكها بقدرته-عز وجل- . ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ جبلاً

(١) انظر : الدر المصون ج ٥ ص ٣٨٦ .

(٢) الدر المصون / ج ٥ ص ٣٨٦ .

(٣) النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٤٦ ، وإتحاف الفضلاء ج ٢ ص ٣٦٢ .

(٤) الدر المصون / ج ٥ ص ٣٨٦ .

(٥) الدر المصون ج ٥ ص ٣٨٦ .

(٦) في المطبوع : [المهين] .

(٧) الدر المصون ج ٤ ص ٢٢٣ ، وقد أطال السمين الحلبي الكلام حول هذا الموضوع فليرجع

إليه لتمام الفائدة من سورة الرعد .

ثوابت. ﴿ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ لئلا تضطرب بكم . ﴿ وَبَثَّ ﴾ ونشر. ﴿ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ ﴾ صنف ﴿ كَرِيمٍ ﴾ حسن ﴿ هَذَا ﴾ إشارة إلى ما ذكر من مخلوقاته. ﴿ خَلَقَ اللَّهُ ﴾ أي: مخلوقاته. ﴿ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ يعني آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة . ﴿ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ أضرب عن تبكيتهم إلى التسجيل عليهم بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال . ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة ﴾ وهو لقمان بن باعور بن أخت أيوب عليه السلام، أو ابن خالته^(١) ، وقيل كان من اولاد آزر وعاش ألف سنة ، وأدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم وكان يفتي قبل [مبعث]^(٢) داود عليه السلام فلما بُعث قَطَعَ الفتوى فقيل له ، فقال : ألا أكتفى إذ كُفيت^(٣) . وقيل كان خياطاً . وقيل نجاراً ، وقيل راعياً ، وقيل كان قاضياً في بني إسرائيل^(٤) ، وقال عكرمة^(٥)

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ٥٩ ، ولباب التأويل/للخازن جـ ٣ ص ٣٩٧ ، ضبط وتصحيح : عبدالسلام شاهين ، مطبعة دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى عام ١٤١٥ هـ والبحر المحيط جـ ٨ ص ٤١٢ ، مراجعة : صدقي محمد جميل ، الناشر : المكتبة التجارية بمكة .

(٢) ساقط من (أ) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ٥٩ ، البحر المحيط جـ ٨ ص ٤١٢ .

(٤) الذى قال أنه كان خياطاً سعيد بن المسيب عليه رحمة الله ، وقال عبدالرحمن بن زيد رحمه الله كان راعياً ، وقال خالد الربيعي كان : نجاراً ، وقد ذكر هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون جـ ٤ ص ٣٣١ ، ص ٣٣٢ ، وقال البغوي فى معالم التنزيل جـ ٦ ص ٢٨٦ : (قال الواقدي : كان قاضياً فى بني إسرائيل) .

(٥) عكرمة : العلامة ، الحافظ ، المفسر ، أبو عبدالله القرشي مولا هم المدني البربري الأصل قيل كان لحُصين بن أبي الحرِّ العنبري فوهبه لإبن عباس رضي الله عنهما . قال ابن المديني : سمع من عائشة وأبي هريرة وأبي قتادة وعبدالله بن عمرو وعبدالله بن عمر . رضوان الله عليهم أجمعين من الطبعة الثالثة . مات سنة أربع ومئة وقيل بعد ذلك . سير أعلام النبلاء / للذهبي جـ ٤ ص ١٢ مطبعة مؤسسة الرسالة ، تحقيق وتخريج : شعيب الأرنؤوط ، الطبعة السادسة عام ١٤٠٩ هـ ، تهذيب التهذيب / لابن حجر جـ ٣ ص ٤٩ مطبعة دار الفكر ، الطبعة الأولى عام ١٣٢٥ هـ . وحملة الأولياء / لأبي نعيم جـ ٣ ص ٣٢٦ ، مطبعة دار الريان ، الطبعة الخامسة عام ١٤٠٧ هـ م تقريب التهذيب ص ٣٩٧ ، لابن حجر ، تقديم ودراسة : محمد عوامة ، مطبعة دار الرشيد ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٦ هـ .

والشعبي^(١) كان نبياً^(٢) ، والجمهور على أنه كان حكيماً^(٣) ، وقيل خيّر بين النبوة والحكمة فأختار الحكمة : وهي الإصابة في القول والعمل^(٤) . وقيل تلمذ لألف نبي وتلمذ له ألف نبي^(٥) ، وأن في : ﴿ أَنْ أَشْكُرَ لِلَّهِ ﴾ مفسرةً ، والمعنى : أي أشكر الله ،

(١) الشعبي : عامر بن شراحيل بن عبد بن ذى كبار ، علامة العصر ، أبو عمرو الهمذاني ثم الشعبي ، مولده في إمرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولد لست سنين خلت منها ، وقيل سنة إحدى وعشرين . توفي سنة خمس ومئة وقيل سنة ست ومئة وقد اختلف في سنة وفاته . سير أعلام النبلاء / ج ٤ ص ٢٩٤ . طبقات ابن سعد / ج ٦ ص ٢٤٦ مطبعة دار الكتب العلمية ، دراسة وتحقيق محمد عطا ، الطبعة الأولى عام ١٤١٠ هـ . حلية الأولياء / ج ٤ ص ٣١٠ . تهذيب التهذيب / ج ٥ ص ٦٥ .

(٢) تفسير القرآن / للسمعاني ج ٤ ص ٢٢٩ ، تحقيق : أبي تميم ياسر بن إبراهيم ، أبي بلال غنيم بن عباس بن غنيم . مطبعة دار الوطن ، الطبعة الأولى عام ١٤١٨ هـ ، معالم التنزيل ج ٦ ص ٢٨٦ ، زاد المسير ج ٦ ص ٣١٧ .

(٣) والقول بأنه نبي لم يستند إلى دليل ، فجمهور السلف على أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً ، يقول الإمام البغوي رحمه الله في معالم التنزيل ج ٦ ص ٢٨٦ : (وإتفق العلماء على أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً) ، ويقول الإمام ابن عطية رحمه الله في المحرر ج ١٣ ص ١٢ : (لقمان رجل حكيم بحكمة الله تعالى ، وهي : الصواب في المعتقدات والفقہ في الدين والعقل) ويقول ابن كثير رحمه الله : (جمهور السلف على أنه لم يكن نبياً) ج ٣ ص ٧٠٥ .

وقد صرح الإمام مالك رحمه الله بأنه حكيم في جامعه الموطأ مرتين : (أ) - (عن مالك أنه بلغه أن لقمان الحكيم أوصى ابنه فقال يا ابني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة) . الموطأ ص ٧٠٧ ، وهذا يقتضى أنه اشتهر بذلك بين علماء المدينة . (ب) وعن مالك : أنه بلغه أنه قيل للقمان ما بلغ مانرى ؟ - يرون الفضل - فقال لقمان (صدق الحديث وأداء الأمانة وترك ما لا ينبغي) ص ٧٠٠ . مطبعة دار النفائس .

(٤) انظر : النكت والعيون ج ٤ ص ٣٣٢ ، الوسيط ج ٣ ص ٤٤٢ ، تفسير السمعاني ج ٤ ص ٢٣٠ .

(٥) لم أجد .

لأن إيتاء الحكمة فى معنى القول ، وقد نبه الله تعالى على أن الحكمة الأصلية والعلم الحقيقي : هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له ، حيث فسر إيتاء الحكمة: بالحث على الشكر ، وقيل: لا يكون الرجل حكيماً حتى يكون حكيماً فى قوله وفعله ومعاشرته وصحبته ، وقال السري^(١) : الشكر أن لاتعصى الله بنعمه^(٢) وقال الجنيد^(٣) : أن لا ترى معه شريكاً فى نعمه^(٤) ، وقيل : هو الإقرار بالعجز . والحاصل أن شكر القلب المعرفة ، وشكر اللسان الحمد ، وشكر الأركان الطاعة^(٥) ، ورؤية العجز فى الكل دليل قبول الكل^(٦) ﴿ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾ لأن منفعته تعود إليه ، فهو يريد المزيد ﴿ وَمَنْ كَفَرَ ﴾ النعمة ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ ﴾ غير محتاج إلى الشكر^(٧) . ﴿ حَمِيدٌ ﴾ حقيق

(١) السري : بن المغلس السقطى ، الإمام القدوه ، شيخ الإسلام ، أبو الحسن البغدادي ، ولد فى حدود الستين ومائة ، وتوفى فى شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين ومئتين ، وقيل توفى سنة إحدى وخمسين ، وقيل سنة سبع وخمسين . سير أعلام النبلاء جـ ١٢ ص ١٨٥ . حلية الأولياء جـ ١٠ ص ١١٦ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) الجنيد : بن محمد الجنيد النُّهاوندي ثم البغدادي القواريري هو شيخ الصوفية ولد سنة نيف وعشرين ومئتين ، وسمع من السري السقطي وصحب الحارث المُحاسبي وأتقن العلم ثم أقبل على شأنه ، ونطق بالحكمة .

سير أعلام النبلاء جـ ١٢ ص ٦٦ ، حلية الأولياء جـ ١٠ ص ٢٥٥ ، ص ٢٨٧ . صفة الصفة / جـ ٢ ص ٤١٦ ، ٤٢٤ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) ساقطة من (ب) .

(٦) المعنى غير صحيح ، فإن كان الكل عاجزاً عن شكر الله الشكر الكامل إلا أنه ليس دليلاً على قبول الكل فهذا حكم على أمر غيبي ، ولو ترك النسفي هذه العبارة لكان أفضل .

(٧) قال ابن كثير فى تفسيره جـ ٣ ص ٧٠٧ عند هذه الآية : (أي : غني عن العباد لا يتضرر بذلك ولو كفر أهل الأرض كلهم جميعاً فإن الغنى عما سواه ولا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه) مطبعة دار الفكر ، طبعة عام ١٤٠٨ هـ .

بأن يُحمد وإن لم يحمده أحد ﴿ وَإِذْ ﴾ أي : وأذكر إذ ﴿ قَالَ لُقْمَانُ لِأَبْنِهِ ﴾ أنعم أر أشكم^(١) . ﴿ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ ﴾ باسكان الياء^(٢) مكي ، يا بُنَيَّ حفص ، بفتح في كُلِّ القرآن^(٣) . ﴿ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ لأنه تسوية بين مَنْ لانهمة إلا وهي منه ، ومن لانهمة له أصلاً . ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَيَّ وَهْنًا ﴾ أي : حملته تهنُّ وهناً على وهنٍ ، أي : تضعف ضعفاً فوق ضعف ، أي : يتزايد ضعفها ويتضاعف ، لأن الحمل كلما أزداد وعظم إزدادت ثقلاً وضعفاً . ﴿ وَفَصَّالَةٌ فِي عَمَلَيْنِ ﴾ أي : فطامه عن الرضاع لتمام عامين^(٤) ، ﴿ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ هر تفسير لوصينا ، أي وصيناه بشكرنا وبشكر والديه . وقوله حملته أمه وهناً على وهن وفصالة في عامين إعتراض بين المفسر والمفسر ، لأنه لما وصى بالوالدين ذكر ماتكابه الأم وتعانيه من المشاق في حمله وفصاله هذه المدة الطويلة تذكيراً بحقها العظيم مفرداً . وعن ابن عيينة^(٥) : من صَلَّى الصلوات الخمس فقد شكر الله ، ومن دعا للوالدين في

(١) انظر : بحر العلوم / للسمرقندي جـ ٣ ص ٢١ ، والنكت والعيون / للماوردي جـ ١ ص ٣٣٣ . معالم التنزيل جـ ٦ ص ٢٨٧ . والجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ٦٣ قال القرطبي : (وأن ابنه تاران) ، لباب التأويل / جـ ٣ ص ٣٩٨ ، انوار التنزيل / لليضاوي جـ ٢ ص ٢٢٨ ، مطبعة دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨ هـ .

قلت : والاستفادة من الوصية أعظم وأهم من معرفة الاسم .

(٢) زيادة في المطبوع بقوله : (اسكان الباء) . جـ ٣ ص ٢٨٠ .

(٣) النشر في القراءات العشر جـ ٢ ص ٣٤٦ ، انظر : اتحاف فضلاء البشر / جـ ٢ ص ٣٦٢ .

(٤) انظر : بحر العلوم جـ ٣ ص ٢١ ، النكت والعيون جـ ٤ ص ٣٣٤ ، الوسيط جـ ٣ ص ٤٤٣ ، تفسير السمعاني جـ ٤ ص ٢٣٠ ، زاد المسير جـ ٦ ص ٣١٩ ، وقال ابن الجوزي رحمه الله : (والمراد : التنبيه على مشقة الوالدة بالرضاع بعد الحمل) .

(٥) ابن عيينه : هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران بن ميمون مولى محمد بن مزاحم أخي الضحاك بن مزاحم ، الإمام الكبير ، حافظ العصر ، شيخ الإسلام ، أبو محمد الهلالي الكوفي ، مولده بالكوفة في سنة سبع ومئة وطلب الحديث وهو حدث بل غلام ، ولقى الكبار ، وحمل عنهم

أدبار الصلوات الخمس فقد شكرهما^(١). ﴿إِلَى الْمَصِيرِ﴾ أي : مصيرك إلى وحسابك على ﴿وَأِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أراد بنفى العلم به نفيه ، أي : لا تشرك بى ما ليس بشيء ، يريد الأصنام . ﴿فَلَا تَطْغُمَا﴾ فى الشرك ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ صفة مصدر محذوف^(٢) ، أي : صحاباً معروفاً حسناً بخلق جميل وحلم وإحتمال وبرّ وصلة . ﴿وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ أي : سبيل المؤمنين فى دينك ولا تتبع سيئتهما فى دينه^(٣) وإن كنت مأموراً بحسن مصاحبتهما فى الدنيا ، وقال ابن عطاء^(٤) : صاحب من ترى عليه أنوار خدمتى^(٥) . ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ ومرجعهما^(٦) . ﴿فَأَنْبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فأجازيك على^(٧) إيمانك وأجازيهما على كفرهما ، وقد إعترض بهاتين الآيتين على سبيل الإستطراد تأكيداً لما فى وصية لقمان من النهى عن الشرك ، يعنى إنا وصيناها بوالديه وأمرناه أن لا يطعهما فى

علماً جماً وأتقن ، وجوّد ، وجمع وصنف ، وعُمرُ دهرأ ، وأزدحم الخلق عليه وإنتهى إليه علو الإسناد ، وألحق الأحفاد بالأجداد ، توفى سنة ثمان وتسعون ومئة . سير أعلام النبلاء جـ ١ ص ٣٢ ، تهذيب التهذيب جـ ٢ ص ١٣٦ ، حلية الأولياء جـ ٧ ص ٢٧ .

(١) تفسير القرآن العظيم / للسمعاني جـ ٤ ص ٢٣٠ ، معالم التنزيل / جـ ٦ ص ٢٨٧ ، والمحرر الوجيز / جـ ١٣ ص ١٥ ، لباب التأويل جـ ٣ ص ٣٩٨ ، والفتوحات الإلهية / سليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل جـ ٣ ص ٤٠٥ ، مطبعة دار الفكر .

(٢) الدر المصون / جـ ٥ ص ٣٤٨ .

(٣) ساقط من ب ، والمطبوع .

(٤) ابن عطاء : هو أبو عبدالله بن أحمد بن عطاء الروزبادي ، شيخ الشام فى وقته مات بـ صور سنة تسع وستين وثلاثمائة ، الرسالة القشيرية ص ٨٦ وضع حواشيه : خليل المنصور ، مطبعة دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى عام ١٤١٨ هـ .

(٥) وهي عبارة صوفية وقاعدة وصفة غير منضبطة ، لم أقف عليها ولو لم يأتى بها النسفي لكان هو المطلوب .

(٦) فى المطبوع جـ ٣ ص ٢٨١ أي : رجعتك .

(٧) فى (ب) والمطبوع (إلى) .

الشرك وإن جَهداً^(١) كل الجهد لقبحه. ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾
بالرفع مدنى والضمير للقصة ، وأنت المِثْقَال للإضافة إلى الجنة كما قال :
..... كما شَرِقْتُ صدرُ القنَاةِ من الدَّمِ^(٢)

وكان تامّةً والباقون بالنصب^(٣) ، والضمير للحضة من الإساءة والإحسان ، أي :
كانت مثلاً في الصَّغَرِ كحبة خردل^(٤) .

﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي : فكانت في صغرها في
أخفى موضع وأحرزه كجوف الصخرة ، كانت في العالم العلوى أو السفلى ، والأكثر
على أنها الصخرة التي عليها الأرض ، وهى السجّين التي يُكتب فيها أعمال الفجار ،
وليست من الأرض^(٥) . ﴿يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ يوم القيامة فيحاسب بها عاملها

(١) في: (ب) وان جامهك .

(٢) الكشف ج ١ ص ٣٩٥ وقال ابن المنير في الهامش : (صدر القناه مُذَكَّرٌ ، ولكن إكتسب
التأنيث من المضاف إليه ، فلذلك أنت فعله وقال شرقت) .

(٣) قراءة نافع (مِثْقَالٌ) : النشر في القراءات العشر / ج ٢ ص ٣٤٦ ، وانظر : إتحاف فضلاء
البشر / ج ٢ ص ٣٦٢ .

(٤) الخردل : حَبُّ شجر ، ملطف قالع للبلغم ، ملين هاضم ، ماؤه يُسكن وجع الأذان تقطيراً ،
ومسحوقه على الضرس الوجع غاية .

انظر : القاموس المحيط ص ١٢٨٢ مادة : (خردل) باختصار يسير .

(٥) يقول ابن عطية رحمه الله في المحرر الوجيز ج ١٣ ص ١٧ معلقاً على الأتوال حول هذا
الموضوع : (وهذا كله ضعيف لا يثبت سند ، وإنما معنى الكلام : المبالغة والإنتهاء في
التفهم ، أي أنه قدرته - عز وجل - تنال ما يكون في تضاعيف صخرة وما يكون في السماء) .
وهو كلام وجيه منه رحمه الله ، ويقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره ج ٣ ص ٧٠٩ ، معلقاً
أيضاً : (وهذا - والله أعلم - كان متلقى من الإسرائيليات التي لاتصدق ولا تكذب والظاهر
- والله أعلم - : أن المراد أن هذه الحبة في مقارنتها لو كانت في داخل صخرة فإن الله
سيبديها ويظهرها بلطيف علمه) قلت : وهو كلام قيم وتوجيه سليم من ابن كثير عليه رحمة
الله .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ يتوصل^(١) علمه إلى كل خفي . ﴿خَيْرٌ﴾ عالم بكنهه، أو لطيف بإستخرجها ، خبيرٌ بمستقرها . ﴿يُنَيِّىْ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ في ذات الله ، إذا أمرت بالمعروف ، ونهيت عن المنكر ، أو على ما أصابك من المحن ، فإنها تورث المنح . ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ الذي أوصيك به .
 [١١٢] ﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ / أي : مما عزمه الله من الأمور ، أي قطعه قطعاً بإيجاب وإلزام أي أمرهم^(٢) به أمراً حتماً ، وهو من تسمية المفعول بالمصدر^(٣) ، وأصله من معزومات الأمور . أي : من مقطوعاتها ومفروضاتها ، وهذا دليل على أن هذه الطاعات كانت مأموراً بها في سائر الأمم .

﴿وَلَا تَصَعَّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ أي : ولا تُعْرِضْ عَنْهُمْ تَكَبُّراً ، تُصَاعِرُ أَبُو عَمْرٍو ونافع وحمزه وعلى^(٤) ، وهو بمعنى تُصَعَّرُ ، والصَّعْرُ : داء يصيب البعير يلوى عنقه منه^(٥) ، والمعنى أقبل على الناس بوجهك تواضعاً ولا تولهم شق وجاهك [و]^(٦) صفحته كما يفعل^(٧) المتكبرون . ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا﴾ أي : تمرح مرحاً ، أو أوقع المصدر موقع الحال^(٨) ، أي : مرحاً ، ولا تمش لأجل المرح والأشر^(٩) . ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ متكبر . ﴿فَخُورٍ﴾ من يغدد منافيه تطاولاً . ﴿وَأَقْصِدْ﴾ القصد التوسط بين العلو والتقصير . ﴿فِي مَشِيكَ﴾ أي : أعدل فيه حتى يكون مشياً بين مشيين لا تدب

(١) في: المطبوع (بتوصيل) .

(٢) في: المطبوع ج٣ ص ٢٨١ أي أمر به .

(٣) الدر المصون / ج٥ ص ٣٨٨ .

(٤) النشر في القراءات العشر / ج٢ ص ٣٦٤ ، ج٢ ص ٣٤٦ . وانظر: إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص ٣٦٣ .

(٥) لسان العرب ج٤ ص ٤٥٦ ، القاموس المحيط ص ٥٤٤ ، مادة : صعر .

(٦) ساقط من (أ) .

(٧) في: المطبوع (يفعله) .

(٨) إعراب القرآن / للنحاس ج٢ ص ٦٠٤ .

(٩) الأشر : البطر وقيل أشد البطر ، انظر لسان العرب / ج٤ ص ٢٠ مادة : أشر .

ديب المتماوتين ولا تثب وثوب الشُّطَارِ^(١). قال عليه السلام: «سرعة المشي تُذِيبُ بهاء المؤمن»^(٢).

وأما قول عائشة رضي الله عنها في عمر رضي الله عنه: (كان إذا مشى أسرع^(٣)). فإنما أراد السرعة المرتفعة عن ديب المتماوت.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: كانوا ينهون عن خيب^(٤) اليهود وديب^(٥)

(١) الشُّطَارُ جمع شاطر: وهو الذي أعيأ أهله ومؤدبه خُبْتًا. انظر لسان العرب / ج ١ ص ٤٤٠٨ . القاموس المحيط / للفيروزبادي في ص ٥٣٣ ، مادة : شطر .

(٢) أخرجه أبونعيم في الحلية ج ١٠ ص ٢٩٠ من طريق أبي معشر .

ويقول ابن حجر رحمه الله في الكافي الشاف ص ١٤٠: (وإسناده ضعيف من طريق أبي معشر)، مطبعة مصطفى الحلبي ، الطبعة الأولى عام ١٣٥٤ هـ ، ورمز إليه السيوطي بالضعف في الجامع الصغير ج ٢ ص ٣٣٤ ، وأخرجه الديلمي في مسند الفردوس ج ٢ ص ٣٣٤ ، تحقيق السعيد بن بسبوني زغلول ، مطبعة دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٦ هـ .

وأخرجه الخطيب البغدادي في: الجامع لأخلاق الراوي وأداب السامع ج ١ ص ٦٢٠ ، تقديم وتحقيق الدكتور محمد عجاج الخطيب ، مطبعة مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى عام ١٤١٢ هـ .

وأخرجه الهندي في كنز العمال ج ١٥ ص ٤١٢ .

وضعه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته ص ٤٨٠ ، مطبعة المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة عام ١٤١٠ هـ .

(٣) ذكره ابن سعد في الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٢٠ في ترجمة عمر رضي الله عنه عن الشفاء بنت

عبدالله تقول: (كان عمر رضي الله عنه: إذا مشى أسرع ، وإذا قال أسمع ، وإذا ضرب أوجع) . دراسة وتحقيق: محمد عبدالقادر عطا ، مطبعة دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى

عام ١٤١٠ هـ . وذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ٧١ .

(٤) خيب: السرعة. انظر: لسان العرب / ج ١ ص ٦١ ، والقاموس المحيط ص ٩٩ مادة: خيب.

والقاموس المحيط / ص ٩٩ مادة: خيب .

(٥) ديب: دبّ القوم إلى العدو ديباً إذا مشوا على هنيئهم لم يسرعوا . ويُدبُّ أي: يدرج في المشي

رويلاً . لسان العرب / ج ١ ص ٣٦٩ ، وانظر القاموس المحيط / ص ١٠٥ ، مادة دب.

النصارى^(١) ، ولكن مشياً بين ذلك ، وقيل معناه : وانظر موضع قدميك متواضعاً .
﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ وأنقص منه ، أي : أخفض صوتك . ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾
[أي]^(٢) أوحشها ﴿لصوت الحمير﴾ لأن أوله زفير وآخره شهيق ، كصوت أهل النار ،
وعن الثوري رحمه الله^(٣) : صياح كل شيء تسييح إلا الحمار فإنه يصيح لرؤية الشيطان^(٤) .
ولذلك سماه [الله]^(٥) منكراً . وفي تشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير ، وتمثيل أصواتهم
بالنَّهَّاق : تنبيه على أن رفع الصوت في غاية الكراهة ، يؤيده ما روي أنه عليه السلام : كان
يعجبه أن يكون الرجل خفيض الصوت ، ويكره أن يكون مجهور الصوت^(٦) .

وإنما وحّد صوت الحمير ولم يُجمع ؟ لأنه لم يُرد أن يذكر صوت كل واحد من
آحاد هذا الجنس حتى يُجمع ، بل المراد : أن كل جنس من الحيوان له صوت ، وأنكر
أصوات هذه الأجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيدها .

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ﴾ يعني : الشمس والقمر والنجوم
والسحاب وغير ذلك . ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني : البحار والأنهار والمعادن والدواب

(١) البحر المحيط / ج ٨ ص ٤١٦ . ج ٨ ص ٤١٦ وروح المعاني / ج ١١ ص ٦١ .

(٢) ساقط من (أ) .

(٣) هو سفيان به سعيد بن مسروق الثوري ، شيخ الإسلام ، إمام الحفاظ ، سيد العلماء في زمانه ،
أبو عبد الله الكوفي المجتهد ولد سنة سبع وتسعين إتفاقاً ، ومات سنة إحدى وستين ومئة ،
انظر ترجمته : سير أعلام النبلاء ج ٧ ص ٢٢٩ ، وحلية الأولياء ج ٦ ص ٣٥٦ ، شذرات
الذهب ج ١ ص ٢٥٠ مطبعة دار إحياء التراث العربي ، وتهذيب التهذيب ج ٤ ص ١١١ .

(٤) تفسير السمعي ج ٤ ص ٢٣٤ ، معالم التنزيل ج ٦ ص ٢٩٠ ، المحرر الوجيز ج ١٣
ص ٢٩٠ ، زاد المسير ج ٦ ص ٣٢٣ ، الجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ٧٢ ، لباب التأويل
ج ٣ ص ٣٩٩ .

(٥) ساقط من (أ) .

(٦) انظر : زاد المعاد في هدى خير العباد ج ١ ص ١٨٢ لابن قيم الجوزية ، تحقيق وتعليق شعيب
الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط ، مطبعة مؤسسة الرسالة ، الطبعة الخامسة عشرة عام
١٤٠٧هـ .

وغير ذلك. ﴿وَأَسْبَغَ﴾ وأتم. ﴿عَلَيْكُمْ نِعْمَةٌ﴾ مدني وأبو عمرو وسهل وحفص ،
(نِعْمَةٌ) غيرهم^(١) .

والنعمة : كل نفع قُصِدَ به الإحسان. ﴿ظَاهِرَةً﴾ بالمشاهدة. ﴿وَبَاطِنَةً﴾ مالا يُعْلَمُ إلا بدليل . ثم قيل الظاهرة : البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة ،
والباطنة : القلب والعقل والفهم وما أشبه ذلك^(٢) .

ويُروى في دعاء موسى عليه السلام : إلهي ذُنِّي على أخفى نعمتك على عبادك
فقال أخفى نعمتي عليهم النفس/^(٣) ، وقيل : تخفيف الشرائع وتضعيف الذرائع ،
والخَلْقُ والخُلُقُ ، ونيل العطايا وصون البلايا وقبول الخلق ورضا الرب ، وقال ابن عباس
رضي الله عنهما : الظاهرة ما سَوَى من خلقك والباطنة ما سَتَرَ من عيوبك^(٤) . ﴿وَمِنَ
النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ نزلت في النضر بن
الحارث وقد مرَّ في الحج^(٥) . ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا
وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ معناه : ولو كان

[١١٢/ب]

(١) النشر في القراءات العشر / ج ٢ ص ٣٤٦ . ويقول ابن الجزري رحمه الله : (واختلفوا في
(عَلَيْكُمْ نِعْمَةٌ) فقرأ المدنيان وأبو عمرو وحفص بفتح العين وها مضمومه ﴿أي : كما هي
في المصحف﴾ على التذكير ، وقرأ الباقون : (وهو مقصد النسفي من غيرهم) باسكان
العين وتاء منصوبه على التأنيث والتوحيد) ، انظر إتحاف فضلاء البشر ج ٢ ص ٣٦٣ .

(٢) النكت والعيون ج ٤ ص ٣٤٢ ، وقد سرد الماوردي رحمه الله في ذلك تسعة أقوال فليرجع
إليه لتمام الفائدة ، الوسيط ج ٣ ص ٤٤٧ ، غرائب القرآن ج ٥ ص ٤٢٩ . معالم التنزيل /
ج ٦ ص ٢٩٠ ، المحرر الوجيز ج ١٣ ص ١٢٠ ، زاد المسير ج ٦ ص ٣٢٤ ، الجامع لأحكام
القرآن ج ١٤ ص ٧٣ ، البحر المحيط ج ٨ ص ٤١٨ .

(٣) الكشاف / للزمخشري ج ٣ ص ٤٩٩ ، ولم أقف على هذا القول عند المفسرين غير
الزمخشري ونقل ذلك عنه النسفي رحمه الله .

(٤) انظر : تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ص ٤٣٤ ، مطبعة دار الكتب ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١٢ هـ .

(٥) أي في سورة الحج : عند قوله تعالى : ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى
ولا كتاب منير﴾ الآية رقم (٨) ، ج ٣ ص ٩٤ الكتاب المطبوع .

الشیطان يدعوهم ، أبی : فی حال دعاء الشیطان إیاهم إلی العذاب . ﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ عُدِّي هُنَا بِإِلَى ، وَفِي : ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ﴾ (١) باللام ، فمعناه مع اللام أنه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالماً أي : خالصاً له ، ومعناه : مع أنه سلّم إلیه نفسه كما یسلم المتاع إلی الرجل ، إذا دفع إلیه ، والمراد التوکل علیه ، والتفویض إلیه . ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ فیما یعمل . ﴿ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ ﴾ تمسك وتعلق . ﴿ بِالْعُرْوَةِ ﴾ هی ما [يُتَعَلَّقُ] (٢) به الشيء . ﴿ الْوُثْقَى ﴾ تأنیث الأوثق . مثل حال المتوکل بحال من أراد أن یتدلّى من شاطئ ، فاحتاط لنفسه بأن إستمسك بأوثق عروة ، من جبل متین مأمون إنقطاعه . ﴿ وَإِلَى اللَّهِ عِقْبَةُ الْأُمُورِ ﴾ أي : هی صائرة إلیه فیجازي علیها . ﴿ وَمَنْ كَفَرَ ﴾ ولم یسلم وجهه لله . ﴿ فَلَا يُحْزِنُكَ كُفْرُهُ ﴾ من حَزَنَ (يُحْزِنُكَ) نافع (٣) ، من أحزن ، أي : لا یهمنك کُفْرُ مَنْ كَفَرَهُ .

﴿ إِنَّا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ﴾ فنعاقيهم على أعمالهم . ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ أي (٤) : إن الله یعلم ما فی صدور عباده فیفعل بهم على حسبه . ﴿ نُمَتِّعُهُمْ ﴾ زماناً . ﴿ قَلِيلاً ﴾ بدنیاهم . ﴿ ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ ﴾ نلجئهم . ﴿ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ شدید ، شَبَّهَ إلزامهم التعذيب وإرهاقهم إياه باضطراب المضطر إلی الشيء ، والغَلْظُ مستعار من الأجرام الغليظه ، والمراد : الشدة والثقل على المعذب ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ

(١) سورة البقرة الآية : ١١٢ .

(٢) في (أ) : تعلق . ويقول ابن عطية في المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ٢١ ، وص ٢٢ (والعري : موضع التعليق فكان المؤمن متعلق بأمر الله فشبه ذلك بالعروة) .

(٣) بضم الياء ، وكسر الزاي من : (أحزن) وهى قراءة نافع . انظر إتحاف فضلاء البشر جـ ٢ ص ٣٦٣ .

(٤) ساقط من : المطبوع .

وحده ، وأنه يجب أن يكون له الحمد والشكر ، وأن لا يُعْبَد معه غيره . ثم قال : ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أن ذلك يلزمهم فإذا^(٢) نبهوا عليه لم ينتبهوا ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾ عن حمد الحامدين . ﴿ الْحَمِيدُ ﴾ المستحق للحمد وإن لم يحمده .

قال المشركون : إن هذا الوحي كلام سينفذ . فَأَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّ كَلَامَهُ لَا يَنْفَدُ^(٣) . بقوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ (والبحرم) [بالنصب]^(٤) أبو عمرو يعقوب عطفاً على إسم أن وهو : ما ، والرفع على محل أن ومعمولها ، أي : ولو ثبت كون الأشجار أقلاماً وثبت البحر ممدوداً بسبعة أبحر ، أو على الإبتداء^(٥) والواو للحال على معنى : ولو أن الأشجار / أقلام في حال كون البحر ممدوداً ، وقرئ يُمِدُّهُ^(٦) ، وكان مقتضى الكلام أن يقال ولو أن الشجر أقلام ، والبحر مداد ، لكن أغنى عن ذكر المداد وقوله ﴿ يَمُدُّهُ ﴾ لأنه من قولك مدّ الدواء وأمدّها جعل البحر الأعظم بمنزلة الدواء ، وجعل الأبحر السبعة مملوءة مداداً ، فهي تصب في مدادها أبداً صبا لا ينقطع ، والمعنى : ولو أن أشجار الأرض أقلام والبحر ممدود بسبعة أبحر وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات الله لَمَا نَفِدَتْ كلماته ونفدت الأقلام والمداد كقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ

(١) ساقط من (ب) والمطبوع .

(٢) في المطبوع (وإذا) .

(٣) جامع البيان / جـ ٢١ ص ٨ ، وبحر العلوم / جـ ٣ ص ٢٤ تفسير القرآن / للسمعاني جـ ٥ ص ٥٣٧ . ومعالم التنزيل / جـ ٦ ص ٢٩٤ . والمحزر الوجيز / جـ ١٣ ص ٢٣ ، وزاد المسير / جـ ٦ ص ٣٢٥ ، والجامع لأحكام القرآن / للقرظي جـ ١٤ ص ٧٧١ .

(٤) ساقط من (أ) و (ب) و (ج) .

(٥) انظر : النشر جـ ٢ ص ٣٤٦ ، والإتحاف جـ ٢ ص ٣٦٤ .

(٦) نفس المصدر السابق .

كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي ﴿١﴾ .
فإن قلت زعمت أن قوله ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ﴾ حال في أحد وجهي الرفع ، وليس فيه ضمير راجع إلى ذى الحال ؟ .

قلت : كقوله جئتُ والجيشُ مُصْطَفًى وما أشبه ذلك من الأحوال التى حكمها حكم الظروف وإنما ذكر شجرة على التوحيد ، لأنه : أريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة إلا قد^(٢) بُرِيَتْ أَقْلَامًا ، وأوثر الكلمات وهى جمع قله على الكلم وهى جمع كثرة ، لأن معناه : أن كلماته لاتفى بكتبتها البحارُ فكيف بكلمه ؟ .

﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء . ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يخرج عن علمه وحكمته شيء .
فلا تنفذ كلماته وحكمه . ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً﴾ أي^(٣) : إلا كخلق نفس واحدة ، وبعث نفس واحدة ، فَحُذِفَ لِلْعِلْمِ بِهِ ، أي : سواء في قدرته القليل والكثير ، فلا يشغله شأن عن شأن .

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقول المشركين إنه لا بعث ﴿بَصِيرٌ﴾ بأعمالهم فيجازيهم .
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ يُدْخِلُ ظِلْمَةَ اللَّيْلِ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ .

﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ لمنافع العباد ﴿كُلٌّ﴾ أي : كل واحد من الشمس والقمر ﴿يَجْرِي﴾ في فلكه ويقطعه .
﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى يوم القيامة ، أو إلى وقت معلوم ، الشمس إلى آخر السنة والقمر إلى آخر الشهر .

﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ وبالبياء عياش^(٤) ، دلٌّ أيضاً بتعاقب الليل والنهار

(١) سورة الكهف آية ١٠٩ وإكمال الآية: ﴿... ولو جئنا بمثله مدداً﴾ .

(٢) ساقط من: (ب) . .

(٣) ساقط من: المطبوع .

(٤) المحرر الوجيز / ج١٣ ص ٢٤ . والبحر المحيط / ج٨ ص ٤٢٢ . وذكر ابن عطية

وزيادتهما ونقصانهما ، وجرى النيرين في فلكيهما على تقدير وحساب^(١) ويأحاطته بجميع أعمال الخلق على عِظَمِ قدرته وكمال حكمته .

﴿ ذَلِكْ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ ﴾ بالياء عراقى غير أبي بكر^(٢) . ﴿ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ أي : ذلك الوصف الذى وُصِفَ^(٣) من عجائب قدرته وحكمته التى يعجز عنها الأحياء القادرون العالمون ، فكيف بالجماد الذى يدعونه من دون الله !؟ .

إنما هو بسبب أنه هو الحق الثابت إلهيته^(٤) ، وأنّ من دونه باطل الإلهية ، وأن الله^(٥) هو العلي الشأن الكبير السلطان .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ ﴾ وقرئ^(٦) (الْفُلُكُ) ، وكلُّ فُعْلٍ يجوز فيه فُعْلٌ ، كما يجوز فى كل فُعْلٍ فُعْلٌ^(٧) .

﴿ تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ ﴾ بإحسانه / ورحمته ، أو بالريح لأن الريح من نعم الله^(٨) . ﴿ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ ﴾ عجائب قدرته فى البحر إذا ركبتموها . ﴿ إِنَّ فِي

﴿ وأبو حيان قراءة عياش عن أبي عمرو بالياء (بما يعملون) بياء الغيبة ، وفى جـ : وبالياء ابن عباس رضى الله عنهما وهو خطأ .

(١) فى : (ب) (حسبان) .

(٢) النشر فى القراءات العشر / جـ ٢ ص ٣٤٧ . وإتحاف فضلاء البشر / جـ ٢ ص ٣٦٤ . ومقصده بالعراقى : (أبو عمر وحفص والنسائي ويعقوب وخلف) .

(٣) فى المطبوع : أى ذلك الوصف الذى وصف به .

(٤) فى المطبوع : (الإلهية) .

(٥) فى المطبوع [وأنه هو] .

(٦) قراءة شاذة ، انظر : المحتسب فى تبين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها لأبي الفتح عثمان بن جني جـ ٢ ص ١٧٠ ، تحقيق على النجدي والدكتور عبدالفتاح شلبي مطبعة القاهرة عام ١٣٨٦ هـ .

(٧) يقول ابن عطية رحمه الله فى المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ٢٥ (الرؤية فى قوله : (الم تر) رؤية العين يتركب عليها النظر والاعتبار ، والمخاطب محمد ﷺ والمراد الناس أجمع) .

(٨) يقول ابن جزى الكلبي رحمه الله فى التسهيل جـ ٣ ص ١٢٩ : (يحتمل أن يريد بذلك ما

ذَلِكَ لَأَيَّتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ ﴿١﴾ عَلَى بَلَائِهِ . ﴿شُكُورٍ﴾ لِنِعْمَائِهِ وَهُمَا صِفَتَا الْمُؤْمِنِ ،
فَالْإِيمَانُ نِصْفَانُ : نِصْفُ شُكْرٍ وَنِصْفُ صَبْرٍ ^(١) ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ
مُؤْمِنٍ .

﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ﴾ أَي : الْكِفَارُ . ﴿مَوْجٌ كَأَظْلَلٍ﴾ الْمَوْجُ يَرْتَفِعُ فَيَعُودُ مِثْلَ
الظَّلْلِ ، وَالظُّلَّةُ : كُلُّ مَا أَظْلَكَ مِنْ جَبَلٍ ، أَوْ سَحَابٍ ، أَوْ غَيْرِهِمَا .
﴿دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ أَي : بَاقٍ
عَلَى الْإِيمَانِ وَالْإِحْلَاصِ . الَّذِي كَانَ مِنْهُ ، وَلَمْ يُعُدْ إِلَى الْكُفْرِ [أَوْ مُتَوَسِّطٍ فِي الْكُفْرِ
وَالظُّلْمِ] يُنْجِزُ بَعْضَ الْإِنْجَارِ . وَلَا يَغْلُو فِي الْكُفْرِ ^(٢) . أَوْ مُقْتَصِدٌ فِي الْإِحْلَاصِ الَّذِي
كَانَ عَلَيْهِ فِي الْبَحْرِ ، يَعْنِي أَنَّ ذَلِكَ الْإِحْلَاصَ الْحَادِثَ عِنْدَ الْخَوْفِ لَا يَبْقَى لِأَحَدٍ قَطُّ ،
وَالْمُقْتَصِدُ قَلِيلٌ نَادِرٌ .

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ أَي : بِحَقِيقَتِهَا . ﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾ غَدَارٌ ، وَالْخَتْرُ أَقْبَحُ الْغَدْرِ ^(٣) .
﴿كَفُورٍ﴾ لِرَبِّهِ . ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ

تحملة السفن من الطعام والتجارات والباء للالصاق أو المصاحبه ، او يريد الريح فتكون الباء
سببيه) . مطبعة دار الفكر .

(١) أصله حديث مروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه ولفظه قال : قال رسول الله ﷺ : «
الإيمان نصفان: فنصف في الصبر، ونصف في الشكر» . أخرجه البيهقي في شعب الإيمان
ج٧ ص١٢٣ ، مطبعة دار الكتب العلمية الطبعة الأولى عام ١٤١٠ هـ ، وأخرجه السيوطي في
الجامع الصغير ج١ ص١٨٦ ورمز إليه بالضعف مطبعة دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى عام
١٤١٠ هـ ، وأخرجه الهندي في كنز العمال : ج١ ص٣٦ ، وقال الألباني رحمه الله في
ضعيف الجامع الصغير ص٣٣٩ : (ضعيف جداً) .

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من المطبوع .

(٣) انظر معاني القرآن / لأبي جعفر النحاس ج٥ ص٢٩٣ . من مطبوعات معهد البحث العلمي
بجامعة أم القرى تحقيق : محمد علي الصابوني ، الطبعة الأولى عام ١٤١٠ هـ ، ويقول ابن
منظور : الخترُ شبيه بالصدر ، وقيل : هو الخديعة بعينها ، وقيل : هو أسوأ الغدر وأقبحه ،
وختار للمبالغة لسان العرب ، ج٤ ص٢٢٩ ، مادة ختر .

وَلَدِهِ ﴿١﴾ ، أي (١) : لا يقضى شيئاً ، والمعنى : لا يجزى فيه فحذف .

﴿ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئاً ﴾ وارد على طريق من التوكيد . لم يرد عليه ماهر معطوف عليه (٢) . لأن الجملة الإسمية أكد من [الجملة] (٣) الفعلية ، وقد إنظم إلى ذلك قوله : ﴿ هُوَ ﴾ وقوله : ﴿ مَوْلُودٌ ﴾ ، والسبب في ذلك : أن الخطاب للمؤمنين وَعَلَيْتِهِمْ قبض آباءهم على الكفر ، فأريد حَسْمُ أطماعهم أن ينفعوا آباءهم بالشفاعة في الآخرة ، ومعنى التأكيد في لفظ المولود : أن الواحد منهم لو شفع للأب الأدنى منه لم تقبل شفاعته ، فضلاً أن يشفع لأجداده ، إذ الولد يقع على الولد وَوَلَدِ الْوَلَدِ ، بخلاف المولود فإنه لمن وُلِدَ منك ، كذا في الكشاف (٤) .

﴿ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ ﴾ بالبعث والحساب والجزاء .

﴿ حَقٌّ ﴾ (٥) فَلَا تُغْرِنَكُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿ بزيتها ، فإن [نعمتها] (٦) دانية ، ولذتها فانية . ﴿ وَلَا يَغْرِنَكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ الشيطان ، أو الدنيا .

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ أي : وقت قيامها . ﴿ وَيُنزِّلُ ﴾ بالتشديد شامي ومدني ، وعاصم (٧) ، وهو عطف على ما يقتضيه الظرف من الفعل تقديره : إن الله اثبت عنده علم الساعة ويُنزِّلُ : ﴿ الْغَيْثَ ﴾ في إبانِه (٨) من غير تقديم ولا تأخير .

(١) ساقط من: (أ) .

(٢) ساقط من: (ب) .

(٣) ساقط من: (أ) .

(٤) الكشاف ج ٣ ص ٥٠٤ .

(٥) ساقط من: (ب) و (ج) .

(٦) في: (أ) (نعيهما) وما أثبتته: من (ب) (جم) والمطبوع (ع) .

(٧) النشر في القراءات العشر / ج ٢ ص ٢١٨ ، وإتحاف فضلاء البشر ج ٢ ص ٣٦٤ . وذكر

صاحب الإتحاف : هناك قراءة بالتخفيف وهي قراءة ابن كثير ، وأبو عمرو وحمزة والنسائي ويعقوب وخلف .

(٨) إبانُ كل شيء بالكسر والتشديد : وقته وحينه الذي يكون فيه . انظر لسان العرب ج ١٣

ص ٤ مادة : أبَنَ .

﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾ أذكر أم أنثى ، أتام أم ناقص .
 ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ ﴾ برة أو فاجرة . ﴿ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾ من خير أو شر ،
 وربما كانت عازمة على خير فعملت شراً وعازمة على شر فعملت خيراً .
 ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ أي : أين تموت ، وربما أقامت بأرض
 وضربت أوتادها وقالت : لا أبرحها فترمي بها مرامي القدر حتى تموت في مكان لم
 يخطر ببالها .

رؤى أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ مرَّ على سليمان عليه السلام فجعل / ينظر إلى رجل من
 جلسائه ، فقال الرجل : مَنْ هذا ؟ قال له مَلَكُ الْمَوْتِ ، قال : كأنه يريدني ، وسأل
 سليمان عليه السلام أن يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ، ففعل ، ثم قال مُلْكُ
 الْمَوْتِ لسليمان كان دوام نظري إليه تعجباً منه لأنني أمرتُ أن أقبضَ روحَهُ بالهند وهو
 عندك^(١) ، وَجَعَلَ الْعِلْمَ لِلَّهِ وَالِدْرَايَةَ^(٢) لِلْعَبِيدِ ، مافي الدراية من معنى الختل^(٣) والحيلة .
 والمعنى أنها لاتعرف ، وإن أعملت حيلها مايختص بها ، ولاشيء أحص بالإنسان من
 كسبه وعاقبته ، فإذا لم يكن له طريق إلى معرفتها كان معرفة ماعداهما أبعد ، وأما
 الْمُنَجَّمُ^(٤) : الذي يخبر بوقت الغيث والموت فإنه يقول بالقياس ، والنظر في

(١) أخرجه الإمام أحمد في الزهد / ص ٥٢ ، مطبعة دار الكتب العلمية . الطبعة الثانية عام
 ١٤١٤ هـ . وأخرجه بن أبي شيبة في مصنفه ج ٨ ص ١١٨ تحقيق وتعليق : سعيد محمد
 اللحام ، مطبعة دار الفكر الطبعة الأولى عام ١٤٠٩ هـ ، ذكره السمرقندي في بحر العلوم ج ٣
 ص ٢٦ ، والنيسابوري غرائب القرآن ج ٥ ص ٤٣٢ ، تخريج الشيخ زكريا عميرات ، مطبعة
 دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ .

(٢) الدراية : قال ابن منظور : دَرَى الشَّيْءَ دَرِيًّا وَدَرِيًّا ، وَدَرِيَّةٌ وَدَرِيَانَةٌ وَدَرَايَةٌ : عِلْمُهُ ، وَيُقَالُ :
 دَرَيْتُ الشَّيْءَ أَدْرِيهِ عَرَفْتَهُ .

لسان العرب ج ١٢ ص ٥٤ ، مادة : دري .

(٣) الختل : الذي هو الخديعة ، ويُقال للرجل إذا تسمَّع لسر قومٍ قد اختل ، انظر : لسان العرب /
 ج ١١ ص ٢٠ . مادة ختل .

(٤) المنجم : يقول ابن تيمية رحمه الله الفتاوى الكبرى ج ٣ ص ١٩٤ : (هو الذي يستدل على

الطالع ، وما يُدرك بالدليل لا يكون غيباً ، على أنه مجرد الظن ، والظن غير العلم .
وعن النبي ﷺ : « مفاتيح الغيب خمس »^(١) وتلا هذه الآية .
وعن ابن عباس رضي الله عنهما : « من إدَّعى علم هذه الخمسة فقد كذب »^(٢) .
ورأى المنصور^(٣) : فسـى منامه صـورة مـلـك

⇐ الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية ، والتمريح بين القوى الفلكية والقوابل الأرضية ، صناعة محرمة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة بل هي محرمة على لسان جميع المرسلين في جميع الملل ...) . ومن أراد المزيد فليرجع إليه لتمام الفائدة .
وقد قسّم الشيخ ابن باز رحمه الله علم النجوم إلى عِلْمَيْنِ (أ) : علم يُعرف به سيرها ومدارها ومنازلها وأبعادها وأحجامها . وهذا علم الفلك لا بأس بتعلمه والعمل به .
(ب) : وعلم يُعرف بالعلم الروحاني يزعمون أنه معرفة روحانية النجوم والكواكب وتأثيرها في الأرض ، ومن عليها بالأمراض والحروب والضيق والسعة ، والموت والحياة والسعادة والشقاوة بين الزوجين إذا عُقد قرانهما عند إقتران كذا من النجوم والكواكب بكذا ، ولهم في ذلك ما يسمونه بالطالع ، ويعملون جدولاً بالحوادث التي ستحدث في العام كله من حوادث عامه وحاصه ، وهذا هو الدجل والكذب . وهو نوع من السحر وإستخدام الشياطين والقول على الله بلا علم) ، انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد / للشيخ عبدالرحمن آل الشيخ ص ٢٧٨ ، راجع حواشيه وصححها وعلق عليها سماحة الشيخ : عبدالعزيز بن باز رحمه الله، مطبعة دار الحديث ، الطبعة الأولى عام ١٤١٢ هـ .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ج ٣ ص ١٤١٣ . كتاب التفسير باب « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو » ، مطبعة المكتبة العصرية ، مراجعة وضبط وفهرسة الشيخ : محمد علي قطب ، الشيخ : هشام البجادى ، مطبعة المكتبة العصرية ، طبعة عام ١٤١٥ هـ ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ٢ ص ٢٤ ، وص ٥٢ ، وص ٥٨ ، وص ١٢٢ ، الناشر دار الباز ، الطبعة الثانية عام ١٣٩٨ هـ ، وأخرجه البغوي في شرح السنة ج ٤ ص ٤٢٢ تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط ، مطبعة المكتب الإسلامي الطبعة الثانية ، عام ١٤٠٣ هـ .

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ في كتب الحديث .

(٣) المنصور الخليفة : أبو جعفر عبدالله بن محمد بن علي الهاشمي العباسي المنصور ، وأمه

[الموت] ^(١) سأله عن مدة عمره فأشار بأصابعه الخمس ، فعبرها المعبرون : بخمس سنين ، وبخمس أشهر ، وبخمس أيام ، فقال أبوحنيفة ^(٢) رضي الله عنه : هو إشارة إلى هذه الآية ^(٣) . فإن هذه العلوم الخمسة لا يعلمها إلا الله ^(٤) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ ﴾ بالغيوب (خبيرٌ) بما كان ويكون .

وعن الزهري ^(٥) رضي الله عنه : أكثروا قراءة سورة لقمان فإن فيها أعاجيب ^(٦) .

← سلامه البربريه ، ولد سنة خمس وتسعين أونحوها ، ضرب بالآفاق ورأى البلاد وطلب العلم ، وكان فحل بنى العباس ، هية وشجاعة ورأياً وحزماً ودهاءاً وجبروتاً وكان جماعاً للمال حريصاً تاركاً للهو واللعب كامل العقل حسن المشاركة في الفقه والأدب والعلم .

انظر تاريخ الطبري جـ ٤ ص ٣٧٥ وما بعدها مطبعة دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧ هـ ، والكامل / لابن الأثير جـ ٥ ص ٩٩ وما بعدها ، راجعه وحققه : د. محمد يوسف الدقاق ، مطبعة دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧ هـ ، وسير أعلام النبلاء جـ ٧ ص ٨٣ .

(١) ساقط من : (أ) و(ب) .

(٢) أبوحنيفة : الإمام فقيه المله ، عالم العراق ، أبوحنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى التيمى ، الكوفى ولد سنة ثمانين في حياة صغار الصحابة ، ورأى أنس بن مالك لما قدم عليهم في الكوفة ، وعنى بطلب الآثار ، وأرتحل في ذلك . توفى سنة خمسين ومئة ، انظر : الكامل / لابن الأثير جـ ٥ ص ٥٨٥ ، وسير أعلام النبلاء جـ ٦ ص ٣٩٠ . وتهذيب التهذيب / لابن حجر جـ ٤ ص ٩٨ .

(٣) وهى قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ... ﴾ الآية من سورة لقمان .

(٤) غرائب القرآن جـ ٥ ص ٤٣١ .

(٥) الزهري : محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب .. الإمام العلم ، حافظ زمانه أبو بكر القرشي الزهري المدني نزيل الشام ، ولد سنة خمسين وقيل إحدى وخمسين من الهجرة ، وهو من رؤس الطبعة الرابعة ، وتوفى سنة خمس وعشرين بعد المئة . انظر حلية الأولياء / جـ ٣ سنة ٣٦٠ ، صفة الصفوة / لابن الجوزي جـ ٢ ص ٧٧ مطبعة مؤسسة الكتب الثقافية ، الطبعة الأولى عام ١٤١٢ هـ ، وسير أعلام النبلاء / جـ ٥ ص ٣٢٦ ، وتهذيب التهذيب / جـ ٩ ص ٤٤٥ ، تقريب التهذيب ص ٥٠٦ .

(٦) لم أف عليه .

سورة السجدة مكية^(١) وهي ثلاثون آية مدني وكوفي ، وتسع وعشرون آية بصرى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ ﴾ على إنها إسم مبتدأ وخبره : ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ ﴾ وإن جعلتها تعديداً للحروف إرتفع تنزيل بأنه خبر مبتدأ محذوف^(٢) ، أو هو مبتدأ خبره .

﴿ لَأَرْيبَ فِيهِ ﴾ أو يرتفع بالإبتداء وخبره : ﴿ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ولأريب فيه إعتراض لامحل له والضمير في فيه راجع إلى مضمون الجملة^(٣) ، كأنه قيل : لأريب في ذلك، أي : في كونه منزلاً من رب العالمين، لأنه معجز للبشر ، ومثله أبعد شيء من الريب، ثم أضرب عن ذلك إلى قوله : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾ أي : إختلقه محمد عليه السلام

(١) يقول السيوطي في الدر المنثور : ج٦ ص ٥٣٤ : (أخرج ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نزلت " ألم " السجدة بمكة) .

وأخرج ابن مردويه عن عبدالله بن الزبير رضي الله عنه مثله .

وذكر النحاس في معاني القرآن ج٥ ص ٢٩٧ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (نزلت سورة السجدة بمكة سوى ثلاث آيات : ((أفمن كان مؤمناً)) إلى تمام الآيات الثلاث) .

وقال الماوردي رحمه الله في النكت والعيون ج٤ ص ٣٥٢ : (مكية في قول الجميع إلا الكلبي ومقاتل فإنهما قالا : إلا ثلاث آيات من قوله : ﴿ أفمن كان مؤمناً ﴾ إلى آخرهن ، وقال غيرهما : إلا خمسة آيات من قوله : ﴿ تتجافى جنوبهم ﴾ إلى : ﴿ الذى كنتم به تكذبون ﴾) .

ونسب الإجماع بمكيتها ابن الجوزي في زاد المسير ج٦ ص ٣٢٣ ، وقال رحمه الله : (وتسمى بسورة المضاجع) .

(٢) أي : هذه ألم .

(٣) انظر : إعراب القرآن / للنحاس ج٢ ص ٦٠٩ ، التبيان في إعراب القرآن / ج٢ ص ١٠٤٧ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ١٩ ، الدر المصون / ج٥ ص ٣٩٣ .

لأن أم : هي المنقطعة الكاينة بمعنى بل والهمزة ، معناه بل أيقولون ، إنكاراً لقولهم وتعجباً منه لظهور أمره في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه .

﴿ بَلْ هُوَ الْحَقُّ ﴾ ثم أضرب عن الإنكار إلى إثبات أنه الحق .

﴿ مِنْ رَبِّكَ ﴾ ولم يفتره محمد ﷺ كما قالوا تعنتاً وجهلاً .

﴿ لِيُنذِرَ قَوْمًا ﴾ أي العرب . ﴿ مَا أَنَّهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ ﴾ ما للنفي ، والجملة

صفة لقوماً^(١) . ﴿ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ على الترجي من رسول الله ﷺ وكما كان : ﴿ لَعَلَّهُ

يَتَذَكَّرُ ﴾^(٢) على الترجي من موسى وهارون عليهما السلام .

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ

[١١٤/ب]

الْعَرْشِ ﴾ استوى عليه بإحداثه^(٣) . ﴿ مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ ﴾ من دون الله .

(١) انظر : التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٤٧ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٢٠ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٣٩٤ .

(٢) سورة طه آية ٤٤ والآية: ﴿ لعله يتذكر أو يخشى ﴾ ويقول ابو حيان : (ترجية من رسول الله ، كما كان في قوله: ﴿ لعله يتذكر أو يخشى ﴾ من موسى وهارون) ، البحر المحيط جـ ٨ ص ٤٣٠ .

(٣) هو استواء حقيقة لامجازاً ، يقول ابن تيمية رحمه الله : (إن سائلاً سأل مالكاً رحمه الله عند قوله: ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ كيف استوى ؟ فأطرق مالك حتى علاه الرحضا ، ثم قال : الإستواء معلوم والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعه ، وما أراك إلا رجل سوء ثم أمر به فأخرج ، ويضيف ابن تيمية رحمه الله : وهكذا سائر الأئمة قولهم يوافق مالك في أننا لانعلم كيفية استوائه كما لانعلم كيفية ذاته ، ولكن نعلم المعنى الذي دل عليه الخطاب فنعلم معنى الإستواء ولا نعلم كيفيته) ، الفتاوى الكبرى جـ ٥ ص ٣٦٥ .

وقول الإمام مالك : أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات جـ ٢ ص ١٥٠ تحقيق وفهرسه : الشيخ عماد الدين حيدر ، مطبعة دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٥ هـ ، بإسناد جوده الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح جـ ١٣ ص ٤٠٧ بترقيم : محمد فؤاد عبدالباقي ، مطبعة دار الفكر ، وذكره ابن القيم رحمه الله في إجتماع الجيوش الإسلامية على غزوا المعطلة والجهمية ص ١٣٢ تحقيق فواز زمرلى ، مطبعة دار الكتاب العربي الطبعة الأولى ، عام ١٤٠٨ هـ ، وفي

﴿ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ﴾ أي : إذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لأنفسكم ولياً أي ناصرًا ينصركم ، ولا شفيعاً يشفع لكم .

﴿ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ تتعظون بمواعظ الله . ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ﴾ أي : أمر الدنيا ﴿ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ . إلى أن تقوم الساعة .

﴿ ثُمَّ يُعْرَجُ إِلَيْهِ ﴾ ذلك الأمر لله ، أي : يصير إليه ليحكم فيه .

﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ وهو يوم القيامة^(١) .

﴿ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ من أيام الدنيا ، ولا تمسك للمشبه^(٢) بقوله : ﴿ إِلَيْهِ ﴾ في إثبات

⇐ شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٣ ، للعلامة : ابن أبي العز الحنفي ، حققها وراجعها : جماعة من العلماء ، خرج أحاديثها : محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله ، مطبعة مكتبة الدعوة الإسلامية .

قلت : وهذا رد على من يؤل الإستواء ، بمعنى الإستيلاء وهم المعطله ومن شايعهم فأهل السنة والجماعة يومنون بأن الله مستو على عرشه إستواءً يليق بجلاله وعظيم سلطانه ولا يماثل إستواء المخلوقين .

انظر : إجتماع الحيوش الإسلامية / لابن القيم ص ١٣٦ وما بعدها ، ولابن القيم كلام قيم ونفيس وكتابه مختصر الصواعق المرسله ج ٢ ص ١٦٢ الناشر مكتبة الرياض الحديثة حيث ذكر في بطلان هذه الوجهة

إثنين وأربعين وجهاً فليعد إليه لتمام الفائدة ، ولوامع الأنوار البهية / للإمام الشيخ محمد السفاريني ج ١ ص ١٩٠ وما بعدها ، مطبعة المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة عام ١٤١١هـ ، وشرح العقيدة الواسطية

للشيخ محمد صالح العثيمين ج ١ ص ٣٣٣ وما بعدها ، مطبعة دار طيبة ، الطبعة الأولى عام ١٤١٣هـ فمن أراد المزيد حول هذا الموضوع فليرفع إلى هذه الكتب ، وغير ذلك من كتب العقيدة في هذا الموضوع .

(١) يقول البغوي في معالم التنزيل ج ٦ ص ٣٠١ : (ويجوز أن يكون هذا إخباراً عن شدته وهولِهِ ومشقتة ،

وقال ابن مليكة : دخلت أنا وعبدالله بن فيروز مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه على ابن عباس رضي

الله عنه فسأله ابن فيروز عن هذه الآية وعن قوله : ﴿ خمسين ألف سنة ﴾ ؟ فقال ابن عباس رضي الله

عنهما : أيام سماها الله لا أدري ماهي وأكره أن أقول في كتاب الله مالا أعلم) ، وقد جمع الشنقيطي

رحمه الله في أضواء البيان ج ٦ ص ٥٠٣ و ص ٥٠٤ بين هاتين الآيتين وقوله تعالى : في سورة الحج :

﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ حيث قال : (الجمع بين هذه الآيات من وجهين الأول

: هو ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما من أن يوم

الألف في سورة الحج هو أحد الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض ويوم الألف في سورة

السجدة هو مقدار سير الأمر وعروجه إليه تعالى ، ويوم الخميسين ألفاً هو يوم القيامة .

الوجه الثاني : أن المراد بجمعها يوم القيامة ، وأن الإختلاف ياعتبار حال المؤمن والكافر ويدل لهذا

الوجه قوله تعالى : ﴿ فذلِكَ يَوْمٌ مِثْلُ يَوْمِ عَسِيرٍ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ .

(٢) يقصد بالمشبهه أهل السنة والجماعة ... وبذلك ينفي الجهة ، أي جهة العلو ، والعياذ بالله .

الجهة، لأن معناه أو امره كما لا تشبث لهم بقوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾^(١) ﴿إِنِّي﴾^(٢) ﴿فَهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾^(٣) ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَىٰ اللَّهِ﴾^(٤).

﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: الموصوف بما مرَّ، عالم ما غاب عن الخلق وما شاهدوه. ﴿الْعَزِيزُ﴾ الغالب أمره وتدييره^(٤). ﴿الرَّحِيمُ﴾ البالغ لطفه وتيسيره، رقيق لا وقف عليه^(٥)، لأن:

﴿الَّذِي﴾ صفته: ﴿أَحْسَنَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: حسَّنه، لأن كل شيء مرتب على ما اقتضته الحكمة. ﴿خَلَقَهُ﴾ كوفي، ونافع، وسهل على الوصف، أي: كل

(١) سورة الصافات آية ٩٩ .

(٢) سورة العنكبوت آية ٢٩ .

(٣) سورة النساء آية ١٠٠ . وبهذا القول ينفي النسفي إثبات الجهة، وهو خلاف مذهب أهل السنة والجماعة، والمراد بالجهة: جهة العلو، وللشيخ ابن عثيمين حفظه الله كلام نفيس حول هذا الموضوع في شرح العقيدة الواسطية وذكر في الرد على من انكر ذلك من الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطره جـ ١ ص ٣٤٨ وما بعدها، وذكر أدلة من القرآن ومثل: قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ سورة الأعلى آية ١ وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ سورة فاطر آية ١٠ ومن السنة قوله ﷺ: «سبحان ربي الأعلى» أخرجه مسلم برقم ٧٧٢ وغير ذلك من الأدلة من القرآن والسنة والإجماع والدليل العقلي والفطري ويضيف الشيخ ابن عثيمين حفظه الله: (والذين أنكروا علو الله عز وجل بذاته يقولون: لو كان في العلو بذاته كان في جهة، وإذا كان في جهة كان محدوداً وجسماً، وهذا ممتنع) ثم استطرد حفظه الله في الرد عليهم . وليرجع إليه لتمام الفائدة، وكذلك كتاب الصواعق المرسله على الجهمية والمعتله لابن القيم جـ ٤ ص ١٢٧٩ وما بعدها، حققه وخرج أحاديثه د: علي الدخيل الله، مطبعة دار العاصمة، الطبعة الثالثة عام ١٤١٨ هـ، إجتماع الجيوش الإسلامية ص ٣٣١، ولوامع الأنوار البهية / للسفاريني جـ ١ ص ١٩٨ وما بعدها، والماتريدي وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات جـ ٢ ص ٤٦٣ وما بعدها وقد أطال في الرد عليهم فليرجع إليه لتمام الفائدة. قلت: ومن هنا يتضح عقيدة النسفي في الاستواء والجهة، فقد نحى منحى المؤلة من الجهمية والمعتلة، والخوارج ومن إقتفى أثرهم .

(٤) ساقط من: (المطبوع).

(٥) انظر: البحر المحيط / جـ ٨ ص ٤٣٢ . وانظر الدر المصون / جـ ٥ ص ٣٩٤ ، ٣٩٥ .

شيء خلقه فقد حسنه^(١) ، خلقه غيرهم على البذل^(٢) .

أى أحسن خلق كل شيء .

﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ ﴾ آدم عليه السلام . ﴿ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ ﴾ ذريته^(٣) .
 ﴿ مِنْ سَلَالَةٍ ﴾ من نطفة . ﴿ مِنْ مَّاءٍ ﴾ أي : من ميني ﴿ مَّهِينٍ ﴾ ضعيف حقير .
 ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ ﴾ قومه كقوله : ﴿ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾^(٤) . ﴿ وَنَفَخَ ﴾ أدخل . ﴿ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴾ الإضافة للإختصاص ، كأنه قال : ونفخ فيه من الشيء الذى أختص هو به
 وبعلمه^(٥) .

﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾ لتسمعوا ، وتبصروا ، وتعقلوا .
 ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ أي : تشكرون قليلاً .
 ﴿ وَقَالُوا ﴾ القائل : أبي بن خلف^(٦) ، ولرضاهم بقوله أسند إليهم .

(١) في: المطبوع [أحسن] جـ ٣ ص ٢٨٧ .

(٢) الحجة في القراءات السبع ص ٢٨٧ ، التلخيص في القراءات الثمان / للإمام أبي العشر الطبري ، تحقيق محمد حسن عقيل ، الطبعة الأولى عام ١٤١٢ هـ ، الموضوع جـ ٢ ص ١٠١٩ وقال ابن أبي مريم : (وبسكون اللام قرأها ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب) ، النشر جـ ٢ ص ٣٤٧ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٣٦٦ .

(٣) نسله : أي ذريته ، لأنها تنسل أي: تنفصل . انظر: النكت والعيون/ للماوردي جـ ٢ ص ٣٥٦ . وغرائب القرآن وغرائب الفرقان ، لنظام الدين بن الحسن بن محمد النيسابوري ، جـ ٥ ص ٤٣٦ . وأنوار التنزيل/ للبيضاوي جـ ٢ ص ٢٣٤ ، مطبعة دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨ هـ .

(٤) سورة التين آية ٤ .

(٥) انظر: المحرر الوجيز / لابن عطية جـ ١٢ ص ٣٣ ، لباب التأويل / للخازن جـ ٣ ص ٤٠٣ .
 أنوار التنزيل / للبيضاوي جـ ٢ ص ٢٣٤ ، وانظر: التسهيل لعلوم التنزيل جـ ٢ ص ١٣٠ ، لمحمد ابن أحمد الكلبي ، مطبعة دار الفكر .

(٦) الكشف / للزمخشري ، جـ ٣ ص ٥٠٩ ، والبحر المحيط / لأبي حيان الأندلسي جـ ٨ ص ٤٢٣ ، وأبي ابن خلف : هو عدو النبي ﷺ قتل عليه الصلاة والسلام بيده يوم أحد ، انظر: السيرة النبوية / لابن هشام جـ ٣ ص ٤٧ ، تعليق وتخريج عمر عبدالسلام تدمري ، مطبعة دار الريان ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨ هـ .

﴿ أءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي : صُرْنَا تَرَاباً وَذَهَبْنَا مُخْتَلَطِينَ بِتَرَابِ الْأَرْضِ ، لانتـمـيـز منه كما يضل الماء في اللبن ، أو غُبْنَا فِي الْأَرْضِ بِالِدْفَنِ فِيهَا ، وَقَرَأَ عَلَيَّ ضَلَلْنَا ، بِكسـر اللام ضلَّ يَضِلُّ ، وضلَّ يَضِلُّ^(١) ، وأنتصب الظرف : ﴿ أئِذَا ضَلَلْنَا ﴾ بما يدل عليه^(٢) .

﴿ أءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ . وهو نبعث . ﴿ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴾ جاحدون ، لَمَّا ذَكَرَ كَفَرَهُمْ بِالْبَعْثِ : أَضْرَبَ عَنْهُ إِلَى مَا هُوَ أَبْلَغُ ، وَهُوَ أَنَّهُمْ كَافِرُونَ بِجَمِيعِ مَا يَكُونُ فِي الْعَاقِبَةِ لَا الْبَعْثَ وَحْدَهُ .

﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ أي : يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بقبض أرواحكم^(٣) ، ثم ترجعون إلى ربكم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء ، وهذا معنى لقاء الله ، والتوفي : إستيفاء النفس وهي الروح ، أي : بقبض أرواحكم أجمعين من قولك : توفيتُ حقي من فلان ، إذا أخذته وافيّاً كاملاً من غير نقصان . وعن مجاهد رحمه الله^(٤) : حُوِيَ^(٥) لِمَلَكِ الْمَوْتِ وَجُعِلَتْ لَهُ مِثْلُ الطَّسْتِ

(١) المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ٣٤ وقال ابن عطية رحمه الله : (وقرأ على بن أبي طالب رضي الله عنه وأبو حيوه ضَلَلْنَا بضم الضاد وكسر اللام وشدها) . البحر المحيط جـ ٨ ص ٤٣٤ . روح المعاني جـ ١١ ص ١٢٥ .

(٢) انظر : التبيان في اعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٤٨ ، الفرائد في اعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٢٢ وقال الهمداني في الدر المصون جـ ٥ ص ٣٩٦ : (العامل في إذا ما دل عليه الكلام : أُبْعِثُ إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ ...) .

(٣) يقول ابن كثير رحمه الله جـ ٣ ص ٧٢٩ : (الظاهر من هذه الآية أن ملك الموت شخص معين من الملائكة ، قاله قتاده وغيره : وله أعوان ..) باختصار .

(٤) مجاهد : بن جبر الإمام شيخ القراء ، أبو الحجاج المكي ، الأسود مولى السائب بن السائب المخزومي ، وى عن ابن عباس فأكره وأطاب ، وعنه أخذ القرآن ، والتفسير والفقہ من الطبعة الثالثة ، توفى سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة ، انظر ترجمته : سير أعلام النبلاء جـ ٤ ص ٤٤٩ ، حلية الأولياء جـ ٣ ص ٢٧٩ ، تهذيب التهذيب جـ ٤ ص ٢٢ ، تقريب التهذيب ص ٥٢٠ .

(٥) حويت : يقول ابن منظور في لسان العرب جـ ١٤ ص ٢٠٨ : (حَوَى الشَّيْءُ يَحْوِيهِ حَيًّا وَحَوَايَةً وَإِحْتَوَاءً وَاحْتَوَى عَلَيْهِ : جَمَعَهُ وَأَحْرَزَهُ ..) مادة حوا .

يتناول منها / حيث شاء^(١) . وقيل : مَلَكٌ يدعوا الأرواح فتجيبه ثم يأمر أعوانه بقبضها^(٢) . والله تعالى هو الأمر لذلك كله ، وهو الخالق لأفعال المخلوقات ، وهذا وجه الجمع بين هذه الآية ، وبين قوله : ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾^(٣) وقول الله عز وجل : ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^(٤) .

﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ ، أو لكل واحدٍ ، ولو إمتناعية والجواب محذوف : أي : لرأيت أمراً عظيماً^(٥) .

﴿إِذِ الْمَجْرُمُونَ﴾^(٦) وهم الذين قالوا : أئذا ضللنا في الأرض ، ولو وإذ للمضي وإنما جاز ذلك لأن المترقب من الله ، بمنزلة الموجود^(٧) ، ولا يُقَدَّرُ لترى ما يتناوله ، كأنه قيل : ولو تكون منك الرؤية ، وإذ اضرف له .

﴿نَاكِسُوا رُؤُسِهِمْ﴾ من الذل ، والحياء ، والندم .

﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ عند حساب ربهم ، ويُوقَفُ عليه ، لِحَقِّ الحذف . إذ التقدير يقولون^(٨) : ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا﴾ صِدْقَ وَعَدِكَ^(٩) ووعيدك . ﴿وَسَمِعْنَا﴾ منك تصديق رُسُلِكَ ، أو كنا عمياً وصماً ، فأبصرنا وسمعنا . ﴿فَارْجِعْنَا﴾ إلى الدنيا .

(١) ذكره : البغوي في معالم التنزيل جـ ٦ ص ٣٠١ ، وابن عطية في البحر الو جيز جـ ١٣ ص ٣٤ . والخازن في لباب التأويل جـ ٣ ص ٤٠٣ ، وابن كثير في تفسيره جـ ٣ ص ٧٢٩ .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي جـ ١٤ ص ٩٤ .

(٣) سورة الأنعام آية ٦١ .

(٤) سورة الزمر آية ٤٢ .

(٥) انظر : إعراب القرآن / للنحاس جـ ٢ ص ٦١٢ ، التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٤٨ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٢٣ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٣٩٧ .

(٦) ساقط : من (ب) و(المطبوع) .

(٧) أي : المقطوع به في تحققه ووقوعه .

(٨) الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٢٣ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٣٩٧ .

(٩) ساقط : من (المطبوع) .

﴿ نَعْمَلُ صَالِحاً ﴾ أي : الإيمان والطاعة . ﴿ إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ بالبعث والحساب
الآن .

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ أي : لو شئنا لأعطينا كل نفس ما عندنا ،
من اللطف الذي لو كان منهم إختيار ذلك لأهتدوا ، لكن لم نعطهم ذلك اللطف لما
علمنا منهم إختيار الكفر وإيثاره ، وهو حجة على المعتزلة^(١) ، فإن عندهم شاء الله أن
يُعطي كل نفس ما به إهتدت ، وقد أعطاها لكنها لم تهتد ، وهم أولوا الآية بمشيئة
الجبر^(٢) ، وهو تأويل فاسد لما عُرف في تبصرة الأدلة^(٣) .

﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ ولكن وجب

(١) المعتزلة يقول ابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية : (نسبة لعمرو بن عبيد وواصل
ابن عطاء الغزالي وأصحابهما ، سُموا بذلك كما اعتزلوا الجماعة بعد موت الحسن البصري
رحمه الله في أوائل المائة الثانية ، وكانوا يجلسون معتزلين ، فيقول قتادة وغيره أولئك
المعتزلة ، وبنى مذهبهم على الأصول الخمسة التي سموها العدل ، والتوحيد ، وإنفاذ الوعيد ،
والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولَبَّسوا فيها الحق بالباطل ، إذ
شأن البدع هذا .. » شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٢٨ و ص ٥٢٩ بإختصار ومن أراد تمام
الفائدة فليرجع إليه ، والملل والنحل / للشهرستاني ج ١ ص ٤٣ ، تحقيق محمد سيد
كيلاني ، مطبعة دار المعرفة ، طبعة عام ١٤٠٢ هـ .

وأهل السنة والجماعة لم يوجبوا على الله شيئاً وقالوا : كل ما شاء الله كان وما لم يشأ لم
يكن خيراً كان أو شراً .

(٢) الجبر : ويقصد به مذهب الجبرية : وهو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى ،
والجبرية : أصناف ، فالجبرية الخالصة : هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل
أصلاً ، والخبرية المتوسطة . هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً .. وأصل قولهم من
جهنم بن صفوان وهم عكس القدرية ..

انظر الملل والنحل / للشهرستاني ج ١ ص ٨٥ باختصار ، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٥٣٢ .

(٣) تبصرة الأدلة في أصول الدين على طريقة الإمام أبي منصور الماتريدي ج ٢ ص ٧٢١ / لأبي
المعین ميمون بن محمد النسفي ت ٥٠٨ هـ ، تحقيق وتعليق كلود سلامه ، مطبعة الجفان
والجابي ، الطبعة الأولى عام ١٩٩٠ م .

القول منى لما علمت أنه يكون ما يستوجبون به جهنم ، وهو ما علم منهم أنهم يختارون الرد والتكذيب ، وفي تخصيص الجن والإنس إشارة إلى أنه عصم ملائكته عن عمل يستوجبون به جهنم .

﴿ فذوقوا ﴾ العذاب . ﴿ بما نسيتم لقاء ﴾ بما تركتم^(١) عمل لقاء : ﴿ يومئذ هذأ ﴾ وهو الإيمان به . ﴿ إنا نسيناكم ﴾^(٢) تركناكم في العذاب كالمنسي . ﴿ وذوقوا عذاب الخلد ﴾ أي : العذاب الدائم الذي لا إنقطاع له .

﴿ بما كنتم تعملون ﴾ من الكفر والعذاب^(٣) والمعاصي .

﴿ إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها ﴾ أي : وعظوا بها .

﴿ خرّوا سجداً ﴾ سجدوا لله تواضعاً وخشوعاً وشكراً على ما رزقهم من الإسلام .

﴿ وسبحوا بحمد ربهم ﴾ ونزهو لله عما لا يليق به ، وأثنوا عليه حامدين له .

﴿ وهم لا يستكبرون ﴾ عن الإيمان به والسجود له . ﴿ تتجافى ﴾ ترتفع وتتنحى

﴿ جنوبهم عن المضاجع ﴾ عن الفرش ومواضع النوم ، قال سهل^(٤) : وهب لقوم هبةً

وهو أن أذن لهم في مناجاته وجعلهم من أهل وسيلته، ثم مدحهم عليه فقال تتجافى

جنوبهم عن المضاجع^(٥) . ﴿ يدعون ﴾ داعين . ﴿ ربهم ﴾ عابدين له . ﴿ خوفاً

وطمئناً ﴾ مفعول له^(٦) ، أي : لأجل خوفهم من سخطه ، وطمعهم في رحمته

(١) في المطبوع : عن .

(٢) ساقطة من : (ب) والمطبوع .

(٣) ساقط من : (ب) و (ج) والمطبوع .

(٤) سهل : بن عبد الله بن يونس أبو محمد التستري ، الصوفي الزاهد، له كلمات نافعه ومواظ

حسنه ، توفي سنة ثلاث وثمانين ومئتين . عاش ثمانين سنة أو أكثر . انظر : الرسالة القشيرية /

للإمام أبي القاسم القشيري ص ٢٧ ، وضع هوامشه : خليل المنصور ، مطبعة دار الكتب

العلمية ، الطبعة الأولى عام ١٤١٨ هـ . سير أعلام النبلاء ج ١٣ ص ٣٣٠ و حلية الأولياء

ج ١٠ ص ١٨٩ ، شذرات الذهب ج ٢ ص ١٨٢ .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) انظر : إعراب القرآن للنحاس ج ٢ ص ٦١٣ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد ج ٤ ص ٢٤ .

المجتهدون . / وعن النبي ﷺ في تفسيرها : « قيام العبد من الليل »^(١) وعن ابن عطاء^(٢) :
 أبت جنوبهم أن تسكن على بساط الغفلة وطلبت بساط القربة ، يعني صلاة الليل^(٣) .
 وعن أنس رضي الله عنه قال : كان أناس من أصحاب النبي عليه السلام يصلون من
 صلاة المغرب إلى صلاة العشاء الأخيره فنزلت فيهم^(٤) .

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج٥ ص ٢٣٢ من حديث حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن
 شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ... ، الناشر دار الباز ، الطبعة الثانية عام ١٣٩٨ هـ .
 وإسناده منقطع لأن شهر بن حوشب لم يسمع من معاذ قطعاً . يقول الهيثمي في مجمع الزوائد ج٧
 ص ٩٠ : (شهر لم يدرك معاذاً) .

ومعناه عند الترمذي في سننه ، كتاب الإيمان باب ماجاء في حرمة الصلاة ج٤ ص ١٢٤
 وقال : (هذا حديث حسن صحيح) بلفظ : (ألا أدلك على أبواب الخير : الصوم جنة ،
 والصدقة تطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار ، وصلاة الرجل في جوف الليل) ثم قرأ :
 « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » حقه وصححه عبدالرحمن محمد عثمان ، مطبعة دار
 الفكر ، الطبعة الثانية عام ١٤٠٣ هـ ، وأخرجه ابن ماجه في سننه / في الفتن باب كف اللسان عن
 الفتنة ج٢ ص ١٣١٤ / ١٣١٥ تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، مطبعة دار إحياء التراث العربي ،
 طبعة عام ١٣٩٥ هـ . وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ج٢ ص ٣٥٩ ، إشراف زهير
 الشاويش ، الناشر : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨ هـ .
 وأخرجه الحاكم مطولاً ص ج٢ ص ٤١٢ / ٤١٣ . وصححه على شرط الشيخين ووافقه
 الذهبي ، مطبعة دار الكتب العلمية .

(٢) سبق ترجمته في ص ١١ .

(٣) لم أف عليه .

(٤) أخرجه البيهقي في سنن الكبرى ج٣ ص ١٩ ، مطبعة دار المعرفة ، وأخرجه أبو داود في سننه
 ج٢ ص ٣٥ كتاب الصلاة باب قيام الليل ، مراجعه وضبط وتعليق : محمد محي الدين
 عبدالحميد ، مطبعة دار الفكر . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ج١ ص ٢٤٥ ،
 إشراف زهير الشاويش ، الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨ هـ .
 وذكره بن جرير الطبري ، ج٢١ ص ١٠٠ ، والواحدي ، في أسباب النزول ص ٤٠٤ ، والسيوطي
 في لباب النقول ص ١٧٠ ، مطبعة دار إحياء العلوم ، ويقول ابن عطية في المحرر الوجيز ج١٣
 ص ٣٧ : (وقال الجمهور من المفسرين : أراد بهذا التجافى : صلاة النوافل في الليل) .

وقيل : هم الذين يصلون صلاة العتمة لا ينامون عنها^(١) .
﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ في طاعة الله تعالى . ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ ﴾
ما : بمعنى الذي أُخْفِيَ ، على حكاية النفس حمزة ويعقوب^(٢) .
﴿ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ أي : لا يعلم أحدٌ ما أعد لهؤلاء من الكرامة .
﴿ جَزَاءً ﴾ مصدر^(٣) ، أي : جوزوا جزاءً .
﴿ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ عن الحسن^(٤) رحمه الله : أخفى القوم أعمالاً في الدنيا
فأخفى الله لهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت^(٥) ، وفيه دليل على أن المراد الصلاة في

(١) هذا قول بن عباس رضي الله عنهما، كما ذكره: ابن الجوزي في زاد المسير ج٦ ص ٣٣٩ .
والنيسابوري في رغائب القرآن ج٥ ص ٤٣٧ . وقيل هو قول عطاء ذكره الطبري بسنده
ج١٠ ص ٢١٠ ، وذكره السمعاني في تفسيره ج٤ ص ٢٤٨ ، وقال رحمه الله : (وأشهر
الأقويل : أن المراد منه صلاة الليل ، قاله مجاهد ومالك والأوزاعي وجماعة عليهم رحمة الله
جميعاً) ، والبغوي في معالم التنزيل ج٦ ص ٣٠٣ وذكر عدة أسانيد حول هذه الأقويل وابن
كثير في تفسيره ج٣ ص ٧٣١ وأطال رحمه الله في سرد الأقويل بأسانيد فليرجع إليها
لتمام الفائدة .

(٢) قرأ يعقوب وحمزة بإسكان الياء (أُخْفِيَ) فعلاً مضارعاً مسنداً لضمير المتكلم مرفوعاً تقديرًا
ولذا سكنت ياءه، والباقون بضم الهمزة وكسر الفاء وفتح الياء مبينياً للمفعول . انظر: الحجة
في القراءات السبع ص ٢٨٧ ، والموضح في وجوه القراءات وعللها ج٢ ص ١٠٢٠ ، والنشر/
ج٢ ص ٣٤٧ ، وإتحاف فضلاء البشر / ج٢ ص ٣٦٧ ، باختصار .

(٣) التبيان في إعراب القرآن ج٢ ص ١٠٤٩ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٢ ص ٢٥ وقال
الهمداني : (ولك أن تجعله مفعولاً به ، أي : من أجل الجزاء) .

(٤) الحسن : بن أبي الحسن بن يسار أبو سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري ولد لستين بقيتا من
خلافة عمر رضي الله عنه ، وكان سيد أهل زمانه علماً وعملاً وهو رأس أهل الطبقة الثالثة ،
مات سنة عشرة ومئة . انظر سير أعلام النبلاء ج٤ ص ٥٦٣ . حلية الأولياء ج٢ ص ١٣١ .

الحسن البصري لابن الجوزي، تهذيب التهذيب / ج٢ ص ٢٦٣ ، تقريب التهذيب ص ١٦٠ .
(٥) الجامع لأحكام القرآن / ج١٤ ص ١٠٥ ، غرائب القرآن ج٨ ص ٤٣٨ ، البحر المحيط ج٨ ص ٤٣٨ .

جوف الليل ليكون الجزاء وفاقاً ، ثم بين أنّ من كان في نور الطاعة والإيمان لا يستوى مع من هو في ظلمة الكفر والعصيان بقوله : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ﴾ أي : كافرًا ، وهما محمولان على لفظ (من) وقوله : ﴿ لَا يَسْتَوُونَ ﴾ على المعنى بدليل قوله : ﴿ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ ﴾ هي : نوع من الجنات يأوى^(١) إليها أرواح الشهداء ، وقيل هي عن يمين العرش^(٢) .

﴿ نَزَلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ عطاءاً بأعمالهم ، والنزّل : عطاء النازل ثم صار عاماً ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ﴾ أي : ملجأهم ومنزلهم .

﴿ كَلَّمَآ أَرَدُوآ أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ﴾ أي : تقول لهم خزنة النار . ﴿ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ وهذا دليل على : أن المراد بالفاسق الكافر ، إذ التكذيب يقابل الإيمان^(٣) ﴿ وَلَنذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ ﴾ أي

« وأصح من هذا الحديث المتفق عليه ، الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : (قال الله تبارك وتعالى : أعددت لعبادي الصالحين : ملاعين رأيت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر) قال أبو هريرة رضي الله عنه : اقرؤوا إن شئتمهم ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴾ .

أخرجه البخاري في صحيحه جـ ٣ ص ٥٠٣ كتاب التفسير ، باب في قوله : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴾ .

وأخرجه مسلم في صحيحه جـ ٤ ص ١٧٢٤ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها حديث رقم ٢٨٢٤ ، مطبعة دار بن حزم ، الطبعة الأولى عام ١٤١٦ هـ .

(١) في المطبوع (يأوى) . ويقول السمرقندي في بحر العلوم جـ ٣ ص ٣١ : (ويقال يأوي إليها أرواح الشهداء وهو أصح في اللغة) جـ ٣ ص ٣١ . وانظر البحر المحيط / لأبي حبان جـ ٨ ص ٤٣٨ . ونسب ذلك القول الى ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) غرائب القرآن جـ ٥ ص ٤٣٨ ، البحر المحيط جـ ٨ ص ٤٣٨ ، روح المعاني / للألوسي جـ ١١ ص ١٣٢ ، مطبعة دار الفكر .

(٣) ويصدق ذلك سبب نزولها : إذ أن الآية نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه والوليد بن عقبة بن أبي معيط أخى عثمان رضي الله عنه لأمه ، وذلك أنه جرى بينهما كلام فقال الوليد

عذاب الدنيا من الأسر وما محنوا به السنّة^(١) سبع سنين. ﴿ذُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ أبي: عذاب الآخرة ، أي : نذيقهم عذاب الدنيا قبل أن يصلوا إلى الآخرة وعن الداراني^(٢) : العذاب الأدنى : الخذلان ، والعذاب الأكبر ، الخلود : في النيران^(٣) ، وقيل العذاب الأدنى : عذاب القبر^(٤) .

﴿لَعَلَّهُمْ﴾ لعل المعذبين بالعذاب الأدنى . ﴿يَرْجِعُونَ﴾ يتوبون عن الكفر .

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ﴾ وَعِظَ ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ أي : القرآن^(٥) .

﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ أي : فتولّى عنها ، ولم يتدبر فيها ، وثمّ: للإستبعاد، أي : أن الإعراض عن مثل هذه الآيات فى وضوحها ، وإنارتها ، وإرشادها إلى سواء السبيل ،

لعلّ أسكت فإنك صبي وأنا والله أبسط منك لساناً وأحدّ سيناناً وأشجع منك جناهاً وأملاً منك حشواً في الكتبية ، فقال له على رضي الله عنه أسكت فإنك فاسق . ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستترون﴾ فالمؤمن علي والفاسق الوليد بن عقبة . ذكره : الواحدى فى أسباب النزول ص ٤٠٥ وص ٤٠٦ . والسيوطي فى لباب النقول ص ١٧٠ ، والدر المنثور ج ٦ ص ٥٥٣ .

(١) السنّة : يقول ابن الأثير فى النهاية فى غريب الحديث والأثر ج ٢ ص ٤١٣ : (السنّة : الجذب ، يقال أخذتهم السنّة إذا أُجذبوا وأُفحطوا) ، تحقيق محمود الطناحي وطاهر أحمد الزواوى ، الناشر دار الباز بمكة المكرمة .

(٢) الداراني : سليمان بن حبيب المحاربى الدمشقى الداراني ، قاض دمشق ، كان إماماً كبيراً وثقه بن معين وغيره ، مات سنة ست وعشرين ومائة ، وقيل خمس وعشرين ومئة . انظر سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٣٠٩ ، وتهذيب التهذيب / لابن حجر ج ٤ ص ١٨٩ .

(٣) النكت والعيون / ج ٤ ص ٣٦٥ ، زاد المسير ج ٦ ص ٣٤١ ، جامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ١٠٧ ، والتسهيل ج ٣ ص ١٣٦ وقال الكلبي رحمه الله : (وهذا بعيد لقوله تعالى : ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾) .

(٤) تفسير القرآن العظيم / لابن كثير ج ٣ ص ٧٣٦ ، ونسبه إلى البراء بن عازب ومجاهد وأبو عبيدة .

(٥) فى المطبوع : (بالقرآن) .

والفوز بالسعادة العظمى ، بعد التذكير بها مستبعد في العقل ، كما تقول لصاحبك : وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها إستبعاداً لتركه الإنتهاز .

﴿ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴾ ولم يقل منه ، لأنه إذا جعله أظلم كل ظالم ، ثم توعد المجرمين عامة بالإنتقام منهم فقد دل على إصابة الأظلم النصيب الأوفر من الإنتقام ، ولو قاله بالضمير^(١) لم يُفد هذه الفائدة .

﴿ ولقد / آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ التوراة .

﴿ فَلَاتَكُنْ فِي مِرْيَةٍ ﴾ شك . ﴿ مِنْ لِقَائِهِ ﴾ من لقاء موسى الكتاب^(٢) ، أو من لقائك موسى ليلة المعراج^(٣) ، أو يوم القيامة ، أو من لقاء موسى ربه في الآخرة كذا عن

(١) أي : أنه لم يقل منه بل قال تعالى: ﴿ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴾ .

(٢) وهو قول مجاهد والزجاج انظر : معاني القرآن/للزجاج ج٤ ص٢٠٩ ، النكت والعيون ج٤ ص٣٦٦ تفسير القرآن / للسمعاني ج٤ ص٢٥٣ ويقول السمعاني رحمه الله: (ولقاء موسى الكتاب تلقيه بالقبول) معالم التنزيل ج٦ ص٣٠٩ ، المحرر الوجيز ج١٣ ص٤١ ، زاد المسير ج٦ ص٣٤٣ ، الجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص١٠٨ ، غرائب القرآن ج٦ ص٤٤٠ ، البحر المحيط ج٨ ص٤٤١ .

(٣) للحديث المتفق عليه وهو طويل : قصة الإسراء والمعراج : ان النبي ﷺ قال (.. رأيت موسى آدم طوالاً جعد الشعر كأنه من رجال شنوءه ، ورأيت عيسى رجلاً ربعة إلى الحمرة سبط الشعر ..) أخرجه البخاري في صحيحه ج٢ ص١٠٥١ كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى ﴿وهل أتاك حديث موسى﴾ . وأخرجه مسلم في صحيحه ج١ ص١٣٤ ، كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ .

وذكر هذا القول في : النكت والعيون ج٤ ص٣٦٦ ، وتفسير القرآن / للسمعاني ج٤ ص٢٥٣ ، معالم التنزيل ج٦ ص٣٠٨ ، وقال البغوي رحمه الله : (قاله ابن عباس رضي الله عنهما وغيره) ، المحرر الوجيز ج١٣ ص٤١ وقال ابن عطية رحمه الله : (وهذا قول جماعة من السلف) زاد المسير ج٦ ص٣٤٣ ونسبه لأبوالعالية ومجاهد وقتادة ومن السائب ، الجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص١٠٨ ، وغرائب القرآن ج٦ ص٤٤٠ ، البحر المحيط ج٨ ص٤٤٠ ، تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٧٣٧ ، روح المعاني ج١١ ص١٣٨ .

قلت : وهو الأقرب للصواب والعلم عند الله تعالى .

النبي عليه السلام^(١) .

﴿ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ وجعلنا الكتاب المنزل على موسى هُدًى لقومه .
﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً ﴾ بهمزتين كوفي وشامي^(٢) . ﴿ يَهْدُونَ ﴾ الناس ويدعونهم
إلى ما فى التوراة من دين الله وشرائعه .

﴿ بِأَمْرِنَا ﴾ إياهم بذلك . ﴿ لَمَّا صَبَرُوا ﴾ حين صبروا على الحق وطاعة^(٣) الله ،
أو عن المعاصى ، (لَمَّا صَبَرُوا) حمزة وعلي^(٤) ، أي : لصبرهم عن الدنيا ، وفيه دليل على
أن الصبر ثمرته [إمامة]^(٥) الناس^(٦) .

﴿ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا ﴾ التوراة . ﴿ يُوقِنُونَ ﴾ يعلمون علماً لا يخالجه شك .
﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ ﴾ [يقضى]^(٧) ﴿ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ بين الأنبياء وأمهم ،
أو بين المؤمنين والمشركين .

﴿ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ فيظهر المُحِقُّ من المُبْطِلِ .

(١) النكت والعيون ج٤ ص ٣٦٦ ، المحرر الوجيز ج١٣ ص ٤١ وقال ابن عطية رحمه الله :
(وهذا قول ضعيف) . الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص ١٠٨ ، غرائب القرآن ج٦ ص ٤٤٠ .
قلت : المقصود من لقائه فى الآخرة بينه حديث الشفاعة .

(٢) الإتحاف ج٢ ص ٣٦٨ . وقال النحاس فى إعراب القرآن ج٢ ص ٦١٥ (وهو لحن عند
جميع النحويين ، لأنه جمع بين همزتين فى كلمة واحدة وهو من دقيق النحو) .

(٣) فى المطبوع : (بطاعة) .

(٤) لَمَّا صَبَرُوا بكسر اللام ، وتخفيف الميم ، قرأها حمزه والكسائي ويعقوب ورويس والوجه أن
(ما) هنا مصدرية تكون مع ما بعدها بمعنى المصدر والتقدير جعلناهم أئمة هادين لصبرهم
وقرأ الباقون ﴿ لَمَّا صَبَرُوا ﴾ بفتح اللام وتشديد الميم أي : حين صبروا . انظر : الموضح
ج٢ ص ١٠٢١ . والنشر / ج٨ ص ٣٤٧ . والإتحاف ج٢ ص ٣٦٨ .

(٥) فى : (إمام) .

(٦) وهو مقتبس من كلام سفيان الثوري رحمه الله : [بالصبر واليقين تنال الإمامة فى الدين] ابن
كثير ج٣ ص ٧٣٨ .

(٧) ساقط من : (أ) .

﴿أَوْلَمَ﴾ الواو للعطف على معطوف عليه مَنَوَى من جنس المعطوف، أي : ألم^(١) يدع . ﴿يَهْدِي﴾ يُيِّن ، والفاعل الله ، بدليل قراءة زيد عن يعقوب ﴿نَهْدِي﴾^(٢) . ﴿لَهُمْ﴾ لأهل مكة . ﴿كَمْ﴾ لا يجوز ان يكون كم فاعل يهد ، لأن : كم للإستفهام فلا تعمل فيه ما قبله ومحله نصب^(٣) بقوله : ﴿أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنَ الْقُرُونِ﴾ كعاد وثمود وقوم لوط .

﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ﴾ أي : أهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ المواظ فيتعظون^(٤) .

﴿أَوْلَمَ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ﴾ نجري المطر والأنهار .

﴿إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ أي : الأرض التي جُرَزَ نباتها ، أي : قُطِع ، إما : لعدم الماء، أو لأنه رُعي ، ولا يقال للتي لاتبت كالسباخ جزز بدليل قوله : ﴿فَنُخْرِجْ بِهِ﴾ بالماء ﴿زُرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ﴾ من الزرع . ﴿أَنْعَامُهُمْ﴾ من عَصْفِهِ^(٥) . ﴿وَأَنْفُسُهُمْ﴾ من حبه . ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ بأعينهم فيستدلوا به على قدرته على إحياء الموتى .

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ النصر أو الفصل بالحكومة^(٦) من قوله : ﴿رَبَّنَا إِفْتَحْ بَيْنَنَا﴾^(٧) وكان المسلمون يقولون : إن الله سيفتح لنا على المشركين ، أو يفتح

(١) في المطبوع (أولم) جـ ٣ ص ٢٩٠ .

(٢) انظر : المحرر جـ ١٣ ص ٤٢ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ١١٠ .

(٣) انظر : إعراب القرآن / للنحاس جـ ٢ ص ٦١٦ ، الفريد في إعراب القرآن جـ ٤ ص ٢٦ .

(٤) في المطبوع : يتعظو .

(٥) العَصْفُ : بَقْلُ الزَّرْعِ ، القاموس المحيط ص ١٠٨٣ ، مادة : عصف .

(٦) المراد بذلك حكم الآخرة يقول : ابن عطية في المحرر الوجيز في الرد على من قال أن الفتح المراد به فتح مكة جـ ١٣ ص ٤٣ : [وهذا قول ضعيف تُرِدُّه الأخبار بأن الكفرة لا ينفعهم الإيمان فلم يبق إلا : إما حكم الآخرة وهذا قول مجاهد ، وإما فصل في الدنيا كبدر ونحوها] .

(٧) سورة الأعراف آية ٨٩ .

بيننا وبينهم . فإذا سمع المشركون ذلك قالوا : متى هذا الفتح^(١) ، أي : في أي وقت يكون .

﴿ إِنَّ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ في أنه كائن .

﴿ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ ﴾ أي : يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم ويوم نصرهم عليهم ، أو يوم فتح مكة^(٢) .

﴿ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ وهذا الكلام لا^(٣) ينطبق جواباً على سؤالهم ظاهراً ، ولكن لما كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح إستعجالاً منهم على وجه التكذيب والإستهزاء فأجيبوا^(٤) على حسب ما عُرف من غرضهم في سؤالهم ، فقيل : لهم لاتستعجلوا به ولا تستهزئوا ، فكأنني بكم وقد حصلت في ذلك اليوم وأنتم فلم^(٥) ينفعكم الإيمان^(٦) ، وإستنظرت في إدراك العذاب فلم تُنظروا ، ومن فسره بيوم الفتح ، أو بيوم بدر فهو يريد : المقتولين / منهم فإنهم لاينفعهم إيمانهم في حال القتل ، كما لا ينفع فرعون إيمانه عند الغرق .

(١) ذكره الطبري في جـ ١٢ ص ١١٦ .

(٢) قاله ابن السائب والفراء وابن قتيبة ، انظر : معاني القرآن / للفراء جـ ٢ ص ٣٣٣ تحقيق د . أحمد يوسف نجاتي ، محمد علي النجار ، معاني القرآن للنحاس جـ ٥ ص ٣١٣ ، النكت والعيون جـ ٤ ص ٣٦٨ ، وزاد المسير لابن الجوزي جـ ٦ ص ٣٤٥ . وقد ردَّ على هذا القول ابن عطية كما مرَّ وتبعه بن كثير رحمه الله في تفسيره جـ ٣ ص ٤٧٠ . حيث قال : (ومن زعم أن المراد من هذا الفتح فتح مكة فقد أبعد النجعة وأخطأ فأفحش فإن يوم الفتح قد قبل رسول الله ﷺ إسلام الطلقاء ، وقد كانوا قريباً من ألفين ، ولو كان المراد فتح مكة لما قبل إسلامهم لقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ وإنما المراد : الفتح هو القضاء والفصل ، . قلت : وهو الأقرب للصواب .

(٣) في : (ب) وفي المطبوع (لم) .

(٤) في المطبوع : (أجيبوا) .

(٥) في (ج) والمطبوع : (فلا) .

(٦) في المطبوع : (أو) .

﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ ﴾ النصره عليهم^(١) وهلاكهم .
﴿ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ ﴾ الغلبة عليكم وهلاككم .

وكان ﷺ : لا ينام حتى يقرأ : ﴿ ألم تنزيل ﴾ السجدة ، ﴿ وتبارك الذي بيده الملك ﴾^(٢) ، وقال : « من قرأ ألم تنزيل في بيته لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام »^(٣) .
وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (سورة ألم تنزيل هي المانعة تمنع من عذاب القبر)^(٤) .

(١) ساقط من المطبوع .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الدعوات باب ماجاء فيمن يقرأ من القرآن عند المنام جـ ٥ ص ١٣٩ . والدارمي في سننه جـ ٢ ص ٥٤٧ تحقيق وتخريج : فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي ، مطبعة دار الريان ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧ هـ ، والإمام أحمد في مسنده جـ ٣ ص ١٤٠ ، والحاكم في مستدركه جـ ٢ ص ٤١٢ .

وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي جـ ٣ ص ١٤٥ . وفي السلسلة الصحيحة جـ ٢ ص ١٢٩ ، مطبعة المكتب الإسلامي ، الطبعة الرابعة عام ١٤٠٥ هـ .

(٣) وقال الزيلعي في كتابه : تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف جـ ٣ ص ٨٩ ، (غريب جداً) تقديم فضيلة الشيخ : عبدالله السعد ، إعتنى به : سلطان الطبشي ، الناشر دار ابن خزيمة ، الطبعة الأولى عام ١٤١٤ هـ ، وأخرجه الهندي في كنز العمال جـ ١ ص ٥٨٩ .

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ ، إلا أنه ورد عند الترمذي في سننه جـ ٤ ص ٢٣٨ بلفظ آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما في فضائل القرآن باب ماجاء في سورة تبارك: (هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر) وقال حديث غريب من هذا الوجه ، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي ص ٣٤٥ .

سورة الأحزاب مدنية^(١) وهي ثلاث وسبعون آية .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال أبي بن كعب لزر^(٢) رضي الله عنهما : كم تعدون سورة الأحزاب ؟ قال: ثلاثاً وسبعين آية ، قال : فوالذي يحلف به أبي لئن^(٣) كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول ، ولقد قرأنا منها آية الرجم : « الشيخُ والشيخةُ إذا زنيا فارجموهما البتةَ نكالاً من الله والله عزيز حكيم »^(٤) أراد أبي أن ذلك من جملة ما نسيخ من القرآن .

(١) يقول السيوطي في الدر المنثور ج٦ ص ٥٥٨ : (أخرج ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نزلت سورة الأحزاب بالمدينة ، وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير رضي الله عنه مثله) ، وقال النحاس في معاني القرآن ج٥ ص ٣١٧ : [قال ابن عباس رضي الله عنها وهي مدنية] ، بل حكى الإجماع في ذلك ابن عطية في المحرر الوجيز ج١٣ ص ٢٤٥ وابن الجوزي في زاد المسير ج٦ ص ٣٤٧ والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص ١١٣ ، حيث قال القرطبي : (مدينة في قول جميعهم : نزلت في المنافقين وإيذائهم رسول الله ﷺ وطعنهم فيه) .

(٢) زرّ بن حبيش بن حباشه بن أوس . الإمام القدوة مقرئ الكوفة ، وهو من كبار التابعين رحمه الله مات سنة إحدى وثمانين ، انظر : سير أعلام النبلاء ج٤ ص ١٦٦ ، الحلية ج٤ ص ١٨١ .

(٣) في المطبوع : (إن) .

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک ج٤ ص ٤١٥ ، وقال صحح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ج٥ ص ١٣٢ . مطبعة دار الكتب العلمية . وعبدالرزاق في مصنفه ج٣ ص ٣٦٥ ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، مطبعة المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية عام ١٤٠٣ هـ ، وأبو داود والطيالسي في مسنده ص ٧٣ . مطبعة دار الكتاب اللبناني ، وأخرجه الدارقطني في سننه كتاب الرضا ج٤ ص ١٧٩ . مطبعة دائرة المعارف بالهند ، الطبعة الأولى عام ١٣٢١ هـ ، الطبعة الرابعة عام ١٤٠٦ هـ : بلفظ :

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (لقد نزلت آية الرجم ورضاعة الكبير عشرًا فلقد كانت في صحيفة تحت سريري فلما مات رسول الله ﷺ وتشاغلنا بموته فدخل داجن فأكلها). وأخرجه ابن ماجه في سننه كتاب النكاح باب رضاع الكبير ج١ ص ٦٢٦ ، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن

وأما ما يحكى أن تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة رضي الله عنهما فأكلتها الداجن^(١) فمن تأليفات الملاحدة^(٢) والروافض^(٣) .

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ وبالهزمة^(٤) نافع ، أي: يا أيها المخبر عنا المأمون على أسرارنا المبلغ خطابنا إلى احبابنا ، وإنالم يقل يا محمد قال : يا آدم، يا موسى ، تشریفاً وتبويهاً بفضله ، وتصريحه بإسمه في قوله « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ »^(٥) ونحوه لتعليم الناس بأنه رسول الله .

﴿إِنِّقَ اللَّهُ﴾ أثبت على تقوى الله ودُم عليه ، وأزدد منه ، فهو باب لا يُدرك مداه^(٦) .

﴿وَلَا تُطَعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ ولا تساعدهم على شيءٍ ، واحترس منهم فإنهم أعداء الله والمؤمنين ، وروى أن أبا سفيان^(٧) ،

⇐ ابن ماجه ج١ ص ٣٢٨ إشراف : زهير الشاويش ، وأخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار ج١١ ص ٢٦١ ، مطبعة دار الوعي ، تحقيق الدكتور : عبدالمعطي قلعجي ، الطبعة الأولى عام ١٤١١ هـ . ويقول ابن حجر معلقاً على قصة الداجن : في الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ص ١٣٢ : « قلت بل راويها ثقة غير متهم ... وكأنَّ المصنف فهم أن ثبوت هذه الزيادة يقتضى ما تدعيه الروافض أن القرآن ذهب منه أشياء ، وليس ذلك بلازم ، بل هذا مما نسخت تلاوته وبقي حكمه وأكل الداجن لها وقع بعد النسخ) . قلت والمراد بالمصنف هنا الزمخشري فإن النسفي نقل عنه العبارة كما هي .

(١) الداجن : وهى الشاة التى تلعفها الناس فى منازلهم . انظر لسان العرب ج١٣ ص ١٤٨ . مادة دجن .
(٢) الملاحدة : جمع ملحد وهو العادل عن الحق المدخل فيه مالمس فيه يقال : ألحد فى الدين ولحد ، أي : ما حد عنه . لسان العرب ج ٢ ص ٣٨٨ مادة لحد ، قلت : فهى كلمة تطلق على كل من تعدى على الدين ، أو قال مالمس فيه .

(٣) الروافض : (سموا بذلك لرفضهم لإمامة أبى بكر وعمر رضي الله عنهما ، وقيل بل لرفضهم لمقالة زيد بن علي رضي الله عنهما حيث توالى أبابكر وعمر ، وذلك أن جماعة منهم أتوا إليه فقالوا : ماتقولون فى أبى بكر وعمر ؟ فأثنى عليهما خيراً ، فقالوا : فكيف وقد نازعوكم أمركم ؟ قال مالمسعت أحداً من أهل بيتي يكذرها إلا بخير ، فرفضوا مقالته ، وتفرقوا عنه ، فلما أدبروا رفع يده إلى السماء فقال : اللهم اجعل اليوم لعنتي ولعنة آبائي عليهم فإنهم رفضوني كما رفضت الخوارج علي بن أبى طالب رضي الله عنه ، فسّموا بذلك رافضة) . انظر : عقائد الثلاث والسبعين فرقة / لأبى محمد اليمنى ، تحقيق ودراسة : محمد بن عبد الله الغامدي ، مطبعة مكتبة العلوم والحكم ، الطبعة الأولى عام ١٤١١ هـ .

(٤) انظر : النشر / ج٢ ص ٣٤٧ . والإتحاف / ج٢ ص ٣٦٩ .

(٥) سورة الفتح آية ٢٩ .

(٦) فى الحاشية (غايته) ، يقول ابن الجوزي فى زاد المسير ج٦ ص ٣٤٨ : (فإن قيل ما الفائدة فى أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالتقوى ، وهو سيد المتقين ؟ فيه ثلاثة أوجه : (أ) أحدهما : أن المراد بذلك : إستدامة ما هو عليه الثانى (ب) : الإكثار مما هو فيه . (ج) الثالث أنه خطاب ووجه به ، والمراد أمته) .

(٧) أبو سفيان : صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبدمناف بن قصي بن كلاب بن مرة

وعكرمة^(١) ابن أبي جهل ، وأبا الأعور السلمي^(٢) ، قدموا المدينة بعد قتال أحد ، فنزلوا على عبدالله^(٣) بن أبي ، وأعطاهم الأمان على أن يكلموه ، فقالوا: أرفض ذكر آلهتنا وقل إنها تشفع وتنفع^(٤) ، ووازرهم^(٥) المنافقون على ذلك فهم المسلمون بقتلهم فنزلت^(٦) . أي : إتق الله في نقض العهد ولا تطع الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا .

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا ﴾ بـخـبـث أعمـالهم . ﴿ حَكِيمًا ﴾ في تأخير الأمر بقتالهم .
﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ في الثبات على التقوى وترك طاعة الكافرين

⇐ بن كعب بن لؤي ، أبو سفيان القرشي الأموي ، وأم أبي سفيان : صفية بنت حزن ، وهي عمّة ميمونة بنت الحارث ، زوجة النبي ﷺ ، ولد قبل الفيل بعشر سنين ، وأسلم ليلة الفتح ، وشهد حينئذ والطائف مع رسول الله ﷺ ، اختلف في سنة وفاته فقيل : سنة إحدى وثلاثين ، سنة اثنتين وثلاثين ، سنة أربع وثلاثين .

أسد الغابة جـ ٣ ص ١٠ ، الإصابة جـ ٢ ص ١٧٨ بإختصار .

(١) عكرمة بن أبي جهل : بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي ، وإسم ابى جهل عمر ، وكنيته أبا الحكم ، أسلم بعد الفتح بقليل ، وكان شديد العداوة لرسول الله ﷺ ، فأسلم وحسن إسلامه ، وقُتل باجنادين وكذا قال الجمهور ، وقيل باليرموك ، وقيل يوم مزج الصفر وذلك سنة ثلاث عشرة .

أسد الغابة جـ ٤ ص ٧٠ ، الإصابة جـ ٢ ص ٤٦٩ .

(٢) أبو الأعور السلمي : عمرو بن سفيان بن عبد شمس بن سعد السلمي مشهور بكنيته ، أسلم بعد حين . أسد الغابة جـ ٤ ص ٢٣٢ وقد اختلف في صحبته .

(٣) عبدالله بن أبي : بن خلف القرشي الحمصي ، أسلم يوم الفتح ، وقتل يوم الجمل .

أسد الغابة لابن الأثير جـ ٣ ص ١٧١ تحقيق وتعليق : محمد البنا ، محمد أحمد عاشور ، عبدالوهاب فايد ، مطبعة الشعب ، الإصابة لابن حجر جـ ٢ ص ٢٧٣ ، مطبعة دار الفكر ، طبعة عام ١٣٩٨ هـ .

(٤) في : (ب) والمطبوع (تنفع وتشفع) تقديم وتأخير .

(٥) وأزر : يقول ابن منظور وأزره على الأمر : أعانه وقواه . لسان العرب جـ ٤ ص ٢٨٣ . مادة أزر .

(٦) ذكره الواحدي بدون سند في أسباب النزول ص ٤٠٧ ، والماوردي في النكت والعيون جـ ٤ ص ٣٦٩ ، ونقله القرطبي بصيغة التمریض في الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ١١٤ .

والمنافقين .

﴿ إِنَّ اللَّهَ ﴾ الذى يوحى إليك ﴿ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ أي : لم ينزل عالماً بأعمالهم وأعمالكم ، وقيل : إنما جُمِعَ لأن المراد بقوله : ﴿ اتَّبِع ﴾ هو وأصحابه ، وبالبيان^(١) أبو عمرو: أى: بما يعمل الكافرون والمنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم. ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ و^(٢) أسند أمرك إليه ، وَكُهُ إِلَى تدييره .
﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ حافظاً موكولاً إليه كل أمر ، وقال الزجاج^(٣) : لفظه وإن كان لفظ الخبر والمعنى إِكْتَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا^(٤) .

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَرْوَاجَكُمْ / اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ أي : ما جمع الله قلبين في جوف ولا زوجه^(٥) ، وأمومة في امرأة^(٦) ، ولا نبوة ودعوة في رجل ، والمعنى : أنه تعالى كماله يجعل لإنسان قلبين ، لأنه لا يخلو إما : أن يفعل بأحدهما مثل ما يفعل بالآخر^(٧) من أفعال القلوب فأحدهما فَضْلَةٌ غير محتاج إليه ، وإمّا أن يفعل بهذا غير ما يفعل بذلك ، فذلك يؤدي إلى اتصاف الجملة بكونه مريداً كارهاً عالماً ظاناً ، موقناً شاكاً في حالة واحدة ، لم يَحْكَمْ أيضاً أن تكون المرأة الواحدة : أُمًّا لرجلٍ زوجاً له ، لأن الأم مخدومة والمرأة خادمة وبينهما منافاة ، وأن يكون الرجل الواحد دعيًّا لرجلٍ وإبناً له ،

(١) النشر / ج٢ ص ٣٤٧ . والإتحاف / ج٢ ص ٣٦٩ . الموضح ج٢ ص ١٠٢٣ .

(٢) ساقط من : المطبوع .

(٣) الزجاج : الإمام ، نحوى زمانه ، أبو إسحاق : إبراهيم بن محمد بن السرىّ الزجاج البغدادي ، مصنف كتاب معانى القرآن ، وله تأليف جمعة ، مات سنة إحدى عشرة وثلاث مئة .

سير أعلام النبلاء ج١٤ ص ٣٦٠ ، شذرات الذهب ج٢ ص ٢٥٩ .

(٤) معانى القرآن / للزجاج ج٤ ص ٢١٣ ، مطبعة عالم الكتب . قلت : فهى خبريه اللفظ إنشائية المعنى .

(٥) فى المطبوع (زوجية) .

(٦) وفي : (ب) إمراة واحدة .

(٧) زيادة فى المطبوع (فعلاً) .

لأن النبوة : أصالة في النسب ، والدعوة : إصاق عارض بالتسمية لاغير ، (ولا)^(١) يجتمع في الشيء الواحد أن يكون أصيلاً غير أصيل ، وهذا مثل ضربه الله تعالى في زيد ابن حارثة^(٢) : وهو رجل من كلب^(٣) ، سُبِي صغيراً فاشتراه حكيم بن حزام^(٤) لعمته : خديجه ، فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له [فطلبه]^(٥) أبوه وعمه فَخِير فاختار رسول الله ﷺ فأعتقه وتبناه ، وكانوا يقولون زيد بن محمد ، فلما تزوج النبي ﷺ زينب وكانت تحت زيد ، قال المنافقون : تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى عنه فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٦) .

وقيل : كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان قلب معكم ، وقلب مع أصحابه^(٧) .

(١) في (أ) لثلا والمثبت من (ب) .

(٢) زيد بن حارثة : بن شراحيل بن كعب بن عبدالعزيز بن أمري القيس ، وهو مولى رسول الله ﷺ .. وهو حِبُّ رسول الله ﷺ ، أصابه سباً في الجاهلية وقد اشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد ، فوهبته خديجة للنبي ﷺ بمكة قبل النبوة وهو ابن ثمانى سنين .. أخى رسول ﷺ بينه وبين حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنهما ، قتل زيد رضي الله عنه في مؤتة من أرض الشام في جمادى من سنة ثمان من الهجرة .

انظر ترجمته : أسد الغابة في معرفة الصحابة / ج٢ ص ٢٨١ ، الإصابة في تمييز الصحابة / ج١ ص ٥٦٣ .

(٣) كلب : بفتح الكاف ، وسكون اللام ، وفي آخرها باء موحده ، كلب من اليمن ، منها زيد وَجَبَلَة ابنا شراحيل بن كعب بن عبدالعزيز .. ، وأسامة بن زيد بن شراحيل حب رسول الله ﷺ . انظر : الأنساب / للسمعاني ج٥ ص ٨٥ ، اللباب في تهذيب التهذيب الأنساب / لابن الأثير ج٣ ص ٤٦ ، عني بنشره مكتبة القدس ، سنة ١٣٥٦ هـ .

(٤) حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزيز بن قصي القرشي الأسدي ، وهو ابن أخى خديجة بنت خويلد وابن عم الزبير بن العوام ، ولد في الكعبة ، وهو من مُسَلِّمَة الفتح ، وكان من المؤلفات قلوبهم كان مولده قبل الفيل بثلاث عشرة سنة على إختلاف فى ذلك ، وعاش مائة وعشرين سنة ستين في الجاهلية وستين في الإسلام ، توفى سنة أربع وخمسين أيام معاوية وقيل سنة ثمان وخمسين . انظر أسد الغابة / ج٢ ص ٤٥ ، الإصابة / ج١ ص ٣٤٩ .

(٥) في (أ) (وطلبه) .

(٦) أسباب النزول / للواحدى ص ٤٠٨ ، وقد ذكره بدون إسناد .

(٧) جامع البيان / للطبرى ج٢١ ص ١١٨ ، وأخرجه الحاكم فى المستدرک ج٢ ص ٤١٥ عن ابن عباس رضي الله عنهما وصححه وتعقبه الذهبي وذكر ان من رواه قابوس بن أبي ظبيان

وقيل : كان أبو معمر^(١) أحفظ العرب فقيل : له ذو القليبين^(٢) .

فأكذب الله قولهم وضربه مثلاً في الظَّهَارِ والتبني ، والتنكير في رَجُلٍ ، وإدخال مِنْ الإستغرافية على قليبين وذكر الجوفِ للتأكيد ، اللائي بياء بعد الهمزة ، حيث كان كوفي وشامي (واللاء)^(٣) نافع وسهل ويعقوب^(٤) ، وهي جَمْعُ التي ، (تُظَاهِرُونَ) عاصم من ظَاهِر أي^(٥) : قال : لإمراته أنت عليّ كظهر أمي . (تَظَاهِرُونَ) عَلِيٍّ وحمزة وخلف ، (تَظَاهِرُونَ) شامي^(٦) ، من إظهار: بمعنى تظاهر [و]^(٧) غيرهم ، (تَظَهَّرُونَ) : من إظهار بمعنى : تَظَهَّرَ ،

← (وهو ضعيف) ، وانظر: المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ٤٦ ، زاد المسير جـ ٦ ص ٣٤٨ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ١١٧ .

(١) أبو معمر : هو جميل بن معمر بن حبيب بن وهب الفهري الجمحي القرشي ، أسلم عام الفتح ، وكان مسناً ، وشهد مع النبي ﷺ حينئذ . انظر: أسد الغابة / لابن الأثير جـ ١ ص ٣٥١ . والإصابة / لابن حجر جـ ١ ص ٢٤٤ .

(٢) أسباب النزول / للواحد ص ٤٠٧ بدون سند ، لباب النقول / للسيوطي ص ١٧١ ، وذكره الطبري في جامع البيان جـ ٢١ ص ١١٨ ، ويقول الطبري: [وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : ذلك تكذيب من الله تعالى قول من قال : لرجل في جوفه قلبان يعقل بهما على النحو الذي رواه عن ابن عباس ، وجائز أن يكون ذلك تكذيباً من الله لمن وصف رسول الله ﷺ بذلك ، وأن يكون تكذيباً لمن سمى القرشي الذي ذكر أنه سمى ذا القليبين لدائه ، وأى الأمرين كان فهو : نفي من الله عن خلق من الرجال أن يكونوا بتلك الصفة) قلت : وهذا هو المقصود من الآية فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، والعلم عند الله تعالى .

(٣) في (أ) والمطبوع (اللاء) .

(٤) الموضح جـ ٢ ص ١٠٢٣ و ١٠٢٤ وذكر ابن أبي مريم صحة الوجهين أي : إثبات الياء أو حذفها ، النشر جـ ١ ص ٤٠٤ والإتحاف جـ ٢ ص ٣٦٩ و ص ٣٧٠ .

(٥) في المطبوع إذا .

(٦) الموضح / جـ ٢ ص ١٠٢٥ ، وقد اطال ابن أبي مريم في توجيه القراءة . النشر / جـ ٢ ص ٣٤٧ . والإتحاف جـ ٢ ص ٣٧٠ .

(٧) ساقط من (أ) ، والمطبوع .

وَعُدَىٰ بِمَنْ لَتَضُمُّهُ مَعْنَى الْبَعْدِ ، لِأَنَّهُ كَانَ طَلَقًا [فِي] ^(١) الْجَاهِلِيَّةِ ، وَنَظِيرُهُ آلَىٰ مِنْ إِمْرَاتِهِ ^(٢) ، لَمَّا ضُمِّنَ مَعْنَى التَّبَاعُدِ مِنْهَا ^(٣) عُدَىٰ بِمَنْ ، وَإِلَّا فَآلَىٰ فِي أَصْلِهِ ، الَّذِي هُوَ بِمَعْنَى حَلْفٍ ، وَأَقْسَمَ ، لَيْسَ هَذَا بِحُكْمِهِ ، وَالذَّعِي : فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ ، وَهُوَ الَّذِي يُدْعَىٰ وَلِدًا ، وَجُمِعَ عَلَىٰ أَفْعِلَاءَ شَاذًا ^(٤) ، لِأَنَّ بَابَهُ مَا كَانَ مِنْهُ بِمَعْنَى فَاعِلٍ ، كَتَقَىٰ وَأَتَقِيَاءَ ، وَشَقِيٌّ وَأَشْقِيَاءُ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي نَحْوِ رَمِيٍّ وَسَمِيٍّ لِلتَّشْبِيهِ اللَّفْظِيِّ .

﴿ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ﴾ أَي : أَنْ قَوْلَكُمْ لِلزَّوْجَةِ هِيَ أُمٌّ وَلِلذَّعِيِّ هُوَ ابْنٌ ، قَوْلٌ تَقُولُونَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ لِاحْتِقَاقِ لَه ، إِذَا الْإِبْنُ أَنْ ^(٥) يَكُونُ بِالْوِلَادَةِ وَكَذَا الْأُمُّ . ﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ ﴾ أَي : مَا هُوَ حَقٌّ ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ .

﴿ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ أَي : سَبِيلَ الْحَقِّ ، ثُمَّ قَالَ مَا هُوَ الْحَقُّ وَهَدَىٰ إِلَىٰ ^(٦) مَا / هُوَ سَبِيلُ الْحَقِّ ، وَهُوَ قَوْلُهُ : ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ ﴾ أَعْدَلُ .
﴿ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ وَيَبَيِّنُ أَنَّ دَعَاءَهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَدْخَلَ الْأُمْرَيْنِ فِي الْقِسْطِ وَالْعَدْلِ ، وَقِيلَ : كَانَ الرَّجُلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا أَعْجَبَهُ جَلْدٌ ^(٧) الرَّجُلَ ضَمَّهُ إِلَىٰ نَفْسِهِ وَجَعَلَ لَهُ مِثْلَ نَصِيبِ الذَّكَرِ مِنْ أَوْلَادِهِ مِنْ مِيرَاثِهِ ، وَكَانَ يُنْسَبُ إِلَيْهِ يُقَالُ : فُلَانٌ بِنِ فُلَانٍ ، ثُمَّ انظُرْ إِلَىٰ فَصَاحَةِ هَذَا الْكَلَامِ حَيْثُ وَصَلَ الْجُمْلَةَ الطَّلِبِيَّةَ ، ثُمَّ فَصَلَ الْخَبْرِيَّةَ عَنْهَا وَوَصَلَ بَيْنَهُمَا ، ثُمَّ فَصَلَ الْإِسْمِيَّةَ عَنْهَا وَوَصَلَ بَيْنَهُمَا ، ثُمَّ فَصَلَ بِالطَّلِبِيَّةِ ^(٨) .

(١) فِي: (أ) لِلجَاهِلِيَّةِ .

(٢) أَي: أَنَّهُ حَلَفَ وَأَقْسَمَ عَلَىٰ تَرْكِ وَطْءِ زَوْجَتِهِ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَدَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لِلَّذِينَ يُؤُولُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرْبِصَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ .. ﴾ سُورَةُ الْبَقَرَةِ آيَةٌ ٢٦٦ .

(٣) سَاقَطَ مِنْ: الْمَطْبُوعِ .

(٤) انظُرْ : الْفَرِيدَ فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ جَد ٤ ص ٣٠ .

(٥) سَاقَطَ مِنْ: (ب) وَالْمَطْبُوعِ .

(٦) سَاقَطَ مِنْ: (ب) .

(٧) جَلْدُ الرَّجُلِ : أَيٌ وَلَدٌ غَيْرُهُ . انظُرْ : الْقَامُوسَ الْمَحِيطَ ص ٣٤٩ ، وَلِسَانَ الْعَرَبِ ج ٣ ص ١٢٧ . مَادَّةُ جَلْدٍ .

(٨) وَصَلَ الْجُمْلَةَ الطَّلِبِيَّةَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَطْعَمِ الْكَافِرِينَ .. ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ ﴾ فإن لم تعلموا لهم آباءً تنسبونهم إليه .

﴿ فَأَخْوَانَكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴾ أي : فهم أخوانكم في الدين وأولياؤكم في الدين فقولوا : هذا أخي ، وهذا مولاي ويا أخي ويا مولاي ، يريد الأخرى في الدين والولاية فيه .

﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ﴾ أي : لا إثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل ورود النهي .

﴿ وَلَكِنْ مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ ولكن الإثم فيما تعمدتموه بعد النهي ، أولاً إثم عليكم إذا قلمت لولدٍ غيركم : يا بني على سبيل الخطأ وسبق اللسان ، ولكن إذا قلمتموه متعمدين ، و (ما) في موضع الجر عطف على (ما) الأولى^(١) ، ويجوز أن يُراد العفو عن الخطأ دون العمد على سبيل العموم ، ثم تناول لعمومه خطأ التبني وعمده .

وإذا وجد التبني : فإن كان المتبني مجهول النسب وأصغر سناً منه ثبت نسبه منه وعُتِقَ إن كان عبداً له ، وإن كان أكبر سناً منه لم يثبت وعُتِقَ عند أبي حنيفة^(٢) رضي الله عنه ، وأما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبني وعُتِقَ إن كان عبداً^(٣) .

﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ لا يؤاخذكم بالخطأ ، ويقبل التوبة من المتعمد .

﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ أي : أحق بهم في كل شيء من أمور

﴿ وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً ﴾ ثم فصل الخبرية عنها وهي قوله تعالى : ﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه .. ﴾ ثم فصل الإسمية عنها وهي قوله تعالى ﴿ .. ذلكم قولكم بأفواهكم ﴾ ووصل بينهما ، ثم فصل بالطلبية وهي قوله تعالى ﴿ .. ادعوهم لأبائهم .. ﴾ إلى آخر الآية .

(١) إعراب القرآن / للنحاس جـ ٢ ص ٦٢٣ ويقول : (" ما " في موضع خفض رداً على " ما " التي مع أخطأتم) ، التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٥١ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٣١ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٠٢ .

(٢) سبق ترجمته ص ٢٥ .

(٣) أحكام القرآن / لأبي بكر أحمد بن علي الجصاص جـ ٥ ص ٢٢٢ ، تحقيق : محمد الصادق القمحاوي ، مطبعة دار إحياء التراث ، طبعة عام ١٤١٢ هـ .

الدين والدنيا، وحكمه أنفذ عليهم من حكمها . فعليهم أن يذلوها دونه ، ويجعلوها فِدَاءَهُ ، أو هو : أولى بهم، أي: أرأف بهم ، وأعطف عليهم وأنفع لهم كتولاه : ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رِؤُفٌ رَحِيمٌ﴾^(١) وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه^(٢) : ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ﴾^(٣) وقال مجاهد^(٤) : كلُّ نبي فهو أبو أمته^(٥) . ولذلك صار المؤمنون إخوة لأن النبي عليه السلام : أبوهم في الدين . ﴿وَأَزْوَاجَهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ في تحريم نكاحهن ، ووجوب تعظيمهن . وهن^(٦) فيما وراء ذلك كالإرث وغيره كالأجنبيات ، ولهذا لم يتعدَّ التحريمُ إلى بناتهن^(٧) .

﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾ وذووا القربات . ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ في التوارث ، وكان المسلمون في صدر الإسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة ، لبالقربة ثم نسخ ذلك وجعل التوارث بحق القربة^(٨) .

(١) سورة التوبة آية ١٢٨ .

(٢) ساقطه من : المطبوع .

(٣) معاني القرآن / للفراء ج٢ ص ٧٣٣٥ ، معاني القرآن / للزجاج ج٤ ص ٢٣٥ و ص ٥١٦ قال الزجاج رحمه الله (ولا يجوز أن تُقرأ بها لأنها ليست في المصحف المجمع عليه ، والنبي ﷺ أبو الأمة في الحقيقة) ، السمرقندي في بحر العلوم ج٣ ص ٣٨ ، وأبو حيان في البحر المحيط ج٨ ص ٤٥٣ .

(٤) سبق ترجمته ص ٣١ .

(٥) البحر المحيط / ج٨ ص ٤٥٣ ، وروح المعاني / للآلوسي ج١١ ص ١٥٢ ، مطبعة دار الفكر .

(٦) في (ب) والمطبوع : (ومن) .

(٧) يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره ج٣ ص ٧٤٦ : (وقوله تعالى ﴿وَأَزْوَاجَهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ أي: في الحرمة والإحترام والتوقير والإكرام والإعظام، ولكن لا تجوز الخلوة بهن ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع) .

(٨) يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره ج٣ ص ٧٤٧ : (وقوله تعالى ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ في كتاب الله ﷻ أي: في حكم الله ﷻ من المؤمنين والمهاجرين ﷻ أي :

﴿ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ في حكمه وقضائه ، أو في اللوح^(١) ، أو فيما فرض الله .

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ / وَالْمُهَاجِرِينَ ﴾ يجوز أن يكون بياناً لأولى الأرحام، أي: الأثرياء
من هؤلاء بعضهم أولى بأن يرث بعضاً من الأجانب، وأن يكون لابتداء الغاية ، أي :
أولوا الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين ، أي : الأنصار بحق الولاية في
الدين ، ومن المهاجرين بحق الهجرة .

﴿ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَيَّ أَوْلِيَاءَ كَمَا تَفْعَلُونَ ﴾ الإستثناء من خلاف الجنس^(٢) ، أي :
لكن فعلكم إلى أوليائكم معروفاً جائز ، وهو أن توصوا لمن أحببتم من هؤلاء بشيء
فيكون له ذلك بالوصية لا بالميراث ، وعُدِّي تفعلوا بإلى : لأنه في معنى تُسَدُّوا، والمراد
بالأولياء : المؤمنون والمجاهرين للولاية في الدين .

﴿ كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ أي : التوارث بالأحكام كان مسطوراً في

اللوح .

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ ﴾ وأذكر حين أخذنا من النبيين ميثاقهم بتبليغ

الرسالة والدعاء إلى الدين القيم .

⇐ القرابات أولى بالتوارث من المهاجرين والأنصار ، وهذه ناسخه لما كان قبلها من التوارث
بالحلف والمؤخاة التي كانت بينهم ، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره : كان
المهاجر يرث الأنصاري دون قراباته وذوى رحمه للأخوة التي آخى بينهما رسول الله ﷺ ،
وكذا قال سعيد بن جبير رحمه الله وغير واحد من السلف والخلف (..) .

وانظر: بحر العلوم جـ ٣ ص ٣٨ ، معالم التنزيل جـ ٦ ص ٣١٩ ، المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ٥٠ ،
زاد السير جـ ٦ ص ٣٥٤ ، الجامع لأحكام القرآن / جـ ١٤ ص ١٢٣ .

(١) في ب : في اللوح المحفوظ .

(٢) انظر: إعراب القرآن / للنحاس جـ ٢ ص ٦٢٤ ، التبيان في غرائب القرآن جـ ٢ ص ١٠٥٢ ،
الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٣١ ، وص ٣٢ . وقال الهمداني : (أن وما أتصل بها
في موضع نصب على الإستثناء المنقطع ، والمعنى : وأولوا الأرحام أولى من الأجانب في كل
شيء من الميراث وغيره إلا في الوصية فإنهم أحق بها منهم ...) . الدر المصون جـ ٥
ص ٤٠٣ .

﴿ وَمِنْكَ ﴾ خصوصاً ، وقُدِّمَ رسول الله ﷺ على نوح ومن بعده لأن : هذا العطف لبيان فضيلة هؤلاء لأنهم أولو العزم وأصحاب الشرائع ، فلما كان محمد عليه السلام أفضل هؤلاء قُدِّمَ عليهم ، ولولا ذلك لَقُدِّمَ مَنْ قَدَّمَهُ زمانه .

﴿ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ وثيقاً وأعاد ذكر الميثاق : لإنظام الوصف إليه وإنما فعلنا ذلك : ﴿ لَيْسَنَلَّ ﴾ الله ﴿ الصَّادِقِينَ ﴾ أي : الأنبياء .

﴿ عَنْ صِدْقِهِمْ ﴾ عما قالوا لقومهم ، أو ليسأل المُصَدِّقِينَ للأنبياء عن تصديقهم ، لأن من قال : للصادق صدقت كان صادقاً في قوله ، أو ليسأل الأنبياء ما الذي أجابتهم به^(١) أمهم وهو كقوله : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ﴾^(٢) .

﴿ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ بالرسول . ﴿ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ وهو عطف على أخذنا^(٣) ، لأن المعنى : أن الله أكد على الأنبياء الدعوة إلى دينه لأجل إثابة المؤمنين ، وأعدَّ للكافرين عذاباً أليماً ، أو على ما دلَّ عليه ليسأل الصادقين ، كأنه قال ، فأثاب المؤمنين وأعدَّ للكافرين .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ أي : ما أنعم الله به عليكم يوم الأحزاب وهو يوم الخندق وكان بعد حرب أحد بسنة^(٤) .

(١) ساقط من : (ب) .

(٢) سورة المائدة آية ١٠٩ .

(٣) الدر المصون ج٥ ص ٤٠٤ .

(٤) يوم الأحزاب : وهو ما يسمى بغزوة الخندق وكان ذلك في شوال سنة خمس من الهجرة . انظر تفاصيل هذه الغزوة : السيرة النبوية / لابن هشام ج٣ ص ١٦٥ وما بعدها ، وتاريخ الطبري ج٢ ص ٩٠ وما بعدها .

وقول المصنف رحمه الله : (وكان بعد حرب أحد بسنة) هو قول شاذ ، وقد سبقه إلى ذلك ابن حزم رحمه الله ، يقول : أكرم ضياء العمرى ، رحمه الله في كتابه السيرة النبوية

﴿ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ ﴾ أي الأحزاب وهم : قريش^(١) ، وغطفان^(٢) ، وقريظة^(٣) ،
والنضير^(٤) .

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا ﴾ أي: الصَّبَا^(٥) . قال ﷺ : « نُصِرْتُ بِالصَّبَا

الصحيحة جـ ٢ ص ٤١٨ مطبعة مكتبة العلوم والحكم . (وقد شذَّ ابن حزم بقوله أنه لم يكن بين
أحد والخندق سوى سنة واحدة ، وبنى رأيه على ظاهر حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما
بأن الرسول ﷺ رده يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة ، وأجازه يوم الخندق وهو بن خمس عشرة
سنة ، ولكن البيهقي في دلائل النبوة وبن القيم والذهبي وبن حجر عليهم رحمة الله أجمعين فسروا
ذلك بأن بن عمر كان يوم أحد في بداية الرابعة عشرة ويوم الخندق في نهاية الخامسة عشرة ،
وهو الموافق لقول جمهور علماء السيرة) . قلت : فبين أحد والخندق سنتين تقريباً .

(١) قُرَيْشٌ : تصغير القرش .. وقيل سميت قريش قريشاً لتقرشها إلى مكة ، من حوالها حين غلب
عليها قُصَى بن كلاب ، وقيل سميت قريش لأنهم كانوا أصحاب تجارة ولم يكونوا أصحاب
زرع ولا ضرع ، والقرش : الكسب . معجم البلدان / لياقوت الحموي جـ ٤ ص ٣٨٣ تحقيق
فريد الجندي ، مطبعة دار الكتب العلمية .

(٢) غطفان : بطن من قيس عيلان من العدنانية ، ومنازلهم بنجد مما يلي وادي القرى وجبلي ظي :
أجا وسلمى ، ثم تفرقوا في الفتوحات الإسلامية ، وقد حاربهم الرسول ﷺ في غزوة
الخندق ، انظر نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب / للقلقشندي ص ٣٣٨ ، تحقيق إبراهيم
الأيباري ، الناشر الشركة العربية ، الطبعة الأولى عام ١٩٥٩ م ، معجم قبائل العرب / عمر رضا
كحاله جـ ٣ ص ٨٨٨ ، مطبعة دار الملايين ، طبعة عام ١٣٨٨ هـ .

(٣) قريظة : يقول ابن كثير في البداية والنهاية جـ ١ ص ٢٢٢ حينما ذكر هجرة النبي ﷺ ووصول
إلى المدينة : (... وكان بها من أحياء اليهود : بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة ، وكان
نزولهم بالحجاز قبل الأنصار أيام بخت نصر حين روح بلاد المقدس ..) ، دقق أصوله
وحققه الدكتور : أحمد أبو ملحمة ، الدكتور علي عطوي ، الأستاذ : فؤاد السيد ، الأستاذ :
مهدي ناصر الدين ، علي عبدالساتر ، مطبعة دار الريان ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨ هـ .

(٤) النضير : نفس المصدر السابق .

(٥) الصَّبَا : ريح معروفة تقابل الدَّبُور ، ومهبها المستوي أن تهب من موضع مطلع الشمس إذا
استوى الليل والنهار . لسان العرب جـ ١٤ ص ٤٥١ مادة : صبا .

وَأَهْلِكَتْ عَادًا^(١) بِالذَّبَّورِ^(٢) .

﴿ وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ وهم الملائكة^(٣) ، وكانوا ألفاً بعث الله عليهم صَبًا بارده في ليلة شاتية^(٤) فأخَصَرَتْهُمْ^(٥) ، وَسَفَيْتِ^(٦) التراب في وجوههم ، وأمر الملائكة فقلعت الأوتاد^(٧) ، وَقَطَّعَتِ الأطناب^(٨) ، وأطفأت النيران ، وأكفأت القدور ، وماجت الخيل بعضها في بعض ، وقذف في قلوبهم الرُّعب ، وكبَّرت الملائكة في جوانب عسكرهم فأنهزموا من غير قتال ، وحين سمع رسول الله ﷺ بإقبالهم ضرب / الخندق على المدينة بإشارة سلمان^(٩) رضي الله عنه ، ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب

[١١٨/ب]

(١) في (أ) في الدبور والمثبت من (ب) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه جـ ١ ص ٣٠٩ كتاب الإستسقاء باب قول النبي ﷺ « نصرت بالصبا » .
ومسلم في صحيحه جـ ٢ ص ٥١٥ كتاب صلاة الإستسقاء باب ريح الصبا والدبور ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده جـ ١ ص ٣٢٤ ، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير جـ ١١ ص ٦٠ ، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى جـ ٣ ص ٣٦٤ ، كتاب الصلاة باب : أي ريح يكون بها المطر . والصَّبَا : ريح معروفة تقابل الذَّبَّور ، ومهبها المستوي أي أن تهب من موضع مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار ، انظر : لسان العرب جـ ١٤ ص ٤٥١ ، مادة : صبا ، والذَّبَّور : ريح تأتي من دبر الكعبة ، مما يذهب نحو المشرق ، وهي الريح التي تقابل الصبا . لسان العرب جـ ٤ ص ٢٧١ ، مادة : دبر .

(٣) قال مجاهد رحمه الله : ولم تقاتل يومئذ " الأحزاب " معاني القرآن / للنحاس جـ ٥ ص ٣٢٨ .

(٤) في (أ) شاطئه : وهو خطأ .

(٥) الخَصْر . يقول بن منظور في لسان العرب جـ ٤ ص ٢٢٣ بالتحريك البرد يجده الأنسان في أطرافه ، مادة خصر .

(٦) في المطبوع : (وأسفت) وسفت الريح التراب تسفيه ذرته ، أو حملته ، القاموس المحيط ص ١٦٧١ مادة سفي .

(٧) الأوتاد : جمع وتد وهو : مارز في الحائط ، أو الأرض من الخشب والجمع أوتاد . لسان العرب / جـ ٣ ص ٤٤٤ والقاموس المحيط / ص ٤١٣ . مادة وتد .

(٨) الأطناب : جمع طنب : ما يشد به البيت من الجبال بين الأرض والطرائق ، لسان العرب / جـ ١ ص ٥٦١ ، والقاموس المحيط / ص ١٤٠ . مادة طناب .

(٩) سلمان : هو الصحابي الجليل : أبو عبدالله الفارسي سابق الفرس إلى الإسلام ، صحب النبي ﷺ وخدمه وحدث عنه ، يُقال له سلمان بن الإسلام وسلمان الخير مات سنة ثلاث أو إثنتين وثلاثين رضي الله عنه . انظر ترجمته : أسد الغابة / جـ ٢ ص ٤١٧ والإصابة في تمييز الصحابة / جـ ٢ ص ٦٢ . وسير أعلام النبلاء / جـ ١ ص ٥٠٥ .

فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم، وأمر بالذراري والنسوان فرفعوا في الآطام^(١)، وأشدت الخوف ، وكانت قريش قد إقبلت في عشرة آلاف من الأحابيش^(٢) ، وبنى كنانه^(٣) ، وأهل تهامة^(٤) وقائدهم أبو سفيان^(٥) ، وخرج غطفان^(٦) في ألف ومن تابعهم من أهل نجد^(٧) وقائدهم عيينة بن حصن^(٨) ، وعامر بن الطفيل^(٩) في هوازن^(١٠) ،

(١) الآطام : جمع أطمُ بضمّةٍ وبضمّتين : القصر ، وكل حصنٍ مبنى بحجارة وكل بيت مربع مسطح . القاموس المحيط / ص ١٣٩٠ ، مادة : أطم .

(٢) الأحابيش : جمع حبش ، يقول : عمر رضا كحاله في معجمه جـ ١ ص ٥ : (بطن اختلف فيه فقيل : من بني الهون بن خزيمة ، وقيل سمو بذلك لإجتماعهم ، وقيل هو بطن من قريش ، وقيل من بطون كنانة بن خزيمة ، وهم ليسوا من الحبشة كما يتوهم البعض) بتصرف واختصار .

(٣) بني كنانة : كنانة خزيمة وهي : قبيلة عظيمة من العدنانية ، كانت ديارهم بجهات مكة . نهاية الأرب ص ٤٠٨ ، معجم قبائل العرب جـ ٣ ص ٩٩٦ .

(٤) تهامة : اسم مكة والنازل فيها مُتهمٌ . لسان العرب جـ ١٢ ص ٧٢ مادة : تهم .

(٥) أبو سفيان : سبق ترجمته : ص ٤٥ .

(٦) سبق الحديث عنهم ص ٥٥ .

(٧) نجد : ما أشرف من الأرض ، أعلاه تهامة واليمن ، وأسفله العراق والشام . انظر : معجم البلدان / جـ ٥ ص ٣٠٣ .

(٨) عيينة بن حصن : بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن ذبيان بن بغيض بن قيس عيلان الفزاري يكنى أبا مالك أسلم بعد الفتح وقيل ، أسلم قبل الفتح وشهد الفتح مسلماً وكان من المؤلفة قلوبهم وكان ممن إرتد ثم عاد في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه لإسلامه . انظر أسد الغابة / جـ ٤ ص ٣٣١ ، الإصابة جـ ٣ ص ٥٤ .

(٩) عامر بن الطفيل : بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة العامري ، كان سيد بني عامر في الجاهلية ، اختلف في إسلامه ورجح ابن الأثير القول بأنه مات كافراً ، أسد الغابة جـ ٣ ص ١٢٧ ، الإصابة جـ ٢ ص ٢٥١ .

(١٠) هوازن : بطن من قيس عيلان من العدنانية ، وهم هوازن بن منصور بن عكرمة ب حفصة بن قيس عيلان ، وله أفخاذ كثيرة وكانوا يقطنون في نجد مما يلي اليمن ، ومن أوديتهم حنين ، وقد غزاهم الرسول ﷺ بوادي حنين بعد فتح مكة .. (نهاية الأرب جـ ٢ ص ٢٤٤ ، ومعجم قبائل العرب جـ ٣ ص ١٢٣١ و١٢٣٢ .

وضامتهم^(١) اليهود من قريظة والنضير ، ومضى على الفريقين قريب من شهر لاحرب بينهم إلا بالتراحي بالنبل ، والحجزة حتى أنزل الله النصر^(٢) .

﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ أي : بعملكم أيها المؤمنون من التحصن بالخذق ، والثبات على معاونة النبي ﷺ ﴿بَصِيرًا﴾^(٣) ، وبالياء أبو عمرو^(٤) ، أي : بما يعمل الكفار من البغي والسعى في إطفاء نور الله .

﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ ﴾ بدل من إذ جاءتكم^(٥) .

﴿ مِّنْ فَوْقِكُمْ ﴾^(٦) من أعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان .

﴿ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ﴾ من أسفل الوادي من قبل المغرب قريش .

﴿ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ ﴾ مالت عن سنها ومستوى نظرها حيرةً ، أو عدلت عن كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوها لشدة الروع .

﴿ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ الحنجرة : رأس الغلصمة ، وهي منتهى الحلقوم ، والحلقوم : مدخل الطعام والشراب^(٧) ، [و]^(٨) قالوا : إذا إنتفخت الرئة من شدة الفزع

(١) أي : إنضمت إليهم .

(٢) انظر : السيرة النبوية / لابن هشام ج٣ ص ١٦٥ وما بعدها ، الطبقات الكبرى / لابن سعد ج٢ ص ٥٠ ، تاريخ الطبري ج٢ ص ٩٠ وما بعدها ، دلائل النبوة للبيهقي ج٢ ص ٣٩٢ وما بعدها ، البداية والنهاية / لابن كثير ج٢ ص ٩٤ وما بعدها ، الكامل في التاريخ / لابن الأثير ج٢ ص ٧٠ وما بعدها .

(٣) بياض في الأصل .

(٤) التلخيص في ص ٣٣٠ . والموضح ج٢ ص ١٠٢٩ . والنشر ج٢ ص ٣٤٧ .

(٥) الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ٣٢ ، الدر المصون ج٥ ص ٤٠٤ .

(٦) (أي من) في المطبوع .

(٧) معجم مفردات الفاظ القرآن / للراغب الأصفهاني ص ١٣٣ ، تحقيق نديم مرعشلي ، مطبعة دار الفكر ، تحفة الأريب بما في القرآن من غريب / للشيخ أثير الدين أبي حيان الأندلسي ص ١٠١ ، تحقيق : سمير طه المحذوب ، مطبعة المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، عام ١٤٠٨ هـ .

(٨) ساقط من : (أ) .

أو الغضب رَبَّتْ وإرتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الحنجرة^(١) ، وقيل : هو مثل في اضطراب القلوب وإن لم تبلغ الحناجر حقيقه ، روى أن المسلمين قالوا لرسول الله عليه السلام : هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر ، قال : « نعم قولوا اللهم أستر عوراتنا وآمن روعاتنا »^(٢) .

﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ خطاب للذين آمنوا ، ومنهم ثُبَّتُ^(٣) القلوب والأقدام والضعاف القلوب^(٤) والمنافقون ، فظنَّ الأولون بالله أنه يتليهم فخافوا الزلل ، وضعف الإحتمال ، وأما الآخرون فظنوا بالله ما حكى عنهم .

قرأ أبو عمرو وحمزة (الظنون) بغير ألف في الوصل ، والوقف وهو القياس ، وبالألف فيهما مدنيّ وشاميّ وأبو بكر . إجراءً للوصل مجرى الوقف ، وبالألف في الوقف فقط^(٥) مكّيّ وعليّ وحفص^(٦) ومثله الرسولا والسبيلا زادوها في الفاصلة [كما زادها]^(٧) في القافية من قال : أَقْلَى اللّوْمِ عَادِلَ والعِتَابَا^(٨)

(١) انظر معاني القرآن / للفراء جـ ٢ ص ٣٣٦ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ١٤٥ ، روح المعاني جـ ١١ ص ١٥٧ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده جـ ٣ ص ٣ ، وذكره ابن جرير في جامع البيان جـ ٢١ ص ١٢٧ . والسيوطي في الدر جـ ٦ ص ٥٧٣ وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٣) في: (ب) و (ج) [الثبَّتُ] .

(٤) زيادة في: (ب) و (ج) : (الذين هم على حرف) .

(٥) ساقط من: المطبوع .

(٦) انظر : التلخيص ص ٣٧٠ و ص ٣٧١ ، والنشر جـ ٢ ص ٣٤٨ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٣٧١ .

(٧) في (أ) كان ادها والمثبت من (ب) .

(٨) البيت لجرير وعجزه : وقولي إن أصبتُ لقد أصابا . ديوان جرير ص ٥٨ ، مطبعة دار صادر ، طباعة عام ١٣٧٩ هـ .

وهن كلهن في الإمام بألف (١) .

﴿ هُنَالِكَ آتَبْتِي الْمُؤْمِنُونَ ﴾ إمتحنوا بالصبر على الإيمان .

﴿ وَزَلْزَلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ حُرُّكُوا بالخوف تحريكاً بليغاً .

﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ ﴾ عطف على الأول (٢) .

﴿ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ قيل هو وصف المنافقين بالواو كقوله :

إلى الملكِ القَرَمِ (٣) وابنِ الهَمَامِ (٤) وليثِ الكَتِيبَةِ في المَزْدَحَمِ (٥) .

وقيل : هم قوم لابصيرة لهم في الدين كان المنافقون يستميلونهم بإدخال الشبه

عليهم (٦) .

﴿ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ روي أنَّ مُعْتَبَ بنِ قُشَيْرٍ (٧) حين رأى

الأحزاب قال : يَعِدُنَا محمدٌ فتحَ فارسَ والرومِ / وأحدنا لا يقدر أن يتبرزَ خوفاً ، ما هذا

(١) في الهامش (أي : في مصحف عثمان رضي الله عنه) ١١٨ / ب ، وينظر المراجع السابقة في

القراءات ، قلت والمراد (بكلهن) أي : الظنونا ، والرسولا ، والسبيلا .

(٢) الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٣٣ قلت : ومقصوده على الأول في قوله تعالى :

﴿ أذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم .. ﴾ آية : ٩ من نفس السورة .

ويقول أبو حيان رحمه الله في البحر المحيط جـ ٨ ص ٤٥٩ عند قوله تعالى ﴿ إذ يقول

المنافقون ﴾ : (وهم المظهرون للإيمان المبطنون لكفر) .

(٣) القَرَمَ : بفتح القاف وسكون الراء ، القَرَمَ من الرجال السيد المعظم ، وهو فحل الإبل . لسان

العرب جـ ١٢ ص ٤٧٣ مادة : قرم .

(٤) الهَمَامَ : بضم الهاء ، وفتح الميم : وهو الملك العظيم الهمة . لسان العرب جـ ١٢ ص ٦٢١ ،

القاموس المحيط ص ٥١٢ مادة همم .

(٥) المزدحم : أي موضع الإزدحام والمقصود به المعركة ، فالهمام وصف للملك ، وكذلك ليث

الكتيبة ، فهما وصفان للملك ، وَذُكِرَ البيت في : الكشاف جـ ١ ص ٤١ .

(٦) انظر : البحر المحيط جـ ٨ ص ٤٥٩ ، روح المعاني جـ ٢١ ص ١٥٨ .

(٧) مُعْتَبُ بن قُشَيْرِ الأنصاري الأوسى شهد العقبة وهدراً واحداً ، وقيل أنه كان منافقاً ، وقيل أنه

تاب . أسد الغابة / جـ ٥ ص ٢٢٥ ، والإصابة جـ ٣ ص ٤٤٣ .

إلا وعد غرور^(١) .

﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ ﴾ من المنافقين وهم عبدالله بن^(٢) أبي وأصحابه . ﴿ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ ﴾ هو إسم المدينة^(٣) .

﴿ لَا مَقَامَ لَكُمْ ﴾ وبضم الميم حفص^(٤) ، أي : لا قرار لكم ههنا ، ولا مكان تقومون فيه ، أو تقيمون .

﴿ فَأَرْجِعُوا ﴾ إلى الكفر ، أو من عسكر رسول الله ﷺ إلى المدينة .

﴿ وَيَسْتَنْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ ﴾ أن بنو حارثة^(٥) .

﴿ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ ذات عورة .

﴿ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ العورة : الخلل ، والعورة ذات العورة ، وهي قراءة ابن عباس^(٦) ، يُقال عور المكان عوراً : إذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو

(١) انظر : السيرة النبوية / لابن هشام جـ ٣ ص ١٩٥ ، لباب النقول ص ١٧٢ ، وص ١٧٣ . وابن

جرير في تفسيره جـ ٢١ ص ٨٥ ، والماوردي في النكت والعيون جـ ٤ ص ٣٨١ .

(٢) عبدالله بن أبي بن سلول . رأس المنافقين .

(٣) في (ب) : (هم أهل المدينة) .

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله تعالى سمي المدينة طابة » . أخرجه مسلم في صحيحه جـ ٢ ص ٨١٧ كتاب الحج باب المدينة تنفى شرارها ، وأخرجه أحمد في مسنده جـ ٥ ص ٩٤ ، يقول النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم جـ ٩ ص ١٦٢ : (يعني أن بعض الناس من المنافقين وغيرهم يسمونها يثرب ، وإنما إسمها المدينة وطابة وطيبة ففي هذا كراهة تسميتها يثرب) .

(٤) التلخيص ص ٣٧١ ، والموضح جـ ٢ ص ١٠٢٩ ، النشر جـ ٢ ص ٣٤٨ ، ويقول ابن الجزري رحمه الله : (وقرأ الباقون بالفتح) ، والإتحاف جـ ٢ ص ٣٧١ و ص ٣٨٢ .

(٥) يقول الزمخشري : كان سكن بنى الحارث بن الخزرج بن حارثة بالسنع ، على ميل من مسجد رسول الله ﷺ ، وفيهم كان يسكن أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، ومنهم تفرع بنو حارثة . جمهرة أنساب العرب ص ٣٦١ / لابن حزم ، مطبعة دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٣ هـ .

(٦) قراءة شاذة ، يقول ابن جنى في المحتسب ص ١٧٦ : (بكسر الواو ابن عباس وابن يعمر وأبو

والسارق ، ويجوز أن يكون عَوْرَةً تخفيف عَوْرَةٍ ، إعتذروا أن بيوتهم عرضة للعدو والسراق^(١) ، لأنها غير محصنة فأستأذنه ليحصنوها ثم يرجعوا إليه ، فأكذبهم الله بانهم لا يخافون ذلك وإنما يريدون الفرار من القتال .

﴿ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمُ الْمَدِينَةُ ، أَوْ بِيوتِهِمْ ، مِنْ قَوْلِكَ : دَخَلْتُ عَلَى فُلَانِ دَارَهُ . ﴾

﴿ مِنْ أَقْطَارِهَا ﴾ من جوانبها ، أي : ولو دخلت هذه العساكر المتحزبه التي يفرون خوفاً منها مدينتهم ، أو بيوتهم من نواحيها كلها وأنثالت^(٢) على أهاليهم ، وأولادهم ناهيين سائين .

﴿ ثُمَّ سَأَلُوا ﴾ عند ذلك الفرع . ﴿ الْفِتْنَةَ ﴾ أي : الرَّدَّةَ والرجعة إلى الكفر ومقاتلة المسلمين .

﴿ لَأَتَوْهَا ﴾ لأعطوها ، (لأتوها) بلامد حجازي^(٣) ، أي : لجأوا إليها وفعلوها .

﴿ وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا ﴾ بإجابتها .

﴿ إِلَّا يَسِيرًا ﴾ ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف ، أو مالبثوا بالمدينة بعد إرتدادهم إلا يسيراً فإن الله يهلكهم ، والمعنى : أنهم يتعللون بإعوار بيوتهم ليفرُّوا عن نصره رسول الله ﷺ والمؤمنين ، وعن مصافة الأحزاب الذين ملئوهم هولاً ورعباً ، وهؤلاء الأحزاب كما هم لو كبسوا^(٤) عليهم أرضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر ، وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا إليه وما تعللوا بشيء وما ذاك إلا لمقتهم الإسلام

رجاء . قال أبو الفتح : صحة الواو في هذا شاذه من طريق الإستعمال ، وذلك أنها متحركة بعد فتحه فكان قياسها أن تقلب الفاء فيقال عاره ..) .

(١) في المطبوع : (والسارق) .

(٢) أنثالت : من نثل عليه درعه ينثلها : صبَّها ، وتناثلوا عليه : إنصبوا ، لسان العرب جـ ١١ ص ٦٤٦ . القاموس المحيط ص ١٣٧٠ ، مادة : نثل .

(٣) التلخيص ص ٣٧١ ، والموضح في وجوه القراءات وعللها جـ ٢ ص ١٠٣٠ و ١٠٣١ . والنشر جـ ٢ ص ٣٤٨ . والإتحاف جـ ٢ ص ٣٧٢ .

(٤) كبسوا : من التكبيس والتكبس : الإقتحام على الشيء ، وقد تكبَّسوا عليه ، ويقال كبَّسوا عليه . لسان العرب جـ ٦ ص ١٩١ ، مادة : كبس .

وحبهم الكفر .

﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي : بنو حارثة من قبل الخندق ، أو من قبل نظرهم إلى الأحزاب ^(١) .

﴿ لَا يُؤَلُّونَ الْأَدْبَارَ ﴾ منهزمين . ﴿ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴾ مطلوباً مقتضى حتى يوفى به .
﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارَ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أي : إن كان حضر أجلكم لم ينفعكم الفرار ، وإن لم يحضر وفررتم لم تمتعوا في الدنيا إلا قليلاً وهو مدة أعماركم ، وذلك قليل ، وعن بعض المروانية ^(٢) : أنه مرّ بحائط مائل فأسرع ، فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب ^(٣) .

﴿ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ ﴾ أي : مما أراد الله إنزاله بكم .

﴿ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا ﴾ في أنفسكم من قتل أو غيره .

﴿ أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ﴾ أي : إطالة عمر في عافية وسلامة ، أو من يمنع الله من أن يرحمكم إن أراد بكم رحمة لما في العصمة من معنى المنع .

﴿ وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ / ناصراً .

﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ ﴾ أي : من يعوق عن نصره رسول الله ، أي : يمنع وهم المنافقون .

(١) النكت والعيون جـ ٤ ص ٣٨٢ والقول الأول نسبه الماوردي رحمه الله إلى قتادة والثاني إلى النقاش ، الوسيط جـ ٣ ص ٤٦٣ ، المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ٥٧ ، زاد المسير جـ ٦ ص ٣٦٢ و ص ٣٦٣ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ١٥٠ ، البحر المحيط جـ ٨ ص ٤٦٢ ، روح المعاني جـ ٢١ ص ١٦٢ . وقال الألويسي رحمه الله : (هؤلاء هم الفريق المستأذنون وهم بنو حارثة عند الأكثرين) .

(٢) المرواني : بفتح الميم ، وسكون الراء ، وفي آخرها نون هذه النسبة إلى أحد رجلين : أحدها مروان بن الحكم وهو والد المروانية وإليه ينسبون ، وكذلك جميع الخلفاء المروانية تنسب إليه ، والثانية مروان بن غيلان بن خرشة الضبي . الأنساب جـ ٥ ص ٢٦٤ للسمعاني ، تقديم وتعليق : عبدالله عمر البارودي ، مطبعة دار الجنان ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨ هـ .

(٣) البحر المحيط جـ ٨ ص ٤٦٢ .

﴿ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ ﴾ في الظاهر من المسلمين .
﴿ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾ أي : قربوا أنفسكم إلينا ودعوا محمداً ، وهي لغة أهل الحجاز^(١)
فإنهم يسوون فيه بين الواحد والجماعة ، وأما تميم^(٢) فيقولون : هلم يارجل وهلموا يا
رجال ، وهو صوت سمي به فعل متعدٍ نحو أحضر وقرب^(٣) .
﴿ وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ ﴾ الحَرْبَ . ﴿ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ أي : إتياناً قليلاً ، أي : يحضرون
ساعةً رياءً ، ويقفون قليلاً مقدار ما يرى شهودهم ثم ينصرفون .
﴿ أَشِحَّةً ﴾ جمع شحيح ، وهو البخيل^(٤) ، نُصِبَ عَلَى الْحَالِ مِنَ الضَّمِيرِ فِي
يَأْتُونَ^(٥) ، أي يأتون الحرب بخلاء .
﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ بِالظَّفَرِ وَالْغَنِيمَةِ .
﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ ﴾ مِنْ قِبَلِ الْعَدُوِّ ، أَوْ مِنْهُ ﷺ .
﴿ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ ﴾ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ . ﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ ﴾ يَمِينًا وَشِمَالًا .
﴿ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ كَمَا يَنْظُرُ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنْ مَعَالِجَةِ سَكَرَاتِ
الموت حذراً ، وخوراً^(٦) ، ولوذاً بك .
﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ ﴾ زَالَ ذَلِكَ الْخَوْفُ ، وَأَمِنُوا ، وَحِيزَتِ الْغَنَائِمُ .
﴿ سَلَقُواكُمْ بِالْسِّنَةِ حِدَادٍ ﴾ خَاطَبُواكُمْ مَخَاطَبَةً شَدِيدَةً ، وَأَذَوْكُمْ بِالْكَلَامِ ،
خَطِيبٌ مَسْلُوقٌ : فَصِيحٌ ، وَرَجُلٌ مِسْلَاقٌ : مُبَالِغٌ فِي الْكَلَامِ^(٧) .

(١) الحجاز : مكة والمدينة والطائف ، ومخاليفها ، لأنها حجرت بين نجد وتهامة ، أو بين نجد
والسراة ، أو لأنها إتججرت بالحرار الخمس ، حرة : بني سليم ، وواقم ، وليلى ، وشوران ،
والنار . القاموس المحيط ص ٦٣٥ ، مادة : حجز .

(٢) بنو تميم : بطن من طابخة ، وطابخة من العدنانية ، وهم بنو تميم بن مر بن أد بن طابخة ، وكان لتمييم من
الولد : زيد بن مناة ، وعمرو بن الحارث ، وكانت منازلهم بأرض نجد من البصرة واليمامة ، وأمتدت
إلى الغري من أرض الكوفة ، ثم تفرقوا بعد ذلك في الحواضر . نهاية الأرب ص ١٧٧ و ١٧٨ .

(٣) الفريد في إعراب القرآن المجيد ج ٤ ص ٣٥ ، الدر المصون ج ٥ ص ٤٠٧ .

(٤) يقول الراغب الأصفهاني في معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٧٢ : (الشح بخل مع حرص) .

(٥) إعراب القرآن / للنحاس ج ٢ ص ٦٢٨ ، التبيان في إعراب القرآن ج ٢ ص ١٠٥٤ ، الفريد في
إعراب القرآن المجيد ج ٤ ص ٣٦ ، الدر المصون ج ٥ ص ٤٠٨ .

(٦) خوراً : الخورُ بالتحريك الضعف ، دخار الرجل : ضعف وأنكسر . لسان العرب ج ٤
ص ٢٦٢ ، مادة : خور .

(٧) انظر : معاني القرآن / للزجاج ج ٤ ص ٢٢١ ، ومعاني القرآن / للنحاس ج ٥ ص ٣٣٦ .

أي يقولون : وفرّوا قسمتنا فإننا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم .
﴿ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ﴾ أي : خاطبوكم أشحّةً على المال والغنيمة ، وأشحّةً حال
من فاعل سلقوكم^(١) .

﴿ أَوْلَيْكَ لَمْ يُؤْمِنُوا ﴾ في الحقيقة بل بالألسنة .

﴿ فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ أبطل بإضمارهم الكفر ما أظهره من الأعمال .

﴿ وَكَانَ ذَلِكَ ﴾ إحباط أعمالهم . ﴿ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ هيناً .

﴿ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ﴾ أي : لجنبهم يظنون أن الأحزاب لم ينهزموا ،

ولم ينصرفوا مع أنهم قد إنصرفوا .

﴿ وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ ﴾ كَرَّةً ثَانِيَةً .

﴿ يُودُّوْا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ ﴾ البادون : جمع البادى ، أي : يتمنى

المنافقون لجنبهم أنهم خارجون من المدينة إلى البادية حاصلون بين الأعراب ، ليأمنوا

على أنفسهم ، ويعتزلوا مما فيه المؤمنون^(٢) من القتال .

﴿ يَسْتَلُون ﴾ كل قادم من جانب المدينة .

﴿ عَن أَنْبَائِكُمْ ﴾ عن أخباركم وعمّا جرى عليكم .

﴿ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ ﴾ ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال .

﴿ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلاً ﴾ رياءً وسمعة . ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ

حَسَنَةً ﴾ بالضم حيث كان عاصم^(٣) ، أي : قدوة وهو : المؤتسي به ، أي : المقتدى به ،

كما نقول في البيضة عشرون مناً^(٤) حديداً ، أي : هي في نفسها هذا المبلغ من

(١) التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٥٤ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٣٦ ،

الدر المصون جـ ٥ ص ٤٠٨ .

(٢) (الخوف) في: المطبوع .

(٣) التلخيص في القراءات ص ٣٧١ . أي بضم الألف في "أسوة" ، والموضح / جـ ٢ ص ١٠٣٢ .

ويقول صاحب الموضح: (وقرأ عاصم وحده وكذلك في الممتحنة وقرأ الباقون بكسر الألف

في السورتين والوجه أنهما لغتان) ، والنشر جـ ٢ ص ٣٤٨ . والإتحاف جـ ٢ ص ٣٧٣ .

(٤) مَنَّا : المَنَا والمَنَاة : الكيل والميزان الذي يوزن به ، بفتح الميم مقصور يكتب بالألف ،

الحديد، أو فيه خصلة من حقها أن يُؤتسى بها حيث قاتل بنفسه .

﴿ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ أي : [يخاف] (١) الله [ويخاف] (٢) اليوم الآخر ، أو [ويأمل] (٣) ثواب الله ونعيم اليوم الآخر ، قالوا : (لِمَنْ) بَدَلٌ من لكم وفيه ضعف، لأنه : / لا يجوز البدل من ضمير المخاطب ، وقيل لمن يتعلق بحسنه ، أي : أسوة حسنة كائنة لمن كان (٤) .

﴿ وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا ﴾ أي : في الخوف والرجاء والشدة والرخاء .

﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ ﴾ وعدهم الله أن يُزَلزلوا حتى يستغيثوه ، ويستنصروه بقوله : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ قَرِيبٌ ﴾ (٥) فلما جاء الأحزاب واضطربوا ورُعِبوا الرَّعْبَ الشديد: ﴿ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ وعلموا أن الجنة والنصر قد وجبت لهم ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما : أن أن النبي ﷺ : قال لأصحابه : إن الأحزاب سائرون إليكم في آخر تسع ليال أو عشر فلما رأوهم قد أقبلوا للميعاد قالوا ذلك (٦) ، وهذه إشارة إلى الخطب أو البلاء .

⇐ والمكيال الذي ، يكيلون به السمن وغيره ، وقد يكون من الحديد أوزانا وتثنيته مَنوان وَمَنِيان والأول أعلى .

لسان العرب جـ ١٥ ص ٢٩٧ . القاموس المحيط ص ١٧٢٢ ، مادة : منا .

(١) في: (أ) يخافوا ، وهذا يصح بالنظر إلى « من » فإن لفظها مفرد ومعناها جمع .

(٢) نفس الكلام السابق .

(٣) في: (أ) يأملون .

(٤) التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٥٧ يقول العكبري : (﴿ لِمَنْ كَانَ ﴾ قيل : هو بدل من

ضمير المخاطب بإعادة الجار ، ومنع منه الأكثرون ، لأن ضمير المخاطب لا يبدل منه ، فعلى

هذا يجوز أن يتعلق بحسنه ، أو يكون نعتاً لها ولا تتعلق بأسوة لأنها قد وصفت) ، الفريد في

إعراب القرآن جـ ٤ ص ٣٧ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٠٩ وص ٤١٠ .

(٥) سورة البقرة آية ٢١٤ .

(٦) قال ابن حجر في الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ص ١٣٣ : [لم أجده] ، وذكروه

﴿ وَمَا زَادَهُمْ ﴾ مارأو من إجتماع الأحزاب عليهم ، ومجيئهم .
 ﴿ إِلَّا إِيمَانًا ﴾ بالله وبمواعيده . ﴿ وَتَسْلِيمًا ﴾ لقضاياه^(١) وأقداره .
 ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ أي : فيما عاهدوه عليه ،
 فحذف الجار كما في المثل : صدقني سين بكره^(٢) أي : صدقني في سين بكره ، بطرح
 الجار وإيصال الفعل^(٣) . نذر رجال من الصحابة أنهم إذا لقوا حرباً مع رسول الله عليه
 السلام ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا ، وهم عثمان بن عفان ، وطلحة ، وسعيد بن زيد ،
 وحمزة ، ومصعب وغيرهم^(٤) رضي الله عنهم أجمعين .

﴿ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ ﴾ أي : مات شهيداً كحمزة ، ومصعب رضي الله عنهما^(٥) .
 وقضاء النحب : صار عبارة عن الموت ، لأن كل حي من المحدثات لا بد له من
 أن يموت فكأنه نذر لازم في رقبته ، فإذا مات فقد قضى نحبه ، أي : نذره^(٦) .

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ ﴾ الموت كعثمان وطلحة رضي الله عنهما .
 ﴿ وَمَا بَدَلُوا ﴾ العهد . ﴿ تَبْدِيلًا ﴾ ولا غيروه لا المستشهد ولا من ينتظر
 الشهادة ، وفيه تعريض لمن بدلوا من أهل النفاق ، ومرضى القلوب كما مر في قوله

⇐ أبو حبان في البحر المحيط جـ ٨ ص ٢١٢ . والآلوسي في روح المعاني جـ ١١ ص ١٦٩ .
 وقال : [وتعقبه بن حجر بأنه لم يوجد في كتب الحديث] .

(١) في : (ب) (لقضائه) ، وفي : (جـ) (لقضائه وإقذاره) ، وفي : المطبوع : (لقضائه وقدره) .
 (٢) البكرة : الأنتى الفتية من الإبل ، انظر : القاموس المحيط / ص ٤٥١ مادة : بكر ، ذكره الميداني
 في مجمع الأمثال جـ ٢ ص ٢١٢ وقال : (يُضْرَبُ مثلاً في الصدق) ، تحقيق : محمد أبو
 الفضل إبراهيم ، مطبعة دار الجيل ، طبعه عام ١٤١٦ هـ .

(٣) انظر : الدر المصون جـ ٥ ص ٤١٠ .

(٤) انظر : أسباب النزول / للواحدى ص ٤٠٩ . وص ٤١٠ ، وزاد المسير ص ٣٦٩ وص ٣٧٠ ،
 الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ١٦٠ . البحر المحيط جـ ٨ ص ٤٦٧ ، تفسير القرآن العظيم
 لابن كثير جـ ٤ ص ٧٥٧ وما بعدها ، وقد ذكر رحمه الله عدة أقوال وبأسانيدها .

(٥) انظر : أسباب النزول / للواحدى ص ٤١٠ ، وذكره : السمعاني في تفسيره جـ ٤ ص ١٢٧١ .

(٦) النَّحْبُ : الموت ، يُقال قضى فلان نَحْبَهُ إذا مات ، وقيل : المدة والوقت ، وقيل النَّحْبُ :
 النذر ، وقيل غير ذلك ، انظر : لسان العرب جـ ١ ص ٧٥ مادة : نحب .

تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الأدْبَارَ﴾^(١) . ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ بوفائهم بالعهد .

﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ﴾ إذا لم يتوبوا .

﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ إن تابوا . ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ بقبول التوبة . ﴿رَحِيمًا﴾ بعمفو الحوبة ، جعل المنافقين كأنهم قصدوا عاقبة السوء ، وأرادواها بتبديلهم ، كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم ، لأن كلا الفريقين مسوق إلى عاقبته من الثواب والعقاب ، فكأنهما أستويا في طلبها والسعى لتحصيلها .

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الأحزاب . ﴿بِغِيظِهِمْ﴾ حال^(٢) ، أي : مغيظين كقوله : ﴿تُنَبِّئُ بِالذُّهْنِ﴾^(٣) . ﴿لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ ظفراً ، أي : لم يظفروا بالمسلمين وسمّاه خيراً بزعمهم وهو حال^(٤) ، أي : غير ظافرين .

﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بالريح والملائكة .

﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ قادراً غالباً .

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ﴾ وعاونوا الأحزاب . ﴿مِنْ أَهْلِ / الْكِتَابِ﴾ يعني بني قريظة^(٥) . ﴿مِنْ صِيَاصِيهِمْ﴾ من حصونهم والصيصة : ما تحصن به^(٦) .

رؤى : أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله ﷺ : صبيحة الليلة التي أنهزم فيها الأحزاب ، ورجع المسلمون إلى المدينة ، ووضعوا سلاحهم على فرسه الحيزوم^(٧) ،

(١) سورة الأحزاب آية ١٥ .

(٢) التبيان في إعراب القرآن ج٢ ص ١٠٥٥ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ٣٨ ، الدر المصون ج٥ ص ٤١٢ .

(٣) سورة المؤمنون آية ٢٠ .

(٤) المراجع السابقة في الإعراب .

(٥) سبق الحديث عنه ص ٥٥ .

(٦) الصياصي : الحصون وكل شيء إمتنع به وتحصن به فهو صيصة ومنه قيل للحصون الصياصي ، لسان العرب ج٧ ص ٥٢ ، مادة : صيص .

(٧) الحيزوم : إسم فرس جبريل عليه السلام ، وقد ورد ذكره في صحيح مسلم ج٣ ص ١١١٠ .

والغبارُ على وجه الفرس وعلى السَّرَج ، فقال ما هذا يا جبريل ؟ قال : من متابعة قريشٍ ، فقال رسول الله : إن الله يأمرك بالمشير إلى بني قريظة^(١) وأنا عامد إليهم ، فإن الله ذاقهم دقَّ البيض على الصفا ، وأنهم لكم طُعْمَةٌ ، فأذن في الناس : أن من كان سامعاً مطيعاً فلا يُصلي العصر إلا في بني قريظة ، فحاصرهم خمساً وعشرين ليلةً ، فقال لهم^(٢) رسول الله ﷺ : « تنزلون على حكمي » فأبوا فقال : « على حكم سعد بن معاذ »^(٣) ، فرضوا به ، فقال : سَعَدٌ حكمت فيهم : أن تُقتَلَ مقاتلتهم ، وتُسبَى ذراريهم ، ونسأؤهم ، [فكبر]^(٤) النبي عليه السلام وقال : لقد حكمت بحكم الله من فوق سَبْعَةِ أَرْقَعَةٍ^(٥) ، ثم استزلهم ، وخذق في سوق المدينة خندقاً ، وقدمهم فضرب أعناقهم ، وهم من ثمانمائة إلى تسعمائة ، وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة أسير^(٦) .

« كتاب الجهاد والسير باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر : (فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربةً بالسوط فوقه ، وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه ، وشقَّ وجهه كضربة السوط فأخضر ذلك أجمع ، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال : « صدقت ، ذلك من مدد السماء الثالثة » . وورد في كتب المعاجم : لسان العرب جـ ١٨ ص ١٢٣ ، والقاموس ص ١٤١٣ مادة حزم .

(١) سبق الحديث عنهم ص ٥٥ .

(٢) ساقط من (ب) .

(٣) سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس .. الأوسى الأنصاري ، أسلم على يد مصعب بن عمير .. شهد بدرًا ، وشهد أحدًا والخندق ، ومقامات في الإسلام مشهورة وقد اهتز عرش الرحمن لموته .. رضوان الله عليه . انظر ترجمته : أسد الغابة جـ ٢ ص ٣٧٣ . الإصابة جـ ٢ ص ٣٧ .

(٤) في (أ) (وكبر) .

(٥) أرقعة : جميع رقيق وهي كل سماء منها رقعت التي تليها فكانت طبقة لها كما ترقع الثوب بالرقعة . انظر : لسان العرب / جـ ٨ ص ١٣٢ . مادة رقع .

(٦) انظر : السيرة / ابن هشام جـ ٣ ص ١٨٣ وما بعدها . وانظر تاريخ الطبري جـ ٢ ص ٩٨ ، وانظر دلائل النبوة / للبيهقي جـ ٤ ص ١٨ ، ويقول الزيلعي : في تخريج أحاديث الكشاف جـ ٣ ص ١٠٢ : (وبقية

﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾ الخوف ، وبضم العين شامي وعلي^(١) .

ونصب : ﴿ فَرِيقًا ﴾ بقوله : ﴿ تَقْتُلُونَ ﴾ وهم الرجال .

﴿ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ وهم النساء والذراري^(٢) . ﴿ وَأَوْزَتَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ

وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ أي : المواشى والنقود والأمتعة ، روي أن رسول الله ﷺ : جعل عقارهم

للمهاجرين والأنصار وقال لهم : « إنكم في منازلكم »^(٣) .

﴿ وَأَرْضًا لَمْ تَطْنُوهَا ﴾ بقصد القتال ، وهي : مكة^(٤) ، أو فارس والروم^(٥) ، أو خير^(٦) ، أو

⇐ الحديث مفرق في طول القصة إلا قوله : « فإن الله داقهم دق البيض على الصفا » وهذه اللفظه

لأبي نعيم في دلائل النبوة ، انظر: دلائل النبوة / لأبي نعيم ص ٣٨١ وص ٣٨٢ مطبعة عالم

الكتب ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٩ هـ ، وذكرها الطبري في جامع البيان ج ٢١ ص ١٥٠

وص ١٥١ .

(١) انظر: إعراب القراءات السبع وعللها / لابن خالويه ت ٣٧٠ تحقيق د: عبدالرحمن العثيمين

ج ١ ص ١٢٠ . مطبعة المدني ، الطبعة الأولى عام ١٤١٣ هـ . والتلخيص / ص ٢٣٦ .

الموضح ج ١ ص ٣٦٨ ، والإتحاف ج ٢ ص ٣٧٤ .

(٢) إعراب القرآن / للنحاس ج ٢ ص ٦٣٢ وقال النحاس : « (فريقتا) نصب بتقتلون .

« وفريقا » نصب بتأسرون ، الدر المصون ج ٥ ص ٤١٢ .

(٣) المحرر الوجيز ج ١٢ ص ٦٥ ، روح المعاني ج ١١ ص ١٧٩ .

(٤) هو قول قتادة رحمه الله : النكت والعيون / ج ٤ ص ٣٩٣ ، الوسيط ج ٣ ص ٦٧ ، معالم

التنزيل ج ٦ ص ٣٤٥ ، المحرر الوجيز ج ١٣ ص ٦٦ ، زاد المسير ج ٦ ص ٣٧٥ ، الجامع

لأحكام القرآن ج ١٤ ص ١٦١ ، البحر المحيط ج ٨ ص ٤٧٠ ، روح المعاني ج ١١

ص ١٨٠ .

(٥) هو قول الحسن بن أبي الحسن رحمه الله : النكت والعيون ج ٤ ص ٣٩٣ ، والوسيط ج ٣

ص ٤٦٧ ، تفسير القرآن / للسمعاني ج ٤ ص ٢٧٤ ، معالم التنزيل ج ٦ ص ٣٤٥ المحرر

الوجيز ج ١٣ ص ٦٦ ، زاد المسير ص ٣٧٥ ، الجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ١٦١ ، البحر

المحيط ج ٨ ص ٤٧٠ ، روح المعاني ج ١١ ص ١٨٠ .

(٦) هو قول السدي وابن زيد رحمهما الله : النكت والعيون ج ٤ ص ٣٩٣ ، تفسير القرآن /

للسمعاني ج ٤ ص ٢٧٤ ، وقال رحمه الله : (أظهر الأقاويل : أنها خير) ، معالم التنزيل ج ٦

كل أرض تفتح إلى يوم القيامة^(١) .

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ قادراً . ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُمْ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا ﴾ أي : السعة في الدنيا ، وكثرة الأموال .

﴿ فَتَعَالَيْنَ ﴾ أصل تعال : أن يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان المستوي ، ثم كثر حتى أستوى في استعماله الأمكنة ، ومعنى تعالين : أقبلن بإرادتكُنَّ ، وإختيار كن لأحد [الأميرين]^(٢) ، ولم يرد نهوضهن إليه بأنفسهن كقوله : قام يُهْدِدُنِي .

﴿ أُمَّتُكُمْ ﴾ أعطِكُنَّ متعة الطلاق ، وتستجب المتعه لكل مطلقه^(٣) ، إلا

ص ٣٤٥ ونسبه البغوي رحمه الله إلى ابن زيد ومقاتل رحمهما الله ، المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ٦٦ ، زاد المسير جـ ٦ ص ٣٧٥ ونسبه رحمه الله إلى ابن السائب وابن إسحاق ، البحر المحيط جـ ٨ ص ٤٧٠ . وقال أبو حيان رحمه الله : (ولا وجه لهذه التخصيصات) ، روح المعاني جـ ١٠ ص ١٨٠ .

قلت : لا وجه للتخصيص ، والإطلاق أفضل فالفتوحات إتسعت والإسلام إنتشر في عهده ﷺ ومن بعده من الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين .

(١) هو قول عكرمة رضي الله عنه : النكت والعيون جـ ٤ ص ٣٩٣ الوسيط جـ ٣ ص ٤٦٧ ، تفسير القرآن / للسمعاني جـ ٤ ص ٢٧٤ ، معالم التنزيل جـ ٦ ص ٣٤٥ ، زاد المسير جـ ٦ ص ٣٧٥ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ١٦١ ، البحر المحيط جـ ٨ ص ٤٧١ . روح المعاني جـ ١١ ص ١٨٠ . قلت : وهو القول الأقرب للصواب .

(٢) في (أ) : أمرين .

(٣) يقول ابن عطية في المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ٦٦ : ومعناه اعطوهن شيئاً يكون متاعاً لهن . وأختلف العلماء في هذه المتعة أهى واجبة أم مستحبة؟ على قولين . أحدهما : واجبه وأختلف أرباب هذا القول لأي المطلقات تجب؟ على ثلاثة أقوال : أحدها : أنها واجبة لكل مطلقه روي عن علي والحسن وأبي العالية والزهري ، والثاني : أنها تجب لكل مطلقة إلا المطلقة التي فرض لها صداقاً ولم يمسه فإنه يجب لها نصف ما فرض ، روي عن ابن عمر والقاسم بن محمد وشريح ، والثالث : أنها تجب للمطلقة قبل الدخول بها إذا لم يسم لها مهراً فإن دخل بها فلا متعة ولها مهر المثل ، روي عن الأوزاعي والثوري وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل ، والقول الثاني : أن المتعة مستحبة ولا تجب على أحد سواء سمي للمرأة أو لم يسم دخل أولم

المفوضة^(١) قبل الوطء .

﴿ وَأَسْرَحْنَ ﴾ وأطلقكن . ﴿ سَرَّاحًا جَمِيلًا ﴾ لاضرار فيه ، أردن شيئاً من الدنيا من ثياب ، وزيادة نفقه ، وتغايرنَ فَعَمَّ ذلك رسول الله ﷺ فنزلت ، فبدأ بعائشة رضي الله عنها ، وكانت أحبهن إليه ، فخيرها ، وقرأ عليها القرآن ، فأختارت الله ، ورسوله ، والدار الآخرة ، فرؤي الفرح في وجه رسول الله ﷺ ، ثم أختارت جميعهن إختيارها^(٢) ، وروي أنه قال لعائشة : إنى ذاكرُ لك أمراً عليك أن لاتعجلى حتى تستأمرى أبويك ، ثم قرأ عليها القرآن ، فقالت : أفى هذا أستأمرُ أبويّ فإني أريد الله ، ورسوله ، والدار الآخرة^(٣) ، وَحُكْمُ التَّخْيِيرِ فِي الطَّلَاقِ / أنه إذا قال : لها إختارى ،

[١٢١]

⇐ يدخل بها وهو قول مالك والليث بن سعد والحكم وابن أبي ليلي ، انظر : هذه الأقوال والأحكام : زاد المسير جـ ١ ص ٢٨٠ ، المحرر الوجيز جـ ٢ ص ٢٢٦ ، أحكام القرآن / للجصاص جـ ٢ ص ١٣٦ ، وما بعدها ، أحكام القرآن / لابن العربي جـ ١ ص ٢١٧ وما بعدها ، تحقيق محمد الجادى ، مطبعة دار المعرفة ، أحكام القرآن / للقرطبي جـ ٣ ص ٢٠٠ وما بعدها ، وقد بسطت هذه المسألة في كتب الفقه فلمزيد الفائدة يرجع إليها .

(١) المَفُوضَةُ : هي التى طلقها زوجها قبل الدخول بها ولم يسم لها مهراً . انظر: التعريفات للجرجاني ص ٢٢٣ ، مطبعة دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٣ هـ ، أنيس الفقهاء / للشيخ قاسم القونوي ص ١٥٨ ، تحقيق د: أحمد الكبيسي ، مطبعة دار الوفاء ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٦ هـ . ويقول الجصاص رحمه الله في أحكام القرآن جـ ١ ص ١٣٧ (... وأما فقهاء الأمصار فإن أبا حنيفة وأبا يوسف ومحمد وزفر قالوا : المتعة واجبة لتنى طلقها قبل الدخول ولم يسم لها مهراً ، وإن دخل بها فإنه يمتعها ولا يجبر عليها وهو قول الثورى والحسن بن صالح والأوزاعي) .

(٢) انظر : النكت والعيون جـ ٤ ص ٣٩٤ ، الوسيط جـ ٣ ص ٤٦٨ ، زاد المسير جـ ٦ ص ٣٧٧ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ١٦٤ وما بعدها ، البحر المحيط جـ ٨ ص ٤٧١ .

(٣) أخرجه البخارى في صحيحه جـ ٣ ص ١٥٠٥ و١٥٠١ ، كتاب التفسير باب سورة الأحزاب .

وأخرجه مسلم في صحيحه جـ ٢ ص ٨٩٢ كتاب الطلاق باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية .

فقلت : إخترت نفسي أن تقع تطليقة بائه ، وإذا إختارت زوجها : لم يقع شيء ، وعن على رضي الله عنه^(١) : إذا إختارت زوجها فواحدة رجعيه ، وإذا إختارت نفسها فواحدة بائنة^(٢) .

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُمْ ﴾ للبيان لا للتبغيض^(٣) .

﴿ أَجْرًا عَظِيمًا ، يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ ﴾ سيئة بليغة في القبح .
﴿ مُبَيِّنَةٍ ﴾ ظاهرة^(٤) فحشها . من يبين : بمعنى تبين ، وبفتح الياء مكسي

(١) في (ب) : إنه .

(٢) يقول الجصاص رحمه الله في أحكام القرآن ج٧ ص ٢٢٧ : (وقد اختلف السلف فيمن خير امرأته فقال على رضي الله عنه : إن إختارت زوجها فواحدة رجعيه ، وإن إختارت زوجها فلا شيء ، وإن إختارت نفسها فواحدة بائنه) . ومن ثم ذكر خلاف العلماء في هذه المسألة ، وقال ابن العربي في أحكام ج٣ ص ١٥٣١ (.. وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله) .

ومن أراد المزيد والتوسع فليرجع إلى هاذين الكتابين ، وكذلك : الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي ج١٤ ص ١٧١ وقال رحمه الله : (إختلف العلماء في المخيره إذا إختارت زوجها : فقال جمهور العلماء من السلف وغيرهم وأئمة الفتوى : إنه لا يلزمه طلاق ولا واحده ولا أكثر .. وذلك لقول عائشة رضي الله عنها : خيرنا رسول الله ﷺ فاخترناه فلم يعده علينا طلاقاً ، أخرجه الشيخان ..) ونسب هذا القول الذي ذكره المؤلف : (إلى أبي حنيفة وأصحابه) ، وقال البغوي في معالم التنزيل ج٦ ص ٣٤٧ : (وأكثر العلماء على أنها إذا إختارت زوجها لا يقع شيء) .

(٣) قال ابن الجوزي في زاد المسير ج٦ ص ٣٧٨ : (قال المفسرون : فلما أخترنه أثابهن الله عزوجل ثلاثة أشياء ، أحدها : التفضيل على سائر النساء بقوله ﴿ لستن كأحد من النساء ﴾ ، الثاني : أن جعلهن أمهات المؤمنين ، الثالث : أن خطر عليهن طلاقهن والإستبدل بهن بقوله : ﴿ لا يحل لك النساء من بعد ﴾) .

(٤) في (ب) : ظاهر .

وأبو بكر^(١) ، قيل : هي عصيانهن رسول الله ﷺ ونشوزهن^(٢) ، وقيل الزنا^(٣) والله عاصم رسوله ﷺ من ذلك .

﴿يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ﴾ (يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابُ) مكِّي وشامي ، (يُضَعَّفُ) أبو عمرو ،
ويزيد ويعقوب^(٤) .

﴿ضِعْفَيْنِ﴾ ضعفي عذاب غيرهن من النساء ، لأن ما أُقْبِحَ من سائر النساء كان أقبح
منهن ، فزيادة قُبْحِ المعصية تَتَّبِعُ زيادة الفضل ، وليس لأحدٍ من النساء مثل فضل نساء

(١) إعراب القراءات السبع وعللها جـ ١ ص ١٣٠ ، التلخيص ص ٢٤٣ ، الموضح جـ ١ ص ٤١٠ ،
النشر جـ ٢ ص ٢٤٨ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٣٧٤ .

(٢) هو قول ابن عباس رضي الله عنها : النكت والعيون جـ ٤ ص ٣٩٧ ت الوسيط جـ ٣
ص ٤٦٨ ، تفسير القرآن / للسمعاني جـ ٤ ص ٢٧٨ ، زاد المسير جـ ٦ ص ٣٧٨ ، معالم
التنزيل جـ ٦ ص ٣٤٧ ، وهناك فائدة ذكرها ابن عطية رحمه الله في كتابه المحرر الوجيز
جـ ١٣ ص ٦٨ حيث قال : (.. وقال قوم الفاحشة إذا وردت معرفة فهي الزنا واللواط ،
وإذا وردت منكروه فهي سائر المعاصي وكل ما يستفحش ، وإذا وردت موصوفة البيان
فهي عقود الزوج وفساد عشرته ولذلك يصفها بالبيان إذ لا يمكن سترها ، والزنا وغيره
هو ما يستتر به ولا يكون مبيناً) . لباب التأويل / للخازن جـ ٣ ص ٤٢٤ ، وقال أبو حيان
رحمه الله في البحر المحيط جـ ٨ ص ٤٧٣ : ﴿بفاحشة مبينه﴾ كبيرة من المعاصي ،
ولا يتوهم أنها الزنا لعصمة رسول الله ﷺ من ذلك ، ولأنها وصفها بالتبيين ...) ،
تفسير القرآن العظيم / لابن كثير جـ ٣ ص ٧٦٧ . وقال رحمه الله : (.. وعلى كل تقدير
فهو شرط ، والشرط لا يقتضى الوقوع كقوله تعالى : ﴿قل إن كان للرحمان ولداً فأنا
أول العابدين﴾ .

(٣) هو قول السدي رحمه الله : بحر العلوم جـ ٣ ص ٤٨ : النكت والعيون جـ ٤ ص ٣٩٧ . وانظر :
الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ١٧٤ التسهيل جـ ٣ ص ١٣٧ ، قلت : وهو قول مردود
بأقوال العلماء سائلة الذكر .

(٤) الحجة في القراءات السبع / ص ٢٨٩ ، الموضح جـ ٢ ص ١٠٣٢ ، النشر جـ ٢ ص ٣٤٨ ،
الإتحاف جـ ٢ ص ٣٧٤ .

النبي ﷺ (١) ، ولذا كان الذم للعاصي العالم أشد منه (٢) للعاصي الجاهل ، لأن المعصية من العالم أقبح ، ولذا فُضِّلَ حَدُّ الْأَحْرَارِ عَلَى الْعَبِيدِ ، وَلَا يُرْجَمُ الْكَافِرُ .

﴿ وَكَانَ ذَلِكَ ﴾ أي : تضعيف العذاب عليهن . ﴿ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ هينا .

﴿ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ القنوت الطاعة .

﴿ وَتَعْمَلُ صَالِحًا نُؤْتِيهَا ﴾ وبالياء فيهما حمزة وعلي (٣) .

﴿ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ﴾ مثلى ثواب غيرها . ﴿ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ جليل القدر

وهو الجنة . ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ أي : لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء ، أي : إذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تُسَاوِيكُنَّ فِي الْفَضْلِ ، وَاحِدٌ فِي الْأَصْلِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ ، ثُمَّ وَضِعَ فِي النَّفْيِ الْعَامِ مَسْتَوِيًا فِيهِ الْمَذْكَرُ وَالْمُؤَنَّثُ وَالْوَاحِدُ وَمَا وَرَاءَهُ .

﴿ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ ﴾ إن أردتن التقوى ، أو إن كنتن متقيات .

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ ﴾ أي : إذا كلمتن الرجال من وراء الحجاب فلا تجئن

بقولكن خاضعاً ، أي : لينا خيناً مثل كلام المربيات .

﴿ فَيَطْمَعَ ﴾ بالنصب على جواب النهي (٤) . ﴿ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ ريبة

وفجور . ﴿ وَقَلْنِ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ حسناً مع كونه خسيناً .

﴿ وَقَرْنِ ﴾ مدني وعاصم غير هبيرة ، وأصله اقررن فحذفت الراء تخفيفاً وألقيت

فتحتها على ما قبلها ، أو من قار يقار إذا اجتمع ، والباقون (قرن) من وقر يقر وقاراً ، أو

(١) يقول أبو حيان في البحر المحيط جـ ٨ ص ٤٧٣ : (وَكَمَا كَانَ مَكَانَهُنَّ مَهْبِطَ الْوَحْيِ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّوَاهِي ، لَزِمَهُنَّ بِسَبَبِ ذَلِكَ ، وَكَوْنَهُنَّ تَحْتَ الرَّسُولِ ﷺ أَكْثَرَ مِمَّا يَلْزَمُ غَيْرَهُمْ ، فَضَوْعٌ لَهُنَّ الْأَجْرُ وَالْعَذَابُ) .

(٢) في جـ والمطبوع : أشد من العاص .

(٣) إعراب القراءات السبع وعللها جـ ٢ ص ١٩٨ ، وص ١٩٩ ويقول ابن خالويه : (قرأ حمزة والكسائي : (ويعمل .. يؤتها) بالياء فرداً على لفظ " من " ويؤتها : أي : يؤتها الله أجرها مرتين .. وقرأ الباقون وتعمل بالتاء) ، التلخيص ص ٣٧١ ، والموضح جـ ٢ ص ١٠٣٣ ، والنشر جـ ٣ ص ٣٤٨ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٣٧٤ .

(٤) التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٥٦ ، والفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٤٠ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤١٤ .

من قرَّ يقرُّ حذف الأولى من رأيي أقررن قراراً من التكرير^(١) ونقلت كسرتها إلى القاف^(٢) .

﴿ فِي يُوتِكُنْ ﴾ بضم الباء بصري ومدني وحفص^(٣) .

﴿ وَلَا تَبْرَجْنَ تَبْرَجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ أي : القديمة ، والتبرج : التبخر في المشى ، أو^(٤) إظهار الزينة ، والتقدير : ولا تبرجن تبرجاً مثل تبرج النساء في الجاهلية الأولى وهي : الزمن^(٥) الذي ولد فيه إبراهيم^(٦) عليه السلام ، أو ما بين آدم ونوح^(٧) عليهما السلام ، أو زمن داود وسليمان عليهما السلام^(٨) ، والجاهلية الأخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما

(١) في : المطبوع : التكرار .

(٢) إعراب القراءات السبع وعللها جـ ٢ ص ١٩٩ ، ص ٢٠٠ ، التلخيص في القراءات الثمان ص ٣٧٢ . الموضح جـ ٢ ص ١٠٣٤ ، ص ١٠٣٥ ، النشر جـ ٢ ص ٣٤٨ ، والإتحاف جـ ٢ ص ٣٧٤ .

(٣) الإتحاف جـ ٢ ص ٣٧٦ .

(٤) في : (ب) إظهار .

(٥) في : (ب) والمطبوع : الزمان .

(٦) هو قول الكلبي ، انظر : بحر العلوم / جـ ٣ ص ٤٩ ، النكت والعيون جـ ٤ ص ٤٠٠ ونسبه لمقاتل والكلبي ، زاد المسير جـ ٦ ص ٣٨٠ وقال بن الجوزي رحمه الله : (وهو قول عائشة رضي الله عنها) الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ١٧٩ ، البحر المحيط جـ ٨ ص ٤٧٧ ، روح المعاني جـ ٢٤ ص ٨ .

(٧) هو قول الحكم بن عيينة ، انظر : بحر العلوم جـ ٣ ص ٤٩ ، النكت والعيون جـ ٤ ص ٤٠٠ ونسبه الماوردي للحسن رحمه الله ، المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ٧٢ ، زاد المسير جـ ٦ ص ٣٨٠ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ١٧٩ ، البحر المحيط جـ ٨ ص ٤٧٧ ونسبه أبو حيان لعكرمة والحكم بن عيينة .

(٨) معالم التنزيل جـ ٦ ص ٣٤٩ ، المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ٧٢ ونسبه ابن عطية رحمه الله لأبي العالبيه ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ١٨٠ ، لباب التأويل جـ ٣ ص ٤٢٥ ، البحر المحيط جـ ٨ ص ٤٧٧ ، روح المعاني جـ ٢٤ ص ٨ .

السلام^(١) / أو الجاهلية الأولى جاهلية الكفر قبل الإسلام والجاهلية الأخرى جاهلية
الفسوق والفجور في الإسلام^(٢) .

﴿ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتَيْنَ الزَّكَاةَ وَأَطَعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ خص الصلاة والزكاة بالأمر ،
ثم عم الأمر بجميع الطاعات تفضيلاً لهما، لأن من واطب عليهما جرّته إلى ما وراهما .

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ ﴾ الإثم^(٣) . ﴿ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ نصب على
النداء أو على المدح^(٤) ، وفيه دليل على أن نساءه من أهل بيته ، وقال : عنكم لأنه أريد
الرجال والنساء من آله [بدلالة]^(٥) : ﴿ وَيُطَهِّرْكُمْ تَطْهِيراً ﴾ من نجاسة الآثام، [ثم]^(٦)
بين أنه إنما نهأهن وأمرهننَّ ووعظهننَّ لئلا يقارن أهل بيت رسول الله ﷺ المآثم،

(١) هو قول الشعبي وابن أبي نجيح ، انظر : معاني القرآن / للزجاج ج٤ ص ٢٢٥ ورجح
هذا القول ، معاني القرآن / للنحاس ج٥ ص ٣٤٧ ، النكت والعيون ج٤ ص ٤٠٠ ، تفسير
القرآن / للسمعاني ج٤ ص ٢٨٠ ، معالم التنزيل ج٦ ص ٣٤٩ ، المحرر الوجيز ج١٣
ص ٧٢ ، زاد المسير ج٦ ص ٣٨٠ ، الجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص ١٨٠ ، لباب التأويل
ج٣ ص ٤٢٥ ، البحر المحيط ص ٤٧٧ ، روح المعاني ج٤ ص ٢٤٤ ص ٨ .

(٢) قال مقاتل رحمه الله : الجاهلية الأولى كانت قبل خروج النبي ﷺ ، انظر : بحر العلوم ج٣
ص ٦٩ ، معالم التنزيل ج٦ ص ٣٢٠ ، ونسبه البغوي لقتادة رحمه الله ، وقد رجح بن عطية
رحمه الله هذا القول في المحرر الوجيز ج١٣ ص ٧٢ ، ويقول القرطبي في الجامع لأحكام
القرآن ج١٤ ص ١٨٠ . معقباً على كلام ابن عطية (.. ويفترض بأن العرب كانت أهل
تقشف وضمنك في الغالب وأن التنعم وإظهار الزينة جرى في الأزمان السابقة ، وهي المراد
بجاهلية الأولى .. وذلك يشمل الأقوال كلها) . قلت : وهو الأقرب للصواب والعلم عند الله .

(٣) ساقطه من (ب) و (ج) .

(٤) إعراب القرآن / للنحاس ج٢ ص ٦٣٦ . التبيان في إعراب القرآن ج٢ ص ١٠٥٦ ، الفريد في
إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ٤٢ ، الدر المصون ج٥ ص ٤١٦ ، وقال السمين الحلبي :
(... أو على المدح ، أي : أمدح أهل البيت) .

(٥) ساقط من : (أ) .

(٦) ساقط من : (أ) و (ج) .

المآثم، وليتصونوا عنها بالتقوى ، وأستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطُّهْرَ : لأن عِرْضَ المقترِف للمقْبَحَات يتلوث بها كما يتلوث بدنه بالأرجاس ، وأما المُحْسِنَات فالعِرْضُ منها نقي كالثوب الطاهر ، وفيه تنفيرٌ لأولى الألباب عن المناهى وترغيب لهم فى الأوامر .

﴿ وَاذْكُرْ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ﴾ القرآن . ﴿ وَالْحِكْمَةَ ﴾ أي : السنة ، أو بيان لمعاني القرآن . ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا ﴾ عالماً بغوامض الأشياء .

﴿ خَبِيرًا ﴾ عالماً بحقائقها ، أي : هو عالم بأفعالكن وأقوالكن وأحوالكن^(١) فاحذرن مخالفة أمره ونهيه ومعصية رسوله ، ولما [نزل]^(٢) في نساء النبي ﷺ ما نزل ، قال نساء المسلمين : فما نزل فينا شيء فنزلت^(٣) : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ المسلم الداخل فى السلم بعد الحرب ، المنقاد الذى لا يُعاند أو المفوض أمره إلى الله ، المتوكل عليه ، من أسلم وجهه إلى الله .

﴿ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴾ المصدقين بالله ورسوله ، وبما يجب أن يُصدَّق به .

﴿ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ ﴾ القائمين بالطاعة . ﴿ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ ﴾ فى النيات والأقوال والأعمال . ﴿ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ ﴾ على الطاعات وعن السيئات . ﴿ وَالْخَاشِعِينَ ﴾ المتواضعين لله بالقلوب والجوارح ، أو الخائفين . ﴿ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ ﴾ فرضاً ونفلاً . ﴿ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ ﴾ فرضاً ونفلاً ، وقيل : من تصدق في [كل]^(٤) أسبوع بدرهم فهو من المتصدقين^(٥) ، ومن

(١) ساقط من (ج) والمطبوع .

(٢) فى (أ) نزلت .

(٣) أسباب النزول / للواحدى ص ٤١٣ ، لباب النقول ص ١٧٤ ، لباب التأويل ج ٣ ص ٤٢٦ ، روح المعاني ج ٢٤ ص ٥٠ .

(٤) ساقط من (أ) .

(٥) تفسير القرآن / للسمعاني ج ٤ ص ٨٤ .

صام البيض^(١) من كل شهر فهو من الصائمين^(٢) .

﴿ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ ﴾ عمالا يحل . ﴿ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾
بالتسييح والتحميد والتهليل والتكبير وقراءة القرآن، والإشتغال بالعلم من الذكر ،
والمعنى: والحافظات فروجهن .

﴿ وَالذَّاكِرَاتِ ﴾ الله ، فَحُذِفَ للدلالة ما تقدم عليه ، والفرق بين عطف الإناث
على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين : أن الأول نظير قوله : ﴿ ثِيَابٍ
وَأَبْنَاءٍ ﴾^(٣) في أنهما جنسان مختلفان وأشتر كما في حكم واحد، فلم يكن بد من
توسيط^(٤) العاطف بينهما، واما الثاني فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع ،
ومعناه : ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات :

(١) البِيضُ : هي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر على الأرجح من أقوال
العلماء، كما بوب لها الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه باب صيام البيض ثم ذكرها وذكر
حديث أبي هريرة رضي الله عنه : (أوصاني خليلي ﷺ بثلاث : صيام ثلاثة أيام من كل شهر
وركعتي الضحى ، وأن أوتر قبل أن أنام) . أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصيام باب
صيام البيض ثلاث عشرة ... جـ ٢ ص ٥٨٨ .

ويقول ابن حجر رحمه الله في الفتح والمراد بالبيض : (الليالي التي يكون القمر من أول الليل
إلى آخره) جـ ٤ ص ١٢٦ .

وهناك أحاديث فسرت هذه الأيام المذكورة عند البخاري بأنها البيض من ذلك ما أخرجه النسائي
عن النبي ﷺ قال : « صيام ثلاثة من كل شهر صيام الدهر أيام البيض صبيحة ثلاث عشرة ، وأربع
عشرة ، وخمسة عشرة » جـ ٤ ص ٢٢٠ كتاب الصيام باب كيف يصوم ثلاثة أيام من كل شهر
وذكر إختلاف الناقلين للخبر في ذلك وقد صحح إسناده ابن حجر في الفتح جـ ٤ ص ٢٢٦ ،
وذكر رحمه الله في الفتح عشرة أقوال حول معنى أيام البيض فليرجع إليها لتمام الفائدة .

(٢) انظر : النكت والعيون جـ ٤ ص ٤٠٣ ، معالم التنزيل جـ ٦ ص ٣٥٢ ، لباب التأويل جـ ٣
ص ٤٢٦ ، روح المعاني جـ ٢٤ ص ٢٠ .

(٣) سورة التحريم آية ٥ .

(٤) في باب (توسط) .

﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ على طاعتهم ، خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش^(١) بنت عمته أميمه^(٢) على مولاه زيد بن حارثه^(٣) فأبت وأبى أخوها عبدالله^(٤) فنزلت^(٥) : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمِئِنَةٍ ﴾ أي : وما صحَّ لرجلٍ مؤمنٍ ولا لأمراة^(٦) مؤمنة . ﴿ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ أي : رسول الله . « (أمرأ) » من الأمور .

(١) زينب بنت جحش : زوج النبي ﷺ ، أخت عبدالله بن جحش ، وهى أسديه من أسد بن خزيمه ، بنت أميمه بنت عبدالمطلب ، عمه النبي ﷺ ، وكانت قديمه الإسلام ومن المهاجرات ، وكانت قد تزوجها زيد بن حارثه رضي الله عنه مولى النبي ﷺ .. ثم إن الله تعالى زوجها النبي ﷺ من السماء سنة ثلاث من الهجرة وقيل سنة خمس ... وكانت أول نساء رسول الله ﷺ لحوقاً به .. وتوفيت سنة عشرين ، وصلى عليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ودفنت بالبقيع : أسد الغابة جـ ٧ ص ١٢٥ ، الإصابة جـ ٤ ص ٣١٣ .

(٢) أميمه بنت عبدالمطلب : عمه النبي ﷺ ، اختلف في إسلامها فنهاه محمد بن إسحاق ولم يذكره غير محمد بن سعد فقال في باب عمومة النبي ﷺ من طبقات النساء . ويضيف ابن حجر رحمه الله أنه لما تزوج النبي ﷺ ابنتها زينب كانت موجوده .

انظر الإصابة / جـ ٤ ص ٢٤٢ . بتصرف واختصار ، الطبقات الكبرى / لابن سعد جـ ٨ ص ٣٧ .

(٣) سبق ترجمته ص ٤٨ .

(٤) عبدالله بن جحش بن رباب بن يعمر بن عمه النبي ﷺ ، استشهد يوم أحد . أسد الغابة / جـ ٣ ص ١٩٤ .

(٥) ذكره : ابن جرير الطبري جـ ٢٢ ص ١٦ ، وقال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ص ١٣٤ : (ولم أجده موصولاً) ، انظر : لباب التأويل / ص ١٧٤ ، أحكام القرآن / لابن العربي جـ ٣ ص ١٥٤١ و ص ١٥٤٢ .

(٦) في : (ب) إمراة .

﴿أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾. أن يختاروا من أمرهم ماشاءوا ، بل من حقهم أن يجعلوا رأيهم تبعاً لرأيه وإختيارهم تلواً لإختياره فقلاً رضينا يا رسول الله فأنكحها إياه وساق عنه إليها مهرها ، وإنما جمع الضمير في لهم وإن كان من حقه ان يوحد : لأن المذكورين وقعا تحت النفي فعما كل مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير على المعنى لا على اللفظ ، ويكون بالياء كوفي^(١) ، والخيرة ما يتخير ودل ذلك على أن الأمر للوجوب .

﴿وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ فإن كان العصيان عصيان رد وإمتناع عن القبول فهو ضلال كفرًا وإن كان عصيان فعل مع قبول الأمر وإعتقاد الوجوب فهو ضلال خطياً وفسق .

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلنَّاسِ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ﴾ بالإسلام الذي هو أجل النعم .

﴿وَأَنْعَمْتُ عَلَيْهِ﴾ بالإعتاق والتبني ، فهو متقلب في نعمة الله ونعمة رسوله وهو زيد بن حارثة^(٢) .

﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ زينب بنت جحش^(٣) وذلك أن رسول الله ﷺ أبصرها بعد ما أنكحها إياه فوقعت في نفسه فقال: سبحان الله مقلب القلوب، وذلك أن نفسه كانت تجفّر عنها قبل ذلك لاتريدها، وسمعت زينب بالتيسيحة فذكرتها لزيد ففطن وألقى في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله فقال: لرسول الله ﷺ إني أريد أن أفارق صاحبتي فقال: « مالك أراك منها شيء قال: لا والله ما رأيت منها إلا خيراً، ولكنها تتعظم عليّ لشرفها وتؤذيني فقال له: « أمسك عليك زوجك^(٤) » ﴿وَأَتَّقِ اللَّهَ﴾ فلا تطلقها ، وهو نهى تنزيه إذ الأولى أن لا

(١) إعراب القراءات السبع وعللها / جـ ٢ ص ٢٠٠ و ص ٢٠١ . والتلخيص ص ٣٧٢ والموضح جـ ٢ ص ١٠٣٥ و ص ١٠٣٧ ، وقال ابن أبي مريم : « قرأ الباقون بالتاء على التانيث » ، والنشر جـ ٢ ص ٢٤٨ ، والإتحاف جـ ٢ ص ٣٧٦ .

(٢) سبقت ترجمته ص ٤٨ .

(٣) سبق ترجمتها ص ٨٠ .

(٤) قال ابن حجر : في الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ص ٣٤ : (ذكره التعليبي بغير سند) .

وأما ما ذكره بعض المستشرقين والحاقدين على الإسلام أن رسول الله ﷺ رأى زينب رضي

﴿ الله عنها وأحبها وهويها فباطل لا يعول عليه وساقط لا ينظر إليه ، يقول ابن العربي رحمه الله في أحكام القرآن ج٣ ص ١٥٤٣ : (وهذه الروايات كلها ساقطة الأسانيد .. إنما الصحيح منها ما روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : لو كان رسول الله ﷺ كاتماً من الوحي شيئاً لكم هذه الآية : ﴿ وإذا تقول للذي أنعم الله عليه ﴾ يعني الإسلام : ﴿ وأنعمت عليه ﴾ يعني بالعتق فأعتقته : ﴿ أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى في نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس والله أحقُّ أن تخشاه ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وكان أمر الله مفعولاً ﴾ وأن رسول الله ﷺ لما تزوجها قالوا : تزوج حليلة ابنه ، فأنزل الله تعالى ، ﴿ ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ . ثم قال ابن العربي : (وما وراء هذه الرواية غير معتبر) باختصار يسير . وله كلام نفيس حول هذا الموضوع فليرجع إليه لتمام الفائدة ويقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره ج٣ ص ٧٨١ (ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير هاهنا آثاراً عن بعض السلف رحمه الله عنهم ، أحيينا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردتها) .

ويقول أبو حيان رحمه الله في البحر المحيط ج٨ ص ٤٨١ (قال علي بن الحسين : كان قد أوحى الله إليه أن زيدا سيطلقها وأنه يتزوجها بتزويج الله إياها ، فلما شكها زيد خلقتُها ، وأنها لا تطيعه ، وأعلمه بأنه يريد طلاقها ، قال له : ﴿ أمسك عليك زوجك واتق الله ﴾ ، على طريق الأدب والوصية ، وهو يعلم أنه سيطلقها ، وهذا الذي أخفى في نفسه ، ولم يرو أنه يأمره بالطلاق ، ولما علم من أنه سيطلقها ، وخشى رسول الله ﷺ أن يلحقه قول من الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد رضي الله عنه وهو مولاه ، وقد أمر بطلاقها ، فعاتبه الله على هذا القدر في شيء أباحه بأن قال : ﴿ أمسك ﴾ مع علمه أن يطلق ، فأعلمه أن الله أحق بالخشية ، أي : في كل حال ، وهذا المروي عن علي بن الحسين ، هو الذي عليه التحقيق من المفسرين ، كالزهرى ، وبكر بن العلاء ، والقشيري ، والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم ، والمراد بقوله : ﴿ وتخشى الناس ﴾ إنما هو إرجاف المنافقين في تزويج نساء الأبناء ، والنبي ﷺ معصوم في حركاته وسكناته ، وبعض المفسرين كلام في الآية يقتضى النقص من منصب النبوة ضربنا عنه صفحاً) . ويقول الألوسى في روح المعاني ج٢٦ ص ٣٧ : (وللقصاص في هذه القصة كلام لا ينبغي أن يجعل في حيز القبول) ، وهنا ذكر النسفي رحمه الله هذه القصة الباطلة ولم يعلق عليها وهي من المآخذ عليه ، وهذه القصة طعن في عصمته ﷺ ومكانته وقد أخذ منها : أعداء الإسلام سلماً في التهجم على مقام الرسالة الطاهرة ، إذ لا يخفى ان حب رسول الله ﷺ وتعلقه بامرأة في عصمة رجل بعيد عن كماله ، ولكن من فضل الله عز وجل أن تصدى لهذه القصة وأمثالها من يفندها ويرد عليها قديماً وحديثاً كأمثال ابن العربي رحمه الله والقرطبي والخازن وأبو حيان وابن حجر والألوسى وأبو شهبه وغيرهم عليهم رحمة الله جميعاً .

ومن أراد المزيد حول هذا الموضوع بالإضافة إلى كتب التفسير المشار إليها سابقاً كتاب الدكتور الشيخ : محمد بن محمد أبو شهبه رحمه الله : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير .

يطلق ، أو وأتق الله فلا تدمها بالنسبة إلى الكِبَرِ وأذى الزوج .

﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ أي : تخفي في نفسك نكاحها إن طلقها زيد وهو الذي أبداه الله ، وقيل : الذي أخفى في نفسه تعلق قلبه بها ومودة مفارقة زيد إياها^(١) ، والواو في : وتخفي في نفسك : ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ ﴾ أي : قالة الناس بأن نكح امرأة ابنه : ﴿ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ واو الحال^(٢) ، أي تقول لزيد : أمسك عليك زوجك مخفياً في نفسك إرادة أن لا يمسكها ، وتُخْفِي خاشياً قالة الناس وتخشي الناس حقيقة في ذلك بأن تخشى الله ، وعن عائشة رضي الله عنها : لو كنتم رسول الله ﷺ شيئاً مما أوحى إليه لكنتم هذه الآية^(٣) .

﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا ﴾ الوطر الحاجة /، فإذا بلغ البالغ حاجته من شيء له فيه هممة قيل : قضى منه وطره ، والمعنى : فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتفاصرت عنها همته وطلقها وإنقضت عدتها . ﴿ زَوْجَانَكهَا ﴾ روي أنها لما أعتدت قال رسول الله ﷺ : « ما أجد أحداً أوثق في نفسي منك أخطب عليّ زينب » ، قال زيد : فأنطلقت وقلت يا زينب أبشري إن رسول الله يخطبك ففرحت ، وتزوجها رسول الله ودخل بها ، وما أولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها ذبح شاة ، وأطعم الناس الخبز واللحم حتى أمتد النهار^(٤) .

(١) والكلام مردود بما سبق ص ٨٢ .

(٢) الفريد في إعراب القرآن المجيد ج ٤ ص ٤٢ ، الدرر المصون ج ٥ ص ٤١٨ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ج ٣ ص ١٥٠٦ و ١٥٠٧ . كتاب التفسير باب تفسير سورة

الأحزاب وأخرجه مسلم في صحيحه ج ١ ص ١٤٠ كتاب الإيمان باب قول الله عز وجل :

﴿ وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزَلَةً أُخْرَى ﴾ وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء ، وهو أصح ما روى في هذه

القصة كما قال بذلك ابن العربي في : أحكام القرآن ج ٣ ص ١٥٣٤ .

(٤) يقول الزيلعي رحمه الله في كتاب تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف ج ٣

ص ١١١ : (غريب بهذا اللفظ) ، وقد ذكر الإمام البخاري رحمه الله : قصة زينب رضي

الله عنها ج ٣ ص ١٦٦٤ كتاب النكاح باب أولم على بعض نسائه أكثر من بعض ولنظفه :

ذُكِرَ تزويج زينب بنت جحش عند أنس رضي الله عنه فقال : ما رأيت النبي ﷺ أولم على

﴿ لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾ قيل قضاء الوطر : إدراك الحاجة وبلوغ المراد منه^(١) .

﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ الذي يريد أن يُكوِّنه .

﴿ مَفْعُولًا ﴾ مكوّنًا لا محالة ، وهو مثلٌ لما أراد كونه من تزويج رسول الله ﷺ زينب رضي الله عنها .

﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ﴾ أحلّ له ، وأمره وهو نكاح زينب امرأة زيد^(٢) ، أو قدر له من عدد النساء^(٣) .

﴿ سُنَّةَ اللَّهِ ﴾ إسم موضوع موضع المصدر^(٤) كقوله : تُرْبًا^(٥) وجندلاً^(٦) ، مَوْكَأً لقوله : ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ ﴾ كأنه قيل : سنّ الله ذلك سنة في الأنبياء .

« أحد من نسائه ما أولم عليها أولم بشاة ، وذكرها مسلم في صحيحه مطوله بغير لفظ المصنف: ج ٢ ص ٨٤٩ كتاب النكاح باب زواج النبي ﷺ زينب بنت جحش ، وذكرها الإمام أحمد في مسنده ج ٣ ص ١٠٥ بلفظ : عن أنس رضي الله عنه ، قال : دعوت المسلمين إلى وليمة رسول الله ﷺ صبيحة بنى زينب بنت جحش فأشبع المسلمين خبزاً ولحمًا ... الحديث .

(١) يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره ج ٣ ص ٧٨٣ : (أي : إنما أبحننا لك تزويجها ، وفعلنا ذلك لئلا يبقى حرج على المؤمنين في تزويج المطلقات الأدعياء) .

(٢) هو قول مقاتل رحمه الله : النكت والعيون ج ٤ ص ٤٠٧ .

(٣) هو قول الضحاك رحمه الله ، انظر : النكت والعيون ج ٤ ص ٤٠٧ ، زاد المسير ج ٦ ص ٣٩٢ ونسبه ابن الجوزي رحمه الله الى قتادة ، البحر المحيط ج ٨ ص ٤٨٤ ، روح المعاني ج ٢٦ ص ٢٧ .

(٤) انظر : إعراب القرآن / للنحاس ج ٢ ص ٦٣٨ ، التبيان في إعراب القرآن ج ٢ ص ١٠٦٠ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد ج ٤ ص ٤٣ ، الدر المصون ج ٥ ص ٤١٨ .

(٥) في : المطبوع (ترابا) .

(٦) الجندل : الحجارة منه سمي الرجل بها فالمراد التراب مع كثرة الحجارة فيها . انظر لسان العرب ج ١١ ص ١٢٨ . والقاموس المحيط ص ١٢٦٦ ، مادة : جندل .

الماضيين ، وهو أن لا حرج عليهم في الإقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره ، وقد كانت تحتهم المهائر^(١) والسراري ، وكانت لـدواد مائة امرأة وثلاثمائة سرية ، ولسليمان ثلاثمائة حُرّة وسبعمائة سرية^(٢) .

﴿ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ﴾ في الأنبياء الذين مضوا من قبل .

﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مُقَدَّرًا ﴾ قضاءً مقضياً ، وحكماً مبتوتاً ، ولا وقف عليه إن جعلت : ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ ﴾ بدلُ الذين الأول ، وقفُ إن جعلته في محل الرفع ، أو النصب على المدح ، أي : هم الذين يُبَلِّغُونَ ، أو أعنى الذين يُبَلِّغُونَ^(٣) .
﴿ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ﴾ وصف الأنبياء بأنهم لا يخشون إلا الله ، تعريض بعد التصريح في قوله : ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾^(٤) .
﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ كافياً للمخاوف ، أو محاسباً على الصغيرة والكبيرة فكان جديراً بأن يُخْشَى^(٥) منه .

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ أي : لم يكن أباً لرجل منكم حقيقةً حتى يثبت بينه وبين ما يثبت بين الأب وولده من حُرمة الصُّهر والنكاح ، والمراد : من

(١) المهائر : جمع مهيرة بمعنى مهموره وهي الحرة الغالية المهر ، القاموس المحيط ص ٦١٤ ، مادة : مهر .

(٢) انظر : النكت والعيون ج ٤ ص ٤٠٨ ، معالم التنزيل ج ٦ ص ٣٩٨ ، زاد المسير ج ٦ ص ٣٩٢ ، الجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ١٩٥ ، ويقول القرطبي رحمه الله : (هاهنا مخاطبة من الله تعالى لجميع الأمة ، أعلمهم أن هذا ونحوه هو السنن الأقدم في الأنبياء ان ينالوا ما أحلَّ لهم ، أي : سن لمحمد عليه السلام التوسعة عليه في النكاح سنة الأنبياء الماضية ..) ، لباب التأويل ج ٣ ص ٤٢٩ ، البحر المحيط ج ٨ ص ٤٨٢ ، تفسير القرآن لابن كثير ج ٣ ص ٧٨٣ . روح المعاني ج ٢٦ ص ٢٧ .

(٣) انظر : اعراب القرآن / للنحاس ج ٢ ص ٦٣٨ ، الفريد في اعراب القرآن المجيد ج ٤ ص ٤٢ ، الدر المصون ج ٥ ص ٤١٩ .

(٤) آية ٣٧ من نفس السورة .

(٥) في المطبوع (تخشى) .

رجالكم البالغين والحسن والحسين لم يكونا بالغين حينئذ والطاهر والطيب والقاسم وإبراهيم توفوا صبياناً^(١) .

﴿وَلَكِنَّ﴾ كان ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾ وكلُّ رسولٍ أبو أمته فيما يُرجعُ إلى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ، ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لافى سائر الأحكام الثابتة بين الآباء والأبناء ، وزيد واحدٌ من رجالكم الذين ليسوا بأولاده حقيقة ، وكان حكمه حكمكم^(٢) ، والتبني من باب الإختصاص والتقريب لاغير .

﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ بفتح التاء عاصم بمعنى / الطابع أي : آخرهم يعني لاينبأ أحدٌ [١٢٣/ب]

(١) إبراهيم ابن النبي ﷺ ولد له من سريته ماريه القبطية في ذي الحجة سنة ٨ هـ وتوفى وهو ابن ثمانية عشر شهراً . أسد الغابة : ج١ ص ٦٠ .

أما القاسم والطيب والمطهر أو الطاهر كما في أسد الغابة فقد أنجبتهم له السيدة خديجة رضي الله عنها قبل البعثة وكلهم ماتوا قبل الإسلام ، والقاسم كان يكنى رسول الله ﷺ به . انظر : سيرة ابن هشام ج١ ص ١٨٧ ، وأسد الغابة ج٧ ص ٨١ .

والحسن : هو ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه سبط رسول الله ﷺ وريحاته ، ولد في نصف شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة ، روى عن النبي ﷺ أحاديث حفظها عنه منها في السنن الأربعة مات شهيداً بالسُّمِّ . وأختلف في سنة وفاته : قيل سنة تسع وأربعين وقيل سنة خمسين وقيل سنة إحدى وخمسين وغير ذلك من الأقوال . انظر ترجمته : الإصابة ج١ ص ٣٢٨ ، تقريب التهذيب ص ١٦٢ .

والحسين : هو ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسبط رسول الله ﷺ وريحاته ولد في شعبان سنة أربع من الهجرة .. وحفظ الحسين رضي الله عنه أيضاً عن النبي ﷺ وروى عنه ، استشهد يوم عاشورا سنة إحدى وستين من الهجرة وله ست وخمسون سنة . انظر ترجمته . الإصابة ج١ ص ٣٣٤ ، تقريب التهذيب ص ١٦٧ . ويقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره ج٣ ص ٧٨٤ : (نهى أن يقال بعد هذا زيد بن محمد ، أي : لم يكن أباه وإن كان قد تبناه ، فإنه ﷺ لم يعيش له ولد ذكر حتى بلغ الحلم ، فإنه ﷺ ولد له القاسم والطيب والطاهر من خديجة رضي الله عنها ، فماتوا صغاراً ، وولد له إبراهيم من مارية القبطية فمات أيضاً رضيعاً وكان له ﷺ من خديجة أربع بنات : زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضي الله عنهم أجمعين ، فمات في حياته ﷺ ثلاث وتأخرت فاطمة رضي الله عنها حتى أصيبت به ﷺ ، ثم ماتت بعده لسته أشهر) .

(٢) في : المطبوع (كحكمكم) .

بعده، وعيسى ممن نُبئَ قبله ، وحين يَنْزِلُ^(١) ، يَنْزِلُ عاملاً على شريعة محمد عليه السلام كأنه بعض أمته ، وغيره بكسر التاء بمعنى الطابع وفاعل الختم^(٢) ، وتقويه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه : ولكن نبياً ختم النبيين^(٣) .

﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾
إثنا عليه بضروب الثناء وأكثروا ذلك .

﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً ﴾ أول النهار . ﴿ وَأَصِيلًا ﴾ آخر النهار ، وخصاً بالذكر لأن : ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون فيهما ، وعن قتادة رحمه الله قولوا سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله^(٤) ^(٥) ، والفعالن أي: أذكروا الله وسبحوه موجهان إلى البكرة والأصيل كقولك : صُم وصلّ يوم الجمعة ، والتسبيح من جملة الذكر ، وإنما أختص من بين أنواعه إختصاص جبريل ومكائيل من بين الملائكة ، إبانة لفضله على سائر الأذكار ، لأن معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات ، وجازان يُراد بالذكر وإكثاره تكثير الطاعات والعبادات فإنها من جملة الذكر، ثم خصّ من ذلك التسبيح بكرةً : وهى صلاة الفجر ، وأصيلًا : وهى صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، او صلاة الفجر والعشاءين^(٦) .

(١) ساقط من (ب) .

(٢) إعراب القراءات السبع وعللها جـ ٢ ص ٢٠١ ، ص ٢٠٢ ، ص ٢٠٣ . والتلخيص ص ٣٧٢ .
والموضح جـ ٢ ص ١٠٣٦ ، والنشر جـ ٢ ص ٣٢٨ ، والإتحاف جـ ٢ ص ٣٧٦ .

(٣) معاني القرآن / للفراء ص ٣٤٤ ، وإعراب القرآن / للنحاس جـ ٢ ص ٦٣٩ ، المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ٨٠ ، والجامع لأحكام القرآن / جـ ١٤ ص ١٩٧ ، روح المعاني جـ ٢٦ ص ٣٤ .

(٤) زيادة المطبوع (العلى العظيم) .

(٥) القول هو قول مجاهد رحمه الله كما في : الوسيط جـ ٣ ص ٤٧٥ ، معالم التنزيل / جـ ٦ ص ٣٦٠ ، زاد المسير / جـ ٦ ص ٣٩٨ ، والجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ١٩٧ .

(٦) انظر : بحر العلوم جـ ٣ ص ٥٤ ، النكت والعيون جـ ٤ ص ٤٠٩ ، الوسيط جـ ٣ ص ٤٧٥ ، تفسير السمعي جـ ٤ ص ٢٩٥ ، معالم التنزيل جـ ٦ ص ٣٦٠ ، زاد المسير جـ ٦ ص ٣٩٦ ، و ص ٣٩٧ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ١٩٨ .

﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ ﴾ ﴿ لَمَّا كَانَ مِنْ شَأْنِ الْمُصَلِّي أَنْ يَنْعَطِفَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ أَسْتَعِيرَ لِمَنْ يَنْعَطِفُ عَلَى غَيْرِهِ حُنُوءًا عَلَيْهِ ، وَتَرَوُّفًا كَعَانِدِ الْمَرِيضِ فِي إِنْعَاطِفِهِ عَلَيْهِ ، وَالْمَرَأَةَ فِي حُنُوءِهَا عَلَى وَلَدِهَا ، ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى أُسْتَعْمَلَ فِي الرَّحْمَةِ وَالتَّرَوُّفِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ ، أَيْ : تَرَحَّمْ عَلَيْكَ وَتَرَأْفَ ، وَالْمُرَادُ بِصَلَاةِ الْمَلَائِكَةِ قَوْلُهُمْ : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، جُعِلُوا لِكُونِهِمْ مُسْتَجَابِي الدَّعْوَةِ ، كَأَنَّهُمْ فَاعِلُونَ الرَّحْمَةَ وَالرَأْفَةَ ، وَالْمَعْنَى : هُوَ الَّذِي يَتَرَحَّمُ عَلَيْكُمْ وَيَتَرَأَفُ حَيْثُ يَدْعُوكُمْ إِلَى الْخَيْرِ ، وَيَأْمُرُكُمْ بِإِكْتِنَارِ الذِّكْرِ وَالتَّوْفِرِ عَلَى الصَّلَاةِ وَالتَّوَاتُعِ .

﴿ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ ﴿ مِنْ ظُلُمَاتِ الْمُعْصِيَةِ إِلَى نُورِ الطَّاعَةِ .

﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ ﴿ هُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالصَّلَاةِ الرَّحْمَةَ ^(١) ، وَرَوَى أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ : ﴿ إِنْ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ يَصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ ^(٢) قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا خَصَّكَ اللَّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِشَرَفٍ إِلَّا وَقَدْ أَشْرَكْنَا فِيهِ ، فَنَزَلَتْ ^(٣) : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ ﴾ مِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى الْمَفْعُولِ ^(٤) ، أَيْ : تَحِيَّةَ اللَّهِ لَهُمْ .

﴿ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ ﴾ ﴿ يَرُونَهُ ^(٥) . ﴾ ﴿ سَلَامٌ ﴾ ﴿ يَقُولُ اللَّهُ ^(٦) تَعَالَى : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ .

(١) يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره جـ ٣ ص ٧٨٩ عن هذه الآية: (أي: في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فإنه هداهم إلى الحق الذي جهله غيرهم، وبصرهم الطريق الذي ضل عنه وحاد عن من سواهم من الدعاء إلى الكفر أو البدعة وأتباعهم من الطغام، وأما رحمته في الآخرة: فأمنهم من الفزع الأكبر وأمر ملائكته يتلقونهم بالبشارة بالفوز بالجنة والنجاة من النار، وماذا إلا لمحبتهم لهم ورأفته بهم).

(٢) آية: ٥٦ من نفس السورة.

(٣) أسباب النزول للواحدى ص ٤١٩، ونسبه لمجاهد رحمه الله، لباب النقول / للسيوطي ص ١٧٣ وص ١٧٤ ونسبه السيوطي في الدر المنثور ج ٦ ص ٦٢٢ لعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد رضي الله عنه قال لما نزلت: ﴿ إِنْ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ يَصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ قال أبو بكر رضي الله عنه .. .

(٤) الدر المصون ج ٥ ص ٤١٩.

(٥) أي: يرون الله سبحانه وتعالى، ورجح ذلك: ابن كثير في تفسيره ج ٣ ص ٧٩٠، والكلبي في التسهيل ج ٣ ص ١٤٠.

(٦) في المطبوع (تبارك وتعالى).

﴿وَأَعَدَّلَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ يعني الجنة .
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾ على من بُعِثَتْ إِلَيْهِمْ ، وعلى تكذيبهم
 وتصديقهم ، أي : مقبولاً قولك عند الله لهم وعليهم كما يُقبل قول الشاهد العدل في
 الحكم ، وهو حال مقدره^(١) كما تقول : مررت برجلٍ معه صقرٌ صائداً به غداً^(٢) أي :
 مقدراً به الصيد غداً .

﴿وَمُبَشِّرًا﴾ للمؤمنين بالجنة . ﴿وَنَذِيرًا﴾ للكافرين بالنار .

﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ / بِإِذْنِهِ﴾ بأمره وتيسيره ، والكل منصوب على الحال^(٣) .
 ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ جَلَّى به الله ظلمات الشرك ، واهتدى به الضالون كما يُجَلَّى
 ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به ، والجمهور على أنه القرآن^(٤) . فيكون التقدير :
 وذا سراج منير أو تالياً سراجاً منيراً ووصف بالإنارة : لأن من السُّرُج ما يضيئ إذا قُلَّ
 سَلِيطُهُ^(٥) ودُقَّت فتيلته ، أو شاهداً بواحدانيتنا ، ومبشراً برحمتنا ، ونذيراً بنقمتنا ، وداعياً
 إلى عبادتنا ، وسراجاً وحجة ظاهره لحضرتنا^(٦) .

(١) إعراب القرآن / للنحاس جـ ٢ ص ٦٤١ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٤٥ ،
 ص ٢٤٨ . الدر المصون جـ ٥ ص ٤١٩ .

(٢) ساقط من المطبوع .

(٣) انظر : الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٤٥ .

(٤) وقد نَسَبَ هذا القول إلى ابن عباس رضي الله عنهما النحاس في معاني القرآن جـ ٥ ص ٣٥٩

بسند ، وأضاف الماوردي رحمه الله أيضاً القول قتاده في النكت والعيون جـ ٤ ص ٤١٠ .

قلت : وقد رجح القول بأنه رسول الله ﷺ : البغوي في معالم التنزيل جـ ٦ ص ٣٦١ ، وابن

عطية في المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ١٨٢ . والخازن في لباب التأويل جـ ٣ ص ٤٣٠ . ويقول

أبو حيان رحمه الله في البحر المحيط جـ ٨ ص ٤٨٨ . (.. لا يوصف بالإرسال القرآن إنما

يوصف ، بالإنزال ..) . وابن كثير في تفسيره جـ ٣ ص ٧٩٢ . قلت : ويتضح من مجموع

هذه الأقوال وغيرها من الأقوال لمفسرين أن الراجح هنا : هو الرسول ﷺ .

(٥) سليطه ، والسليط الزيت وكلُّ دهنٍ عُصِرَ من حب . القاموس المحيط ص ٨٦٦ ، مادة : سلط .

(٦) وهنا يذكر أن المراد ، بالبشير والنذير هو الرسول ﷺ وهو الراجح إن شاء الله تعالى .

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ ﴿ثواباً عظيماً .

﴿وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ المراد به : التهيج ، أو الدوام والثبات على ما كان عليه .

﴿وَدَعُ أَذَاهُمْ﴾ هو بمعنى الإيذاء ، فيحتمل ان يكون مضافاً إلى الفاعل أي : جعل إيذاءهم إياك في جانب ولا تبال بهم ولا تخف من إيذائهم ، أو إلى المنعول أي : دع إيذاءك إياهم مكافأة لهم^(١) .

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فإنه يكفيكم . ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ وكفى به مفوضاً إليه ، فقيل : إن الله تعالى وصفه بخمسة أوصاف وقابل كلا منها بخطاب مناسب له قابل : الشاهد بقوله : ﴿وبشر المؤمنين﴾ لأنه يكون شاهداً على أمته وهم يكونون شهداء على سائر الأمم ، وهو الفضل الكبير ، والمبشر : بالإعراض عن الكافرين والمنافقين لأنه إذا عرض عنهم أقبل جميع إقباله على المؤمنين وهو مناسب للبشارة ، والنذير : يدع أذاهم لأنه إذا ترك أذاهم في الحاضر والأذى لا بدله من عقاب عاجل أو أجل كانوا منذرين به في المستقبل ، والداعي إلى الله بتيسيره بقوله : ﴿وتوكل على الله﴾ لأن من توكل على الله يسر عليه كل عسير ، والسراج المنير بالإكتفاء وكيلاً لأن من أناره الله برهاناً على جميع خلقه كان جديراً بأن يُكتفى به عن جميع خلقه .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي : تزوجتم ، والنكاح هو الوطء في الأصل ، وتسمية العقد نكاحاً لملاسته له من حيث إنه طريق إليه كتسمية الخمر إثماً لأنها سببه ، وكقول الراجز^(٢) :

أَسْمَةَ الْآبَالِ فِي سَحَابِهِ

سموا الماء بأسمنة الآبال لأنه : سبب سِمْنُ [الآبال]^(٣) وإرتفاع [أسنمتها]^(٤) ولم

(١) الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ٤٥ ، الدر المصون ج٥ ص ٤٢٠ .

(٢) الكشف ج٣ ص ٥٤٨ .

(٣) في (أ) : المال .

(٤) في (أ) : أسمنته .

يرد لفظ النكاح في كتاب الله إلا في معنى العقد^(١) ، لأنه : في معنى الوطاء من باب التصريح به ، ومن آداب القرآن الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسّة والقربان والتغشي والإتيان ، وفي تخصيص المؤمنات مع أن الكتائب تساوي المؤمنات في هذا الحكم : إشارة إلى أن الأولى بالمؤمن أن ينكح مؤمنة .

﴿ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ ﴾ والخلوة الصحيحة كالمس^(٢) .

(١) ويرد على من قال بهذا القول قوله تعالى : ﴿ حتى تنكح زوجاً غيره ﴾ سورة البقرة آية ٢٣٠ . ومعناه : حتى يطأها زوج غيره عند الجمهور . يقول القرطبي رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية : | وذهب الجمهور من العلماء والكافة من الفقهاء إلى أن الوطاء كافٍ في ذلك وهو النقاء الختائين الذي يوجب حد الغسل | الجامع لأحكام القرآن جـ ٣ ص ١٤٨ . وانظر : البحر المحيط جـ ٨ ص ٤٨٩ ، روح المعاني جـ ٢٦ ص ٤٨ .

(٢) ومراده : أن الخلوة الصحيحة تقوم مقام المس ، انظر : أحكام القرآن / للخصاص جـ ٥ ص ٢٣٦ . البحر المحيط جـ ٨ ص ٤٨٩ . والجمهور على أن المراد بالمس هنا : (الجماع) . انظر : معالم التنزيل جـ ٦ ص ٣٦٢ . المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ٨٣ ، لباب التأويل جـ ٣ ص ٤٣٠ ، ويقول الألوסי رحمه الله في روح المعاني جـ ٢٦ ص ٤٩ (.. ومن الناس من حمل المس فيها على الخلوة ، ولاقرينة في الكلام على إرادته منه) .

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره جـ ٣ ص ٧٩٢ باختصار : (.. هذا الآية الكريمة فيها أحكام كثيرة منها إطلاق النكاح على العقد وحده وليس في القرآن أصرح في ذلك منها ، وقد اختلفوا في النكاح هل هو حقيقة في العقد وحده أو في الوطاء ، أو فيهما ؟ على ثلاثة أقوال ، وإستعمال القرآن إنما هو في العقد الوطاء بعده إلا في هذه الآية ؟ فإنه إستعمل في العقد وحده لقوله تبارك وتعالى : ﴿ إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن ﴾ وفيهما دلالة لإباحة طلاق المرأة قبل الدخول بها .

وقد إستدل ابن عباس رضي الله عنهما ، وسعيد بن المسيب ، والحسن البصري ، وعلى بن الحسين زيد العابدين ، وجماعة من السلف بهذه الآية على أن الطلاق لا يقع إلا إذا تقدم نكاح ، لأن الله تعالى قال : ﴿ إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ﴾ فعقب النكاح بالطلاق ، فدل على أنه لا يصح ولا يقع قبله ، وهذا مذهب الشافعي وأحمد بن حنبل ، وطائفة كثيرة من السلف والخلف رحمهم الله تعالى ، وذهب مالك وأبو حنيفة رحمهما الله تعالى إلى صحة

﴿ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا ﴾ فيه دليل على أن العِدَّة^(١) تجب على النساء للرجال ، ومعنى تعتدونها : تستوفون عددها تفتعلون من العدّ .

﴿ فَمَتَّعُوهُنَّ ﴾ والمتعة تجب للتي طلقها قبل الدخول بها ولم يسم لها مهراً دون غيرها^(٢) . ﴿ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ أي : لا تمسكوهنَّ ضراراً ، وأخرجوهن من منازلكم إذ لا عدة لكم عليهن .

[١/١٢٤]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ / أَزْوَاجَكَ اللَّاتِيَّاتِ أَجُورَهُنَّ ﴾ مهورهنَّ إذ المهرُ أجرٌ على البضع، ولهذا قال الكرخي^(٣) : إن النكاح بلفظ الإجارة جائز ، وقلنا التأيد من شرط النكاح والتأقيت من شرط الإجارة وبينهما منافاة^(٤) ، وإيتاؤها إعطاؤها

← الطلاق قبل النكاح فيما إذا قال : إن تزوجت فلانه فهي طالق ، فعندهما متى تزوجت طلقت منه ، وأختلف فيما إذا قال : كل امرأة أتزوجها فهي طالق ؟ فقال مالك لا تطلق حتى يعين المرأة ، وقال أبو حنيفة رحمه الله : كل امرأة يتزوجها بعد هذا الكلام تطلق منه ، فأما الجمهور فاحتجوا على عدم الطلاق بهذه الآية . ومن أراد مزيد وتمام الفائدة فليرجع إلى أحكام القرآن / للجصاص جـ ٥ ص ٢٣٢ وما بعدها ، والجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ٢٠٢ وما بعدها ، والبحر المحيط جـ ٨ ص ٤٨٩ و ص ٤٩٠ .

(١) العِدَّة لغة : الإحصاء يقال عددت الشيء ، أي : حصيته ، وشرعا : تربصٌ ، أي : إنتظار ووقت يلزم المرأة مدة معلومة . أنيس الفقهاء ص ١٦٧ .

(٢) سبق الحديث في هذا الموضوع ص ٧١ ، ويراجع أحكام القرآن / للجصاص جـ ٥ ص ٢٣٦ .

(٣) الشيخ الإمام الزاهد مفتى العراق ، شيخ الحنفية ، أبو الحسن عبدالله بن الحسين بن دلال البغدادي الكرخي الفقيه ، إنتهت إليه رئاسة المذهب ، وأشتهر اسمه ، وبَعُدَ صيته ومن كبار تلامذته أبو بكر الرازي ، وعاش ثمانين سنة ، توفي سنة أربعين وثلاث مئة .

انظر ترجمته : سير أعلام النبلاء جـ ١٥ ص ٤٢٦ ، شذرات الذهب لابن خلكان جـ ٢ ص ٣٥٨ . وقوله ذكره الألوסי في روح المعاني جـ ٢٦ ص ٥٢ .

(٤) وهو ردُّ على الكرخي : وأن بينهما منافاة فلا يطلق أحدهما على الآخر ، وقال الألوסי رحمه الله في روح المعاني جـ ٢٦ ص ٥٢ في الرد على كلام الكرخي (.. على أن النكاح ينعقد بلفظ الإجارة كما ينعقد بلفظ التزويج ، ويكون لفظ الإجارة مجازاً عنه لأن الثابت بكل

←

عاجلاً ، أو فرضها وتسميتها في العقد .

﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ وهي صفية^(١) وجويرية^(٢) فأعتقتهما وتزوجهما .
 ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكِ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ ومع ليس للقران بل لوجودها^(٣) فحسب كقوله : ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾^(٤)
 وعن أم هاني^(٥) بنت أبي طالب : خطبني رسول الله ﷺ فأعتذرت إليه فعذرني فأنزل الله هذه الآية ، فلم أحل له لأنني لم أهاجر معه^(٦) .

⇐ منهما ملك منفعه فوجد المشترك ، وُردَّ بأنه لا يلزم من تسمية المهر اجراً صحة النكاح بلفظ الإجارة ، وما ذكر من التجوز ليس بشيء لأن الإجارة ليست سبباً لملك المنفعه حتى يتجوز بها عنه ؛ وقال بعضهم : إن الإجارة لاتعقد إلا مؤقتة ، والنكاح يشترط فيه فيتضادان فلا يستعار أحدهما للآخر ..) .

(١) صفية بنت حي بن أخطب من بني النضير ، وكانت تحت سلام بن مشكم ، وقد أعتقها النبي ﷺ ثم تزوجها . قال الواقدي ماتت سنة خمسين يقول بن حجر رحمه الله في الإصابة : وهو أقرب . انظر : أسد الغابة جـ٧ ص ١٦٩ ، الإصابة جـ٤ ص ٣٤٧ و ٣٤٨ . .
 (٢) جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب الخزاعية المصطلقية وكانت من سبايا غزوة المريسيع واعتقها النبي ﷺ ثم تزوجها . قيل ماتت سنة خمسين وقيل سنة ست وخمسين من الهجرة . انظر : أسد الغابة جـ٧ ص ٥٦٣ ، الإصابة جـ٤ ص ٢٦٥ و ٢٦٦ .
 (٣) يقول ابن العربي في أحكام القرآن جـ٣ ص ١٥٦٦ : (والمعية هاهنا الإشتراك في الهجرة لافي الصحبة ، فمن هاجر حلَّ له ، كان في صحبته إذا هاجر أولم يكن) .
 (٤) سورة النمل آية ٤٤ .

(٥) أم هاني بنت أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم الهاشمية ابنة عم النبي ﷺ إسمها فاختة وقيل فاطمة وقيل هند والأول أشهر وقد خطبها النبي ﷺ واعتذرت منه . قال الترمذي وغيره عاشت بعد علي رضي الله عنه ، انظر الإصابة جـ٤ ص ٥٠٣ . وأسد الغابة جـ٧ ص ٤٠٤ .
 (٦) أخرجه الترمذي في سننه جـ٥ ص ٣٤ كتاب التفسير باب سورة الأحزاب وقال الترمذي : هذا حديث حسن لانعرفه إلا من هذا الوجه من حديث السدي .

وأخرجه الحاكم في المستدرک جـ٢ ص ٤٢ وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ، وأخرجه البيهقي في السنن جـ٧ ص ٥٤ .

وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير جـ٢٤ ص ٤٠٥ ، أخرجه من طريق إسماعيل بن أبي خالد

﴿ وَأَمْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾ وأحللنا لك من وقع لها أن تهب نفسها ولا تطلبُ مهراً من النساء المؤمنات إن إتفق ذلك، ولذلك نكَّرها ، قال ابن عباس : هو بيان حكم في المستقبل ولم يكن عنده أحدٌ منهن بالهبة^(١) ، وقيل الواهبه نفسها ميمونة بنت الحارث^(٢) ، أو زينب بنت خزيمة^(٣) ، أو أم شريك بنت جابر^(٤) ، أو خولة بنت حكيم^(٥) ، وقرأ الحسن بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام^(٦) ، وقرأ ابن مسعود

عن الشعبي عنها جـ ٢٤ ص ٤٣٦ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد جـ ٤ ص ٢٧١ : (رجاله ثقات) ، مطبعة دار الكتب العلمية طبعة عام ١٤٠٨ هـ .
وذكره ابن جرير الطبري في تفسيره جـ ٢٢ ص ٢٠ ٢١ .

(١) يقول ابن العربي في أحكام القرآن جـ ٣ ص ١٥٨٨ (.. روى ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد رحمه الله أنهما قالا : لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة موهوبة) .
وَحَسَنَ إِسْنَادَهُ ابن حجر رحمه الله في الفتح جـ ٨ ص ٥٢٦ . وقال (.. والمراد : أنه لم يدخل بواحدة ممن وهبت نفسها له وإن كان مباحاً لأنه راجع إلى إرادته لقوله تعالى : ﴿ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا ﴾ .

(٢) في المطبوع (الحرث) وهو خطأ، وميمونة بنت الحارث هي : بنت حزن الهلالية أخت أم الفضل لبابه ، وميمونة هي أم المؤمنين وكان إسمها برّه فسمها النبي ﷺ ميمونة . تزوجها عليه الصلاة والسلام في السنة السابعة . انظر : أسد الغابة جـ ٧ ص ٢٧٢ . والإصابة جـ ٤ ص ٤١٣ .
(٣) زينب بنت خزيمة م بن عبد الله بن عمر بن عبدمناف الهلالية أم المؤمنين زوج النبي ﷺ وكانت يُقال أم المساكين وكانت أخت ميمونة بنت الحارث لأمها . أسد الغابة جـ ٧ ص ١٢٩ ، والإصابة جـ ٤ ص ٣١٥ .

(٤) أم شريك بنت جابر الغفارية . ذكرها أحمد بن صالح في أزواج النبي ﷺ اللاتي لم يدخل بهن . وقال ابن حبيب بايعت النبي ﷺ . انظر : أسد الغابة جـ ٧ ص ٣٥١ . والإصابة جـ ٤ ص ٤٩٥ .

(٥) خولة بنت حكيم : بن أمية بن حارثه من الأوقص بن سليم امرأة عثمان بن مظعون وقال هشام بن عروة عن أبيه كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ . انظر : أسد الغابة جـ ٧ ص ٦٣ ، والإصابة جـ ٤ ص ٢٩١ ، ورجح ابن الحوزي رحمه الله في زاد المسير جـ ٦ ص ٤٠٥ قول من قال أنها : (أم شريك) .

(٦) وهي قراءة شاذة . انظر : المحتسب جـ ٢ ص ١٨٢ (أي : بفتح أن) .

رضي الله عنه بغير إن^(١) .

﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ إستنكاحها : طَلَبُ نِكَاحِهَا وَالرَّغْبَةُ فِيهِ ، وَقِيلَ نَكَحَ وَإِسْتَنْكَحَ بِمَعْنَى ، وَالشَّرْطُ الثَّانِي تَقْيِيدٌ لِلشَّرْطِ الْأَوَّلِ ، شَرَطَ فِي الْإِحْلَالِ هَيْبَتَهَا نَفْسَهَا وَفِي الْهَيْبَةِ إِرَادَةُ إِسْتِنْكَاحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّهُ قَالَ^(٢) أَحْلَلْنَا مَا لَكَ إِنْ وَهَبْتَ لَكَ نَفْسَهَا وَأَنْتَ تَرِيدُ^(٣) أَنْ تَسْتَنْكَحَهَا ، أَوْ^(٤) إِرَادَتُهُ هِيَ قَبُولُ الْهَيْبَةِ وَمَا بِهِ تَتَمُّ ، وَفِيهِ دَلِيلٌ : جَوَازُ النِّكَاحِ بِلَفْظِ الْهَيْبَةِ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأُمَّتُهُ سِوَاهُ فِي الْأَحْكَامِ إِلَّا فِيمَا خَصَّهُ الدَّلِيلُ^(٥) .

(١) المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ٨٦ .

(٢) في : (ب) قيل .

(٣) ساقط من : (جـ) .

(٤) في المطبوع : (لأن) .

(٥) يقول ابن عطية رحمه الله في المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ٨٦ : (.. أجمع الناس على أن ذلك لا يجوز ، وأن هذا اللفظ من الهبة لا يتم عليه نكاح إلا ماروى عن أبي حنيفة ومحمد بن الحسن وأبي يوسف عليهم رحمة الله : أنهم قالوا إذا وهبت فأشهد على نفسه بمهر فذلك جائز ..) . وذكر هذا القول الجصاص رحمه الله في أحكام القرآن جـ ٥ ص ٢٣٧ ونسبه إلى أبي حنيفة وأبي يوسف وزفر ومحمد والثوري والحسن بن صالح ، ومن أراد تمام الفائدة فليعد إليه ، وذكر عبدالرزاق في تفسيره بسنده جـ ٢ ص ٩٨ عن الزهري رحمه الله أنه قال : (إن الهبة كانت للنبي ﷺ خاصة ، ولا يحل لأحد أن تهب له امرأة نفسها بغير صداق) . وقال النيسابوري في غرائب القرآن جـ ٧ ص ٤٧٠ : (حملها الشافعي رحمه الله على خصائص النبي ﷺ) .

ويقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره جـ ٣ ص ٧٩٦ عند قوله تعالى : ﴿ خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ قال عكرمة رحمه الله أي : لا تحل الموهوبة لغيرك ، ولو أن امرأة وهبت نفسها لرجل لم تحل له حتى يعطيها شيئاً ، وكذا قال مجاهد والشعبي وغيرهما . ولهذا قال قتادة رحمه الله في قوله تعالى ﴿ خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ يقول : (ليس لامرأة تهب نفسها لرجل بغير ولي ولا مهر إلا للنبي ﷺ) .

قلت وبالفعل فإن هذه من خصوصياته عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

﴿ خَالِصَةً ﴾ بلا مهر، حالٌّ من الضمير في وهبت ، أو مصدر مؤكِّد أي : خلص لك إحلال ما أحللتنا لك ، خالصة بمعنى خلوصاً، والفاعلة في المصادر غير عزيز كالعافية والكاذبة^(١) .

﴿ لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ بل يجب المهر لغيرك وإن لم يسمه أو نفاه، عدل عن الخطاب إلى الغيبة في قوله للنبي^(٢) إن أراد النبي ، ثم رجع إلى الخطاب ليؤذن : أن الإختصاص تَكْرِمَةٌ له لأجل النبوه ، وتكريره تفخيم له^(٣) .

﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ ﴾ أي : ما أوجبنا من المهر على أمتك في زوجاتهم ، أو ما أوجبنا عليهم في أزواجهم من الحقوق .

﴿ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ بالشراء وغيره من وجوه المالك وقوله :

﴿ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ﴾ ضيق، متصل ب: خالصة لك من دون المؤمنين^(٤) ،

وقوله : ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ جملة اعتراضية^(٥) .

﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ بالتوسعة على عباده .

﴿ تُرْجِي ﴾ بلا همز مدني وحمزة وعلي وخلف وحفص، وبهمز غيرهم^(٦) تؤخر .

(١) إعراب القرآن / للنحاس جـ ٢ ص ٦٤٢ ، التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٥٩ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٤٦ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٢٢ .

(٢) ساقط من : المطبوع .

(٣) زيادة في المطبوع : (أي تكرير النبي) .

(٤) أي : الحار والمجرور (لكيلا يكون) متعلق بخالصة .

(٥) البحر المحيط جـ ٨ ص ٤٩٤ ، أنوار التنزيل جـ ٢ ص ٢٥٠ ويقول البيضاوي : (والجملة اعتراضية بين قوله : ﴿ لكيلا يكون عليك حرج ﴾ ومتعلقه وهو : ﴿ خالصة ﴾ للدلالة على أن الفرق بينه وبين المؤمنين في نحو ذلك لا لمجرد قصد التوسيع عليه ، بل لمعان تقتضى التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة وبالعكس أخرى) .

(٦) إعراب القراءات السبع وعللها جـ ٢ ص ٣٠٢ ، الموضح جـ ٢ ص ١٠٣٧ و ١٠٣٧ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٣٧٧ .

[١٢٤/ب] ﴿مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤَيِّ إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ تَضُمُّ بمعنى تترك مضاجعة / من تشاء منهن وتضاجع من تشاء ، أو تُطَلِّقُ من تشاء وتمسك من تشاء ، أو لا تَقْسِمُ لآيتهن شئت وتقسم لمن شئت ، أو تترك تزوج من شئت من نساء أُمَّتِكَ ، وتزوج من شئت ، وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض ، لأنه : إما أن يُطَلِّقَ وإما أن يُمَسِّكَ فإذا أمسك ضاجع ، أو ترك وقسم أولم يقسم ، وإذا طلق وعزل فإما : أن يُخْلِى المعزولة لا يبتغيها أو يبتغيها ، وروي أنه أرجى منهن : سودة^(١) ، وجويرية^(٢) ، وصفية^(٣) ، وميمونة^(٤) ، وأم حبيبة^(٥) ، فكان يقسم لهن ماشاء كما شاء ، وكانت ممن أوى إليه عائشة وحفصة^(٦) ، وأم سلمة^(٧) ، وزينب^(٨) رضي الله عنهما أرجى خمساً وأوى أربعاً^(٩) .

(١) سودة بنت زمعة بن قيس القرشية العامرية وهي زوج النبي ﷺ وتزوجها عليه الصلاة والسلام بعد وفاة خديجة قبل عائشة رضي الله عنهما وتوفيت آخر خلافة عمر . انظر أسد الغابة جـ ٧ ص ١٥٧ والإصابة جـ ٤ ص ٣٣٨ .

(٢) تقدمت ترجمتها ص ٩٣ .

(٣) تقدمت ترجمتها ص ٩٣ .

(٤) تقدمت ترجمتها ص ٩٤ .

(٥) أم حبيبة : بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبدشمس القرشية الأموية زوج النبي ﷺ إحدى أمهات المؤمنين رضي الله عنها إسمها رملة وكانت من السابقين إلى الإسلام وتوفيت ٤٤ أربعة وأربعين . أسد الغابة جـ ٧ ص ٣١٥ . والإصابة جـ ٤ ص ٣٠٥ .

(٦) حفصة : بنت عمر بن الخطاب أمير المؤمنين هي أم المؤمنين ، وكانت من المهاجرات وتزوجها رسول الله ﷺ سنة ثلاث عند أكثر العلماء ، قيل ماتت سنة إحدى وأربعين وقيل خمس وأربعين . أسد الغابة جـ ٧ ص ٦٥ . والإصابة جـ ٤ ص ٢٧٣ .

(٧) أم سلمة : بنت أبي أمية بن المغيرة إسمها هند ويقال رمله زوج النبي ﷺ . وكانت من المهاجرات إلى الحبشة والمدينة ، وهي آخر من مات من أمهات المؤمنين . أسد الغابة جـ ٧ ص ٣٤٠ . والإصابة جـ ٤ ص ٤٥٨ .

(٨) تقدمت ترجمتها ص ٨٠ .

(٩) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه جـ ٣ ص ٣٢٩ كتاب النكاح ، باب : في الرجل يكون له المرأة فتقول : أقسم لي .

وروى : أنه كان يسوي مع ما أطلق له وخير فيه إلا سودة فإنها وهبت ليلتها لعائشة وقالت : لا تطلقني حتى أحشر في زمرة نسائك^(١) .

﴿ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾ أي : ومن دعوت إلى فراشك وطلبت صحبتها ممن عزلت عن نفسك بالإرجاء فلا ضيق عليك في ذلك ، أي : ليس إذا عزلتها لم يجر لك ردها إلى نفسك ، ومن رفع بالابتداء وخبره^(٢) : ﴿ فَلَا جُنَاحَ ﴾ .

﴿ ذَلِكَ ﴾ التفويض إلى مشيئتك . ﴿ أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَأَ عَيْنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ ﴾ أي : أقرب إلى قررة عيونهن ، وقللة حزنهن^(٣) ، ورضاهن جميعاً لأنهن^(٤) إذا علمن أن هذا التفويض من عند الله إطمأنت نفوسهن ، وذهب التغاير ، وحصل الرضاء وقرت العيون .

﴿ كُلَّهُنَّ ﴾ بالرفع تأكيد لنون يرضين ، وقرئ : ﴿ وَيَرْضَيْنَ كُلَّهُنَّ بِمَا آتَيْتَهُنَّ ﴾ على التقديم^(٥) ، وقرئ شاذاً : كُلَّهُنَّ بالنصب تأكيداً لهن في آتيتهن^(٦) .

(١) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير جـ ٢٤ ص ٣٢ ، وأخرجه أبو داود في سننه جـ ٢ ص ٢٤٢ ، كتاب النكاح باب في القسم بين النساء ، وأخرجه الحاكم في مستدركه جـ ٢ ص ١٨٦ وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ، وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى جـ ٧ ص ٧٥ كتاب النكاح ، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود جـ ٢ ص ٤٠٠ : (صحيح الإسناد) .

(٢) هذا على أن من موصوله والعائد محذوف تقديره : (لا جناح عليك في طلبها) .

انظر : الدر المصون جـ ٥ ص ٤٢٢ .

(٣) كان الأولى أن يقول : (وعدم حزنهن) لأن المعطوف الحزن المنفى وهو المناسب لقررة العين والرضا .

(٤) في (أ) : لأنه .

(٥) انظر : المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ٨٩ ، والبحر المحيط جـ ٨ ص ٤٩٦ ، والدر المصون جـ ٥ ص ٤٢٣ ، وغرائب القرآن جـ ٥ ص ٤٧١ .

(٦) المحتسب جـ ٢ ص ١٨٢ .

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ فيه وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله من ذلك ،
وفوض إلى مشيئة رسوله ﷺ .

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا ﴾ بذات الصدور . ﴿ حَلِيمًا ﴾ لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق أن
يُتقى ويُحذر .

﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النَّسَاءُ ﴾^(١) وبالتناء أبو عمره ويعقوب وغيرهما بالتذكير^(٢) لأن
تأنيث الجمع غير حقيقي وإذا جاز بغير فصل [في: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ ﴾^(٣)] فمع الفصل
أجوز . ﴿ مِنْ بَعْدُ ﴾ من بعد التسع ، لأن : التسع نِصَابُ رسول الله ﷺ من الأزواج ،
كما أنَّ الأربع نِصَابُ أُمَّته .

﴿ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ ﴾ بالطلاق ، والمعنى : ولا أن تستبدل بهؤلاء
التسع أزواجاً آخرَ بكلهن ، أو بعضهن كرامةً لهن وجزاءً على ما أَخْتَرْنَ ورضين وقصرُ رسول
الله ﷺ عليهن وهن التسع التي مات عنهن^(٤) : عائشة ، حفصة^(٥) ، أم حبيبة^(٦) ، سودة^(٧) ،

(١) ساقط من : (ب) و (ج) .

(٢) إعراب القراءات السبع وعللها جـ ٢ ص ٢٠٤ ، التلخيص في القراء الثمان ص ٣٧٢ ، الموضح
جـ ٢ ص ١٠٣٨ و ١٠٣٩ ، النشر جـ ٢ ص ٣٤٩ ، والإتحاف جـ ٢ ص ٣٧٧ .

(٣) ساقط من : (أ) وهو جزء من آية ٣٠ سورة يوسف .

(٤) عن قتادة : أن النبي ﷺ توفي عن تسع نسوة : خمس من قريش عائشة ، وحفصة وأم حبيبة ،
وسودة وسلمه وثلاث من سائر العرب ميمونه وجويريه وزينب ومن بنى إسرائيل : صفية .
قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف جـ ٣ ص ١٢٠ : (ذكره ابن خيثمة في تاريخه بسنده
إلى قتاده) .

وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة جـ ٧ ص ٢٨٩ ، وذكره ابن هشام في السيرة جـ ٤ ص ٢٩ وما
بعدها ، وغير ذلك من كتب التفسير .

(٥) سبق الحديث عنها ص ٩٧ .

(٦) سبق الحديث عنها ص ٩٧ .

(٧) سبق الحديث عنها ص ٩٧ .

أم سلمة^(١) ، صفية^(٢) ، ميمونة^(٣) ، زينب بنت جحش^(٤) ، جويرية^(٥) ، ومن في : ﴿ مِنْ أَزْوَاجٍ ﴾ لتأكيد النفي ، وفائدته إستغراق جنس الأزواج بالتحريم^(٦) .

﴿ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ﴾ في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في تَبَدَّلَ ، أي : تتبدل لامن المفعول الذي هو ﴿ مِنْ أَزْوَاجٍ ﴾ لتوَعُّلِهِ في التنكير ، وتقديره : مفروضاً إعجابك بهن^(٧) ، وقيل : هي أسماء بنت عميس^(٨) / امرأة جعفر بن أبي طالب^(٩) فإنها ممن أعجبه حسنهن^(١٠) ، وعن عائشة وأم سلمة ما مات رسول الله عليه

(١) سبق الحديث عنها ص ٩٣ .

(٢) سبق الحديث عنها ص ٩٣ .

(٣) سبق الحديث عنها ص ٩٤ .

(٤) سبق الحديث عنها ص ٨٠ .

(٥) سبق الحديث عنها ص ٩٣ .

(٦) الدر المصون ج ٥ ص ٤٢٣ .

(٧) الفريد في إعراب القرآن المجيد ج ٤ ص ٤٨ ، الدر المصون ج ٥ ص ٤٢٣ .

(٨) أسماء بنت عميس : بن سعد بن الحارث بن تيم بن كعب بن مالك ، أسلمت قديماً وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب ولما مات جعفر رضي الله عنه تزوجها من بعده أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه . أسد الغابة ج ٧ ص ١٤ . والإصابة ج ٤ ص ٢٣١ .

(٩) جعفر بن أبي طالب : واسم أبي طالب : عبدمناف بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف ابن عم رسول الله ﷺ ، وأخو علي بن أبي طالب لأبويه . وهو جعفر الطيار ، وكان أشبه الناس برسول الله ﷺ خُلُقًا وَخَلْقًا ، أسلم بعد إسلام أخيه علي رضي الله عنه بتليل ومات بمعركة مؤته سنة ثمان من الهجرة . أسد الغابة ج ١ ص ٣٤١ .

(١٠) هو قول ابن عباس رضي الله عنهما : النكت والعيون ج ٤ ص ٤١٧ ، تفسير القرآن / للسمعاني ج ٤ ص ٢٩٩ ، معالم التنزيل ج ٦ ص ٣٦٨ ، يقول البغوي رحمه الله : (قال ابن عباس رضي الله عنهما : يعني أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب ، فلما أستشهد جعفر رضي الله عنه أراد رسول الله ﷺ أن يخطبها فنهى عنه ذلك) وهذا القول ضعفه ابن العربي في أحكام القرآن ج ٣ ص ١٥٧٠ ؛ المحرر الوجيز ج ٣ ص ٩٢ . الجامع

السلام حتى أجلَّ له أن يتزوج من النساء ماشاء^(١)، يعني أن الآية: نسخت، ونسخها: إما بالسنة، أو بقوله: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾^(٢)، وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف^(٣).

⇐ لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ٢٢١، البحر المحيط جـ ٨ ص ٤٩٧، ويقول البغوي رحمه الله في معالم التنزيل جـ ٦ ص ٣٦٨: (وفي الآية دليل على جواز النظر إلى من يريد نكاحها من النساء).
 (١) أخرجه الترمذي في سننه جـ ٥ ص ٣٥ كتاب التفسير سورة الأحزاب وقال حديث حسن صحيح.
 وأخرجه النسائي في سننه جـ ٦ ص ٥٦ كتاب النكاح باب ما افترض الله عزوجل على رسوله ﷺ وحرّمه على خلقه ليزيده إن شاء الله قرابة إليه، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي جـ ٢ ص ٦٧٤.
 وأخرجه بن أبي شيبه في مصنفه جـ ٣ ص ٣٧٤ كتاب النكاح باب في قوله تعالى: ﴿لا يحل لك النساء من بعد﴾.
 وأخرجه الدارمي في سننه جـ ٢ ص ٢٠٥ كتاب النكاح باب قول الله تعالى: ﴿لا يحل لك النساء من بعد﴾.
 (٢) سورة الأحزاب آية ٥٠.

(٣) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه / لمكي بن أبي طالب ص ٣٨٥ و ٣٨٦ وذكر رحمه الله أن العلماء اختلفوا في هذه الآية على قولين: أ- قيل أنها منسوخة بالنسبة، أطلق الله للنبي بالوحي إليه، أن يتزوج من شاء بعد نزول هذه الآية، وذكر قول عائشة رضي الله عنها، وقيل: هي منسوخة بالقرآن بقوله: ﴿ترجي من تشاء منهمن وتؤوي إليك من تشاء﴾ وهو مروى عن علي رضي الله عنه وبن عباس وهو قول الضحّاك، فيكون هذا القول مما نسخ فيه الأول الآخر في التلاوة في سورة واحدة كنسخ الحول في العدة بأربعة أشهر وعشرا وهو قبله في التلاوة وفي سورة واحدة، وهو نذر قليل في القرآن، وقال الحسن رحمه الله وابن سيرين الآية محكمة). يا مختصار وتصرف يسيرين، وقد نسب ابن الجوزي في زاد المسير جـ ٦ ص ٤١١ القول بالنسخ إلى علي وابن عباس رضي الله عنهما، وعائشة، وأم سلمة رضي الله عنهم أجمعين، وعلي بن الحسين والضحاك، وقد رجح ابن العربي رحمه الله قول ابن عباس رضي الله عنهما: لا يحل لك النساء من بعد من عندك، وقال رحمه الله: (ويقوى في النفس قول ابن عباس والله أعلم) أحكام القرآن جـ ٣ ص ١٥٧. ويقول ابن العربي رحمه الله قال: أبو حيان في البحر المحيط جـ ٨ ص ٤٩٧، وابن كثير في تفسيره، جـ ٣ ص ٧٩٨ حيث قال: (.. ثم إنه تعالى رفع عنه الحرج في ذلك ونسخ حكم هذه الآية، وأباح له التزوج، ولكن لم يقع منه بعد ذلك تزوج لتكون المنة لرسول الله ﷺ عليهن)، والكلي في التسهيل جـ ٣ ص ١٤٢.

﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ إِستثنى ممن حَرَّمَ عَلَيْهِ الإِماءُ ، ومحل ما رفع بدل من النساء^(١) .

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ حافظاً، وهو تحذير عن مجاوزة الحدود .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَظِيرِينَ إِنَاهُ﴾ أن يؤذن لكم فى موضع الحال ، أي : لا تدخلوا إلا مأذوناً لكم ، أو فى معنى الظرف تقديره : وقت^(٢) أن يؤذن لكم ، وغير ناظرين حال من : ﴿لَا تَدْخُلُوا﴾ وقع الإستثناء على الحال والوقت معاً ، كأنه قيل : لا تدخلوا بيوت النبي إلا وقت الإذن ، ولا تدخلوها إلا غير ناظرين^(٣) . أي : غير منتظرين ، وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله ﷺ فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه ، ومعناه : لا تدخلوا يا هؤلاء^(٤) المتحينون للطعام إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ، وإناء الطعام : إدراكه يُقال أتى الطعام إني كقولك قلاه قلاً ، وقيل : إناه وقته ، أي : غير ناظرين وقت الطعام وساعة أكله ، وروي أن النبي ﷺ : أولم على زينب بتمر وسويق وشاة وأمر أنساً رضي الله عنه أن يدعو بالناس فترادفوا أفواجاً يأكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج إلى أن قال : يا رسول الله دعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه فقال : « إرفعوا طعامكم » وتفرق الناس ، وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فأطالوا فقام رسول الله ﷺ ليخرجوا وطاف^(٥) بالحجرات وسلم عليهن ودعون له ، ورجع فإذا الثلاثة جلوس يتحدثون، وكان رسول الله ﷺ شديد الحياء، فتولّى فلما رأوه متولياً خرجوا، فرجع

(١) إعراب القرآن / للنحاس جـ ٢ ص ٦٤٤ ، التبيان في إعراب القرآن جـ ٤ ص ١٠٥٩ والفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٤٨ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٢٣ .

(٢) ساقط من : (ج) .

(٣) انظر : إعراب القرآن / للنحاس جـ ٢ ص ٦٤٢ و ص ٦٤٥ ، التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٦٠ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٤٨ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٢٤ .

(٤) في المطبوع : يا أيها .

(٥) في المطبوع : فطاف رسول الله ﷺ .

فنزلت^(١) :

﴿ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا ﴾ فافرقوا ﴿ وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ﴾ هو مجرور معطوف على ناظرين ، أو منصوب ، أي : ولا تدخلوها مستأنسين^(٢) ، نهوا عن أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لأجل حديث يحدثه به .

﴿ إِنَّ ذَالِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحِي مِنْكُمْ ﴾ من إخراجكم .

﴿ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحِي مِنَ الْحَقِّ ﴾ يعني أن إخراجكم حق ما ينبغي أن يستحي منه ، ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الأفعال قيل : لا يستحي من الحق ، أي : لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم ، وهذا أدب أدب الله به الثقلان ، وعن عائشة رضي الله عنها : حسبك في الثقلان إن الله تعالى لم يحتملهم وقال^(٣) : ﴿ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا ﴾ .

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ ﴾ الضمير لنساء النبي ﷺ لدلالة بيوت النبي / لأن فيها

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه جـ ٣ ص ١٥٠٩ كتاب التفسير باب تفسير سورة الأحزاب ، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه جـ ٢ ص ٨٥٠ كتاب النكاح باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب وإثبات وليمة العرس . وله طرق وألفاظ أخرى عندهما . وذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٤١٥ و ص ٤١٦ ، والسيوطي في لباب النقول ص ١٧٧ ، قلت : وبه قال جمهور المفسرين .

(٢) انظر إعراب القرآن / للنحاس جـ ٢ ص ٦٤٥ ، التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٦٠ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٤٩ يقول الهمداني : (وان يكون منصوباً على (غيره) على ولا تدخلوها مستأنسين ولا تمكثوا مستأنسين فيكون حالاً) ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٢٤ .

(٣) يقول الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف جـ ٣ ص ١٢٥ (رواه الثعلبي) .

وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ٩٣ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ٢٢٤ ، وأبو حيان في البحر المحيط جـ ٨ ص ٥٠٠ ، وقال رحمه الله : (وتسمى بآية الثقلان) .

نساءه .

﴿ مَتَاعًا ﴾ عَارِيَّةً^(١) ، أو حاجة . ﴿ فَاسْأَلُوهُمْ ﴾ المتاع .
 ﴿ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِمْ ﴾ من خواطر الشيطان ،
 وعوارض الفتن ، وكانت النساء قبل نزول هذه الآية يبرزن للرجال ، وكان عمر رضي
 الله عنه يُحب ضرب الحجاب عليهن ويؤدُّ أن ينزل فيه ، وقال : يا رسول الله يدخل
 عليك البرُّ والفاجرُ فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت^(٢) .
 وَذُكِرَ أَنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ : أَنْتَهَى أَنْ نَكَلِمَ بَنَاتِ عَمَّنَا إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ لِنَحْتَمِ
 مُحَمَّدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَتَزَوَّجَنَّ فَلَانَهُ فَنَزَلَتْ^(٣) : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ

- (١) العارية شرعاً : إباحة الإنتفاع بما يحل الإنتفاع به ، مع بقاء عينيه . تحرير ألفاظ التنبيه / للنووي
 ص ٢٠٩ ، حققه وعلق عليه : عبدالغني الدقر ، مطبعة دار القلم ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨ هـ .
 (٢) أخرجه النسائي ج ٢ ص ١٨٧ كتاب التفسير حققه وعلق عليه صبري الشافعي وسيد بن عباس
 الحلبي ، مطبعة مؤسسة الكتب الثقافية ، الطبعة الأولى عام ١٤١٠ هـ وأصله في الصحيحين .
 فعند البخاري في صحيحه ج ٣ ص ١٣٥٤ كتاب التفسير باب : ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ
 مُصَلًى ﴾ وعند مسلم في صحيحه ج ٤ ص ١٤٨٦ كتاب فضائل الصحابة باب فضل عمر
 رضي الله عنه . وذكره الواحدى في أسباب النزول ص ٤١٧ .
 (٣) قال ابن سعد في الطبقات ج ٨ ص ١٦٢ : (أنها نزلت في طلحة بن عبيدالله فقد ذكر بسنده
 عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم في قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ
 اللَّهِ ﴾ قال نزلت : في طلحة بن عبيدالله لأنه قال : إذا توفى رسول الله تزوجت عائشة .
 وقال السيوطي في الدر المنثور ج ٦ ص ٦٤٣ : (أنه رواه بن أبي حاتم حاتم وبن مردويه في تفسيرهما) .
 وانظر : أسباب النزول / للواحدى ص ٤١٧ ، وص ٤١٨ ولم يذكر اسم ذلك الصحابي .
 والبيهقي في السنن الكبرى ج ٧ ص ٦٩ كتاب النكاح باب ما خص به من أزواج أمهات المؤمنين .
 وقد صرح باسمه النحاس في معاني القرآن ج ٥ ص ٣٧٣ ، والواحدى في الوسيط ج ٣
 ص ٤٨٠ ، والبغوي في معالم التنزيل ج ٦ ص ٣٧١ حيث قال (قال مقاتل بن سليمان : هو
 طلحة بن عبيدالله ..) . وكذلك ابن الجوزي في زاد المسير ج ٦ ص ٤١٦ ، والخازن في
 لباب التأويل ج ٣ ص ٤٣٧ .
 ويقول ابن طولون الدمشقي : (وقد غلط جماعة من العلماء في طلحة هذا فظنوه أحد العشرة

وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ﴿١﴾ أي : وما صح لكم إيذاء رسول الله ، ولا نكاح أزواجه من بعد موته (١) .

﴿ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ أي : ذنباً عظيماً (٢) .

﴿ إِنْ تُبَدُّوْا شَيْئًا ﴾ من أذى (٣) النبي ﷺ ، أو من نكاحهن .

﴿ أَوْ تَخْفَوْهُ ﴾ في أنفسكم من ذلك (٤) ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾

« وليس هو إنما هو آخر وهو قرشي تيمى أيضاً ويلقب بطلحة الخير) .

انظر : كتاب مرشد المختار إلى خصائص المختار ﷺ / لابن طولون الدمشقي ص ٣٢٤ .
تحقيق الدكتور بهاء الشاهد .

وممن نبه على ذلك ابن حجر في الإصابة جـ ٢ ص ٢٣٠ عند ترجمته بطلحة الخير .

وممن قال أنه لا يصح نسبته إلى طلحة بن عبيدالله المبشر بالجنة رضي الله عنه : ابن عطية في المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ٩٥ . والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ٢٤٩ والألوسي في روح المعاني جـ ٢٢ ص ٧٤ .

(١) قال السمعاني رحمه الله في تفسيره جـ ٤ ص ٣٠٢ : (وكان ذلك القول زلة منه فانزل الله تعالى قوله هذا) .

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره جـ ٣ ص ٨٠٥ : (أجمع العلماء قاطبة على أن من توفى عنها رسول الله ﷺ من أزواجه أنه يُحرم على غيره تزوجها من بعده لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة وأمّهات المؤمنين كما تقدم ، وأختلفوا فيمن دخل بها ثم طلقها في حياته هل يحل لغيره أن يتزوجها على قولين مأخذهما : هل دخلت هذه في عموم قوله من « بعده » أم لا؟ فأما من تزوجها ثم طلقها قبل أن يدخل بها ، فما نعلم في حلها لغيره والحالة هذه نزاعاً والله أعلم) .

والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ٢٣٠ يقول : (فأما زوجاته عليه السلام اللاتي فارقهن في حياته مثل الكلبيه وغيرها فهل كان يحل لغيره نكاحهن ، فيه خلاف والصحيح جواز ذلك ..) وذكر أنها تزوجت من بعده ﷺ وإسمها فاطمة بنت الضحاك الكلابي . انظر : روح المعاني جـ ٢٢ ص ٧٣ .

(٣) في : المطبوع (إيذاء) .

(٤) في : المطبوع (ذلكم) .

فيعاقبكم به ، ولما نزلت : آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب يا رسول الله أوتحن أيضاً نكلمهن من وراء حجاب. فنزلت^(١) : ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي ذَاتِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ﴾ أي : نساء المؤمنات .

﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ أي : لا إثم عليهن في أن لا يحتجبن من هؤلاء ، ولم يذكر العم والخال : لأنهما يجريان مجرى الوالدين ، وقد جاءت تسمية العم أباً ، قال الله تعالى : ﴿وَاللَّهُ ذَاتُ بَتْنِكُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾^(٢) وإسحاق عم يعقوب عليهم السلام ، وعبيدهن عند الجمهور كالأجانب^(٣) ، ثم نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب ، وفي هذا النقل فضل تشديد كأنه قيل : ﴿وَأَتَّقِينَ اللَّهَ﴾ فيما أمرت به من الإحتجاب ، وأنزل فيه من الوحي من الإستتار وأحتطن فيه .

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ عالماً ، قال ابن عطاء^(٤) : الشهيد الذي

(١) معالم التنزيل جـ ٦ ص ٣٧١ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ٣٢١ ، البحر المحيط جـ ٨ ص ٥٠١ ، روح المعاني جـ ٢٢ ص ٧٤ . وذكرها الألوسي بصيغة التمريض : (روي) .

(٢) سورة البقرة آية : ١٣٣ .

(٣) أحكام القرآن / للجصاص جـ ٥ ص ١٧٥ ويقول الجصاص رحمه الله : (قوله : ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ على الإماء لأن العبد والحر في التحريم سواء ..) ، أحكام القرآن / لابن العربي جـ ٣ ص ١٣٧٢ ، عند تفسير سورة النور ، الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي جـ ١٢ ص ٢٣٣ ، لباب التأويل جـ ٣ ص ٤٣٥ ، وقال الخازن رحمه الله : (إختلفوا في أن عبد المرأة هل يكون محرماً لها أم لا ؟ فقال : قوم بل يكون محرماً لقوله تعالى : ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ وقال قوم العبد كالأجانب والمراد من الآية : الإماء دون العبيد) ، وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيره جـ ٣ ص ٨٠٦ : (يعني به أرقاءهن من الذكور والإناث) قلت : وهو الظاهر من لفظ الآية ، وقول المؤلف رحمه الله عند الجمهور فيه نظر ، إلا أن كان يقصد به جمهور الأحناف ، ويقول الألوسي في روح المعاني جـ ٢٢ ص ٧٥ : (ظاهره من الإماء وقال الخفاجي : مذهب أبي حنيفة رحمه الله أنه مخصوص بالإماء) .

(٤) سبق ترجمته ص ١١ .

يعلم خطرات القلوب كما يعلم حركات الجوارح^(١) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ ﴾ أي : قولوا اللهم صل على محمد أو صلى الله على محمد .

﴿ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ أي : قولوا اللهم سلم على محمد ، أو إنقادوا لأمره وحكمه إنقياداً ، وسئل عليه السلام عن هذه الآية فقال : « إن الله وكل بي ملكين فلا أذكرُ عند عبدٍ مسلم فيصلي [عليّ]^(٢) إلا قال ذاك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جواباً لدينك الملكين : آمين ، ولا أذكرُ عند عبدٍ مسلم فلا يصلي عليّ إلا قال ذاك الملكان لاغفر الله لك وقال : الله وملائكته لدينك الملكين : آمين »^(٣) .

ثم هي واجبة مرة عند الطحاوي^(٤) رحمه الله ، وكلما ذكر اسمه عند الكرخي^(٥) رحمه الله ، وهو الإحتياط وعليه الجمهور^(٦) ، وإن صلى على غيره على سبيل التبعية

(١) لم أقف عليه .

(٢) ساقط من (أ) .

(٣) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير ج٣ ص ٨٩ .

وقال الزيلعي في تخريج الكشاف / ج٣ ص ١٣١ . (رواه الثعلبي وابن مردويه في تفسيرهما) .

ويقول ابن حجر رحمه الله في الكافي الشاف ص ١٣٥ وفيه : (الحكم بن عبدالله بن خطاف وهو متروك) ، وذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص ٢٣٣ .

(٤) الطحاوي : أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي . ولد سنة تسع وثلاثين ومائتين . وتوفي رحمه الله إحدى وعشرين وثلاثمائة . انظر : ترجمته تذكرة الحفاظ / للذهبي ج٣ ص ٢٨ ، مطبعة دار الكتب العلمية ، وشذرات الذهب / لابن خلكان ج٢ ص ٢٨٨ .

(٥) سبقت ترجمته ص ٩٢ .

(٦) يقول ابن القيم رحمه الله في جلاء الأفهام ص ٢١٤ : (وقد اختلف في وجوبها كلما ذكر اسمه ﷺ) : (أ) فقال أبو جعفر الطحاوي وأبو عبيد الحليمي : تعجب الصلاة عليه ﷺ كلما ذكر اسمه (ب) وقال غيرهما : ذلك مستحب وليس بفرض يأثم تاركه ، ثم اختلفوا فقالت فرقه (أ) : تعجب الصلاة عليه .

كقوله: صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيه^(١) ، وأمّا إذا أُفردَ غيره من أهل البيت بالصلاة فمكروه^(٢) ، وهو من شعائر الروافض^(٣) .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ / أي : يؤذون رسول الله ، وذكر إسم الله للتشريف ، أو عبر بإيذاء الله ورسوله عن فعل مالا يُرضى به الله ورسوله كالكفر ، وإنكار النبوة مجازاً وإنما جعل مجازاً فيهما ، وحقيقة الإيذاء يتصور في رسول الله ﷺ : لثلا يجتمع المجاز والحقيقة تحت لفظ واحد .

﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ طردهم الله عن رحمته في الدارين .

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ في الآخرة . ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ أطلق إيذاء الله ورسوله ، وقيد إيذاء المؤمنين والمؤمنات : لأن ذلك

في العمرة مرة واحدة لأن الأمر مطلق لا يقتضى تكراراً والمأهية تحصل بمرة . وهذا محكى عن أبي حنيفة ومالك والثوري والأوزاعي ، قال عياض وابن عبد البر : وهو قول جمهور الأمة ، (ب) وقالت فرقه بل تجب في كل صلاة في تشهدها الأخير وهو قول الشافعي وأحمد في آخر الروايتين عنه وغيرهما ، (ج) وقالت فرقه الأمر بالصلاة أمر استحباب لا أمر إيجاب وهو قول ابن جرير وطائفة (انظر : جلاء الأفهام ص ٢١٤ وص ٢١٥ وما بعدها . لابن قيم الجوزية ، تحقيق الشيخ طه يوسف شاهين . الطبعة الثانية عام ١٩٨١م الناشر دار الفكر .

(١) يقول الإمام ابن القيم رحمه الله في جلاء الأفهام ص ٢٥٦ : (فأما آل النبي ﷺ يصلي عليهم بغير خلاف بين الأمة) .

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره ج ٣ ص ٨٢٢ : (.. وإنما وقع النزاع فيما إذا أُفرد غير الأنبياء بالصلاة عليه فقال قائلون : يجوز ذلك . وقال آخرون لا يجوز ذلك . لأن الصلاة على غير الأنبياء من شعار أهل الأهواء يصلون على من يعتقدون فيهم فلا يقتدى بهم في ذلك ، والله أعلم ، ثم اختلف المانعون من ذلك هل من باب التحريم أو الكراهة التنزيهية أو خلاف الأولى ، على ثلاثة أقوال .. والصحيح الذي عليه الأكثر أن مكروهه باختصار كراهة تنزيهية لأنه شعار أهل البدع وقد نهينا عن شعارهم ..) .

(٣) سبق الحديث عنهم ص ٤٥ .

يكون غير حق أبداً ، وأما هذا فمنه حق ، كالحذِّ والتعزير ، ومنه باطل ، وقيل : نزلت في ناس من المنافقين يؤذون علياً رضي الله عنه ويُسْمِعُونَهُ^(١) ، وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهنَّ كارهات^(٢) ، وعن الفضيل^(٣) رحمه الله : لا يحل لك أن تؤذي كلباً أو خنزيراً بغير حق فكيف : [إيذاء المؤمنين والمؤمنات]^(٤) .

﴿ فَقَدْ أَحْتَمَلُوا ﴾ تحمّلوا . ﴿ بُهْتَانًا ﴾ كذباً عظيماً .

﴿ وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ ظاهراً .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ﴾ الجلابيب : ما يستر الكُلَّ مثل الملحفة عن المبرد^(٥) ، ومعنى : ﴿ يُدْنِينَ

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٤٢٠ . عن مقاتل رحمه الله بدون سند ، وذكره البغوي ج ٦ ص ٣٧٦ ، ونسبه للكلبى والضحاك ، وابن الجوزي في زاد المسير ج ٦ ص ٤٢١ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج ٤ ص ١٤٠ . والتسميعُ : التشنيع والتشهير ، القاموس المحيط ص ٩٤٤ ، مادة : سمع .

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٤٢٠ ، عن الضحاك والسدي بدون سند ، البغوي في معالم التنزيل ج ٦ ص ٣٧٦ ، وابن الجوزي في زاد المسير ج ٦ ص ٤٢١ . قلت : والظاهر عموم الآية لكل ما ذكر فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

(٣) الفضيل : بن عياض بن مسعود بن بشر الإمام القدوة الثبت ، شيخ الإسلام التميمي الخراساني المجاور بحرم الله ولد بسمرقند وانتقل إلى مكة فنزلها إلى أن مات بها في أول السنة سبع وثمانين ومئة السير ج ٨ ص ٤٢١ . حلية الأولياء ج ٨ ص ٨٤ ، تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٢٩٤ . وله ترجمة مطولة عند الأصبهاني في الحلية .

(٤) ساقط من (أ) وفي (ب) : (فكيف مؤمناً ومؤمنة) . وقد ذكر الذهبي قول الفضيل بن عياض رحمه الله في : سير أعلام النبلاء ج ٨ ص ٤٢٧ عند ترجمته له .

(٥) المبرد : هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسان الأزدي المعروف بالمبرد أبو العباس أديب نحوي لغوي إخباري نسّابه صاحب التصانيف منها المقتضب في النحو والإشتقاق وإعراب القرآن مات سنة ست وثمانين ومئتين هجرية . انظر : ترجمته مجمع الأدباء ج ١٩ ص ١١١ . والسير ج ١٣ ص ٥٧٦ . ولم أقف على قوله فيما عثرت عليه من كبه .

عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ ﴿ يُرْخِيْنَهَا عَلَيْهِنَّ وَيُغَطِّيْنَ بِهَا وَجُوهُهِنَّ وَأَعْطَافَهُنَّ ﴾^(١) ، يقال : إذا زلَّ الثوب عن وجه المرأة أدنى ثوبك على وجهك ، ومنَّ للتبعيض ، أي : ترخى بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز من الأمة ، أو المراد : أن يتجلىين ببعض ما لهن من الجلابيب ، أي^(٢) : لا تكون متبدله في درع وخمار وكالأمة ولها جلبابان فصاعداً في بيتها ، وذلك أن النساء^(٣) في أول الإسلام على هجيراتهن^(٤) في الجاهلية مُتَبَدِّلَاتٍ تُبَرِّزُ الْمَرْأَةَ فِي دَرَعٍ وَخِمَارٍ لِأَفْصَلِ بَيْنِ الْحُرَّةِ وَالْأَمَةِ ، وكان الفتيان : يتعرضون إذا خرجن بالليل لقضاء حوائجهن في النخيل والغيطان^(٥) للإماء ، وربما تعرضوا للحرة بحسبان^(٦) ، الأمة فأمرن أن يخالفن بزيهن عن زي الإماء بلبس الملاحف ، وستر الرأس والوجه فلا يطمعُ فيهن طامع ، وذلك قوله : ﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ أي : أولى وأجدر بأن يُعرفن فلا يُعرض لهن .

﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا ﴾ لما سلف منهن من التفريط .

﴿ رَحِيمًا ﴾ بتعليمهن آداب المكارم . ﴿ لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ ﴾ فجور ، وهم الزناة^(٧) من قوله : ﴿ فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ

(١) أعطافهن : جمع عطف : بكسر العين وهو المنكب ، وعطفا الرجل والدابة : جانباه عن يمين وشمال شِقَاةً من لدن رأسه إلى وركه ، والجمع أعطاف وعطوف . لسان العرب جـ ٩ ص ٢٥٠ .

(٢) في : (ج) (أي : وأن لا تكون) .

(٣) في : (ب) و (كن في أول الإسلام) .

(٤) هجيراتهن : أي : دأبهن ، وشأنهن ، وعاداتهن . انظر : لسان العرب جـ ٥ ص ٢٥٤ القاموس المحيط ص ٦٧٧ ، مادة : هجر .

(٥) الغيطان : جمع غائط وكل ما أنحدر في الأرض فقد غاط ، ومنه قيل للمطمئن من الأرض غائط ، ولموضع قضاء الحاجة غائط ، لسان العرب / جـ ٧ ص ٣٦٤ بتصرف يسير ، مادة : غوط .

(٦) في : (ج) والمطبوع : (لحسبان) .

(٧) انظر : معاني القرآن / للنحاس جـ ٥ ص ٢٧٩ ونسب هذا القول لعكرمة رحمه الله ، النكت والعيون جـ ٤ ص ٤٢٤ ونسبه الماوردي أيضاً للسدي رحمه الله ، الوسيط جـ ٣ ص ٤٨٣ ، تفسير

القرآن / للسمعاني جـ ٤ ص ٣٠٧ ، معالم التنزيل جـ ٦ ص ٣٧٧ ، المحرر الوجيز جـ ١٣

مَرَضٌ ﴿١﴾ ﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ هم أناسٌ : كانوا يُرْجِفُونَ بأخبار السوء عن سرايا رسول الله ﷺ فيقولون هُزِمُوا وَقُتِلُوا وَجَرى عليهم كَيْتٌ وَكَيْتٌ ﴿٢﴾ ، فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين ﴿٣﴾ ، يُقال : أُرْجِفَ بكذا إذا أُخبر به على غير حقيقةٍ لكونه خبراً متزلزلاً غير ثابت من / الرجفة وهي : الزلزلة .

﴿لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ﴾ لناُمرنك بقتالهم ، أو لنسلطنك عليهم .

﴿ثُمَّ لَأُجَاوِرُونَكَ فِيهَا﴾ في المدينة ، وهو عطف على لنغرينك لأنه يجوز أن يُجابَ به القسم لصحة قولك : لئن لم ينتهوا لاجاورونك ، ولما كان الجلاء عن الوطن

ص ١٠١ ، زاد المسير جـ ٦ ص ٤٢٢ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ٢٤٥ ، ونسبه القرطبي أيضاً رحمه الله إلى شهر بن حوشب ، البحر المحيط جـ ٨ ص ٥٠٥ .
(١) الآية ٣٢ من هذه السورة .

جمع سَرِيَّة . يقول ابن حجر رحمه الله : (السَّرِيَّةُ : بفتح المهملة وكسر الراء وتشديد التختانية هي التي تخرج بالليل ، والسارية التي تخرج بالنهار ، وقيل : سميت بذلك لأنها تخفى ذهابها ، وهذا يقتضى أنها أخذت من السر ولا يصح لإختلاف المادة وهي قطعه من الجيش تخرج منه وتعود إليه ..) فتح الباري جـ ٢ ص ٥٦ .

ويقول القسطلاني : (وكانت سراياه التي بعث فيها سبعاً وأربعين سريه ..) .

المذاهب اللدنية بالمنح المحمدية جـ ١ ص ٣٣٥ للعلامة أحمد محمد القسطلاني ، تحقيق صالح الشامي ، مطبعة المکتب الإسلامي ، الطبعة الأولى عام ١٤١٢ هـ .

وإن كان في عدد السرايا خلاف ، انظر : سبل الهدى والرشاد جـ ٦ ص ١٣ .

للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي ، تحقيق وتعليق الشيخ عادل عبدالموجود ، والشيخ على معوض ، مطبعة دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى عام ١٤١٤ هـ ، وقد ذكر في ذلك ثمانية أقوال تقريباً .

(٢) كَيْتٌ وَكَيْتٌ : وَيُكْسَرُ آخِرُهُمَا ، أي : كذ وكذا ، والتاء فيهما هاءٌ في الأصل . القاموس المحيط ص ٢٠٤ ، مادة : كيت .

(٣) النكت والعيون جـ ٤ ص ٤٢٤ ، الوسيط جـ ٣ ص ٣٨٤ ، تفسير القرآن / للسمعاني جـ ٤

ص ٣٠٧ ، معالم التنزيل جـ ٦ ص ٣٧٧ ، المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ١٠١ ، زاد المسير جـ ٦

ص ٤٢٢ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ٢٤٥ ونسبه القرطبي إلى قتادة وغيره ، البحر

المحيط جـ ٨ ص ٥٠٥ .

أَعْظَمَ مِنْ جَمِيعٍ مَا [أَصِيبُوا] ^(١) بِهِ عُطِفَ بِشَمِّ لِبَعْدِ حَالِهِ عَنْ حَالِ الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ ^(٢) .
﴿إِلَّا قَلِيلاً﴾ زماناً قليلاً ، والمعنى : لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم ،
والفسقة عن فجورهم ، والمرجعون عما يؤلفون من أخبار السوء لنأمرنك بأن تفعل
بهم ^(٣) الأفعال التي تسوءهم ، ثم بأن تضطرهم إلى طلب الجلاء عن المدينة ، وإلى أن
لا يساكنوك فيها إلا [زمناً] ^(٤) قليلاً ريثما يرتحلون ، فَسُمِّيَ ذَلِكَ إِغْرَاءً ، وهو: التحريش
على سبيل المجاز .

﴿مَلْعُونِينَ﴾ نصب على الشتم ، أو الحال أي : يجاورونك إلا ملعونين ،
فالإستثناء دخل على الظرف قليلاً معاً كما مرّ ولا ينتصب عن أخذوا لأن ما بعد
حرف ^(٥) الشرط لا يعلم فيما قبله ^(٦) .

﴿أَيْنَمَا تُقِفُوا﴾ وَجِدُوا . ﴿أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا﴾ والتشديد يدلُّ على التكثير .
﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ في موضع مصدر ^(٧) مؤكّد أي : سنّ الله في الذين ينافقون الأنبياء أن
يُقْتَلُوا أينما وجدوا .

﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا﴾ مضوا . ﴿مِنْ قَبْلُ وَلَكِنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ أي :
لا يبدل الله سنّته بل يحريها مجرى واحداً في الأمم .

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ﴾ كان المشركون يسألون رسول الله ﷺ عن وقت

(١) في (أ) : يصيبوا .

(٢) الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٥١ .

(٣) ساقط من: المطبوع .

(٤) ساقط من: (أ) .

(٥) في: (ب) والمطبوع (حروف) .

(٦) في: (ب) و (جـ) والمطبوع (قبلها) ، والإعراب انظر : إعراب القرآن / للنحاس جـ ٢

ص ٦٥٠ ، التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٦٠ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤

ص ٥١ ، الدر المصون جـ ٤ ص ٤٢٥ .

(٧) إعراب القرآن / للنحاس جـ ٢ ص ٦٥٠ ، التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٦٠ ، الفريد في

إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٥٢ .

قيام الساعة إستعجالاً على سبيل الهُزُر ، واليهود يسألونه إمتحاناً لأن : الله تعالى عمى وقتها في التوراة ، وفي كل كتاب ، فأمر رسوله أن يجيبهم بأنه عِلْمٌ^(١) قد إستأثر الله به ، ثم بين لرسوله أنها قريبة الوقوع ، تهديداً للمستعجلين [وإسكاتاً]^(٢) للمتحنين بقوله : ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُذَرِّبُكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ شيئاً قريباً ، أولاً لأن الساعة في معنى الزمان^(٣) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾ ناراً شديدة الإيقاد . ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ هذا يرد مذهب الجهمية^(٤) لأنهم يزعمون أن الجنة والنار تفتيان ، ولا تقف^(٥) على سعيراً لأن : قوله : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ حال عن الضمير في : ﴿ لَهُمْ ﴾ . ﴿ لَا يَجِدُونَ وِلْيًا وَلَا نَصِيرًا ﴾ ناصرًا يمنعهم ، أذكر : ﴿ يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ﴾ نُصِرَفُ في الجهات كما ترى البضعة^(٦) تدور في القدر إذا غلت ، وخصت الوجوه :

(١) ساقط من : (ب) وفي : (ج) والمبطوع : وقد .

(٢) في : (أ) : إستكاناً .

(٣) قال أبوحيان رحمه الله في البحر المحيط جـ ٨ ص ٥٠٧ (.. وانتصب قريباً على الظرف ، أي : في زمان قريب ، إذ إستعماله ظرفاً كثير ، ويستعمل أيضاً في غير ظرف ، تقول : إن قريباً منك زيد فجاز أن يكون التقدير قريباً ، أو تكون الساعة بمعنى الوقت ، فذكر قريباً على المعنى ، أو يكون التقدير : لعل قيام الساعة فلو حظ الساعة في تكون فأنث ، ولوحظ المضاف المحذوف وهو قيام في قريباً فذكر) .

(٤) الجهمية هم : أصحاب جهنم بن صفوان وهم من الجيرية الخالصة ، أظهر بدعته بترمد وقتله سالم بن أحوز المارنى بمرو في آخر ملك بنى أمية ، ووافق المعتزلة في نفسى بعض الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء ، وقالوا لاقدرة للعبد أصلاً لا مؤثرة ولا كاسبة بل هو بمنزلة الجمادات والجنة والنار تفتيان بعد دخول أهلها حتى لا يبقى موجود سوى الله . انظر : الملل والنحل / للشهرستاني جـ ١ ص ٩٠ .

(٥) في : (ب) و (ج) : (يقف) وفي : المطبوع (وقف) .

(٦) البضعة : بفتح الباء وكسرهما ، القطعة من اللحم ، لسان العرب جـ ٧ ص ٥ ، القاموس المحيط ص ٩٠٩ ، مادة : بضع .

لأن الوجه أكرم موضع على الإنسان من جسده ، أو يكون : الوجه عبارة عن الجملة^(١) ﴿يَقُولُونَ﴾ حال^(٢) ﴿يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ فنتخلص من هذا العذاب ، فتمنوا حين لا ينفذ التمني .

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾ جمع سَيِّدٍ ، (سَادَاتِنَا) شامي وسهل ويعقوب^(٣) جمع الجمع ، والمراد : رؤساء الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم .
﴿وَكُبرَاءَنَا﴾ ذوي الأسنان منا ، أو علماءنا .

﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ يقال ضل السبيل وأضله إياه ، وزيادة الألف لإطلاق / الصوت، جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر ، وفائدتها الوقف والدلالة : على أن الكلام قد إنقطع وأن ما بعده مستأنف^(٤) .

﴿رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ للضلال والإضلال .
﴿وَأَعْنَهُمْ لَعْنَا كَبِيرَا﴾ بالياء عاصم ليدل : على أشد اللعن وأعظمه ، وغيره بالتاء^(٥) تكثيراً لأعداد اللعائن، ونزل في شأن زيد^(٦) وزينب^(٧) وما سُمع فيه من قالة بعض الناس .
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ ما مصدرية أو موصولة^(٨) ، وأيهما كان فالمراد البراءة عن مضمون القول ومؤذاه ، وهو :

(١) أي : كل الجسد، من إطلاق الجزء وإرادة الكل .

(٢) التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٦١ ، ويقول العكبري رحمه الله : (ويقولون .. حال من الوجوه لأن المراد اصحابها) . الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٥٢ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٢٦ .

(٣) إعراب القراءات السبع وعللها جـ ٢ ص ٢٠٦ ، والتلخيص ص ٣٧٢ ، والموضح جـ ٢ ص ١٠٤٠ . والنشر جـ ٢ ص ٣٤٩ . والإتحاف جـ ٢ ص ٣٧٨ .

(٤) إعراب القراءات السبع وعللها جـ ٢ ص ٢٠٦ . والتلخيص ص ٣٧٢ ، والموضح جـ ٢ ص ١٠٤٠ . والنشر جـ ٢ ص ٣٤٩ . والإتحاف جـ ٢ ص ٣٧٨ .

(٥) نفس المصدر لسابق .

(٦) سبق ترجمته ص ٤٨ .

(٧) سبق ترجمتها ص ٨٠ .

(٨) الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٥٣ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٢٦ .

الأمر المعيب ، وأذى موسى عليه السلام هو حديث المومسة التي أرادها قارون على قذفه بنفسها^(١) ، أو اتهامهم إياه بقتل هارون ، فأحياه الله تعالى ، فأخبرهم ببراءة موسى عليه السلام كما برأ نبينا عليه السلام^(٢) بقوله : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾^(٣) .

﴿ وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ ذاجاهٍ ومنزلةٍ مستجاب الدعوة ، وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه والأعمش^(٤) : وكان عبداً لله وجيهاً^(٥) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ صدقاً وصواباً أو قاصداً إلى الحق ، والسداد : القصد إلى الحق ، والقول بالعدل ، والمراد نهيم عما خاضوا فيه من حديث زينب^(٦) من غير قصد وعدل في القول ، والبعث^(٧) ، على أن [يُسَدَّ] ^(٨) قولهم في

(١) ذكر هنا القول: بن الجوزي في زاد المسير ج٦ ص ٤٢٦ والسيوطي في الدر ج٥ ص ١٣٦ ، ونسبه لابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) ذكره الطبري في جامع البيان ج٢٢ ص ٥٢ . وقال الحافظ : ابن حجر رحمه الله في الفتح ج٨ ص ٤١١ ، : (وروى أحمد بن منيع في سننه وابن أبي حاتم والطبري باسناد قوي عن علي رضي الله عنه قال : « صعد موسى وهارون الجبل فمات هارون فقال بنو إسرائيل لموسى أنت قتلته كان ألين منك وأشد حبا فأذوه فأمر الله الملائكة فحملته فمرت به على مجالس بنى إسرائيل فعلموا بموته » ، وذكره النحاس في معاني القرآن ج٥ ص ٣٨ ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ج٦ ص ٦٦٦ لابن مردويه .

(٣) نفس السورة آية ٤١ .

(٤) الأعمش : سليمان بن مهران الإمام شيخ المقرئين والمحدثين ، أبو محمد الأسدي الكاهلي مولاهم الحافظ ، أصله من نواحي الري ، ولد سنة إحدى وستين . مات سنة سبع وأربعين ومئة له ترجمة مطولة في سير أعلام النبلاء ج٦ ص ٢٢٦ وما بعدها ، شذرات الذهب ج١ ص ٢٢٠ .

(٥) قراءة شاذة : ذكرها ابن جنبي في المحتسب ج٢ ص ١٨٥ .

(٦) سبق ترجمتها ص ٨٠ .

(٧) التوجيه : بَعَثَ الْجُنْدَ يَبْعَثُهُمْ بَعْثًا : وَجَّهَهُمْ . لسان العرب ج٢ ص ١١٦ ، مادة : بعث .

(٨) في (أ) (شد) .

كل باب ، لأن حفظَ اللسان وسدادَ القول رأس الخير كله^(١) ، ولا تَقِفْ على سديداً لأن: جواب الأمر قوله : ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ يقبل طاعتكم ، أو يوفقكم لصالح العمل^(٢) .

﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ أي : يَمْحُهَا ، والمعنى : راقبوا الله في حفظ ألسنتكم وتسديد قولكم ، فإنكم إن فعلتم ذلك أعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والإثابة عليها ، ومن مفرغة سيئاتكم وتكفيرها ، وهذه الآية : مقررة للتي قبلها بُنِيَتْ تلك على النهي عما يؤدي رسول الله ﷺ ، وهذه على الأمر بإتقاء الله في حفظ اللسان ليرتادف عليهم النهي والأمر مع إِتْبَاعِ النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى عليه السلام ، وإِتْبَاعِ الأمر : [الوعد]^(٣) البليغ فيَقْوَى الصارفُ عن الأذى ، والداعي إلى تركه ، ولَمَّا عُلِّقَ بالطاعة الفوز العظيم بقوله : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ أتبعه بقوله : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ﴾ وهو يريد بالأمانة : الطاعة لِلَّهِ وبحمل الأمانة الخيانة ، يقال : فلان حاملٌ للأمانة ومحتملٌ لها ، أي : لا يؤديها إلى صاحبها حتى تزول عن ذمته ، إذ الأمانة كأنها راكبةٌ للمؤمن عليها وهو حاملها ، ولهذا يقال : رَكِبْتُهُ الديون ، وِلِيَّ عليه حقٌّ ، فإذا أداها لم تبقَ راكبةٌ له

(١) في المطبوع (رأس كل خير) .

(٢) يقول السمعاني في معنى الأمانة ج ٥ ص ٣١١ قال ابن عباس رضي الله عنهما : (الأمانة الفرائض وقال الضحاك الطاعة ، وعن أبي العالية : ما أمر به ونهى عنه ، وقال أبي بن كعب الأمانة هاهنا حفظ الفرج ، وأولى الأقاويل ما ذكرنا عن ابن عباس رضي الله عنها ، وقول الضحاك وأبي العالية قريب من ذلك) ، ويقول أبو حيان رحمه الله في البحر المحيط ج ٨ ص ٥٠٩ : (والأمانة : الظاهر أنها كل ما يؤتمن عليه من أمر ونهى وشأن ودين ودنيا والشرع كله أمانة ، وهذا قول الجمهور) ، ويقول ابن كثير رحمه الله بعد أن ذكر عدة أقوال في معنى الأمانة ج ٣ ص ٨٣١ : (.. وكل هذه الأقوال لاتسافي بينها ، بل هي متفقة وراجعها إلى انها التكليف وقبول الأوامر والنواهي بشرطها وهو أنه وإن قام بذلك أئيب وإن تركها عوقب قبلها الإنسان على ضعفه وظلمه إلا من وفق الله وبالله المستعان) .

والذي فسر الحمل هنا بالخيانة : الضحاك والحسن وابن اسحاق رحمهم الله . انظر : البحر المحيط ج ٩ ص ٥١٠ .

قلت : والصحيح في معنى ﴿ حَمَلَهَا ﴾ ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما وابن جبير رحمه الله : (إلتزام بحقها ، وهو في ذلك ظلم لنفسه جهول بقدر ما دخل فيه) . انظر : البحر المحيط ج ٩ ص ٥١٠ ، تفسير القرآن العظيم / لابن كثير ج ٣ ص ٨٣١ ، فتح القدير ج ٤ ص ٣٠٩ .

(٣) في (أ) الوعيد .

ولا هو حاملاً لها ، يعنى أن هذه الأجرام العظام من السموات والأرض والجبال قد إنقادت لأمر الله إنقياد مثلها وهو ما يتأتى من الجمادات ، وأطاعت له الطاعة التى تليق بها حيث لم تمتنع / على مشيئته وإرادته إيجاباً وتكويناً ، وتسويةً على هيئاتٍ مختلفة ، وأشكال متنوعة ، كما يقال : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾^(١) ، وأخبر أن الشمس والقمر والنجوم ، والجبال ، والشجر ، والدواب يسجدون لله : ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَنْهَشُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾^(٢) ، وأما الإنسان فلم يكن حاله فيما يصح منه من الطاعة ويليق به من الإنقياد لأوامر الله ونواهيه ، وهو حيوان عاقل للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها، ويليق بها من الإنقياد وعدم الإمتناع ، وهذا معنى قوله : ﴿ فَأَيِّنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا ﴾ أي : أيين الخيانة فيها^(٣) وأن لا يؤدينها .

﴿ وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ وَخَفْنَ مِنَ الْخِيَانَةِ فِيهَا .

﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴾ أي : خان فيها وأبى إلا أن لا يؤديها^(٤) .

﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا ﴾ لكونه تاركاً لأداء الأمانة .

﴿ جَهُولًا ﴾ لإخطائه ما يساعده مع تمكنه منه وهو أداؤها . قال الزجاج^(٥) :

الكافر والمنافق حملاً الأمانة ، أي : خانا ولم يطيعا^(٦) ، ومن أطاع من الأنبياء والمؤمنين فلا يُقال : كان ظلوماً جهولاً ، وقيل : معنى الآية أن ما كلفه الإنسان بلغ من عِظَمِهِ أنه عُرِضَ عَلَى أعظم ما خلق الله من الإجرام وأقواه فأبى حملة وأشفق منه [وحمله]^(٧) الإنسان على ضعفه إنه كان ظلوماً جهولاً ، حيث حمل الأمانة ثم لم يفـ

(١) سورة فصلت آية : ١١ .

(٢) سورة البقرة آية ٧٤ .

(٣) ساقط من (ب) .

(٤) في (ب) وأبى ألا يؤديها ، وانظر في معني : ﴿ حملها ﴾ ص ١١٦ .

(٥) سبق ترجمته ص ٤٧ .

(٦) معانى القرآن / للزجاج ج ٤ ص ٢٣٨ ، ونسبه إلى الحسن رحمه الله .

(٧) في (أ) وحملها .

بها ، وضمنها ثم خان^(١) بضمانه فيها ونحو هذا من^(٢) الكلام كثير في لسان العرب ، وما جاء القرآن إلا على أساليبهم من ذلك قولهم : لوقيل للشحم أين تذهب لقال أسوى العوج^(٣) .
واللام في : ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ للتعليل^(٤)
لأن : التعذيب هنا نظير التأديب في قولك : ضربته للتأديب فلا تقف على جهولاً^(٥) .
﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ وقرأ الأعمش^(٦) (ويتوب) [بالرفع]^(٧)
ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل ، ويتدئ : ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ﴾^(٨) .
ومعنى المشهوره^(٩) : يُعَذِّبَ اللَّهُ حامل الأمانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها
لأنه إذا تيب على الوافي كان نوعاً من عذاب الغادر^(١٠) ، أو للعاقبة التي حملها فآل
الأمر إلى تعذيب الأشقياء وقبول توبة السعداء . ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ للتائبين
﴿رَحِيمًا﴾ بعباده المؤمنين .

(١) في (ج) والمطبوع (خاس) .

(٢) ساقطه من (ب) .

(٣) ذكره ابو حيان الأندلسي في البحر المحيط ج٨ ص ٥٠٩ ، وقال رحمه الله معلقاً على هذا
المثل : (. .) وتصور مقالة الشحم مُحال ، ولكن الغرض : أن السمن في الحيوان مما يحسن
قبحه ، كما أن العجف مما يقبح حُسْنُهُ ، فصور أثر السمن فيه تصويراً هو أوقع في نفس
السامع ، وهى به آنس ، وله أقبل ، وعلى حقيقته أوقف ، وكذلك تصوير عظيم الأمانة
وصعوبة أمرها ، وثقل محلها والوفاء بها) .

(٤) انظر : الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ٥٠٣ ، الدر المصون ج٥ ص ٤٢٧ .

(٥) لثلا تقطع الحار والمجروح عن متعلقه الذي هو : ﴿عرضنا﴾ أو : ﴿حملها﴾ .

(٦) سبق ترجمته ص ١١٥ .

(٧) ساقط من (أ) و(ج) وفي المطبوع ﴿يتوبُ الله بالرفع﴾ .

(٨) الإتحاف ج٢ ص ٣٧٨ و ﴿يتوب﴾ بالرفع على الإستثناء .

(٩) أي : قراءة النصب .

(١٠) أي : كان ثواب الطائع إيلاًماً للغادر لتغيبه بذلك .

سورة سبأ مكية^(١) وهي أربع وخمسون آية .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَمْدُ ﴾ إن أُجْرِيَ على المعهود فهو : بما حمد به نفسه محمود^(٢) ، وإن أُجْرِيَ على الإستغراق فله لِجُل^(٣) المحامد الإستحقاق .

﴿ لِلَّهِ ﴾ بلام التمليك ، لأنه خالق ناطق الحمد أصلاً ، فكان بملكه مالك الحمد للتحميد أهلاً .

﴿ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ خَلَقًا وَمَلَكًا وَقَهْرًا ، فكان حقيقاً بأن يُحمد سراً وَجَهْرًا .

﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ ﴾ كما هو له في الدنيا ، إذ النعم في الدارين من المولى ، غير أن الحمد هنا واجب لأن الدنيا دار تكليف ، وثم لا^(٤) ، لعدم / التكليف ، وإنما يَحْمَدُ أهل الجنة سروراً بالنعيم ، وتلذذاً بما نالوا من الأجر العظيم بقولهم : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدُّهُ ﴾^(٥) ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾^(٦) .

(١) قال بذلك النحاس في معاني القرآن جـ ٥ ص ٣٩١ عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وقال السيوطي في الدر المنثور جـ ٦ ص ٦٧٣ : (أخرج بن الضريس ، وابن مردويه ، والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نزلت سبأ بمكة ، وأخرج المنذر عن قتادة رضي الله عنه قال : نزلت سورة سبأ بمكة) ، وقال بذلك ابن عطية في المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ١٠٧ ، وابن الجوزي في زاد المسير جـ ٦ ص ٤٣١ وقال رحمه الله : (وهي مكية بإجماعهم ، وقال الضحاک وبن السائب ، ومقاتل : فيها آية مدنيه وهي قوله تعالى : ﴿ وَيُرِي الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ آية ٦) .

(٢) أي : إن قلنا أن ال للعهد فالمعهود أعظم أنواع الحمد وهو ما حمد به نفسه .

(٣) في : (ب) و(جـ) : (بكل) وفي المطبوع : (لكل) .

(٤) أي : وهناك في الآخرة لا يجب .

(٥) سورة الزمر آية : ٧٤ .

(٦) سورة فاطر آية ٣٤ .

﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ ﴾ بتدبير ما فى السموات والأرض . ﴿ الْخَبِيرُ ﴾ بضمير من يحمده ليوم الجزاء والعرض .

﴿ يَعْلَمُ ﴾ مستأنف . ﴿ مَا يَلِجُ ﴾ ما يدخل . ﴿ فِي الْأَرْضِ ﴾ من الأموات والدفائن . ﴿ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ من النبات وجواهر المعادن .

﴿ وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ من الأمطار وأنواع البركات . ﴿ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ يصعد إليها من الملائكة والدعوات . ﴿ وَهُوَ الرَّحِيمُ ﴾ بإنزال ما يحتاجون إليه ، ﴿ الْغُفُورُ ﴾ لما يجترؤون عليه .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي : منكروا البعث . ﴿ لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ﴾ نفى للبعث وإنكار لمجيئ الساعة .

﴿ قُلْ بَلَى ﴾ أوجب (ما) بعد النفى بيلى على معنى : أن ليس الأمر إلا إتيانها .

﴿ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ ثم أعيد إيجابه مؤكداً بما هو الغاية فى التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عزوجل ، ثم أمدَّ التوكيد القسَمي بما أتبع المُقسَمَ به من الوصف بقوله : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ ﴾ لأن عظمة حال المُقسَمَ به يؤذنُ بقوة حال المُقسَمَ عليه ، وبشدة ثباته وإستقامته لأنه : بمنزلة الإستشهاد على الأمر ، وكلما كان المُستشهُدُ به أرفع منزلةً كانت الشهادة أقوى وأكد ، والمُستشهُدُ عليه أثبت وأرسخ ، ولَمَّا كان قيام الساعة من مشاهير^(١) الغيوب وأدخلها فى الخفية كان : الوصف بما [يرجع]^(٢) إلى علم الغيب أولى وأحق .

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ ﴾ مدني وشامي ، أي : هو عالم الغيب ، (علام) الغيب حمزة وعليّ على المبالغة^(٣) .

(١) أي : من أعظم وأكبر الأمور الغيبية .

(٢) في: (أ) (يرفع) .

(٣) إعراب القراءات السبع وعللها جـ ٢ ص ٢٠٨ . التلخيص ص ٣٧٣ . والموضح جـ ٣

ص ١٠٤١ . النشر جـ ٢ ص ٣٤٩ . الإتحاف جـ ٢ ص ٣٨١ .

﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ ﴾ وبكسر الزاي^(١) عليّ، يقال : عَزَبَ وَيَعْزِبُ^(٢) إذا غاب وبعُدَ .
 ﴿ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ﴾ مقدار أصغرِ نملة . ﴿ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ
 مِنْ ذَلِكَ ﴾ من مثقال ذره . ﴿ وَلَا أَكْبَرُ ﴾ من مثقال ذره . ﴿ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾
 إلا في اللوح المحفوظ ، ولا أصغر ولا أكبر بالرفع عطف على مثقال ذره ويكون إلا
 بمعنى لكن ، أو رفعاً بالإبتداء والخبر في كتاب واللام في : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ﴾ لما قصرُوا فيه من مدارج الإيمان . ﴿ وَرَزَقَ
 كَرِيمٌ ﴾ لما صبروا عليه من مناهج الإحسان متعلق بِلنأتينكم تعليلاً له^(٣) .

﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا ﴾ جاهدوا في رد القرآن .

﴿ مُعَاجِزِينَ ﴾ مسابقين ظانين أنهم يفوتوننا ، (مُعْجِزِينَ) : مكِّي وأبو عمرو^(٤) ، أي :

مثبتين الناس عن إتياعها وتأملها ، أو ناسيين الله تعالى^(٥) إلى العجز .

﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزِ أَلِيمٍ ﴾ يرفع [الميم]^(٦) مكِّي وحفص^(٧) ويعقوب

صفة العذاب ، أي : عذاب أليم من سيء العذاب ، قال قتادة^(٨) : الرَّجْزُ سُوءٌ

(١) إعراب القراءات السبع وعللها جـ ٢ ص ٢٠٩ . الموضح جـ ٣ ص ١٠٤٢ . الإتحاف جـ ٢ ص ١١٦ في سورة يونس .

(٢) في : (ب) عزب يعزب ويعزب .

(٣) انظر : التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٦٢ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٥٦ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٢٩ ، وص ٤٣٠ .

(٤) الموضح جـ ٣ ص ١٠٤٢ . النشر جـ ٢ ص ٣٨٧ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٣٨١ .

(٥) ساقط من (ج) من : (أي مثبتين إلى .. مكِّي وحفص) .

(٦) في (أ) : (أليم) .

(٧) ساقط من (ب) .

(٨) قتادة : بن دعامة بن عزيز ، وقيل : قتادة بن دعامة بن عكابه ، حافظ العصر ، قدوة المفسرين والمحدثين أبو الخطاب السدوسي البصري ، الضرير ، الأكمة ، وكان من أوعية العلم ، ولد سنة ستين ، يقول بن المسيب رحمه الله : ما أتاني عراقي أحفظ من قتادة ، توفي سنة ثمانين عشرة ومئة . سير أعلام النبلاء جـ ٥ ص ٢٦٩ ، شذرات الذهب جـ ١ ص ١٥٣ .

العذاب^(١)، وغيرهم بالجر صفة لرجز^(٢) .

﴿ وَيَرَى ﴾ في موضع الرفع بالإستئناف أي : ويعلم^(٣) .

[١٢٨/ب] ﴿ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ يعنى أصحاب رسول الله ﷺ ، ومن يظأ أعقابهم من / أمته ، أو علماء أهل الكتاب^(٤) الذين أسلموا كعبدالله بن سلام^(٥) ، وكعب^(٦) الأخبار^(٧) ،

(١) النكت والعيون جـ ٤ ص ٤٣٣ ، معالم التنزيل جـ ٦ ص ٣٨٦ .

(٢) إعراب القراءات السبع وعللها جـ ٢ ص ٢٠٩ ، التلخيص ص ٣٧٣ ، والموضح جـ ٣ ص ١٠٤٢ و ١٠٤٣ ، والنشر جـ ٢ ص ٣٤٩ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٣٨١ . قلت : والمراد وغيرهم ، بالجر ، أي : في أليم .

(٣) إعراب القرآن / للنحاس جـ ٢ ص ٦٥٦ ، التبيان فى إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٦٣ ، الفريد فى إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٥٦ و ٥٧ الدر المصون جـ ٥ ص ٤٣ .

(٤) انظر : معاني القرآن / للزجاج جـ ٤ ص ٢٤١ ، النكت والعيون جـ ٤ ص ٤٣٣ ، تفسير القرآن / للسمعاني جـ ٤ ص ٣١٧ ، وقال رحمه الله : (.. والصحيح : أن الآية فى الذين آمنوا بالنبي ﷺ من أهل مكة وغيرهم ، وهو بمكة ، لأن السورة مكية وعبدالله بن سلام وأشباهه آمنوا بالمدينة) . معالم التنزيل جـ ٦ ص ٣٨٦ ونسبه البغوي رحمه الله تعالى إلى قتادة رحمه الله ، المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ١١٠ ، زاد المسير جـ ٦ ص ٤٣٣ ، ونسب بن الجوزي رحمه الله القول الثانى لابن عباس وأبو صالح ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ٢٦١ ، ورجح القرطبي رحمه الله : (القول الأول) ، أي : الصحابة ومن بعدهم من أمته .

قلت : وهو الصحيح لعموم الآية والعبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

(٥) عبدالله بن سلام بن الحارث أبو يوسف من ذرية يوسف النبي عليه السلام حليف النوافل من الخزرج الإسرائيلى ثم الأنصاري . وكان من بنى قينقاع يُقال كان إسمه الحصين فغيره النبي ﷺ .

مات سنة ثلاث وأربعين من الهجرة ، أسد الغابة جـ ٣ ص ٢٦٤ ، والإصابة جـ ٢ ص ٣٢٠ .

(٦) هو كعب الأخبار بن ماتع بكسر المثناة من فوق الحميري أبو إسحاق المعروف بكعب الأخبار ، أدرك عهد النبي ﷺ ولم يره ، كان اسلامه فى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقال ابن سعد من الطبقة الأولى من تابعى أهل الشام وقال ابن حجر^(٧) الثانية . وكان على دين اليهود فأسلم . واختلف فى سنة وفاته : فقول سنة إثنين وثلاثين ، وقيل أربع وثلاثين وقيل خمس وثلاثين . أسد الغابة جـ ٤ ص ٤٨٧ ، الإصابة جـ ٣ ص ٣١٥ ، تقريب التهذيب ص ٤٦١ .

(٧) ساقط من المطبوع .

والمفعول الأول ليرى^(١) .

﴿ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ ﴾ يعني القرآن . ﴿ هُوَ الْحَقُّ ﴾ أي : الصدق ، وهو فصلٌ ، والحقُّ مفعول ثانٍ ، او في موضع النصب معطوف على ليجزى^(٢) ، أي : ليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة أنه الحق علماً لايزاد عليه في الإيقاف .

﴿ وَيَهْدِي ﴾ الله ، أو الذي أنزل إليك . ﴿ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ وهو دين الله . ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ قال قريش بعضهم لبعض .

﴿ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ ﴾ يعنون محمداً ﷺ ، وإنما نكروه مع أنه كان مشهوراً علماً في قريش ، وكان إنبأؤه بالبعث^(٣) شائعاً عندهم تجاهلاً به ، وبأمره ، وباب^(٤) التجاهل : في البلاغة وإلى سحرها^(٥) .

﴿ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ أي : يحدثكم بأعجوبة من الأعاجيب ، إنكم تبعثون ، وتنشأون خلقاً جديداً بعد أن تكونوا رفاتاً وتراباً ، ويمزق أجسادكم البلى كل ممزق أي : يفرقكم كل تفريق ، فالممزق مصدر بمعنى التمزيق ، والعامل في (إذا) مادل عليه (إنكم لفي خلق جديد) ، أي : تبعثون ، والجديد فاعل بمعنى فاعل عند البصريين تقول جدّ فهو جديد كقلّ فهو قليل ، ولايجوز أنكم

(١) إعراب القرآن / للنحاس ج ٢ ص ٦٥٦ ، النبيان في إعراب القرآن ج ٢ ص ١٠٦٣ ، الفريد في

إعراب القرآن المجيد ج ٤ ص ٥٧ ، الدر المصون ج ٥ ص ٤٣٠ .

(٢) المصادر السابقة في الإعراب .

(٣) في (ب) بالوحي .

(٤) في (ب) وبان .

(٥) ذكر السيوطي في الإتقان ج ١ ص ٥١٤ قاعدة في التعريف والتذكير فقال رحمه الله : إعلم

أن لكل منهما مقاماً لايليق بالآخر أما التذكير فله أسبابه - وذكر عدة أسباب - منها : (أن

تقصد التجاهل ، وأنتك لاتعرف شخصه ، وعليه من تجاهل الكفار : « هل ندلكم على رجل » ،

كأنهم لايعرفونه) مطبعة إحياء العلوم ، قدم له وعلق عليه : الأستاذ : محمد شريف سُكر ،

راجع الأستاذ : مصطفى القصاص ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧ هـ .

بالفتح للآم في خبره^(١) .

﴿ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ أهو مفترٍ على الله كذباً فيما يُنسب إليه من ذلك ؟

والهمزة : للإستفهام ، وهمزة الوصل حذفت : إستغناءً عنها^(٢) .

﴿ أُمِّ بِهِ جِنَّةٌ ﴾ جنون يورثه ذلك ويلقيه على لسانه .

﴿ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴾ ثم قال سبحانه

وتعالى ليس محمد ﷺ من الإفتراء والجنون في شيء ، فهو مبرأ منهما بل هؤلاء

القائلون الكافرون بالبعث واقعون في عذاب النار ، وفيما يؤديهم إليه من الضلال عن

الحق وهم غافلون عن ذلك ، وذلك أجن الجنون ، جعل وقوعهم في العذاب رسيلاً^(٣)

لوقوعهم في الضلال كأنهما كائنان في وقت واحد ، لأن الضلال لما كان العقاب من

لوازمه جعل كأنهما مقترنان ، وَوَصَفُ الضلال بالبعيد : من الإسناد المجازي لأن البعيد

صفة الضال إذا بُعدَ عن الجادة .

﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفُ

بِهِمْ ﴾ وبالإدغام عليّ ، للتقارب بين الفاء والباء ، وَضَعَفَهُ البعض لزيادة صوت الفاء على

الباء^(٤) .

﴿ الْأَرْضِ أَوْ نُسْقِطُ ﴾ الثلاثه^(٥) بالياء كوفي غير عاصم^(٦)

(١) انظر : التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٦٣ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤

ص ٥٧ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٣٢ .

(٢) التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٦٣ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٥٧ ،

الدر المصون جـ ٥ ص ٤٣٢ .

(٣) في ب : (وسيلا) ، ومعنى رسيلا : قال بن منظور : الرسيل الموافق لك في النضال ونحوه .

لسان العرب جـ ١١ ص ٨٤ ، مادة : رسل .

(٤) الحجة القرارات السبع ص ٢٩٢ ، التلخيص ص ٣٧٣ ، الموضح جـ ٣ ص ١٠٤٣ ، النشر جـ ٢

ص ٣٤٩ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٣٨٢ .

(٥) أي : ﴿ يرو ﴾ ، ﴿ نشأ ﴾ ، ﴿ نخسف ﴾ .

(٦) التلخيص ص ٣٧٣ ، الموضح جـ ٣ ص ١٠٤٣ . النشر جـ ٢ ص ٣٤٩ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٣٨٢ .

[لقوله] ^(١) ﴿إِفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ^(٢) .

﴿عَلَيْهِمْ كِسْفًا﴾ ﴿كِسْفًا﴾ حفص ^(٣) . ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي : أعموا فلم ينظروا إلى السماء والأرض وأنهما حيثما كانوا ، وأينما ساروا ، أمامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدران أن ينفذوا من أقطارهما ، وأن يخرجوا عماهم فيه ^(٤) من ملكوت الله ، ولم يخافوا أن يخسف الله بهم ، أو يسقط عليهم كسفا من السماء لتكذيبهم الآيات وكفرهم [بالرسول] ^(٥) وبما جاء به كما فعل بقارون ، وأصحاب الأيكة .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ النظر إلى السماء / والأرض [والتفكير] ^(٦) فيهما وماتدلان عليه من قدرة الله . ﴿لَايَةً﴾ ﴿لَدَلَالَةً﴾ . ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ راجع بقلبه ^(٧) إلى ربه ، مطيع له ، إذ المنيب لا يخلو من النظر في آيات الله على أنه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفر به .

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ﴾ بدل من فضلا ، أو من آتينا بتقدير قولنا : يا جبال ، أو قلنا يا جبال ^(٨) .

﴿أَوْبَىٰ مَعَهُ﴾ من التأويب ، أي : رجعى معه التسييح ، ومعنى تسييح الجبال : أن الله يخلق فيها تسيحاً فيسمع ^(٩) منها كما يسمع من المسبح معجزة لداود عليه السلام . ﴿وَالطَّيْرُ﴾ عطف على محل الجبال ^(١٠) ، والطير زيد عطف على لفظ

(١) في : (أ) (كقوله) .

(٢) الآية الثانية من نفس السورة .

(٣) الموضح جـ ٣ ص ١٠٤٤ ، النشر جـ ٢ ص ٣٤٩ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٣٨٢ .

(٤) في (أ) : عماهم فيه ثم من ملكوت الله .

(٥) في (أ) : للرسول .

(٦) في (أ) والفكر .

(٧) ساقط من : المطبوع .

(٨) انظر : الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٥٨ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٣٣ .

(٩) في : (ب) يسمع .

(١٠) انظر : الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٥٨ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٣٣ .

الجبال^(١) .

وفى هذا النظم من الفخامة مالا^(٢) يخفى ، حيث جُعِلَت الجبال بمنزلة العقلاء .
الذين إذا أمرهم أطاعوا ، وإذا دعاهم أجابوا ، إشعاراً بأنه مامن حيوان وجماد إلا
وهو منقاد لمشيئته^(٣) سبحانه وتعالى ، ولو قال : آتينا داود منا فضلاً تأويب الجبال معه
والطير لم يكن فيه هذه الفخامة .

﴿ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾ وجعلناه له لِيناً كالطين والعجين^(٤) يُصْرَفُه بيده كيف يشاء
من غير نار ولاضرب بمطرقة ، وقيل : لان الحديد فى يده لِمَا أُوتِيَ من شدة القوة .
﴿ أَنْ أَعْمَلَ ﴾ أن بمعنى : أي : [أي]^(٥) أمرناه أن اعمل^(٦) .

﴿ سَابِغَاتِ ﴾ دروعاً واسعة تامة من السُّبُوغِ ، وهو أول من إتخذها ، وكان يبيع
الدرع بأربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ، ويتصدق على الفقراء^(٧) ، وقيل :
كان يخرج متنكراً فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم ماتقولون في داود؟ فيثنون عليه
فقيض له ملكاً في صورة آدمي فسأله على عادته فقال نَعَمْ الرجل لولا خصلة فيه : وهو
أنه يُطْعِمُ عياله من بيت المال ، فسأل عند ذلك ربه أن يسبب له ما يستغنى به عن بيت

ص ٤٣٤ . وذكر السمين الحلبي فى نصبه الطير عدة أوجه .

(١) النشر جـ ٢ ص ٣٤٩ وقال ابن الجزرى رحمه الله : (.. وهى رواية زيد عن يعقوب ، ووردت
عن عاصم وأبى عمرو) ، الإتحاف جـ ٢ ص ٣٨٢ .

(٢) فى (ب) و (ج) التى .

(٣) فى (ب) إلى مشيئته ، وفى المطبوع لمشيئة الله .

(٤) فى (ب) والمطبوع : المعجون .

(٥) فى (أ) : أو .

(٦) يقول النحاس فى إعراب القرآن جـ ٢ ص ٦٥٨ : (.. فى جوابان : أحدهما : أن تكون «أن»
بمعنى أى مُفسِّرةٌ تؤدى عن معنى : قلنا له اعمل ، والجواب الآخر : أن يكون فى موضع
نصب ، أى وألنا له الحديد ووصلت أن يُلفظ الأمر) .

(٧) معالم التنزيل جـ ٤ ص ٣٨٨ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ٢٦٧ ، وقال القرطبي رحمه
الله هنا : (مسألة : فى هذه الآية دليل على تعلّم أهل الفضل الصنائع ، وأن التحرف بها لا
ينقص من مناصبهم ، بل ذلك زيادة فى فضلهم وفضائلهم ، إذ يحصل لهم التواضع فى
أنفسهم والإستغناء عن غيرهم ، وكسب الحلال الخليلي عن الإمتنان ..) .

المال فعلمه صنعة الدرّوع^(١) .

﴿ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ ﴾ لاتجعل المسامير دِقَاقًا فَيَقْلُقُ ولا غلاظاً فَيَفْصِمَ الحَلَقَ^(٢) ،
والسَّرْدُ : نسجُ الدُّرُوعِ^(٣) .

﴿ وَأَعْمَلُوا ﴾ الضمير لداود وأهله . ﴿ صَالِحًا ﴾ خالصاً يَصْلَحُ للقبول .

﴿ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ فأجازيكم عليه .

﴿ وَلَسُلَيْمَانَ الرِّيحَ ﴾ أي : سخرنا لسليمان الريح وهي : الصَّبَا ، ورفع الريح
أبوبكر وحماد ، والفضل^(٤) ، أي : لسليمان الريحُ مسخرةٌ .

﴿ غَدُوهُمَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ ﴾ جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشى
كذلك ، وكان يغدو من دمشق^(٥) فيقيل بإصطخر^(٦) فارس وبينهما مسيرة شهر ويروح

(١) معاني القرآن / للزجاج ج ٤ ص ٢٤٣ ، معالم التنزيل ج ٦ ص ٣٨٨ ، المحرر الوجيز ج ١٣ ص ١١٣ ،

الجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ٢٦٦ ، لباب التأويل ج ٣ ص ٤٤٢ ، البحر المحيط ج ٨ ص ٥٢٦ .

(٢) في (ب) فيفصم الخلق . وفي المطبوع : فتفصم ، وعند الفراء في معاني القرآن ج ٢
ص ٣٥٦ : (لاتجعل مسمار الدرّع دقيقا فيقلق ، ولا غليظا فيفصم الحلق) .

(٣) يقول الزجاج في معاني القرآن ج ٤ ص ٢٤٤ : (السَّرْدُ في اللغة: تقدمة شيء إلى شيء ،
تأتي به منسقا بعضه في إثر بعض ، متابعا ، فمنه سَرْدُ فلان الحديد ، وقيل في التفسير ، السَّمْرُ
والسنز والخلق ، وقيل : هو أن لايجعل المسمار غليظا والثقب دقيقا ، ولايجعل المسمار دقيقا ،
والثقب واسعا فيتقلقل وينخلع وينقصف ، قدّر في ذلك ، أي : اجعله على القصد وقدّر الحاجة) .

(٤) الحجة في القراءات السبع ص ٢٩٢ ، التلخيص ص ٣٧٣ ، الموضح ج ٣ ص ١٠٤٥ ، النشر

ج ٢ ص ٣٤٩ ، الإتحاف ج ٢ ص ٣٨٤ .

(٥) دِمَشَقُ : بكسر أوله ، وفتح ثانيه ، البلدة المشهورة قصبة الشام ، وقيل سميت بذلك لأنهم

دَمَشَقُوا في بنائها ، : أسرعوا ... معجم البلدان ج ٢ ص ٥٢٧ ، تحقيق : فريد الجندي ،

مطبعة دار الكتب العلمية ، وقد أطلال ياقوت الحموي في الحديث عنها فليرجع إليه لتمام

الفائدة ،

(٦) إصطخر : بالكسر ، وسكون الخاء المعجمة ، والنسبة إليها إصطخري ، بلدة بفارس ، وهي

من أعيان حصون فارس ومدنها وأقدمها وأشهرها . معجم البلدان ج ١ ص ٢٤٩ و ٢٥٠ .

من إصْطَخر فيبيت بكابل^(١) وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع^(٢) ، وقيل كان يتغذى بالرّي^(٣) ويتعشى بسمرقند^(٤) .

﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ أي : معدن النحاس ، فالقِطْرُ النحاس وهو الصُّفْرُ ، ولكنه أساله ، وكان يسيل في الشهر ثلاثة أيام كما يسيل الماء^(٥) ، وكان قبل سليمان عليه السلام لا يذوب ، وسماه عين القِطْرِ بإسم ما آل إليه .

﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ﴾ من في موضع نصب^(٦) ، أي : وَسَخَّرْنَا لَهُ^(٧) من / الجن من يعمل .

(١) كابل : بضم الباء الموحده ولام ، وكابل اسم يشمل الناحية بين هيمت ونواحي سجستان . معجم البلدان ج٤ ص ٤٢٦ .

(٢) هو قول الحسن البصري رحمه الله انظر : النكت والعيون / للماوردي ج٤ ص ٤٣٧ ، الوسيط ج٣ ص ٤٨٨ ، تفسير القرآن / للسمعاني ج٥ ص ٣٢٠ ، معالم التنزيل ج٢ ص ٣٨٩ ، المحرر الوجيز ج١٣ ص ١١٥ ، زاد المسير ج٦ ص ٤٣٨ ، الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص ٢٦٩ ، غرائب القرآن ج٥ ص ٤٨٧ .

(٣) الرّي : بفتح أوله ، وتشديد ثانيه ، وهي مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن ، وكثيرة الفوائد والخيرات وهي محطة الحاج على طريق السابلة ، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخاً ، وقد دخلها المهدي في خلافة المنصور وبنائها . معجم البلدان ج٣ ص ١٣٢ .

(٤) سمرقند : بفتح أوله وثانيه : ويقال لها بالعربية : سُمران ، بلد معروف مشهور ، قيل أنه من أبنية ذى القرنين بما وراء النهر ، وقالوا : ليس في المدينة أرض أنزه ولا أطيب ولا أحسن مستشرقاً من سمرقند . معجم البلدان ج٣ ص ٢٧٩ .

(٥) بحر العلوم ج٣ ص ٦٧ ، الوسيط ج٣ ص ٤٨٨ ، تفسير القرآن / للسمعاني ج٥ ص ٣٢٠ ، معالم التنزيل ج٦ ص ٣٨٩ ، المحرر الوجيز ج١٣ ص ١١٥ ، زاد المسير ج٦ ص ٤٣٨ ، البحر المحيط ج٨ ص ٥٢٧ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص ٢٧١ ، غرائب القرآن ج٥ ص ٤٨٧ .

(٧) ساقط من المطبوع .

﴿ بَيْنَ يَدَيْهِ يَأْذَنُ رَبِّهِ ﴾ بأمرة^(١) .

﴿ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ ﴾ ومن يعدل^(٢) ﴿ عَنْ أَمْرِنَا ﴾ الذي أمرناه^(٣) به من طاعة

سليمان عليه السلام .

﴿ نَذِقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ عذاب الآخرة ، وقيل كان معه ملكٌ بيده سوط من

نار فمن زاغ عن أمر سليمان عليه السلام ضربه ضربة أحرقتة^(٤) .

﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ ﴾ أي : مساجد ، أو مساكن^(٥) .

﴿ وَتَمَاثِيلَ ﴾ أي : صور السباع والطيور ، وروي أنهم عملوا له

أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه فإذا أراد أن يصعد سبط

الأسدان له ذراعيهما ، وإذا قعد أظله النسران [بأجنحتهما]^(٦) ،^(٧) ،

(١) في.(ب) بأمر ربه .

(٢) منهم في المطبوع .

(٣) أمرنا في المطبوع .

(٤) هو قول يحيى بن سلام، انظر : النكت والعيون ج٤ ص٤٣٨ ، الوسيط ج٣ ص٤٨٩ ،

ورجح الواحدي رحمه الله القول بأنه عذاب الآخرة ، تفسير القرآن / للسمرقاني ج٥

ص٣٢١ ، معالم التنزيل ج٦ ص٣٨٩ ، المحرر الوجيز ج١٣ ص١١٦ ، زاد المسير ج٦

ص٤٣٩ ، الجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص٢٧١ وقال القرطبي رحمه الله : (أي: في

الآخرة قاله أكثر المفسرين) ، البحر المحيط ج٨ ص٥٢٨ ، ونسب ابو حيان رحمه الله القول

بأنه عذاب الآخرة لابن عباس رضي الله عنهما ، والقول الثاني أنه قول السدي رحمه الله .

(٥) النكت والعيون ج٤ ص٤٣٨ ونسب الماوردي رحمه الله القول بأنها المساجد إلى قتادة

والحسن رحمهما الله ، والمسالك إلى ابن زيد رحمه الله ، المحرر الوجيز ج١٣ ص١١٦ ،

زاد المسير ج٦ ص٤٣٩ ، الجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص٢٧١ ، تفسير القرآن العظيم /

لابن كثير ج٣ ص٨٤١ .

(٦) في.(أ) أجنحتها .

(٧) لباب التأويل ج٣ ص٤٤٤ ، غرائب القرآن ج٥ ص٤٨٧ ، وص٤٨٨ ، إرشاد العقل السليم

إلى مزايا الكتاب الكريم / للعلامة أبي السعود ج٤ ص٣٤٣ ، مطبعة دار الفكر ، وقال

وكان التصوير مباحاً حينئذ^(١) .

﴿ وَجِفَانٍ ﴾ جمع جَفْنَةٌ^(٢) . ﴿ كَالْجَوَابِ ﴾ جمع [جايبة]^(٣) وهى : الحياض الكبار^(٤) ، وقيل : كان يقعد على الجفنة ألف رجل^(٥) ، كالجوابي فى الوصل والوقف مكى ويعقوب وسهل ، وافق أبو عمر فى الوصل ، الباقون بغير ياء إكتفاءً بالكسرة^(٦) .
﴿ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾ ثابتات على الأثافي^(٧) لاتنزل عنها لعظمتها ، وقيل إنها باقية باليمن^(٨) ، وقتلناهم : ﴿ أَعْمَلُوا آيَالَ دَاوُودَ شُكْرًا ﴾ أي : إرحموا^(٩) أهل البلاد^(١٠) ،

≡ الألوسى فى روح المعاني جـ ٢٦ ص ١١٩ حول هذه القصة : (فأمر غير مستبعد فإن ذلك يكون بالآلات تتحرك عند الصعود وعند القعود فتتحرك الذراعين والأجنحة ..) .

(١) وقال الحسن رحمه الله : (ولم تكن الصور يومئذ محرمة) ، انظر : النكت والعيون جـ ٤ ص ٤٣٨ ، وقال ابن عطية رحمه الله فى المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ١١٧ : (.. ونسخ بشرع محمد ﷺ ..) .

(٢) جفنة : هى أعظم ما يكون من القصاع والجمع : جِفَانٌ وَجِفْنٌ . لسان العرب جـ ١٣ ص ٨٩ مادة : جفن .

(٣) فى : (أ) جابة .

(٤) انظر : معاني القرآن / للنحاس جـ ٥ ص ٣٩٩ .

(٥) الوسيط جـ ٣ ص ٤٨٩ ، تفسير القرآن / للسمعاني جـ ٤ ص ٣٢١ ، معالم التنزيل جـ ٦ ص ٣٩١ ، زاد المسير جـ ٦ ص ٤٤٠ ، لباب التأويل جـ ٣ ص ٤٤٤ ، غرائب القرآن جـ ٩ ص ٤٨٨ .

(٦) الحجّة فى القراءات السبع ص ٢٩٣ ، التلخيص ص ٣٧٥ ، الموضح جـ ٣ ص ١٠٤٥ و ص ١٠٤٦ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٣٨٣ .

(٧) الأثافي : الحجر الذى توضع عليه القدر ، وجمعها أثافيٌّ وأثافٍ . لسان العرب جـ ٩ ص ٣ مادة : أثف .

(٨) قال ابن جريج رحمه الله : ذُكِرَ لنا أن تلك القدور باليمن أبقاها الله تعالى آية وعبرة : النكت والعيون جـ ٤ ص ٤٣٩ ، الوسيط جـ ٣ ص ٤٨٩ ، معالم التنزيل جـ ٦ ص ٣٩١ .

(٩) يقول البغوي رحمه الله تعالى فى معالم التنزيل جـ ٦ ص ٣٩١ (قيل : المراد من آل داود هو داود نفسه ، وقيل : داود وسليمان وأهل بيته) .

(١٠) والصواب : (أهل البلاء) لأن ذلك ورد عند الماوردي فى النكت والعيون جـ ٤

وأسألوا ربكم العافية عن الفضيل^(١) رحمه الله ، وشكراً : مفعول له ، أو حال ، أي : شاكرين ، أو أشكروا شكراً ، لأن إعملوا فيه معنى إشكروا من حيث إن العمل للمُنعم شكر له ، أو مفعول به يعنى : إنا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فأعملوا أنتم شكراً^(٢) ، وسئل الجنيد^(٣) رحمه الله عن الشكر فقال : بذل المجهودين يداي المعبود^(٤) .

﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ﴾ بسكون الياء حمزة ، وغيره بفتحها^(٥) .

﴿ الشُّكُورُ ﴾ المتوفر على أداء الشكر ، البازل وَسُعُهُ فِيهِ ، قد شغل به قلبه ، ولسانه ، وجوارحه إعتقاداً ، وإعترافاً ، وكدهاً^(٦) ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما : من يشكر على أحواله كلها^(٧) .

ص ٤٣٩ ، وهي عند التأويل الخامس للآية حيث قال : (أذكروا أهل البلاء وسلوا ربكم العافية) .

(١) سبقت ترجمته ص ١٠٩ .

(٢) انظر : التبيان في إعراب القرآن ج ٢ ص ١٠٦٥ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد ج ٤ ص ٦٠ و ٦١ ، الدر المصون ج ٥ ص ٤٣٥ ، وذكر السمين الحلبي في : (شكراً) ستة أوجه في الإعراب .

(٣) سبق ترجمته ص ٩ .

(٤) لم أفق عليه .

(٥) التلخيص ص ٣٧٥ ، الموضح ج ٣ ص ١٠٥٩ ، الإتحاف ج ٢ ص ٣٨٣ .

(٦) يقول ابن عطية رحمه الله في المحرر الوجيز ج ١٣ ص ١١٩ : (وقوله تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشُّكُورُ ﴾ يحتمل أن يكون مخاطبة لآل داود ويحتمل أن تكون مخاطبة لآل محمد ﷺ ، وعلى كل وجه ففيهما تنبيه وتحريض) . ورجح أبو حيان رحمه الله في البحر المحيط ج ٨ ص ٥٢٩ : (أن يكون الخطاب لآل داود وهو الظاهر) .

(٧) البحر المحيط ج ٨ ص ٥٢٩ ، روح المعاني ج ٢٦ ص ١٢٠ .

وقيل من يشكر على الشكر^(١) ، أو من يرى عجزه عن الشكر^(٢) ، وعن داود عليه السلام : أنه جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم يكن [تأتي]^(٣) ساعة من الساعات إلا وإنسان من آل داود عليه السلام قائم يصلي^(٤) .

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ ﴾ أي : على سليمان عليه السلام .

﴿ مَا دَلَّهُمْ ﴾ أي : الجن، أو آل داود عليه السلام .

﴿ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ ﴾ أي : الأَرْضَة، وهي : دُويبةٌ يقال لها سُرفَةٌ، والأرض فعلها فأضيفت إليه ، يقال : أَرْضَتِ الخشبة أرضاً إذا أكلتها الأَرْضَة^(٥) .

﴿ تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ ﴾ والمِنْسَاءُ العِصَا ، لأنه يُنسىُّ بها ، أي : يَطْرُدُ^(٦) ، (وَمِنْسَاتَهُ) بغير همز مدنيٍّ وأبو عمرو^(٧) .

(١) البحر المحيط جـ ٨ ص ٥٢٩ ونسبه أبو حيان للسدي رحمه الله ، روح المعاني جـ ٢٦ ص ١٢٠ .

(٢) البحر المحيط جـ ٨ ص ٥٢٩ ، أنوار التنزيل جـ ٢ ص ٢٥٨ ، إرشاد العقل السليم جـ ٤ ص ٣٤٤ ، روح المعاني جـ ٢٦ ص ١٢٠ .

(٣) في (أ) : يأتي .

(٤) النكت والعيون جـ ٤ ص ٤٣٩ ، تفسير القرآن / للسمعاني جـ ٤ ص ٣٢٢ ، معالم التنزيل جـ ٦ ص ٣٩١ ، لباب التأويل جـ ٣ ص ٤٤٤ ، ونسبه الخازن رحمه الله لثابت البناني ، غرائب القرآن جـ ٥ ص ٤٨٨ ، إرشاد العقل السليم جـ ٤ ص ٣٤٤ ، روح المعاني جـ ٤٦ ص ١٢٠ .

(٥) الأَرْضَة : بالتحريك دودة بيضاء شبة النملة تظهر في أيام الربيع ، قال أبو حنيفة : الأَرْضَة ضربان : ضرب صغار مثل كبار الذر ، وهي آفة الخشب خاصة ، وضربٌ مثل كبار النمل ذوات أجنحة وهي آفة كل شيء من خشب ونبات ، غير أنها لا تُعْرَضُ للربط ، وهي ذات قوائم ، والجمع أَرْضٌ ، والأَرْضُ إسم للجميع . لسان العرب جـ ٧ ص ١١٣ ، مادة : أرض .

(٦) معاني القرآن / للزجاج جـ ٤ ص ٢٤٧ ، معاني القرآن / للنحاس جـ ٥ ص ٤٠٢ .

(٧) الحجة في القراءات السبع ص ٢٩٣ ، وقال ابن خالويه : (والحجة لمن ترك الهمزة : أنه أراد التخفيف) ، التلخيص ص ٣٧٣ ، الموضح جـ ٣ ص ١٠٤٦ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٣٨٣ ، وص ٣٨٤ .

﴿ فَلَمَّا خَرَّ ﴾ سقط سليمان عليه السلام . ﴿ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ ﴾ علمت الجن كلهم علماً يئناً بعد إلتباس الأمر على عامتهم وضعفتهم .

﴿ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا ﴾ بعد موت سليمان عليه السلام .

﴿ فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ وروى : أن داود عليه السلام أسس بناء بيت المقدس في

موضع / فسطاط موسى عليه السلام، فمات قبل أن يتمه فوصى به إلى سليمان عليه السلام فأمر الشياطين بإتمامه فلما بقي من عمره سنة سأل [ربه] ^(١) أن يُعَمِّيَ عليهم موته حتى يفرغوا منه ، ولتَبْطُلُ دعواهم عِلْمَ الْغَيْبِ ، وكان عمرُ سليمان عليه السلام ثلاثاً وخمسين سنة مَلَكٌ وهو ابن ثلاث عشرة سنة فبقي في ملكه أربعين سنة ، وإبتداء بناء بيت المقدس لأربع مضيئين من ملكه ^(٢) ، وروى أن أفريدون جاء ليصعد كرسيه فلما دنا ضرب الأسدان ساقه فكسراها فلم يَجْسُرُ أحدٌ بعدُ ، أن يدنو منه ^(٣) .

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسِبَّاءٍ ﴾ بالصرف بتأويل الحي، وبعدهم أبو عمر بتأويل القبيلة ^(٤) .

(١) ساقط من (أ) .

(٢) انظر : معالم التنزيل ج٦ ص ٣٩٢ ، الجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص ٢٨١ ، لباب التأويل ج٣ ص ٤٤٥ ، غرائب القرآن ج٥ ص ٤٨٩ ، أنوار التنزيل ج٢ ص ٢٥٨ ، ويقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره ج٣ ص ٨٤٢ : (يذكر تعالى كيفية موت سليمان عليه السلام وكيف عمي الله موته على الجن المسخرين له في الأعمال الشاقة ، فإنه مكث متوكئاً على عصاه ، وهي منسأته ، كما قال بن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد مدة طويلة نحو من سنة ، فلما أكلتها دابة الأرض ، وهي الأَرْضَةُ ، ضعفت وسقط إلى الأرض ، وَعُلِمَ أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة ، وتبينت الجن والإنس أيضاً أن الجن لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس بذلك) ، إرشاد العقل السليم ج٤ ص ٣٤٥ ، روح المعاني ج٢٦ ص ١٢٤ .

(٣) روح المعاني ج٢٦ ص ١٢٤ .

(٤) الموضح ج٣ ص ١٠٤٧ و ١٠٤٩ ، الإتحاف ج٢ ص ٣٨٤ .

قلت : وقصده بالصرف ، أنها مجرورة منونة ، وبعدهم : مفتوحة الهمزة غير منونة ﴿ لِسِبَّاءٍ ﴾ وهي قراءة أبو عمرو والبيزي عن ابن كثير كما في المراجع السابقة ، وقال

﴿ فِي مَسْكِنِهِمْ ﴾ حمزة وحفص ، (مَسْكِنِهِمْ) عليّ وخلف ، وهو موضع سكنائهم : وهو بلدهم وأرضهم التي كانوا مقيمين فيها باليمن ، أو مسكن كل واحد منهم ، غيرهم مساكنهم^(١) .

﴿ آيَةٌ ﴾ إسم كان . ﴿ جَنَّاتٍ ﴾ بدل من آية ، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره : الآية جنتان^(٢) ، ومعنى كونهما آية أن أهلها لما عرضوا عن شكر الله تعالى سلبهم النعمة ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا إلى ما كانوا عليه من الكفر ، وغمط النعم ، أو جعلها آية ، أي : علامة دالة على قدرة الله وإحسانه ووجوب شكره .

﴿ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾ أراد [جماعتين]^(٣) من البساتين [جماعة]^(٤) عن يمين بلدهم ، وأخرى عن شمالها ، وكل واحدة من الجماعتين في تقاربهما وتضامها كأنها جنة واحدة ، كما تكون بساتين البلاد العامرة ، أو أراد بستاني كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله .

﴿ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ﴾ حكاية لما قال لهم أنبياء الله المبعوثون لهم ، أو لما قال لهم لسان الحال ، أو هم حقاً بأن يُقال لهم ذلك ، ولما أمرهم بذلك أتبعه قوله : ﴿ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ أي : هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة ، وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره ، قال بن عباس رضي الله

عن السمعاني رحمه الله في تفسيره جـ ٤ ص ٣٢٤ : (أكثر أهل التفسير على أن سبأ إسم رجل ونسبت القبيلة إليه ، كما أن تميم إسم رجل ، ونسبت القبيلة إليه) .

وقال ابن كثير رحمه الله تفسيره جـ ٣ ص ٨٤٤ : (كانت سبأ ملوك اليمن وأهلها ، وكانت التابعة منهم ، وبلقيس صاحبة سليمان عليه الصلاة والسلام من جملتهم وكانوا في نعمة وغبطة ..) .

(١) الحجة في القراءات السبع ص ٢٩٣ ، التلخيص ص ٣٧٤ ، الموضح جـ ٣ ص ١٠٤٩ ، النشر جـ ٢ ص ٣٥٠ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٣٨٤ .

(٢) إعراب القرآن / للنحاس جـ ٢ ص ٦٦٣ ، التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٦٦ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٦٣ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٣٩ .

(٣) في (أ) : جماعة .

(٤) ساقط من : (أ) .

عنهما : [كانت] ^(١) سبأ على ثلاث فراسخ ^(٢) من صنعاء ، وكانت أخصب البلاد تخرج المرأة وعلى رأسها المِكتَل ^(٣) فتعمل بيدها وتسير بين تلك الشجرة فيمتلئ المِكتَل [مما] ^(٤) يتساقط فيه من الثمر وأطيبها ^(٥) ، ليس فيها بعوضٌ ولا ذباب ، ولا برغوث ، ولا عقرب ولا حية ، ومن يمر بها من الغرباء يموت قَمْلُهُ لطيب [هو] ^(٦) ائها] ^(٧) .

﴿ فَأَعْرَضُوا ﴾ عن دعوة ^(٨) انبيائهم وكذبوهم ^(٩) ، وقالوا مانعرف لله علينا نعمة .

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾ أي : المطر الشديد ، أو العرم إسم الوادى ، أو الجرذ الذي نقب عليهم السُّكَّر ^(١٠) قالوا لما طغوا سَلَطَةُ الله عليهم فنَقَبَهُ من أسفله

(١) في: (أ) : كان .

(٢) فراسخ : جمع فرسخ : ثلاثة أميال أو ستة ، سمي بذلك لأن صاحبه إذا مشى قعد وإستراح من ذلك كأنه سكن ، وهو واحد الفراسخ فارسي مُعَرَّبٌ ، لسان العرب جـ ٣ ص ٤٤ ، مادة: فرسخ .

(٣) المِكتَل والمِكتَله : الزَّئِيل الذي يحمل فيه التمر أو العنب .. وقيل : المِكتَل شبه الزئيل يسع خمسة عشر صاعاً ، لسان العرب جـ ١١ ص ٥٨٣ باختصار مادة : كتل .

(٤) في: (أ) بما .

(٥) في المطبوع : طيبها .

(٦) في: (أ) : هواها .

(٧) انظر : الوسيط جـ ٣ ص ٤٩١ ، تفسير القرآن / للسمعاني جـ ٤ ص ٣٢٥ ، ويقول السمعاني رحمه الله : (فإن قيل : أيُّ فائدة لتخصيصهم بهذا والله غفور لكل عباده ؟ والجواب عنه : أن مغفرة الرب مع طيب البلدة على تلك الغاية لم تكن إلا لهم) ، معالم التنزيل جـ ٦ ص ٣٩٣ ، زاد المسير جـ ٦ ص ٤٤٤ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ٢٨٤ .

(٨) ساقط من: (ب) .

(٩) في المطبوع: (فكذبوهم) ، وكان عددهم ثلاثة عشر نبياً ، انظر : معالم التنزيل جـ ٦ ص ٣٩٣ .

(١٠) السُّكَّر : إسم ذلك السداد الذي يُجعل سداً للشق ونحوه ، لسان العرب جـ ٤ ص ٣٧٧ مادة: سكر .

وانظر هذه الأقوال في معنى العَرِم : الوسيط جـ ٣ ص ٧٠ ، المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ١٢٨

فغرقهم .

﴿ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ ﴾ المذكورتين . ﴿ جَنَّتَيْنِ ﴾ وتسمية البديل جنتين للمشاكلة وإزدواج الكلام^(١) كقوله : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾^(٢) ﴿ ذَوَاتِي أَكُلِ خَمَطٍ ﴾ الأكل : الثَّمَرُ يُثَقَّلُ ويخفف ، وهو قراءة نافع ومكي^(٣) ، والخمط : شجر الأراك^(٤) ، أو كل : شجر ذي شوك^(٥) ، ﴿ وَأَنْثَلٍ وَشَيْءٍ / مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ الأثل : شجر يشبه الطَّرْفَاءَ^(٦) أعظم منه وأجود عوداً ، وَوَجْهُهُ مِنْ نَوْنِ الْأُكْلِ وهو غير أُبِي عمرو أن أصله ذواتي أَكُلٍ وَأُكُلٍ خَمَطٍ فَحُذِفَ المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، أو وَصِفَ الْأُكْلُ بالخمط كأنه قيل : ذواتي أَكُلٍ بَشِيعٍ ، وَوَجْهُهُ أَبِي عمرو^(٧) أن أَكَلَ الخمط فى معنى البرير^(٨) فكانه قيل : ذواتي بَرِيرٍ ، والأثل والسدر معطوفان على أَكُلٍ لا على خمط لأنَّ

← وقال ابن عطية رحمه الله : (.. وقالت فرقة العرم إسم الجرد ، وهذا ضعيف ..) ، وزاد المسير جـ ٦ ص ٤٤٥ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ٢٨٥ ، لباب التأويل جـ ٣ ص ٤٤٥ ، البحر المحيط جـ ٨ ص ٥٣٧ ، تفسير القرآن / لابن كثير جـ ٤ ص ٨٤٧ .

(١) التبيان فى إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٦٦ .

(٢) سورة الشورى آية : ٤٠ .

(٣) الحجة فى القراءات السبع ص ٢٩٣ ، التلخيص ص ٣٧٤ ، الموضح جـ ٣ ص ١٠٥٠ ، النشر جـ ٢ ص ٣٥٠ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٣٨٥ .

(٤) وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما والحسن ومجاهد والجمهور : زاد المسير جـ ٦ ص ٤٤٦ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ٢٨٤ ، تفسير القرآن العظيم / لابن كثير جـ ٣ ص ٨٤٨ .

(٥) هو قول أبو عبيدة : زاد المسير جـ ٦ ص ٤٤٦ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ٢٨٦ .

(٦) الطَّرْفَاءُ : من العِضَاءِ ، وَهَدْبُهُ مثل هذب الأثل ، وليس له خشب ، وإنما يُخْرَجُ عَصِيًّا سَمُوحَهُ فى السماء ، لسان العرب جـ ٩ ص ٢٢٠ ، القاموس المحيط ص ١٠٧٤ ، مادة : طرف .

(٧) فى المطبوع : (أبى عمر) .

(٨) البرير : ثمر الإراك إذا أَسْوَدَّ وبلغ ، وقيل : هو إسم له فى كل حال . لسان العرب جـ ٥ ص ٥٥ ، والقاموس المحيط ص ٤٤٥ ، مادة : برير .

الأثل لا أكل له^(١) ، وعن الحسن^(٢) رحمه الله : قَلَّلَ السَّدْرَ لَأَنَّهُ أَكْرَمُ مَا بُدِّلُوا ، لَأَنَّهُ يَكُونُ فِي الْجَنَانِ^(٣) .

﴿ ذَلِكْ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا ﴾ أي : جزيناهم ذلك بكفرهم^(٤) ، فهو مفعول ثانٍ متقدم^(٥) .
 ﴿ وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكُفُورَ ﴾ كوفيٌّ غيرَ أبي بكر ، وهل يُجَازَى إِلَّا الْكُفُورُ
 غيرهم^(٦) ، يعني : وهل يُجَازَى مثل هذا الجزاءِ إِلَّا من كفر النعمة ولم يشكرها ، أو
 كفر بالله ، أو هل نُعاقب^(٧) لَأَن الجزاء وإن كان عاماً يُستعمل في معنى المعاقبه ، وفي
 معنى الإثابة لكن المراد الخاص وهو العقاب^(٨) ، وعن الضحاك^(٩) رحمه الله : كانوا في

(١) انظر : إعراب القرآن / للنحاس ج٢ ص ٦٦٤ ، التبيان في إعراب القرآن ج٢ ص ١٠٦٦ ،

الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ٦٤ ، الدر المصون ج٥ ص ٤٤٠ .

(٢) سبقت ترجمته ص ٣٦ .

(٣) البحر المحيط ج٨ ص ٥٣٦ .

(٤) يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره ج٣ ص ٨٤٨ : ﴿ وشيء من سدر قليل ﴾ لما كان أجود هذه الأشجار المبدل بها هو السدر قال : ﴿ وشيء من سدر قليل ﴾ فهذا الذي صار أمر تينك الجنتين إليه بعد الثمار النضيجه ، والمناظر الحسنه ، والظلال العميقة ، والأنهار الجارية ، تبدلت إلى شجر الأراك والطرفاء والسدر ذى الشوك الكثير والثمر القليل ، وذلك بسبب كفرهم وشركهم بالله وتكذيبهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل .

(٥) الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ٦٤ .

(٦) الحجة في القراءات السبع ص ٢٩٤ ، التلخيص ص ٣٧٤ ، الموضح ج٣ ص ١٠٥١ ، النشر

ج٢ ص ٣٥٠ ، الإتحاف ج٢ ص ٣٨٤ .

(٧) في المطبوع : (يعاقب) .

(٨) انظر : بحر العلوم ج٣ ص ٧٠ و ٧١ ، الوسيط ج٣ ص ٤٩١ ، تفسير السمعاني ج٤

ص ٣٢٧ ، معالم التنزيل ج٦ ص ٣٩٥ ، الجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص ٢٨٥ ، البحر

المحيط ج٨ ص ٣٦ ، تفسير ابن كثير ج٣ ص ٨٤٨ .

(٩) الضحاك : بن مزاحم الهاللي ، أبو محمد ، وقيل أبو القاسم ، صاحب التفسير ، كان من أوعية

العلم ، قال غير واحد وفاة الضحاك في سنة إثنين ومئة . سير أعلام النبلاء ج٤ ص ٥٩٨ ،

شذرات الذهب ج١ ص ١٢٤ .

الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما السلام^(١) ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ بين سبأ . ﴿وَيَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بالتوسعة على أهلها في النعم والمياه ، وهي قرى الشام .
﴿قُرَى ظَاهِرَةً﴾ متواصلة يُرى بعضها من بعض لتقاربها ، فهي ظاهرة لأعين الناظرين ، وظاهرة للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى لا يخفى عليهم^(٢) وهي أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبأ إلى الشام^(٣) .

﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ أي : جعلنا هذه القرى على مقدار معلوم ، يقيل المسافر في قرية ويروح في أخرى إلى أن يُبلغ الشام^(٤) .

﴿سَيَرُوا فِيهَا﴾ وقلنا لهم سيروا ، ولاقول ثم ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت [لهم]^(٥) أسبابه فكأنهم أمروا بذلك .

﴿لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ أي : سيروا فيها إن شئتم بالليل ، وإن شئتم بالنهار فإن الأمن فيها لا يختلف باختلاف الأوقات ، أو سيروا فيها آمنين لا تخافون عدواً ولا جوعاً^(٦) ولا عطشاً ، وإن تطاولت مدة سفركم وأمتدت أياماً وليالي .

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ قالوا ياليتها كانت بعيدةً فنسير على نجائبنا^(٧) ونربح في التجارات ، ونفاخر في الدواب والأنساب ، بطروا النعمة ، وملّوا العافية ،

(١) روح المعاني ج٦ ص ٢٦٧ .

(٢) ساقط من (ب) و (ج) و (المطبوع) .

(٣) النكت والعيون ج٤ ص ٤٤٤ ، تفسير القرآن / للسمعاني ج٤ ص ٣٢٩ ، معالم التنزيل ج٦ ص ٣٩٥ ، الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص ٢٨٩ ، لباب التأويل ج٣ ص ٤٤٦ .

(٤) معالم التنزيل ج٦ ص ٣٩٥ ، المحرر الوجيز ج١٣ ص ١٣٠ .

(٥) ساقط من (أ) .

(٦) ولاجوعاً ساقطة من (ب) .

(٧) نجائبنا : جمع نجيب ، وهو الفاضل من كل حيوان ، والنجيب من الرجال الكريم الحسيب ، وكذلك البعير والفرس إذا كانا كريمين عتيقين ، والجمع أنجاب ونجباء ونجُب .

لسان العرب ج١ ص ٧٤٨ مادة : نجب .

وطلبوا^(١) الكدَّ والتعب ، (بعُدْ) مكِّي وأبو عمرو^(٢) .

﴿ وَظَلَمُوا ﴾ بما قالوا . ﴿ أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ﴾ يتحدث الناس عنهم ،

ويتعجبون من أحوالهم .

﴿ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ وفرقناهم تفریقاً اتخذه الناس مثلاً مضروباً ، يقولون :

ذهبوا أيدي سبا ، وتفرقوا أيادي سبا^(٣) فلحق غسان^(٤) بالشام ، وأنمار^(٥) ييثر ، وجُدَام^(٦) بتهامة ، والأزْد^(٧) بعمان^(٨) .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ ﴾ عن المعاصي .

﴿ شُكُورٍ ﴾ للنعم ، أو لكل مؤمن ، لأن الإيمان نصفان : نصفه شكر ونصفه

صبر^(٩) . ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ ﴾ بتشديد الدال كوفي^(١٠) ، أي : حقق عليهم

(١) في : (ب) والمطبوع (فطلبوا) .

(٢) الحجة في القراءات ص ٢٩٤ ، التلخيص ص ٣٧٤ ، الموضح جـ ٣ ص ١٠٥١ ، النشر جـ ٢ ص ٣٥٠ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٣٨٥ و ص ٣٨٦ .

(٣) معاني القرآن / للنحاس جـ ٥ ص ٤١٣ ، مجمع الأمثال / للميداني جـ ٢ ص ٤ .

(٤) غسان: حي من الأزْد، من القحطانية، وقيل: سموا غسان لِمَاءِ إِسْمِهِ غَسَانُ بَيْنَ زَيْدٍ وَرَمَعٍ شَرِبُوا مِنْهُ، وذكر الحمداني: أن في البلقاء طائفة منهم، وباليرموك، ويحصص جماعة، نهاية الأرب ص ٣٨٨ .

(٥) أنمار : بطن من العرب ، كانت منازلهم ما بين حد أرض مضر إلى حدثنا نجران وما ولاها ، معجم قبائل العرب جـ ١ ص ٤٧ .

(٦) جُدَام : بضم الجيم ، وبالذال المعجمة ، بطن من كهلان من القحطانية ، وكان لجُدَام من الولد حرام وحِشْم ، ومسكنها ما بين مدين إلى تبوك ، انظر : نهاية الأرب ص ٢٠٥ ، ومعجم قبائل العرب جـ ١ ص ١٧٤ .

(٧) الأزْد : من أعظم قبائل العرب وأشهرها تنسب إلى الأزْد بن الغوث ، من القحطانية وهم أربعة أقسام ، ومنهم أزد عُمان ، معجم قبائل العرب جـ ١ ص ١٥ .

(٨) الكشف جـ ٣ ص ٥٧٨ ، البحر المحيط جـ ٨ ص ٥٣٩ .

(٩) أصله حديث : « الإيمان نصفان ، نصف شكر ونصف صبر » أخرجه القضاعي في مسند الشهاب جـ ١ ص ١٢٧ : تحقيق وتخريج : حمدي عبدالمجيد السلفي ، مطبعة مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٥هـ ، وقال الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع الصغير وزيادته ص ٣٣٩ : (ضعيف جداً) .

(١٠) في (ب) و(المطبوع) : بالتشديد .

ظنه ، أو وجده صادقاً ، وبالتخفيف غيرهم^(١) ، أي : صدق في ظنه .

﴿ فَاتَّبِعُوهُ ﴾ / الضمير في عليهم وأتبعوه لأهل سبأ ، أولبني آدم وقليل المؤمنين بقوله :

﴿ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ لقلتهم بالإضافة إلى الكفار ، ولا تجد أكثرهم شاكرين^(٢) .^(٣)

﴿ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ ﴾ لإبليس على الذين صار ظنه فيهم صديقاً .

﴿ مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ من تسليط وإستيلاء بالوسوسة^(٤) .

﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ موجوداً ما علمناه معدوماً ، والتغيير على المعلوم لا على العلم^(٥) .

﴿ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ﴾ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿

محافظه عليه ، وفعلٌ ومفاعلٌ متأخيان .

﴿ قُلْ ﴾ لمشركي قومك .

﴿ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ أي : زعمتموهم آلهة من دون الله ،

فالمفعول الأول الضمير الراجع إلى الموصول ، وحُذِفَ كما حُذِفَ في قوله : ﴿ أَهَذَا

الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾^(٦) إستخفافاً لطول الموصول بصلته ، والمفعول الثاني

(١) الحجة في القراءات السبع ص ٢٩٤ ، الموضح ج ٣ ص ١٠٥٢ و ١٠٥٣ ، النشر ج ٢ ص ٣٥٠ ، الإتحاف ج ٢ ص ٣٨٦ .

(٢) انظر: زاد المسير ج ٦ ص ٤٥٠ ، لباب التأويل ج ٣ ص ٤٦٦ ، وغرائب التأويل ج ٥ ص ٤٩١ ، البحر المحيط ج ٨ ص ٥٣٩ .

(٣) يقول أبو حيان رحمه الله في البحر المحيط ج ٨ ص ٤٥٠ (ومن لبان الجنس ، ولا يمكن أن تكون للتبعيض لإقتضاء ذلك إن فريقاً من المؤمنين إبتغوا إبليس) .

(٤) قال البغوي في معالم التنزيل ج ٦ ص ٣٩٧ : (قال الحسن رحمه الله : إنه لم يُسَلِّ عليهم سيفاً ولا ضربهم بسوط ، وإنما وعدهم ومناهم فاعتروا) .

(٥) يقول ابن عطية في المحرر الوجيز ج ١٣ ص ١٣٣ : (﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ موجوداً ، أي : لنعلمه موجوداً ، لأن العلم به متقدم أزلاً) ويقول أبو حيان في البحر المحيط ج ٨ ص ٥٤٠ : (وقال معناه بن قتيبة ، قال : لنعلم حادثاً كما علمناه قبل حدوثه) ، وقال ابن كثير رحمه الله في تفسير ج ٣ ص ٨٥٢ : (أي : إنما سلطناه عليهم ليظهر أمر من هو مؤمن بالآخرة وقيامها والحساب فيها والجزاء ، فيحسن عبادة ربه عز وجل في الدنيا ممن هو منها في شك) .

(٦) سورة الفرقان آية : ٤١ .

وَحُذِفَ: لأنه موصوف صفته من دون الله ، والموصوف يجوز حذفه وإقامة الصفة مقامه إذا كان مفهوماً^(١) ، فإذا مفعولاً زعم محذوفان بسببين مختلفين ، والمعنى : أدعوا الذين عبدتموهم من دون الله من الأصنام ، والملائكة وسميتوهم بإسمه ، والتجئوا إليهم فيما يعروكم ، كما تلتجئون إليهم و أنتظروا إستجابتهم لدعائكم^(٢) كما ينتظرون^(٣) إستجابته ، ثم أجاب عنهم بقوله : ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ من خير أو شر ، أو نفع أو ضرر .

﴿ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ ﴾ ومالهم فى هذين الجنسيتين من شركة في الخلق ولا في المُلْكِ .

﴿ وَمَا لَهُ ﴾ تعالى . ﴿ مِنْهُمْ ﴾ من آلهتهم . ﴿ مِّنْ ظَهِيرٍ ﴾ من عوين يُعِينُهُ عَلَى تديير خلقه ، يريد أنهم على هذه الصفة من العجز فكيف يصح أن يدعوا كما يُدْعَى ويرجوا كما يُرْجَى !؟ .

﴿ وَلَا تَفْعُ الشَّفَاعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَدْنَى لَهُ ﴾ الله^(٤) يعنى إلا لمن وقع الإذن للشفيع لأجله ، وهى اللام الثانية فى قولك أَدْنَى لزيد [لعمرو]^(٥) ، أى : لأجله^(٦) ، وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عندالله ، (أَدْنَى) كوفي غير عاصم إلا الأعمش^(٧) .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾ أى : كُشِفَ الفزع عن قلوب الشافعين ،

(١) الفريد فى إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٦٨ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٤٣ .

(٢) ساقط من : (ب) .

(٣) فى (ب) والمطبوع (تنتظرون) .

(٤) فى (ب) والمطبوع (أى : أذن له الله) .

(٥) فى (أ) : لعمر .

(٦) فاللام لام التعليل ، يقول السمين الحلبي فى الدر المصون جـ ٥ ص ٤٤٣ (.. فكأنه قيل : إلا لمن وقع الإذن للشفيع لأجله ..) .

(٧) الحجة فى القراءات السبع ص ٢٩٥ ، التلخيص ص ٣٧٤ ، الموضح جـ ٣ ص ١٠٥٤ ، النشر جـ ٢ ص ٣٥٠ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٣٨٦ وقال الشيخ أحمد البنا رحمه الله : (وافقهم

الأعمش واليزيدي والحسن) .

والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة فى إطلاق الإذن، (وَفَزَّعَ) شامي^(١) ، أي :
الله تعالى ، والتفزع إزالة الفزع ، وحتى : غاية لما فهم من أن ثم إنتظاراً للإذن وتوقفاً
وفزعاً من الراجين للشفاعة ، والشفعاء هل يؤذن لهم أولاً يؤذن لهم ، كأنه قيل :
يتربصون ويتوقعون ملياً فزعين ، حتى إذا^(٢) فزَّعَ عن قلوبهم^(٣) : ﴿ قَالُوا ﴾ سأل
بعضهم بعضاً .

﴿ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا ﴾ قال : ﴿ الْحَقَّ ﴾ أي : [القول]^(٤) الحق ، وهو الإذن
بالشفاعة لمن إرتضى .

﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ ذو العلو والكبرياء ليس لِمَلِكٍ ولا نبي أن يتكلم ذلك اليوم
إلا بإذنه ، وأن يشفع إلا لمن إرتضى .

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ﴾ أمره بان يُقَرَّرَهم بقوله من
يرزقكم ، ثم أمره بان يتولى الإجابة ، والإقرار عنهم بقوله : يرزقكم الله ، وذلك

(١) التلخيص ص ٣٧٤ ، الموضح جـ ٣ ص ١٠٥٤ و ص ١٠٥٥ ، النشر جـ ٢ ص ٣٥٠ ، الإتحاف
جـ ٣ ص ١٠٥٤ .

(٢) حتى إذا فزَّعَ ساقط من : (ب) .

(٣) وقد اختلف في المشار إليهم : وذكر الماوردي فى النكت والعيون جـ ٤ ص ٤٣٠ ستة
تأويلات ، وقال ابن الجوزي رحمه الله فى زاد المسير جـ ٦ ص ٤٥٢ : (وفى المشار إليهم
قولان : أحدهما : أنهم الملائكة ، والقول الثاني : أن الذي أشير إليهم المشركون) باختصار ،
وقال ابن كثير رحمه الله فى تفسيره جـ ٣ ص ٨٥٤ : (ان الضمير عائد على الملائكة ، وهذا
هو الحق الذى لامرية فيه بصحة الأحاديث فيه والآثار) . قلت وهو الراجح : ومن ذلك ما
أخرجه البخاري فى صحيحه جـ ٣ ص ١٤٥٢ ، كتاب التفسير باب تفسير سورة ، الحج ،
عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إذا قضى الله الأمر فى السماء ، ضربت الملائكة
بأجنحتها خضعاناً لقوله ، كالسلسلة على صفوان ، قال عليٌّ ، وقال غيره : صفوان ينفذهم
ذلك فإن فزَّعَ عن قلوبهم ، قالوا : ماذا قال ربكم ، قالوا للذي قال : قال الحق ، وهو العلي
الكبير . » الحديث وهو طويل .

(٤) فى (أ) : قول .

للإشعار بأنهم مُقَرُّون به بقلوبهم / إلا أنهم ربما أبوا أن يتكلموا به لأنهم إن تفوهوا بان
الله رازقهم لزمهم أن يُقال لهم : فمالكم لاتعبدون من يرزقكم ، وتؤثرون عليه من
لايقدر على الرزق ؟ وأمره أن يقول لهم بعد الإلزام والإلجام الذي إن لم يزد على
أقرارهم بالسنتهم لم يتقاصر عنه :

﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ومعناه : وَإِنَّ أَحَدَ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ
الْمُوحَّدِينَ وَالْمُشْرِكِينَ لَعَلَىٰ أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ مِنَ الْهُدَىٰ وَالضَّلَالِ ، وهذا من الكلام
المنصف الذي كُلُّ من سمعه من مُوالٍ ، أو مُنافٍ قال : لمن خوطب به قد أنصفك
صاحبك ، وفي درجةٍ بعد تقدمه ، ماتقدم من التقدير دلالةٌ غير خفيةٍ على من هو من
الفريقين على الهدى، ومن هو في الضلال المبين ولكن التعريض أوصل بالمجال إلى
الغرض، ونحوه قولك : لكاذب إن أهدنا لكاذب^(١) ، وخولف بين حرفي الجر الداخلين
على الهدى والضلال^(٢) : لأن صاحب الهدى كأنه [مُشْتَعِلٌ]^(٣) على فرس جوادٍ يركضه
حيث شاء ، والضال كأنه مُنغمس في ظلال لا يدرى^(٤) أين يتوجه .

﴿ قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ هذا أدخل في الإنصاف
من الأول حيث أُسْنِدَ الإِجْرَامَ إِلَى الْمُخَاطَبِينَ وهو : مأمور به مشكور^(٥) ، والعمل إلى

(١) يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره ج ٣ ص ٨٥٥ : (هذا من باب اللف والنشر ، أي :
واحد من الفريقين مبطل ، والآخر محق لاسبيل إلى أن تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على
الضلال ت بل واحد منا مصيب ، ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد فدل على بطلان ما
انتم عليه من الشرك بالله تعالى ، ولهذا قال : ﴿ وَإِنَّا وَإِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ،
قال قتادة رحمه الله : قد قال ذلك أصحاب محمد ﷺ للمشركين والله ما نحن وإياكم على
أمر واحد إن أحد الفريقين لمهتد) .

(٢) فُعِبَّرَ فِي جَانِبِ الضَّلَالِ : بفي .

(٣) فِي (أ) : متعل .

(٤) فِي المَطْبُوعِ : (لا يرى) .

(٥) فِي (ب) والمَطْبُوعِ : مزجور عنه محظور .

المُخَاطَبِينَ وَهُوَ : مزجور عنه محذور^(١) .

﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ﴾ يوم القيامة^(٢) .

﴿ ثُمَّ يَفْتَحُ ﴾ يحكم . ﴿ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ ﴾ بلا جور وَمَيْلٍ^(٣) ، ﴿ وَهُوَ الْفَتَّاحُ ﴾

الحاكم . ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بالحكم .

﴿ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ ﴾ أي : ألحقتموهم^(٤) . ﴿ بِهِ ﴾ بالله .

﴿ شُرَكَاءَ ﴾ في العبادة معه ، ومعنى قوله : ﴿ أَرُونِي ﴾ وكان يراهم أن يُرِيَهُمْ

الخطأ العظيم في إلحاق الشركاء بالله ، وأن يُطْلَعَهُمْ على الإشراف به .

﴿ كَلَّا ﴾ ردع وتنبية ، أي : إرتدعوا عن هذا القول وتبهاوا عن ضلالكم .

﴿ بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ ﴾ الغالب فلا يشاركه أحد وهو ضمير الشأن .

﴿ الْحَكِيمُ ﴾ في تديره . ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ ﴾ إلا إرسالاً عامةً لهم

محيطاً بهم ، لأنها إذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم ، قال الزجاج :

معنى الكافة في اللغة الإحاطة ، والمعنى : أرسلناك جامعاً للناس في الإنذار والإبلاغ^(٥) ،

فجعله حالاً من الكاف والتاء على هذا للمبالغة كتاء الرواية والعلامة^(٦) .

﴿ بَشِيرًا ﴾ بالفضل لمن أقر .

(١) في (ب) والمطبوع : مأمور به مشكور ، وهو خلاف منطوق الآية ، يقول أبو حيان رحمه

الله في البحر المحيط جـ ٧ ص ٥٤٨ : ﴿ قُلْ لَاتَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرْنَا ﴾ هذا أدخل في

الإنصاف وأبلغ من الأول ، وأكثر تلفظاً وإستدراجاً ، حيث سمي فعله جرماً كما يزعمون ،

مع أنه مثاب مشكور ، وسمي فعلهم عملاً مع أنه مزجور عنه محذور .

(٢) ساقط من (ب) و (ج) .

(٣) في المطبوع (ولا ميل) .

(٤) يقول ابن عطية في المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ١٣٨ : (يحتمل أن تكون رؤية قلب ، فيكون

قوله شركاء مفعولاً ثالثاً ، وهذا هو الصحيح ، أي : أروني بالحجة والدليل كيف وجه

الشركة ، وقالت فرقة : هي رؤية بصر ، وشركاء حال من الضمير المفعول بالحقتم العائد

على الذين ثم قال : وهذا ضعيف لأن إستدعاء رؤية العين في هذا لاغناء له) .

(٥) معاني القرآن / للزجاج جـ ٤ ص ٢٥٤ .

(٦) إعراب القرآن / للنحاس جـ ٢ ص ٦٨٣ ، التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٦٩ ، الفريد في

إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٧٢ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٤٦ ، وذكر السمين الحلبي في

إعرابها أربعة أوجه ، وجعله إسم فاعل على هذه الوجه .

﴿ وَنَذِيرًا ﴾ بِالْعَدْلِ لِمَنْ أَصْر .

﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فَيَحْمِلُهُمْ جَهْلُهُمْ عَلَىٰ مَخَالَفَتِكَ .

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ ﴾ أَي : الْقِيَامَةُ الْمَشَارُ إِلَيْهَا فِي قَوْلِهِ : ﴿ قُلْ يَجْمَعُ

بَيْنَنَا رَبُّنَا ﴾ (١) .

﴿ إِنَّ كُنتُمْ صَادِقِينَ ، قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ ﴾ الْمِيعَادُ ظَرْفُ الْوَعْدِ مِنْ مَكَانِ

أَوْزَمَانٍ ، وَهُوَ هُنَا الزَّمَانُ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ مِنْ قَرَأَ مِيعَادًا يَوْمٌ (٢) فَأَبْدَلَ مِنْهُ الْيَوْمَ ، وَأَمَّا الْإِضَافَةُ فِإِضَافَةٌ تَبْيِينٌ (٣) كَمَا تَقُولُ : بَعِيرٌ سَانِيَةٌ (٤) .

﴿ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴾ أَي : لَا يُمْكِنُكُمْ التَّأَخُّرُ عَنْهُ بِالْإِسْتِمْهَالِ وَلَا

التَّسَامُحُ إِلَيْهِ بِالْإِسْتِعْجَالِ ، وَوَجْهُ إِنْطِبَاقِ هَذَا الْجَوَابِ عَلَىٰ سَوَالِهِمْ أَنَّهُمْ سَأَلُوا عَنْ ذَلِكَ وَهُمْ مُنْكَرُونَ لَهُ تَعْتَبًا لَا إِسْتِرْشَادًا ، فَجَاءَ الْجَوَابُ عَلَىٰ طَرِيقِ التَّهْدِيدِ / مُطَابِقًا لِلسَّوَالِ عَلَىٰ الْإِنْكَارِ وَالتَّعْتَبِ ، وَأَنَّهُمْ مُرْصَدُونَ لِيَوْمٍ يَفَاجِئُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَأْخُرًا عَنْهُ وَلَا تَقَدَّمَ عَلَيْهِ .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (٥) أَبُو جَهْلٍ وَذَووهُ .

﴿ لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ أَي : مَا نَزَلَ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ كُتُبِ

اللَّهِ ، أَوِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ (٦) ، يَعْنِي (٧) أَنَّهُمْ جَحَدُوا أَنَّ الْكُتُبَ الْقُرْآنَ مِنَ اللَّهِ ، وَأَنَّ

(١) آية ٢٦ من هذه السورة .

(٢) البحر المحيط ج ٨ ص ٥٥٠ .

(٣) انظر : إعراب القرآن / للنحاس ج ٢ ص ١٧٣ ، التبيان في إعراب القرآن ج ٢ ص ١٠٦٨ ،

الفريد في إعراب القرآن المجيد ج ٤ ص ٧٢ ، الدر المصون ج ٥ ص ٤٤٧ ، وص ٤٤٨ .

(٤) سانية : الناضحة ، وهي الناقة التي يستقى عليها . لسان العرب ج ٤ ص ٤٠٤ ، القاموس

المحيط ص ٦٨٢ ، مادة : سنا .

(٥) في المطبوع (أي) . وأبو جهل : هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي ، فرعون هذه الأمة ،

قُتِلَ فِي مَعْرَكَةِ بَدْرٍ فَأَرَاكَ اللَّهُ مِنْهُ الْمُسْلِمِينَ آنذاك . انظر : السيرة النبوية ج ٢ ص ٣٤٩ .

(٦) في (ب) (أو من) ، ويقول ابن عطية رحمه الله في المحرر الوجيز ج ١٣ ص ١٤٠ : (وقالت

فرقة الذي بين يديه هي الساعة ، وهذا خطأ قائله لم يفهم أمر بين اليد في اللغة وأنه المتقدم

في الزمان) ، وبذلك قال ابن جزى الكلبي في التسهيل ج ٢ ص ١٥١ .

قلت : وهو الراجح فالذي بين يديه ﷺ هي الكتب المتقدمة .

(٧) في المطبوع (حتى) .

يكون لِمَادَلِّ عليه من الإعادة للجزاء حقيقة .

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ ﴾ محبسون .

﴿ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ ﴾ ﴿ يَرُدُّ ﴾ ﴿ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ ﴾ في الجدل ، أخبر عن عاقبة أمرهم ومآلهم في الآخرة ، فقال لرسول الله ﷺ ، او للمخاطب ، ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتجادبون أطراف المحاوراة ويتراجعونها بينهم لرأيت العجب ، فَحَذَفَ الجواب .

﴿ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا ﴾ أي : الأتباع .

﴿ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ﴾ أي : للرؤس والمقدمين .

﴿ لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾ لولا دعاءكم إيانا إلى الكفر لكننا مؤمنين بالله ورسوله .

﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ ﴾ أولي

الإسم ، أي : نحن حرف الإنكار ، لأن المراد إنكار أن يكونوا^(١) هم الصادقين لهم عن الإيمان ، وإثبات أنهم هم الذين صدوا بأنفسهم عنه ، وأنهم أتوا من قبل إختيارهم .

﴿ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ ﴾ إنما وقعت إذ مضافاً إليها وإن كانت إذ وإذا من الظروف

اللازمه للظرفيه^(٢) ، لأنه قد إتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره فأضيف إليها الزمان .

﴿ بَلْ كُنْتُمْ مُّجْرِمِينَ ﴾ كافرين لاختياركم وإيثاركم الضلال على الهدى لاقولنا

وتسويلنا .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ﴾ لم يأت بالعاطف في : ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ﴾

﴿ وَأَتَىٰ بِهِ فِي : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا ﴾ لأن الذين إستضعفوا مرراً أولاً

كلامهم فجئ بالجواب محذوف العاطف على طريقه الإستئناف ، ثم جيء بكلام آخر

للمستضعفين فعطف على كلامهم الأول^(٣) .

(١) في: (ب) يكوا ، وفي المطبوع يكون .

(٢) انظر : إعراب القرآن : للنحاس ج٢ ص ٦٧٣ .

(٣) الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ٧٤ .

﴿ بَلْ مَكْرُ النَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ بل مكركم بنا^(١) في الليل والنهار ، فأتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به ، وإضافة المكر إليه ، أو جُعِلَ ليلهم ونهارهم ماكرين على الإسناد المجازي^(٢) ، أي : الليل والنهار مكرراً بطول السلامة فيهما حتى ظننا أنكم على حق .

﴿ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا ﴾ أشباهاً ، والمعنى : أن المستكبرين لما أنكروا بقولهم أنحن صددناكم ان يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين ، وأثبتوا بقولهم : بل كنتم مجرمين أن ذلك بكسبهم وإختيارهم كره عليهم المستضعفون بقولهم :

﴿ بَلْ مَكْرُ النَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ فأبطلوا إضرابهم بإضرابهم كأنهم قالوا : ما كان الإجراء من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائماً ليلاً ونهاراً ، وحملكم إيانا على الشر وإتخاذ الأنداد .

﴿ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ ﴾ أضمرنا أو أظهرنا ، وهو من الأضداد وهم الظالمون ، في قوله : ﴿ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ ﴾^(٣) / يندم المتكبرون^(٤) على ضلالهم ، وإضلالهم ، والمستضعفون على ضلالهم وإتباعهم المضلين .

﴿ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ ﴾ أي^(٥) : الجحيم .
﴿ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي : في أعناقهم ، فجاء بالصريح للدلالة على ما أستحقوا به الأغلال .

﴿ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ في الدنيا .
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ ﴾ نبي .

(١) في: (ب) والمطبوع: (بالليل) .

(٢) الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ٧٣ ، الدر المصون ج٥ ص ٤٤٨ .

(٣) جزء من آية رقم ٣١ من نفس السورة .

(٤) في: (ب) و (ج) والمطبوع: المستكبرون .

(٥) ساقط من: المطبوع .

﴿إِلَّا قَالَ مُتَرَفُّوهَا ﴿ مُتَنَعَّمُوهَا ورؤساؤها .

﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿ هذه تسلية للنبي عليه السلام مما مُنِيَ به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به، وأنه لم يرسل قط إلى أهل قرية من نذير إلا قالوا له مثل ما قالوا لرسول الله ﷺ أهل مكة ، وأفتخروا بكثرة الأموال والأولاد كما قال : ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿ أرادوا أنهم أكرم على الله من أن يُعذبهم نظراً إلى أحوالهم في الدنيا فظنوا أنهم لو لم يُكْرَمُوا على الله لما رزقهم (١) ، ولولا أن المؤمنين هانوا عليه لما حَرَمَهُمْ فأبطل الله ظنهم بأن الرزق فَضْلٌ من الله يُقْسِمُهُ كما يشاء ، وربما وسَّع على العاصي ، وضيق على المطيع ، وربما عكس ، وربما وسَّع عليهما أو ضيق عليهما ، فلا ينفاس عليهما أمرُ الثواب (٢) ، بقوله : ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴿ قَدْرُ الرزق : تضييقه، قال تعالى : ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ ﴿ (٣) .

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ ذلك .

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى ﴿ أي : وما جماعة أموالكم ولا جماعة أولادكم بالتي تُقَرِّبُكُمْ ، وذلك أن المكسَّر عقلاؤه وغير عقلاؤه سواء في حكم التأنيث (٤) ، والزُلْفَى والزُلْفَةُ : كالقربى والقُرْبَةُ ، ومحلها النصب على المصدر (٥) ، أي : تقربكم قُرْبَةً كقوله : ﴿أُنْبِتُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿ (٦) .

(١) في المطبوع: (لما رزقهم الله) .

(٢) في المطبوع: (وذلك قوله) .

(٣) سورة الطلاق آية (٧) .

(٤) الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ٧٤ ، والمراد بالمكسر : جمع التكسير في أموالكم وأولادكم .

(٥) إعراب القرآن / للنحاس ج٢ ص ٦٧٦ ، التبيان في إعراب القرآن ج٢ ص ١٠٧٠ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ٧٤ ، الدر المصون ج٥ ص ٤٤٩ .

(٦) سورة نوح آية ١٧ .

﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ الإستثناء من كم في تقربكم ، يعنى : أن الأموال لا تقرب أحداً إلا المؤمن الصالح الذى ينفقها فى سبيل الله ، ولا الأولاد لا تقرب أحداً إلا من علّمهم الخير ووقفهم فى الدين ورشحهم للصالح والطاعة^(١) ، وعن ابن عيسى^(٢) : إلا بمعنى لكن ومن شرط جوابه .

﴿فَأَوْلِيكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ﴾ وهو من إضافة المصدر إلى المفعول^(٣) ، أصله فأولئك لهم أن يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف: أي تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرًا ، قرأ يعقوب: (جزاء الضّعف)^(٤) على فأولئك لهم الضعف جزاءً .

﴿بِمَا عَمِلُوا﴾ بأعمالهم .

﴿وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ﴾ أي : عُرفُ منازل الجنة ، (في^(٥) العُرْفَة) حمزة^(٦) .

﴿ءَامِنُونَ﴾ من كل هائل وشاغل .

﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا﴾ فى إبطالها .

(١) الفريد فى إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ٧٥ ، وقال الهمداني : (ال نصب علماً لإستثناء وفيه وجهان ، أحدهما : منقطع ، أي : لكن من آمن ، والثاني : متصل مستثنى من الضمير المنصوب فى ﴿تقربكم﴾ ..) ، الدر المصون ج٥ ص ٤٤٩ و ص ٤٥٠ .

(٢) فى المطبوع ابن عباس وهو تصحيف .

وابن عيسى : شيخ القراء بالإسكندرية ، الإمام أبو القاسم عيسى بن المحدث عبدالعزيز بن عيسى بن عبدالواحد الشربيني .. مات سنة تسع وعشرين وست مئة ، سير أعلام النبلاء ج٢٢ ص ٣١٥ ، شذرات الذهب ج٥ ص ١٣٣ .

(٣) انظر : الفريد فى إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ٧٥ ، الدر المصون ج٥ ص ٤٥٠ .

(٤) التلخيص ص ٣٨٤ ، الموضح ج٣ ص ١٠٥٥ ، و ص ١٠٥٦ ، والنشر ج٢ ص ٣٥١ ،

الإتحاف ج٢ ص ٣٨٧ .

(٥) ساقط من : المطبوع .

(٦) الحجة فى القراءات السبع ص ٢٩٥ ، التلخيص ص ٣٧٤ ، الموضح ج٣ ص ١٠٥٦ ، النشر

ج٢ ص ٣٥١ ، الإتحاف ج٢ ص ٣٨٦ .

﴿مُعَاجِزِينَ أَوْلِيكَ فِي الْعَذَابِ مُحَضَّرُونَ ، قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ ﴿١﴾ يوسع .
﴿لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ ﴿٢﴾ ما شرطية في موضع النصب (١) .
﴿مِنْ شَيْءٍ ﴿٣﴾ بيانه . ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴿٤﴾ / يعوضه لامعوض سواه ، إما عاجلاً
بالمال ، أو آجلاً بالثواب ، جواب الشركاء (٢) :

﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥﴾ المعطين (٣) ، لأن كل ما رزق من غيره من سلطان أو سيد
أو غيرهما فهو من رزق الله أجراه على أيدي هؤلاء ، وهو خالق الرزق وخالق الأسباب
التي ينتفع بها المرزوق بالرزق ، وعن بعضهم : الحمد لله الذي أوجدني وجعلني ممن
يشتهي فكم من مشته لا يجد ، وواجد لا يشتهي (٤) .

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٦﴾ بالياء
فيهما (٥) حفص ويعقوب (٦) ، هذا خطاب للملائكة وتقريع للكفار ، وأراد على المثل
السائر : إِيَّاكَ أَعْنِي وَأَسْمَعِي يَا جَارَهُ (٧) ، ونحو قوله : ﴿عَأْنَتَ قُلْتِ لِلنَّاسِ

(١) التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٧٠ ، وقال العكبري : (شرطية في موضع نصب ،
والفاء جواب الشرط ، ومن شيء تبيين) ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٧٦ ،
الدر المصون جـ ٥ ص ٤٥٠ و ص ٤٥١ .

(٢) التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٧٠ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٧٦ ،
الدر المصون جـ ٥ ص ٤٥١ .

(٣) في (ب) و(ج) المطيعين وفي : المطبوع : المطعمين .

(٤) الكشاف جـ ٣ ص ٦٨٧ .

(٥) أي : في : (يحشرهم) ، و (يقول) .

(٦) الموضح جـ ٣ ص ١٠٥٧ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٣٨٨ .

(٧) الأبيات :

يَا أُخْتِ خَيْرِ الْبَدْوِ وَالْحَضَارَةِ كَيْفَ تَرَيْنَ فِي فَتَى فَرَارَةِ
أَصْبَحَ يَهْوَى حُرَّةً مِعْطَارَةَ إِيَّاكَ أَعْنِي وَأَسْمَعِي يَا جَارَةَ

يقول الميداني في مجمع الأمثال جـ ١ ص ٨٠ : (أول من قال ذلك سهل بن مالك
الفزاري ..) . والقصة ذكرها وهي طويلة .

آتخذوني.. ﴿^(١)﴾ .

﴿ قَالُوا ﴾ أي : الملائكة . ﴿ سُبْحَانَكَ ﴾ تنزيها لك أن نعبد^(٢) معك غيرك .
﴿ أَنْتَ وَلِيْنَا ﴾ الموالاة خلاف المعاداة ، وهى مفاعلة من الولي وهو القرب ،
والولي : يقع على الموالي والموالى جميعاً ، والمعنى : أنت الذى نواليه .
﴿ مِنْ دُونِهِمْ ﴾ إذ لاموالاة بيننا وبينهم ، فبينوا بإثبات موالاة الله معاداة الكفار
براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم لأن من كان على هذه الصفة كانت حاله منافيةً لذلك .
﴿ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ﴾ أي : الشياطين حيث أطاعوهم فى عبادة غير الله ،
وكانوا يدخلون فى أجواف الأصنام إذا عُبدت فيعبدون بعبادتها ، أو صورت لهم
الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فأعبدوها .

﴿ أَكْثَرُهُمْ ﴾ أكثر الإنس ، أو الكفار .

﴿ بِهِمْ ﴾ بالجن . ﴿ مُؤْمِنُونَ ، قَالِيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾
لأن الأمر فى ذلك اليوم لله وحده ، لا يملك فيه أحدٌ منفعةً ولا مضرةً لأحدٍ ، لأن الدار
دارُ ثوابٍ وعقاب ، والمثيب والمعاقب هو الله ، فكانت حالها خلاف حال الدنيا التى
هى دار التكليف ، والناس فيها مُخْلِى بينهم يتضارون ويتنافعون ، والمراد : أنه لا ضار
ولانافع يومئذٍ إلا هو ، ثم ذكر عاقبة الظالمين بقوله :

﴿ وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ بوضع العبادة^(٣) غير موضعها، معطوف على لا يملك .

﴿ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ فى الدنيا .

﴿ وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا ﴾ أي : إذا قرئ عليهم القرآن .

﴿ يَنبَاتٍ ﴾ واضحات . ﴿ قَالُوا ﴾ أي : المشركون .

﴿ مَا هَذَا ﴾ أي : محمد . ﴿ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُ آبَاءَكُمْ ﴾

﴿ وَقَالُوا مَا هَذَا ﴾ أي : القرآن .

(١) سورة المائدة آية ١١٦ .

(٢) فى المطبوع (يعبد) .

(٣) فى المطبوع : (فى غير) .

﴿إِلَّا إِنْكَارَ عَظِيمٍ﴾ ، و غضبٍ شديد .
 ﴿إِلَّا إِنْكَارَ عَظِيمٍ﴾ ، و غضبٍ شديد .

﴿لَلْحَقِّ﴾ للقرآن ، أو لأمر النبوة كله .

﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ وعجزوا عن الإتيان بمثله .

﴿إِنْ هَذَا﴾ أي : الحق . ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ^(١) بُتُوهُ على أنه سِحْرٌ ، ثم بُتُوهُ على أنه بينٌ ظاهر كل عاقل تأمله سماه سحراً .

﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ / أي : ما أعطينا مشركي مكة كتباً يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك .

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ ولا أرسلنا إليهم نذيراً ينذرهم بالعقاب إن لم يشركوا ، ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله : ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي : وكذب الذين تقدموهم من الأمم [الماضية] ^(٢) والقرون الخالية الرسل كما كذبوا .

﴿وَمَا بَلَّغُوا مِئْتِينَ مِئَةً﴾ أي : وما بلغ أهل مكة عشر ما أوتى الأولون من طول الأعمار ، وقوة الأجرام ، وكثرة الأموال ^(٣) .

﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِي﴾ فكيف كان نكيرٍ ﴿لِلْمُكَذِّبِينَ الْأُولِينَ﴾ فليحذروا من مثله ، وبالبياء ^(٤) في الوصل والوقف يعقوب ^(٥) أي : فيمن كذبوا رُسُلَهُمْ جاءهم إنكاري بالتدبير والإستئصال ، ولم يغن عنهم إستظهارهم بما هم مستظهرون ، فما بال هؤلاء ، وإنما قال : ﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِي﴾ وهو مستغنى عنه بقوله : ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ لأنه : لما كان معنى قوله : ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ وفعل ذلك الذين من قبلهم التكذيب ، وأقدموا عليه جعل تكذيب الرُّسُلِ مسبباً عنه ، وهو قول القائل : أقدم فلانٌ على

(١) بُتُوهُ : من بتأ وبتة وبتاتاً ، وكل ذلك من القطع . لسان العرب ج ٢ ص ٨ مادة : بتت .

(٢) ساقط من : (أ) .

(٣) في المطبوع : والأولاد .

(٤) أي : نكيري .

(٥) التلخيص ص ٣٧٥ ، النشر ج ٢ ص ٣٥١ ، الإتحاف ج ٢ ص ٣٨٩ .

الكفر فكفر بمحمد ﷺ (١) .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ ﴾ بخصلةٍ واحدةٍ وقد فسرها بقوله : ﴿ أَنْ تَقُومُوا ﴾ على أنه عطف بيانٍ لها ، وقيل هو بدلٌ ، وعلى هذين الوجهين هو في محل الجر ، وقيل هو في محل الرفع على تقدير هي أن تقوموا ، والنصب على تقدير أعني (٢) . فأراد بقيامهم القيام عن مجلس رسول الله ﷺ وتفرقهم عن مجتمعهم عنده ، أو قيام القصد إلى الشيء دون الإنتصاب (٣) ، والمعنى : إنما أعظكم بواحدة إن فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم ، وهي أن تقوموا :

﴿ لِلَّهِ ﴾ أي : لوجه الله خالصاً لا لحمية (٤) وعصبة بل لطلب الحق .

﴿ مَثْنَى ﴾ إثنين إثنين . ﴿ وَفَرَادَى ﴾ فرداً فرداً .

﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ﴾ في أمر محمد ﷺ وما جاء به ، أما الإثنان فيتفكران ويُعرض كل واحد منهما مَحْصُولَ فِكْرِهِ على صاحبه وينظران فيه نظر الصدق والإنصاف حتى [يؤديهما] (٥) النظر الصحيح إلى الحق ، وكذلك الفرد يُفكر (٦) في نفسه بعَدْلٍ وَنَصْفَةٍ ، ويُعرض فكره على عقله ، ومعنى تفرقهم مثنى وفرادى : أن الإجتماع مما يشوش

(١) البحر المحيط ج٨ ث ٥٦٠ .

(٢) التبيان في إعراب القرآن ج٢ ص ١٠٧٠ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ٧٧ ، الدر المصون ج٥ ص ٤٥٢ .

(٣) يقول السمعاني في تفسيره ج٤ ص ٣٤٠ : (وقوله : ﴿ تقوموا لله ﴾ قال أهل التفسير : ليس المراد فيه القيام الذي هو ضد الجلوس ، وإنما هو مثل قوله تعالى : ﴿ وان تقوموا لليتامى بالقسط ﴾) سورة النساء آية ١٢٧ ، وقال أبو حيان في بحره ج٨ ص ٥٦١ : (والظاهر ان القيام هنا هو الإنتصاب في الأمر ، والنهوض فيه بالهمة ، لا القيام يُراد به المقول على القولين ، ويُعد أن يراد به ماجوزه الزمخشري : من القيام عن مجلس رسول الله ﷺ ، وتفرقهم عن مجتمعهم عنده) . قلت : والنسفي ذكر قول الزمخشري كما هو .

(٤) في المطبوع : (ولاعصية) .

(٥) في (أ) : يؤديها .

(٦) في (ج) والمبتوع (يتفكر) .

الخواطر ، ويُعمي البصائر ، ويمنع من الرؤية ، ويُقِلُّ فيه^(١) الإنصاف ويكثر الإعتساف ، ويثور عجاج التعصب^(٢) ، ولا يُسمع إلا نصرة المذهب ، [وتتفكروا]^(٣) معطوف على تقوموا^(٤) .

﴿ مَا بِصَاحِبِكُمْ ﴾ يعني محمداً ﷺ .

﴿ مِّنْ جَنَّةٍ ﴾ جنون ، والمعنى : ثم [تتفكروا]^(٥) فتعلموا ما بصاحبكم من جنّة .

﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ قدام عذاب شديد ، وهو عذاب الآخرة ، وهو كقوله عليه السلام : « بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ »^(٦) ، ثم بين أنه لا يُطلب أمراً على الإنذار بقوله : ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ ﴾ على إنذاري ، وتبليغي الرسالة .

﴿ فَهُوَ لَكُمْ ﴾ جزاء الشرط تقديره : أي شيء سألتكم من أجر كقوله : ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ ﴾^(٧) ، ومعناه نفى مسألة الأجر رأساً ، / نحو : مالي في هذا فهو لك ، أي : ليس لي فيه شيء^(٨) .

(١) ساقط من المطبوع وهي بعد كلمة الإنصاف .

(٢) العجاجُ : الغبارُ والدُّخان . القاموس المحيط ص ٢٥٣ ، مادة : عجاج .

(٣) في (أ) : ويتفكروا .

(٤) إعراب القرآن / للنحاس ج ٢ ص ٦٧٩ ، التبيان في إعراب القرآن ج ٢ ص ١٠٧٠ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد ج ٤ ص ٧٧ ، الدر المصون ج ٥ ص ٤٥٣ .

(٥) في (أ) : يتفكروا .

(٦) ولفظه : « بعثت بين يدي الساعة بالسيف ، حتى تعبدوا الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقي تحت رمحي ، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم » رواه ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ .

أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ٢ ص ٥٠ و ص ٩٠ .

وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ج ١ ص ٥٤٥ و ص ٥٤٦ .

(٧) سورة فاطر آية ٢ .

(٨) الفريد في إعراب القرآن المجيد ج ٤ ص ٧٨ ، الدر المصون ج ٥ ص ٤٥٣ .

﴿ إِنَّ أَجْرِي ﴾ مدني وشامي ، وأبو بكر ، وحفص ، وبسكون الياء غيرهم^(١) .
 ﴿ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ فيعلم إنني لا أطلب الأجر على نصيحتكم ، ودعائكم إليه إلا منه .

﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ ﴾ بالوحي ، والقذف: توجيه السهم ونحوه بدفع وإعتماد ،
 ويُستعار لمعنى الألقاء ومنه : ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾^(٢) . ﴿ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ ﴾^(٣) ، ومعنى يقذف بالحق : يُلقِيهِ وَيُنْزِلُهُ إِلَى أَنْبِيَائِهِ ، أو يرمي به الباطل فيدمغه ويذهقه .
 ﴿ عَلَامُ الْغُيُوبِ ﴾ مرفوع على البدل من الضمير في يقذف ، أو على أنه خبر مبتدأ محذوف^(٤) .

﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ ﴾ الإسلام^(٥) ، أو القرآن .

﴿ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ أي : زال الباطل وهلك ، لأن الإبداء والإعادة من صفات الحى فعدمها عبارة عن الهلاك ، والمعنى : جاء الحق وزهق الباطل كقوله :
 ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾^(٦) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه دخل النبي ﷺ مكة وحول الكعبة أصنام فجعل يطعنها بعود نَبْعَةٍ^(٧) ويقول : « جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ »^(٨) .

(١) التلخيص ص ٣٧٥ ، الموضح ج ٣ ص ١٠٥٩ ، النشر ج ٢ ص ٣٥١ ، الإتحاف ج ٢ ص ٣٨٨ .

(٢) سورة الأحزاب آية ٢٦ ، وسورة الحشر آية ٢ .

(٣) سورة طه آية ٣٩ .

(٤) التبيان في إعراب القرآن ج ٢ ص ١٠٧٠ ، الفريد في إعراب القرآن المعيد ج ٤ ص ٧٨ ، الدر المصون ج ٥ ص ٤٥٣ .

(٥) ساقط من المطبوع (أو) .

(٦) سورة الإسراء آية ٨١ .

(٧) النَّبْعَةُ : واحدة النَّبْعِ : وهو شجر اصفر العود رزينة ثقله في اليد وإذا تقادم أَحْمَرُ ، ومن أغصانه تتخذ السهام . لسان العرب ج ٨ ص ٣٤٦ ، مادة : نبع . وفي المطبوع (معه) .

(٨) حديث متفق عليه : أخرجه البخاري في صحيحه ج ٣ ص ١٢٩٦ كتاب المغازي باب : أين

وقيل الباطل : الأصنام ، وقيل : إبليس لأنه صاحب الباطل ، أو لأنه هالك^(١) ، كما قيل له الشيطان : من شاط إذا هلك ، أي : لا يَخْلُقُ الشيطان ولا الصنم أحداً ولا يبعثه ، فالمنشئ والباعث هو الله ولما قالوا : قد ضللت بترك دين آبائك قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ ﴾ [عن الحق]^(٢) ﴿ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي ﴾ أي^(٣) : إن ضللت فمِنِّي وَعَلَيَّ^(٤) .

﴿ وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي ﴾ أي : فبتسديده بالوحي إليّ ، وكان قياس التقابل أن يقال : فإنما أهتدى لها كقوله : ﴿ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ ﴾

← ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح ؟ .

وأخرجه مسلم في صحيحه جـ ٣ ص ١١٢٥ و ١١٢٦ كتاب الجهاد والسير باب إزالة الأصنام من حول الكعبة وأخرجه أحمد في مسنده جـ ١ ص ٣٧٧ و ٣٧٨ .
(١) انظر هذه الأقوال : النكت والعيون جـ ٤ ص ٤٥٧ ، تفسير القرآن / للسمعاني جـ ٤ ص ٣٤١ ، معالم التنزيل جـ ٦ ص ٤٠٦ ، زاد المسير جـ ٦ ص ٤٦٦ ، ويقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره جـ ٣ ص ٨٦٥ : (وزعم قتادة والسدي أن المراد بالباطل هاهنا إبليس ، أي : لا يخلق أحداً ولا يعيده على ذلك وهذا وإن كان حقاً ولكن ليس المراد هاهنا والله أعلم) .

• (٢) ساقط من: (أ) .

• (٣) ساقط من المطبوع .

(٤) قال السمعاني في تفسيره جـ ٤ ص ٣٤١ : (قال المفسرون : لما بُعِثَ رسول الله ﷺ وجعل يعيب الأصنام ، قال له المشركون : إنك قد ضللت بترك دين آبائك ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، كما في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه المتفق عليه : « إنكم لاتدعون أصمَّ ولا غائباً ، إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم ») أخرجه البخاري في صحيحه جـ ٣ ص ١٢٧٩ ، كتاب المغازي باب غزوة خيبر ، وأخرجه مسلم في صحيحه جـ ٤ ص ١٦٥٠ و ١٦٥١ ، كتاب الذكر والدعاء باب استحباب خفض الصوت بالذكر . وقال البغوي رحمه الله في معالم التنزيل جـ ٦ ص ٤٠٦ (أي : إثم ضلالتني على نفسي) .

عَلَيْهَا ﴿١﴾ .

ولكن هما متقابلان معناً لأن النفس كل ما عليها وضارٌ لها فهو بها وبسببها لأنها الأُمَّارَةُ بالسوء ، ومالها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه، وهذا حكم عام لكل مكلف ، وإنما أمرَ رسوله أن يسنده إلى نفسه لأن الرسول إذا دخل تحته مع جلالته مَحَلِّهِ ، وسداد طريقته كان غيره أو لى به .

﴿ إِنَّهُ سَمِيعٌ ﴾ لِمَا أَقُولَهُ لَكُمْ .

﴿ قَرِيبٌ ﴾ مني ومنكم، يجازيني ويجازيكم .

﴿ وَلَوْ تَرَى ﴾ جوابه محذوف، أي : [لرأيت] (٢) أمر عظيمًا وحالاً هائلة (٣) .

﴿ إِذْ فَرَعُوا ﴾ عند البعث ، أو عند الموت ، أو يوم بدر (٤) .

﴿ فَلَا فُوتَ ﴾ فلا مهرب ، أو فلا يفوتون الله ولا يسبقونه .

﴿ وَأُخِذُوا ﴾ عطف على فزعوا ، أي : فزعوا وأُخِذُوا فلا فوت لهم ، أو على

لا فوت على معنى إذا فزعوا فلم يفوتوا وأُخِذُوا (٥) .

﴿ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ من الموقف إلى النار إذا بعثوا ، أو من ظهر الأرض إلى

(١) سورة الزمر آية ٤١ .

(٢) في (أ) : (لو رأيت) .

(٣) إعراب القرآن / للنحاس جـ ٢ ص ٦٨١ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٧٩ ، و ص ٨٠ .

(٤) انظر هذه الأقوال : النكت والعيون جـ ٤ ص ٤٥٨ ، قال الماوردي رحمه الله : (قال مجاهد رحمه الله فزعهم يوم القيامة، وقال السدي رحمه الله : فزعهم يوم بدر ، وقال الحسن رحمه الله : هو فزعهم في القبور من الصيحة) ، معالم التنزيل جـ ٦ ص ٤٠٦ ، المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ١٥٠ ورجح ابن عطية رحمه الله خروجهم من القبور ، زاد المسير جـ ٦ ص ٤٥٧ وقال بن الجوزي رحمه الله ومن معاني ذلك : (أنه حيث البعث من القبور وقاله الأكثرون) وبه وقال أبو حيان رحمه الله في البحر المحيط جـ ٨ ص ٥٦٤ ، وابن كثير في تفسيره ص ٨٦٥ ، قلت : فالمراد بالفزع: عند البعث هو الأقرب للصواب .

(٥) الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٧٩ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٥٤ .

بطنها إذا ماتوا ، أو من صحراء بدرٍ إلى القليب^(١) .

﴿ وَقَالُوا ﴾ حين عاينوا العذاب .

﴿ آمَنَّا بِهِ ﴾ بمحمد عليه السلام لمرور ذكره في قوله : ﴿ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ ﴾^(٢) أو بالله .

﴿ وَأَنْتَى لَهُمُ التَّنَافُسُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ التناوش : التناول ، أي : كيف يتناولون

التوبة وقد بُعدت عنهم ، يريد أن التوبة كانت تُقبل عنهم^(٣) في الدنيا وقد ذهبت الدنيا / [١٣٤] وبعدت عن^(٤) الآخرة ، وقيل : هذا تمثيل لطلبهم مالا يكون وهو أن ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت كما نفع المؤمنين إيمانهم في الدنيا ، مُثِّلت حالهم بحال من^(٥) يتناول الشيء من غلوة^(٦) كما يتناول الآخر من قيس^(٧) ذراع ، (التناوش) بالهمزة أبو عمرو

(١) انظر هذه الأقوال : النكت والعيون جـ ٤ ص ٤٥٩ ، وقال الواحدى رحمه الله في الوسيط

جـ ٣ ص ٤٩٩ : (يعنى القبور ، وحيث كانوا فهم من الله قريب لا يبعدون عنه ولا يفوتونه) ،

زاد المسير جـ ٦ ص ٤٦٩ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ٣١٤ ، وص ٣١٥ ، تفسير

القرآن العظيم / لابن كثير جـ ٣ ص ٨٦٥ ثم قال ابن كثير رحمه الله بعد ذكره للأقوال :

(..والصحيح أن المراد بذلك يوم القيامة ، وهو الطامة العظمى وإن كان ما ذكر متصلاً

بذلك) .

والقليب : البئر قبل أن تطوى فإذا طويت فهي الطوي ، وجمعه القُلبُ ، وقيل هي البئر العادية

القديمة التي لا يعلم لها رب ولا حافر ، تكون بالبراري : وقيل : هي البئر القديمة مطوية كانت

أو غير مطوية . لسان العرب جـ ١ ص ٦٨٩ ، مادة : قلب .

(٢) نفس السورة آية ٤٦ .

(٣) في : المطبوع (منهم) .

(٤) في : المطبوع (من) .

(٥) في : (ب) والمطبوع (يريد أن) .

(٦) غلوة : قدر رميه بسهم . لسان العرب جـ ١٥ ص ١٣٢ مادة : غلا .

(٧) قيس : القيس والقاس : القدر ، ويقال : هذه خشبة قيس أصبع ، أي : قدر أصبع . لسان

العرب جـ ٦ ص ١٨٧ مادة : قيس ، قلت والمراد به : القرب .

وكوفي غير حفص، هُمِزَت الواو^(١)، لأن كل واو مضمومة ضَمَّتْهَا لازمة إن شئت أبدلتها همزةً وإن شئت لم تبدل، نحو قولك أدور^(٢) وتقاوم^(٣)، وإن شئت قلت أدور وتقاوم^(٤)، وعن ثعلب^(٣) : التناؤش بالهمزة التناول من بعد، وبغير همز التناول من قرب^(٤).

﴿ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ من قبل العذاب، أو في الدنيا.

﴿ وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ معطوف على قد كفروا على حكاية الحال الماضية^(٥)،

يعنى وكانوا يتكلمون بالغيب، أي : بالشيء الغائب يقولون لابعث ولاحساب، ولاجنة ولانار.

﴿ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ عن الصدق، أو الحق والصواب، أو هو قولهم في رسول

الله ﷺ شاعرٌ ساحرٌ كذابٌ، وهذا تكلم بالغيب والأمر الخفي، لأنهم لم يشاهدوا منه سحراً ولا شعراً ولا كذباً، وقد أتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لأن أبعد شيء مما جاء به السحر والشعر وأبعد شيء من عادته^(٦) التي عرفت بينهم وجربت الكذب ﴿ وَيَقْدِفُونَ ﴾ محبوب^(٧)، عن أبي عمرو، على البناء للمفعول^(٨)، أي : يأتيهم به

(١) الحجة في القراءات السبع ص ٢٩٥، التلخيص ص ٣٧٥، الموضح ج ٣ ص ١٠٥٨، النشر ج ٢ ص ٣٥١، الإتحاف ج ٢ ص ٣٨٩.

(٢) أدور بسكون الواو وضم الواو والمراد : جمع دار.

(٣) ثعلب : هو العلامة المحدث إمام النحو أبو العباس أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني مولاهم البغدادي، ولد سنة مئتين : عُمُر وأصم، صدمته دابه فوقع في حفرة فمات، مات سنة إحدى وتسعين ومئتين.

انظر : سير أعلام النبلاء ج ١٤ ص ٥.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر : الدر المصون ج ٥ ص ٤٥٥.

(٦) في المطبوع (.. عاداته) .

(٧) في : (ج) محلوب .

(٨) أي : بضم الياء وفتح الذال، وهي قراءة شاذة، المحتسب ج ٢ ص ١٩٧، وقال السمين

شياطينهم ويلقنوهم إياه ، وإن شئت فقله^(١) بقوله : ﴿ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ ﴾ على أنه مثلهم في طلبهم تحصيل ما عطلوه من الإيمان في الدنيا بقولهم آمنا في الآخرة وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف شيئاً من مكان بعيد لامجال للظن في لحوقه حيث يريد أن يقع فيه لكونه غائباً عنه بعيداً ، ويجوز أن يكون الضمير في : ﴿ آمَنَّا بِهِ ﴾ للعذاب الشديد في قوله : ﴿ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ وكانوا يقولون : وما نحن بمعذيين إن كان الأمر ماتصفون من قيام الساعة ، والعقاب ، والثواب ، ونحن أكرم على الله من أن يعذبنا ، فائيسن أمر الآخرة على أمر الدنيا ، فهذا كان قذفهم بالغيب وهو غيب ومقذوف به من جهة بعيدة لأن دار الجزاء [لاتنقاس]^(٢) على دار التكليف .

﴿ وَحِيلٌ ﴾ وحجز .

﴿ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ من نفع الإيمان يؤمئذ ، والنجاة به من النار والفوز بالجنة ، أو من الرد إلى الدنيا كما حكى عنهم : ﴿ فَأَرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً ﴾^(٣) .
والأفعال التي هي : ﴿ فَرَعُوا ﴾ و ﴿ أُخِذُوا ﴾ و ﴿ وَحِيلٌ ﴾ كلها للمضي والمراد بها الإستقبال لتحقق وقوعه .

﴿ كَمَا فَعَلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ ﴾ بأشباههم من الكفرة .

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ ﴾ في^(٤) أمر الرسل والبعث .

﴿ مُرِيبٍ ﴾ موقع^(٥) للريبة^(٦) من أرابه أوقعه في الريبة ، وهذا^(٧) رد على من زعم

= الحلبي في الدر المصون ج ٥ ص ٤٥٥ : (وقرأ أبوحيوه ومجاهد ومحبوب عن أبي عمرو ﴿ وَيُقَذَّفُونَ ﴾ مبنياً للمفعول) .

(١) أي : فعلق قوله : ﴿ وَيُقَذَّفُونَ ﴾ بالغيب .

(٢) في (أ) : لاتنقاس .

(٣) سورة السجدة آية ١٢ .

(٤) في المطبوع (من) .

(٥) ساقط من (ب) و (ج) .

(٦) في المطبوع (في الريبة) .

(٧) في المطبوع (هذا) .

أن الله لا يعذب على الشك^(١) .

(١) الله سبحانه وتعالى : يعذب على من شك في أمر الدين ، فإن من أعظم خصائص ، العقيدة بالله اليقين ، يقول تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا في سبيل الله ﴾ - إلى قوله - ﴿ أولئك هم الصادقون ﴾ سورة الحجرات آية ١٥ ، يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره ج ٤ ص ٦٨ : ﴿ إنهم كانوا في شك مريب ﴾ ، أي : في الدنيا في شك وريبة لهذا لم يتقبل منهم الإيمان عند معاينة العذاب قال قتادة رحمه الله : إياكم والشك والريبة ، فإنه من مات على شك بُعث عليه ، ومن مات على يقين بُعث عليه) ، فهذه الآية رد على كل من زعم أو اعتقد أن الله لا يعذب على الشك وأن صاحبه كافر ، ويقول السمعاني رحمه الله في تفسيره ج ٤ ص ٣٤٣ : (وفي الآية دليل : على أن الشاك كافر بخلاف ما قاله بعض الناس ، وهو غلط عظيم في الدين ، وقد دلت هذه الآية على أن الشاك كافر وهو في النار) .

سورة الملائكة مكية^(١) وهي خمس وأربعون آية .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

/ ﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ﴾ حَمِدَ ذَاتَهُ تَعْلِيماً وَتَعْظِيماً^(٢) .

﴿ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ ﴾ مبتدئها ومبتدعها ، قال ابن عباس رضي الله عنهما ، ما كنت أدري معناه^(٣) حتى إختصم إليّ إعرابيان في بئر فقال أحدهما ، أنا فطرتها ، أي : إبتدأتها^(٤) .

﴿ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ﴾ إلى عباده .

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (أنزلت فاطر بمكة) ، عزاه السيوطي في الدر المنثور جـ ٧ ص ٣ إلى بن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل . وعن قتادة رضي الله عنه قال : (سورة الملائكة مكية) ، عزاه السيوطي في الدر جـ ٧ ص ٣ لعبدالرزاق وابن المنذر ، وحكى الإجماع بمكيتهما : ابن الجوزي في زاد المسير جـ ٦ ص ٤٧٢ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ٣١٨ ، وقال ابن الجوزي رحمه الله في زاد المسير جـ ٦ ص ٤٧٢ : (سورة فاطر تسمى سورة الملائكة) .

(٢) يقول ابن عطية في المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ١٥٣ : (الألف واللام في الحمد لإستغراق الجنس على أتم العموم لأن الحمد بالإطلاق على الأفعال الشريفة والكمال هو لله تعالى ، والشكر مستغرق فيه لأنه فصل من فصوله) .

(٣) في (ب) : (مامعنى فاطر السموات والأرض) وفي المطبوع (معنى فاطر) .

(٤) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن ص ٢٠٦ تحقيق وتعليق وهبي غاوجي ، مطبعة دار الكتب العلمية . الطبعة الاولى عام ١٤١١ هـ ، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان جـ ٢ ص ٢٥٨ .

وقال ابن حجر رحمه الله في الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ص ٦١ : (رواه أبو عبيد في غريب الحديث وفي فضائل القرآن بإسناد حسن) .

وقال السيوطي في الدر المنثور جـ ٧ ص ٣ : (وأخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما) .

﴿أُولَى﴾ ذوى إسم جمع لذو، وهو بدل من رُسُلًا ، أو نعت له^(١) .

﴿أَجْنِحَةٌ﴾ جمع جناح. ﴿مَشَى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ صفات لأجنحة، وإنالم يتصرف لتكرار العدل فيها، وذلك أنها عدلت عن ألفاظ الأعداد عن صيغ إلى صيغ، كما عدل عمر عن عامر، وعن تكرير إلى غير تكرير، وقيل للعدل والوصف والتعويل^(٢)، عليه^(٣)، والمعنى: أن الملائكة طائفة أجنحتهم إثنان إثنان، [أي]^(٤): لكل واحد منهم جناحان، وطائفة أجنحتهم ثلاثة ثلاثة، ولعل الثالث يكون فى وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بالقوة، وطائفة أجنحتهم أربعة أربعة^(٥).

﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ﴾ أي : يزيد فى خلق الأجنحة وغيره .

﴿مَا يَشَاءُ﴾ وقيل هو الوجه الحسن ، والصوت الحسن ، والشعر الحسن والخط الحسن ، والملاحة فى العينين ، والآية مطلقة تتناول كل زيادة فى الخلق من طول قامه، وإعتدال صورة [وتمام فى الأعضاء ، وقوة فى البطش ، وحصانة فى العقل]^(٦) وجزالة فى الرأي ، وذلاقة^(٧) فى اللسان ، ومحبة فى قلوب وما أشبه ذلك^(٨) .

(١) انظر : اعراب القرآن / للنحاس ج٢ ص ٦٨٣ ، التبيان فى إعراب القرآن ج٢ ص ١٠٧٢ ، الفريد فى إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ٨٢ .

(٢) فى : (ب) (والعويل) . وفى : (ج) (ولا تعويل) .

(٣) إعراب القرآن / للنحاس ج٢ ص ٦٨٣ ، الفريد فى إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ٨٢ .

(٤) فى (أ) : أن .

(٥) القصد التكرير فى الملائكة وإختلافهم فى عدد الأجنحة لا الحصر وإلا فبعضهم له ستمائة جناح : (وهو جبريل عليه السلام) يقول عبدالله بن مسعود رضى الله عنه عند قوله تعالى ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ أنه رأى النبى ﷺ جبريل وله ستمائة جناح .

أخرجه البخاري فى صحيحه ج٣ ص ١٥٤٤ ، كتاب التفسير باب ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ ومسلم فى صحيحه ج١ ص ١٥٨ كتاب الإيمان باب ذكر سدره المنتهى .

(٦) ما بين المعكوفتين ساقط من : (أ) و (ج) .

(٧) ذَلَّقَ اللسان فهو ذَلِيقٌ وَذَلَّقٌ ، أي : بليغ ، ولسان ذَلَّقٌ : طلق ، انظر : القاموس المحيط ص ١١٤٣ ، ذَلَّقَ .

(٨) انظر : بحر العلوم ج٣ ص ٨٠ ، النكت والعيون ج٤ ص ٤٦٢ ، تفسير السمعاني ج٤

ص ٣٤٤ ، معالم التنزيل ج٦ ص ٤١١ ، المحرر الوجيز ج١٣ ص ١٥٥ ، زاد المسير ج٦

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ قادر .

﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ ﴾ نَكَرٌ^(١) الرحمة للأشاعة والإبهام، كأنه قال :

من أية رحمة رزق ، أو مطر ، أو صحة أو غير ذلك .

﴿ فَلَا تُمْسِكْ لَهَا ﴾ فلا أحد يقدر على إمساكها وحبسها ، وَأَسْتَعِيرَ الْفَتْحَ

للإطلاق والإرسال ، ألا ترى إلى قوله :

﴿ وَمَا يُمْسِكُ ﴾ يمنع ويحبس .

﴿ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ ﴾ مُطْلَقٌ لَهُ . ﴿ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ من بعد إمساكه ، وَأَنْتَ الضمير

الراجع إلى الإسم المتضمن معنى الشرط على معنى الرحمة ، ثم ذكره حملاً على اللفظ المرجوع إليه إذ لا تأنيث فيه ، ولأن الأول قد فُسِّرَ بِالرَّحْمَةِ ، فَحَسُنَ إِتِّبَاعُ الضمير التفسير ولم يُفسر الثاني فَتْرِكَ عَلَى أصل التذكير^(٢) .

وعن معاذ^(٣) رضي الله عنه مرفوعاً : « [لاتزال]^(٤) يَدُ اللَّهِ مَبْسُوطَةٌ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ

﴿ ص ٤٧٣ ، الجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ٣٢٠ ، البحر المحيط ج ٩ ص ١٢ وقال أبو حيان رحمه الله : (... وهذه الأقوال على سبيل التمثيل لا الحصر ، والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق، وقد شرحوا هذه الزيادة بالأشياء المستحسنة، وما يشاء عام لا يخص مستحسناً دون غيره) .

(١) في : المطبوع (نكرت) .

(٢) انظر: الفريد في إعراب القرآن المجيد ج ٤ ص ٨٢ ، الدر المصون ج ٥ ص ٤٥٨ ، يقول السمين الحلبي : فأنت لضمير أولاً مراعاة لمعنى (ما) وهى : ﴿ الرحمة ﴾ وذكره ثانياً مراعاةً للفظها وهى قوله : ﴿ له ﴾ فحمل أولاً على لمعنى وفى الثاني على اللفظ، باختصار وتصرف .

(٣) معاذ بن جبل : بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدى الأنصاري الخزرجي، الإمام المقدم فى علم الحلال والحرام وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار ، وشهد بدرًا وأحداً والمشاهد كلها وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبدالله بن مسعود ، وكان عمره لما أسلم ثمانى عشرة سنة توفي فى طاعون عمواس سنة ثمانى عشرة وقيل سبع عشرة ، والأول أصح .

أسد الغابة ج ٥ ص ١٩٤ ، الإصابة ج ٣ ص ٤٢٧ .

(٤) في : (أ) لا يزال .

مالم يَرْفُقْ خيارُهُم [بشرارهم] ^(١) ، وَيُعْظِمُ برُّهُم فاجرهم ، وتُعِنُ قَرَأُوهُم أمراءهم على معصية الله تعالى ^(٢) ، فإذا فعلوا ذلك نزع الله يده عنهم ^(٣) .

﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ الغالب القادر على الإرسال والإمساك .

﴿ الْحَكِيمُ ﴾ الذي يرسل ويمسك ماتقتضى الحكمة إرساله وإمساكه .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا ﴾ باللسان والقلب .

﴿ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ وهى التى تقدمت من بسط الأرض كالمهاد، ورفع السماء

بلا عماد ، وإرسال الرسل لبيان السبل، دعوةً إليه وزلفةً لديه ، والزيادة فى الخلق ، وفتح أبواب الرزق ، ثم نبه على رأس النعم وهو اتحاد المنعم بقوله :

﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ ﴾ يرفع غير على الوصف لأن خالق مبتدأ خبره محذوف

أى : لكم ، وبالجر عليّ وحمزة على الوصف لفظاً ^(٤) .

﴿ يَرْزُقُكُمْ ﴾ يجوز أن يكون / مستأنفاً ، ويجوز ان يكون صفة لخالق ^(٥) .

﴿ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ بالمطر . ﴿ وَالْأَرْضِ ﴾ بأنواع النبات .

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ جملة مفصولة لامحل لها ^(٦) .

﴿ فَأَنْتَى تُؤْفَكُونَ ﴾ فمن ^(٧) أى وجهٍ تُصْرَفُونَ عن التوحيد إلى الشرك .

﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾ نعى به على قريش سوء تلقىهم

(١) فى : (أ) لشرارهم .

(٢) فى : (جـ) : على المعصية .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) الحجة فى القراءات السبع ص ٢٩٦ ، الموضح جـ ٣ ص ١٠٦١ ، النشر جـ ٢ ص ٣٥١ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٣٩٠ ، وص ٣٩١ .

(٥) التبيان فى إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٧٢ ، الفريد فى إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٨٣ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٥٩ .

(٦) يقول السمين الحلبي فى الدر المصون جـ ٥ ص ٤٥٩ : (قوله : « لا إله إلا هو مستأنف » ، وقال أبوحيان فى البحر المحيط جـ ٩ ص ١٤ : (جملة مستقلة لاموضع لها من الإعراب) .

(٧) فى المطبوع : (فبأى) .

لآيات الله ، وتكذيبهم بها ، وسَلَّى رسوله بأن له في الأنبياء قَبْلَهُ أُسْوَةٌ ، ولهذا نَكَّرَ رسلٌ ، أي : رسلٌ ذو عدد كثير^(١) وأولوا آياتٍ ونُذِرَ ، وأهل أعمار طِوالٍ ، وأصحاب صبر وعزم ، لأنه أسَلَّى له ، وتقديرا لكلام : وإن يكذبوك فَتَأْسٌ بتكذيب الرسل من قبلك ، لأن الجزاء يتعقب الشرط ، ولو أُجْرِيَ على الظاهر يكون سابقاً عليه ، فَوَضِعَ^(٢) فقد كذبت رُسُلٌ من قبلك موضع فَتَأْسٌ إِسْتِغْنَاءً بِالسَّبَبِ عن المُسَبَّبِ ، أي : بالتكذيب عن النَّاسِي .

﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ كلام يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الأمور إلى حُكْمِهِ ، ومجازاة المكذَّب والمكذَّب بما يستحقانه ، تَرْجَعُ بفتح التاء شاميٍّ وحمزةٍ وعليٍّ ويعقوبٍ وخلفٍ وسهل^(٣) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ ﴾ بالبعث والجزاء .

﴿ حَقٌّ ﴾ كائن . ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ فلا تخدعنكم الدنيا ، ولا يذهبنكم بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله .

﴿ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ أي : الشيطان فإنه يمنيكم الأمانى الكاذبة ، ويقول : إن الله غنى عن عبادتك وعن تعذيبك^(٤) .

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ ﴾ ظاهر العداوة ، فَعِلَ بأبيكم ما فعل وأنتم تعاملونه معاملة من لا علم له بحاله^(٥) .

﴿ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ فى عقائدكم وأفعالكم ، ولا يوجَدَنَّ منكم إلا ما يدل على معاداته فى سرِّكم وجهرِكم ، ثم لَخَّصَ سِرَّ أمره وخطأ من تبعه بأن : غَرَضَهُ الذى يؤممه فى دعوة شيعته هو أن يوردهم مورد الهلاك بقوله :

(١) فى المطبوع : (كبير) .

(٢) فى (ب) والمطبوع (ووضِع) .

(٣) الحجة فى القراءات السبع ص ٩٥ عند سورة البقرة آية ٢١٠ ، التلخيص ص ٢١٧ .

(٤) فى : المطبوع (تكذيبك) .

(٥) فى : المطبوع (بأحواله) .

﴿ إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [ثم كشف الغطاء فبنى الأمر كله على الإيمان وتركه فقال ^(١) :

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ أي : فمن أجابه حين دعاه فله عذاب شديد لأنه صار من حزبه ، أي : أتباعه .

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ولم يجيئوه ، ولم يصيروا من حزبه بل عادوه .

﴿ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ لكبر جهادهم ، ولما ذكر الفريقين قال لنبه ﷺ : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَأَاهُ حَسَنًا ﴾ يبين الشيطان كمن لم يزين له ، فكأن رسول الله ﷺ قال لا ، فقال :

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ﴾ وذكر الزجاج : أن المعنى أفمن زين له سوء عمله [فأضله ^(٢) الله] ذهبت نفسك عليه حسرةً ، فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليه ، أو أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله فحذف لدلالة ^(٣) : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ .

(فلا تذهب نفسك) يزيد ^(٤) أي : لاتهلكها ^(٥) ، حسرات مفعول له ، يعني ، فلا تُهلك نفسك للحسرات / ، وعليهم صلة تذهب كما تقول : هلك عليه حياً ومات عليه حُزناً ، ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لأن المصدر لا تقدم عليه صلته ^(٦) .

(١) ساقط : من (أ) .

(٢) هذه اللفظة ساقطة من (أ) و (ب) و (ج) (والمطبوع). وثبتها من معاني القرآن / للزجاج ج ٤ ص ٢٦٤ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه / للزجاج ج ٤ ص ٢٦٤ ولكن بتصرف من النسفي رحمه الله .

(٤) الإتحاف ج ٢ ص ٣٩٢ .

(٥) يقول الإمام البغوي رحمه في معالم التنزيل ج ٦ ص ٦١٣ ومعنى الآية : (لا تغتم بكفرهم وهلاكهم إن لم يؤمنوا) .

(٦) انظر : إعراب القرآن / للنحاس ج ٢ ص ٦٨٧ ، التبيان في إعراب القرآن ج ٢ ص ١٠٧٣ ،

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ وعيدلهم بالعقاب على سوء صنيعهم .

﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ ﴾ (الريح) مكي وحمزة وعلي^(١) .

﴿ فَتَثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ ﴾ بالتشديد مدنى وحمزه وعلي وحفص ،

وبالتخفيف غيرهم^(٢) .

﴿ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ﴾ بالمطر لتقدم ذكره ضمنا .

﴿ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ يُبْسِهَا ، وإنما قيل فتثيرٌ لتحكي الحال التي تقع فيها إثارة

الرياح السحاب ، وتستحضر تلك الصورة الدالة على القدرة الربانية ، وهكذا يفعلون

بفعل فيه نوع تمييز ، وخصوصية بحال تُسْتَعْرَبُ ، وكذلك سَوَّقُ السحاب إلى البلاد

الميت ، وإحياء الأرض بالمطر بعد موتها ، لما كان من الدليل على القدرة الباهرة ،

قيل : فسقنا وأحيينا معدولاً بهما عن لفظة الغيبة إلى ما هو أدخل في الإختصاص وأدلُّ

عليه .

﴿ كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ الكاف في محل الرفع^(٣) ، أي : مثل إحياء الأموات نشور

الأموات ، قيل : يُحْيِي الله الخلق بماءٍ يرسله من تحت العرش [كَمَنِيِّ الرِّجَالِ]^(٤) تَنْبُتُ

منه أجساد الخلق^(٥) .

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ أي : العزة كلها مختصة بالله ، عِزَّةُ

⇐ الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ٨٤ ، الدر المصون ج٥ ص ٤٦٠ .

(١) الموضح ج٣ ص ١٠٦٢ ، الإتحاف ج٢ ص ٣٩٢ .

(٢) الإتحاف ج٢ ص ٣٩٢ .

(٣) الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ٨٤ وقال الهمداني : ﴿ كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ مبتدأ

وخبر ، أي : منشور الأموات مثل إحياء الأموات (، الدر المصون ج٥ ص ٤٦٠ .

(٤) ساقط : من (أ) و (ب) .

(٥) بحر العلوم ج٣ ص ٨٢ ، ونسبه السمرقندي إلى عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، زاد

المسير ج٦ ص ٤٧٧ ، أنوار التنزيل ج٢ ص ٢٦٩ ، إرشاد العقل السليم ج٤ ص ٣٦٣ ،

روح المعاني ج٢٦ ص ١٧٢ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ج٧ ص ٨ ، وقال :

(أخرجه بن المنذر وابن أبي حاتم) .

الدنيا وعِزَّة الآخرة ، وكان الكافرون يتعززون بالأصنام كما قال : ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴾^(١) والذين ءامنوا بألسنتهم من غير مواطاة قلوبهم^(٢) ، كانوا يتعززون بالمشركين كما قال : ﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِئْتَهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾^(٣) ، فبين أن لا عزة إلا بالله ، والمعنى فليطلبها عندالله فوضع قوله : ﴿ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ موضعه إستغناء عنه لدلالته عليه ، لأن الشيء لا يطلب إلا عند صاحبه ومالكه ، ونظيره قولك : من أراد النصيحة فهي عند الأبرار^(٤) ، تريد : فليطلبها عندهم إلا أنك أقت ما يدل عليه مقامه ، وفي الحديث : « إن ربكم يقول كل يوم أنا العزيز فمن أراد عز الدارين فليطع العزيز »^(٥) .

ثم عرّف أن ما يطلب به العزة : هو الإيمان والعمل الصالح بقوله : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ ومعنى قوله إليه إلى محل القبول والرضا ، وكل ما أتصف بالقبول وصِف بالرفعة والصعود ، أو إلى حيث لا ينفذ إلا حُكمه ، والكلم الطيب : كلمات التوحيد ، أي : لا إله إلا الله^(٦) ، وكان القياس الطيبة ، ولكن كل جمع ليس بينه وبين واحده إلا التاء يُذكر ويؤنث .

(١) سورة مريم آية ٨١ .

(٢) المقصود بهم : المنافقون النفاق الإعتقادي المخرج من الملة ، والعياذ بالله .

(٣) سورة النساء آية ١٣٩ .

(٤) غرائب القرآن ج٥ ص ٥٠٩ .

(٥) لم أقف عليه في كتب الحديث وذكره الواحدى في الوسيط ج٣ ص ٥٠٢ ، وابن الجوزي في زاد المسير ج٦ ص ٤٧٧ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن بلفظ : « من أراد عز الدارين فليطع العزيز » ج١٤ ص ٣٢٩ ، والآلوسى في روح المعاني ج١١ ص ١٧٣ .

(٦) معاني القرآن / للزجاج ج٤ ص ٢٦٥ ، النكت والعيون ج٤ ص ٤٦٤ ونسب هذا القول : يحيى بن سلام ، تفسير القرآن / للسمعاني ج٤ ص ٣٤٨ ، وذكر رحمه الله في ذلك ثلاثة أقوال : وهى لا إله إلا الله والآخسر أنه القرآن والثالث أنه ذكر الله . معالم التنزيل ج٦ ص ٤١٥ ، البحر المحيط ج٩ ص ١٨ .

والعمل الصالح : العبادة الخالصة يعنى والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب ، فالرفع الكلم والمرفوع العمل ، لأنه لا يُقبل عملٌ إلا من موحدٍ ، وقيل الرافع الله والمرفوع العمل ، أي : العمل الصالح يرفعه الله ، وفيه إشارة إلى أن العمل يتوقف على الرفع ، والكلم الطيب يصعد بنفسه ، وقيل العمل الصالح يَرْفَعُ العامل وَيَشْرَفُه ، أي : من أراد / العزة فليعمل عملاً صالحاً ، فإنه هو الذى يرفع العبد^(١) .

﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ هى صفةٌ لمصدر محذوف ، أي : المكرات والسيئات لأن مَكَّرَ فعل غير متعدٍ لا يقال : مكر فلان [عمله]^(٢) ، والمراد مكر قريش

(١) انظر هذه الأقوال في كتب التفسير : معانى القرآن / للنحاس ج ٥ ص ٤٤٠ ، ورجح النحاس رحمه الله قول من قال : العمل الصالح يرفع الكلم الطيب ، وهو قول الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وأبو العالیه والضحاك عليهم رحمة الله أجمعين ، بحر العلوم ج ٣ ص ٢٨٢ ، النكت والعيون ج ٤ ص ٤٧٢ ، تفسير القرآن / للسمعاني ج ٤ ص ٣٤٨ ، البحر المحيط ج ١٣ ص ١٥٩ ورجح ابن عطية رحمه الله قول من قال : (الفعل مسند إلى الله تعالى ، أي : والعمل الصالح يرفعه هو ، وهذا أرجح الأقوال) . معالم التنزيل ج ٦ ص ٤١٧ ، زاد المسير ج ٦ ص ٤٧٨ وألخص الأقوال من ابن الجوزي رحمه الله ، حيث قال : (وهى ثلاثة أقوال : أحدها : العمل الصالح يرفع الكلم الطيب قاله ابن عباس والحسن ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد والضحاك ، الثاني : العمل الصالح يرفعه الكلم الطيب فهو عكس القول الأول وبه قال أبو صالح وشهر بن حوشب ، وفائدته : أنه لا يقبل عمل صالح ، إلا من موحد ، الثالث : العمل الصالح يرفعه الله إليه أي يقبله قاله قتادة رحمه الله) . الجامع لأحكام القرآن / ج ١٤ ص ٣٣٠ . وص ٣٣١ ، ورجح ابن كثير رحمه الله في تفسيره ج ٣ ص ٧٨٤ ، قول من قال : أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب ، قلت : وهو الصحيح إن شاء الله فلو لم يكن العمل صالحاً أي خالصاً صواباً لما رُفِعَ الكلم الطيب فلا يبد للقول من عمل ، والعلم عند الله .

(٢) في (أ) علمه .

به ﷺ حين إجتمعوا في دار الندوة^(١) . كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ .. ﴾^(٢) . الآية .

﴿ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ في الآخرة .

﴿ وَمَكْرُ أُولَئِكَ ﴾ مبتدأ . ﴿ هُوَ ﴾ فصلٌ .

﴿ يَبُورُ ﴾ خبر^(٣) ، أي ومكر أولئك الذين مكروا هو خاصة يبور ، أي : يفسد ويبتل دون مكر الله بهم حين أخرجهم من مكة وقتلهم ، وأثبتهم في قليب^(٤) بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعاً ، وحقق فيهم قوله : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾^(٥) ، وقوله : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾^(٦) .

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ﴾ أي : أباكم .

﴿ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ ﴾ أنشأكم .

﴿ مِنْ تُطْفَةِ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَرْوَاجًا ﴾ أصنافاً ، أو ذكراناً وإناثاً .

(١) دار الندوة : كانت دار الندوة لاصقة بالمسجد الحرام ، في الوجه الشامي من الكعبة ، وهي دار قصي بن كلاب ، وكانت قريش لتبركها بأمر قصي ، تجتمع فيها للمشورة في الجاهلية ، ولإبرام الأمور ، وبذلك سميت دار الندوة لإجتماع الندى فيها ، وكانت قريش تجتمع فيها للمشاركة على إيذاء رسول الله ﷺ . انظر : أخبار مكة لمحمد بن عبدالله الأزرق ج ٢ ص ١٠٩ وما بعدها ، تحقيق : رشدي ملحسن ، مطبعة دار الثقافة ، الطبعة الثانية عام ١٤١٦ هـ .

(٢) سورة الأنفال آية : ٣٠ .

(٣) إعراب القرآن / للنحاس ج ٢ ص ٦٩٠ ، التبيان في إعراب القرآن ج ٢ ص ١٠٧٣ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد ج ٤ ص ٨٥ ، الدر المصون ج ٥ ص ٤٦١ .

(٤) قليب : البئر أو العاديّة القديمة منها ، ويؤنث : أفلية وقُلبٌ ، وقُلبٌ . القاموس المحيط ص ١٦٣ مادة : قلب .

(٥) سورة الأنفال آية : ٣٠ .

(٦) سورة فاطر آية : ٤٣ .

﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴾ هو في موضع الحال^(١)، أي : إلا

معلومة له .

﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ ﴾ أي : وما يعمر من أحد ، وإنما سماه معمرًا بما هو صائر

إليه .

﴿ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ﴾ يعني : اللوح ، أو صحيفه الإنسان^(٢) ،

ولا ينقص زيد^(٣) ، فإن قلت الإنسان إما معمر أي : طويل العمر ، أو منقوص العمر أي :

قصيره ، فإما أن يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمُحَالٌ فكيف صح قوله : ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ

مُعَمَّرٍ ﴾ ولا ينقص من عمره ؟ قلت : هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة في تأويله بإفهام

السامعين ، وإتكالاً على تسديدهم معناه بعقولهم ، وأنه لا يلتبس عليهم إحالة الطول

والقصر في عُمرٍ واحد وعليه كلام الناس ، يقولون : لا يثيب عبداً ولا يعاقبه إلا بحق .

أو تأويل الآية : أنه يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب في أسفل

ذلك ذهب يوم يومان حتى يأتي على آخره فذلك نقصان عُمره^(٤) ، وعن قتادة :

المُعَمَّرُ من بلغ^(٥) ستين سنة ، والمنقوص من عُمره من يموت قبل ستين سنة^(٦) .

(١) الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ٨٥ ، الدر المصون ج٥ ص ٤٦٢ .

(٢) رجح ابن عطية رحمه الله في المحرر الوجيز ج١٦٢ ص ٦٢ بأن المراد من ذلك : (اللوح المحفوظ) ،

وابن الجوزي في زاد المسير ج٦ ص ٤٨١ ، والنخازن في لباب التأويل ج٣ ص ٤٥٤ .

(٣) أي : قرأ زيد : (ولا ينقص بفتح الباء وضم القاف) ، التلخيص ص ٣٧٣ ، الموضح ج٣

ص ١٠٦٢ ، النشر ج٢ ص ٣٥٢ ، الإتحاف ج٢ ص ٣٩٢ .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ج٧ ص ١١ : لعبد بن حميد وابن المنذر وابن حاتم وأبي

الشيخ ، وذكره النحاس في معاني القرآن ج٥ ص ٤٤٤ والواحدى في الوسيط ج٣ ص ٥٠٢ ،

والبغوي في معالم التنزيل ج٦ ص ٤١٩ ، وابن الجوزي في زاد المسير ج٦ ص ٤٨٠ ،

ونسبوه للحسن رحمه الله ، الجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص ٣٣٣ ونسبه القرطبي لسعيد بن

جبير رحمه الله ، لباب التأويل ج٣ ص ٤٥٤ ، تفسير ابن كثير ج٣ ص ٨٧٥ .

(٥) في المطبوع : يبلغ .

(٦) غرائب القرآن ج٥ ص ٥١٠ .

﴿ إِنَّ ذَلِكَ ﴾ أي : إحصاءه ، أو زيادة العمر ونقصانه .

﴿ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ سهلٌ .

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا ﴾ أي : أحدهما .

﴿ عَذْبٌ فُرَاتٌ ﴾ شديد العذوبه ، وقيل هو الذي يكسر العطش^(١) .

﴿ سَائِغٌ شَرَابُهُ ﴾ مرئٌ سهلٌ الإنحدار لعذوبته وبه ينتفع شرابه .

﴿ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ شديد الملوحة ، وقيل هو الذي يحرق بملوحته^(٢) .

﴿ وَمِنْ كُلٍّ ﴾ ومن كل واحد منهما .

﴿ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ وهو السمك .

﴿ وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ وهي اللؤلؤ والمرجان^(٣) .

﴿ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ ﴾ في كُلِّ . ﴿ مَوَاحِرَ ﴾ شواق للماء بجريها يقال : مخرت

السفينة الماء أي : شقته وهي جمع مَآخِرَةٍ .

﴿ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ من فضل الله ، ولم يَجْر له ذكر في الآية ولكن فيما قبلها ،

ولولم يجر لم يُشكَل للدلالة المعنى عليه ، ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ الله على ما أتاكم من

فضله في صفة البحرين العذب والملح مثلين للمؤمن ، ثم قال : على سبيل الإستطراد /

في صفة البحرين ، وما علّق بهما من نعمته وعطائه ، ويحتمل غير طريقة الإستطراد،

وهو أن يشبه الحسنين بالبحرين ، ثم يُفضّل البحر الأجاج على الكافر بأنه قد يشارك

العذب في منافع من السمك واللؤلؤ ، وجَزِي الفلك فيه ، والكافر خِلْوٌ من النفع فهو في

طريقة قوله : تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ

قَسْوَةً ﴾ ثم قال : ﴿ وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقُّ

فِيخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾^(٤) .

(١) انظر : معاني القرآن / للزجاج ج ٤ ص ٢٦٦ ، معاني القرآن / للنحاس ج ٥ ص ٤٤٦ .

(٢) انظر : معاني القرآن / للزجاج ج ٤ ص ٢٢٦ ، معاني القرآن / للنحاس ج ٥ ص ٤٤٦ .

(٣) انظر : معاني القرآن / للزجاج ج ٤ ص ٢٢٦ ، معاني القرآن / للنحاس ج ٥ ص ٤٤٦ .

(٤) سورة البقرة آية : ٧٤ .

﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ يُدْخِلُ مِنْ سَاعَاتِ أَحَدِهِمَا فِي
الْآخَرِ يَصِيرُ الزَّائِدُ مِنْهُمَا خَمْسَ عَشْرَةَ وَالنَّاقِصُ تِسْعًا^(١) .

﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾ أي : ذلل أضواء صورة لإستواء سيره^(٢) .

﴿ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي : يوم القيامة ينقطع جريهما .

﴿ ذَلِكُمْ ﴾ مبتدأ . ﴿ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ﴾ أخبار مترادفه ، أو الله ربكم خبر

إِنَّ وَلَهُ الْمُلْكُ جملة مبتدأه واقعة في قرآن قوله^(٣) : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾ يعني
الأصنام التي تعبدونهم^(٤) من دون الله ، ويُدْعُونَ قَتِيبة^(٥) .

﴿ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ هي القشرة الرقيقة الملتفة على النواة^(٦) .

﴿ إِنْ تَدْعُوهُمْ ﴾ أي : الأصنام .

﴿ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ ﴾ لأنهم جماد .

﴿ وَلَوْ سَمِعُوا ﴾ على سبيل الفرض .

﴿ مَا أَسْتَجَابُوا لَكُمْ ﴾ لأنهم لا يدعون ماتدعون لهم من الإلهية ويتبرعون منها .

﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ بإشراككم لهم ، وعبادتكم إياهم ، ويقولون :

(١) يقول ابن عطية رحمه الله في المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ١٦٤ : (يولج معناه : يُدْخِلُ ، وهذه عبارة عن
مانقص من الليل زاد في النهار فكانه دخل فيه ، وكذلك مانقص من النهار يدخل في الليل) .

(٢) يقول ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية جـ ٣ ص ٨٧٧ : (أي : والنجوم السيارات ،
والنوابت الثاقبات ، بأضوائهن أجرام السموات ، الجميع يسيرون بمقدار مبين ، وعلى منهج
مقنن محرر ، تقديراً من عزيز عليم) .

(٣) انظر : الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٨٦ ، والدر المصون جـ ٦ ص ٤٦٣ .

(٤) في المطبوع (تعبدونها) .

(٥) التلخيص ص ٣٧٧ ، النشر جـ ٢ ص ٣٥٢ ، ونسبها ابن الجزري إلى الحسن البصري رحمه
الله ، الإتحاف جـ ٢ ص ٣٩٢ ، قلت : أي : أنها قراءة منسوبة لقتيبة ، وقتيبة هو : قتيبة بن
مهران الأصبهاني ، يكنى أبا عبد الرحمن الأزاذاني ، إمام ، مقريء ، صالح ، ثقة ، أخذ القراءة
عرضاً وسماعاً عن الكسائي ، مات بعد المئتين من الهجرة النبوية الشريفة ، غاية النهاية
/لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد الجزري جـ ٢ ص ٢٦ ، عنى بنشره : ج .
براجستراسر ، مطبعة الخانجي بمصر ، طبعة عام ١٣٥٢ هـ .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج جـ ٤ ص ٢٦٧ ، معاني القرآن / للنحاس جـ ٥ ص ٤٤٨ .

﴿مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾^(١) .

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ ولا ينبئك أيها المفتون بأسباب الغرور ، كما ينبئك الله الخبير بخبايا الأمور، وتحقيقه : ولا يُخبرُك بالأمر مخبر هو مثل خبير عالم به ، يريد أن الخبير بالأمر وحده هو الذي يخبرك بالحقائق دون سائر المخبرين به ، والمعنى : أن هذا الذي أخبرتكم به من حال الأوثان هو الحق لأنى خبير بما أخبرت به .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ قال ذو النون^(٢) : الخلق محتاجون إليه فى كل نفسٍ وخطرةٍ ولحظةٍ ، وكيف لا ، ووجودهم به وبقائهم به^(٣) .

﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن الأشياء أجمع .

﴿الْحَمِيدُ﴾ المحمود بكل لسان ، ولم يسمهم بالفقراء للتحقير بلّ للتعريض على الاستغناء ، ولهذا وصّف نفسه بالغني الذي هو مُطعم الأغنياء ، وذكر الحميد : ليدل به على أن الغني النافع بغناه خلّقه ، الجواد المنعم عليهم ، إذ ليس كلُّ غني نافعاً بغناه إلا إذا كان الغنى جواداً مُنعماً ، فإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليه ، قال : سهل^(٤) : لَمَّا

(١) سورة يونس آية ٢٨ .

(٢) ذو النون : الزاهد : شيخ الديار المصرية ، ثوبان بن إبراهيم ، وقيل : فيض بن أحمد ، وقيل : فيض بن إبراهيم النوبي ، يكنى أبا الفيض ، ولد فى أواخر أيام المنصور ، توفى سنة خمس وأربعين ومئتين ، الرسالة القشيرية / للإمام أبى القاسم عبدالكريم القشيري ص ٢٧ وضع حواشيه خليل المنصور ، مطبعة دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى عام ١٤١٨ هـ . ، حلية الأولياء جـ ٩ ص ٣٣١ ، سير أعلام النبلاء جـ ١١ ص ٥٣٢ .

(٣) لم أقف عليه .

ويقول ابن عطية رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية فى المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ١٦٥ (هذه آية موعظة وتذكير ، والإنسان فقير إلى الله تعالى فى دقائق الأمور وجلائلها ، لا يستغنى عنه طرفة عين ، وهوبه مستغن عن كل واحد ، والله تعالى غني عن الناس ، وعن كل شيء ومن مخلوقاته ، غني على الإطلاق) . سبحانه وتعالى .

(٤) سبق ترجمته ص ٣٤ .

خلق الله الخلق حكم لنفسه بالغنى ولهم بالفقر ، فمن ادعى الغنى حُجِبَ عن الله ، ومن أظهر فقره أوصله فقره إليه ، فينبغي للعبد أن يكون مفتقراً بالسر إليه ، ومنقطعاً عن الغير إليه ، حتى تكون عبوديته محضة ، فالعبودية : هى الذل والخضوع ، وعلامته أن لا يسأل [هِنَّ^(١)] / أحدٍ^(٢) .

[١٣٧/ب]

وقال الواسطي^(٣) : من إستغنى بالله لا يفتقر ، ومن تعزز بالله لا يذل^(٤) .

وقال الحسين^(٥) : على مقدار إفتقار العبد إلى الله يكون غنياً بالله ، وكلما أزداد إفتقاراً إزداد غنى^(٦) .

وقال يحيى^(٧) رحمه الله : الفقر خير للعبد من الغنى ، لأنه المذلة فى الفقر ، والكبر فى الغنى ، والرجوع إلى الله بالتواضع ، والذلة خير من الرجوع إليه بتكثير الأعمال^(٨) .

(١) في ٢ : (عن) .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) الواسطي : هو أبو بكر محمد بن موسى ، خراسانى الأصل من فرغانة ، صحب الجنيد والنوذي ، عالم كبير الشأن ، أقام بمرور ، مات بعد العشرين والثلاثمائة ، الرسالة القشيرية / للقشيري ص ٦٨ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) الحسين : أبو بكر الحسين بن على بن يزدانيار ، من أرمينية ، له طريقة يختص بها فى التصوف ، وكان عالماً ورعاً ، الرسالة القشيرية ص ٧٨ .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) يحيى أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازي الواعظ ، نسيج وحده فى وقته خرج إلى بلخ ، وأقام بها مده ، ورجع إلى نيسابور ، ومات بها سنة ثمان وخمسين ومئتين .

الرسالة القشيرية ص ٤٣ . شذرات الذهب ج ٢ ص ١٣٨ .

(٨) لم أقف عليه .

وقيل صفة الأولياء ثلاثة : الثقة بالله في كل شيء ، والفقر إليه في كل شيء ، والرجوع إليه من كل شيء^(١) ، وقال الشبلي^(٢) : الفقر يجر البلاء ، وبلاؤه كله عز^(٣) .

﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ﴾ كلكم إلى العدم فإن غناه بذاته لايكم في القدم .

﴿ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ وهو بدون حمدكم حميد .

﴿ وَمَا ذَلِكَ ﴾ الإنشاء والإفناء .

﴿ عَلَى اللَّهِ بَعِزِينَ ﴾ بممتنع ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما : يخلق بعدكم من يعبد ولا يشرك به شيئاً^(٤) .

﴿ وَلَا تَرُرُّ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَى ﴾ ولا تحمل نفس آثمةً إثم أخرى والوزرُ والوقرُ أخوان ، ووزر الشيء إذا حملة ، والوازرَةُ : صفة للنفس ، والمعنى أن كل نفس يوم القيامة لاتحمل إلا وزرها الذي أقرفته ، لا تؤاخذ نفس بذنب نفس ، كما تأخذ جبايرة الدنيا الوليَّ بالوليِّ والجارَ بالجار ، وإنما قيل : وازرةٌ ولم يقل ولا تزرُ نفسٌ وزرَ أُخرى ، لأن المعنى : أن النفوس الوازرات لاترى منهن واحدةً إلا حاملَةً ورزها لاوزر غيرها ،

(١) لم أقف عليه .

(٢) الشبلي : أبو بكر دلفان جحدر ، بغدادى المولود والمنشأ ، صحب الجنيد فى عصره ، وكان شيخ وقته ، مالكى المذهب ، عاش سبعاً وثمانين سنة ومات سنة ، أربع وثلاثين وثمانمائة ، وقبره ببغداد .

الرسالة القشيرية ص ٧١ ، شذرات الذهب ج ٢ ص ٣١٧ .

(٣) لم أقف عليه .

والنسفى عليه رحمة الله نقل نقولات من كتب الصوفية ، فرجعت إلى أهمها ولم أقف على هذه النقولات إلا إن كان فى غيرها ولم أعثر عليه ، وهناك من القرآن وماصح من السنة وأقوال السلف مافيه غنية عن بعض هذه الأقوال الممزوجة بالفلسفة التى قد تصادم النقل والعقل أحياناً .

(٤) الكشاف ج ٣ ص ٦٠٦ .

وقوله : ﴿ وَلِيَحْمِلْنَ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾^(١) واردة في الضالين المضلين فأنهم^(٢) يحملون أثقال إضلال الناس مع أثقال ضلالهم ، وذلك كله أوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم ، ألا ترى كيف كذبهم الله تعالى في قوله : ﴿ أَتَبِعُوا سَبِيلَنَا وَلَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ ﴾^(٣) [بقوله]^(٤) : ﴿ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(٥) .

﴿ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ ﴾ أي : نفس مثقلة بالذنوب أحداً .

﴿ إِلَى حِمْلِهَا ﴾ ثقلها ، أي : ذنوبها ليتحمل عنها بعض ذلك .

﴿ لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ﴾ أي : المدعو وهو مفهوم من قوله : ﴿ وَإِنْ تَدْعُ ﴾ .

﴿ ذَا قُرْبَى ﴾ ذا قرابة قريبة ، كآب ، أو ولد ، أو أخ ، والفرق بين معنى قوله ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ ومعنى : ﴿ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ ﴾ : أن الأول دالٌّ على عدل الله في حكمه وأن لا يؤاخذ نفساً بغير ذنبها ، والثاني في بيان أن^(٦) لاغيث يومئذ لمن استغاث حتى أن نفساً قد أثقلتها الأوزار لودعت إلى أن يُخفف بعض وقرها لم تُجب ولم تُغث ، وإن كان المدعو بعض قرابتها .

﴿ إِنَّمَا تَنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ أي : إنما ينتفع بإندارك هؤلاء .

﴿ بِالْغَيْبِ ﴾ حال من الفاعل أو المفعول^(٧) ، أي : يخشون ربهم غائبين أو يخشون عذابه غائباً عنهم ، وقيل : بالغيب في السر حيث لا إطلاع للغير عليه .

(١) سورة العنكبوت آية : ١٣ .

(٢) في (أ) : (إنه) .

(٣) سورة العنكبوت آية : ١٢ .

(٤) ساقط من (أ) و (ب) .

(٥) سورة العنكبوت آية : ١٢ .

(٦) في (ب) و المطبوع : أنه .

(٧) انظر : التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٧٢ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤

ص ٨٧ ، والدر المصون جـ ٥ ص ٤٦٤ .

﴿ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾ في مواقيتها .

﴿ وَمَنْ تَزَكَّى ﴾ تَطَهَّرَ بفعل الطاعات وترك المعاصي .

﴿ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ ﴾ وهو / إعتراض مُؤَكَّدٌ لخشيتهم ، وإقامتهم الصلاة ،
لأنهما من جملة التزكى .

﴿ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ المرجع وهو وعد للمتزكى بالثواب .

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴾ مَثَلٌ لكافر والمؤمن ، أو للجاهل والعالم .

﴿ وَلَا الظُّلُمَاتُ ﴾ مثل للكفر . ﴿ وَلَا النُّورُ ﴾ للإيمان ﴿ وَلَا الظُّلُّ وَلَا
الْحَرُورُ ﴾ الحق والباطل ، أو الجنة والنار ، والحرورُ : الريح الحارة^(١) كالسموم إلا أن
السموم تكون بالنهار والحرور بالليل والنهار ، عن الفراء^(٢) .

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴾ مَثَلٌ للذين دخلوا في الإسلام والذين لم
يدخلوا فيه ، وزيادة لا لتأكيد معنى النفي ، والفرق : بين هذه الواوات أَنَّ بعضها ضُمَّتْ
شفعاً إلى شفع وبعضها وترأ إلى وتر^(٣) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴾ يعني : أنه قد علم
من يدخل في الإسلام ممن لا يدخل فيه ، فيهدي من يشاء هدايته ، وأما أنت فَخَفِيٌّ

(١) في : المطبوع (الحار) .

(٢) معاني القرآن / للفراء جـ ٢ ص ٣٦١ ، وقال الفراء عند قوله تعالى : ﴿ وَلَا الظُّلُمَاتُ
وَالنُّورُ ﴾ والظلمات الكفر ، والنور : الإيمان) ، وعند قوله تعالى : ﴿ وَلَا الظُّلُّ وَلَا
الْحَرُورُ ﴾ الظل : الجنة . الحرور : النار ﴿) ، وانظر هذه الأقوال : النكت والعيون جـ ٤
ص ٤٦٨ ، و ص ٤٦٩ ، والوسيط جـ ٣ ص ٥٠٤ ، تفسير القرآن / للسمعاني جـ ٤ ص ٣٥٤
وص ٣٥٥ ، معالم التنزيل جـ ٦ ص ٤١٨ ، المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ١٦٧ ، زاد المسير جـ ٦
ص ٤٨٣ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ٣٣٩ ، و ص ٣٤٠ ، البحر المحيط جـ ٩ ص ٢٦ ،
وص ٢٧ .

(٣) انظر : التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٧٤ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ يقول
الهمداني : (لا الثانية والرابعة الأخيرة المقرونة بالعطف زوائد ، وإنما جيء بهن مع العاطف
لتأكيد معنى النفي) ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٦٤ .

عليك أمرهم ، فلذلك تحرص على إسلام قومٍ مخذولين ، شَبَّه الكفار بالموتى حيث لا ينتفعون بمسموعهم .

﴿ إِن أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ أي : ما عليك إلا أن تُبَلِّغ وتندر فإن كان المنذرُ ممن يسمع الإنذار نُفِعَ ، وإن كان من المصرين فلا عليك .

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾ حال من أحدِ الضميرين ، يعنى محققاً او محقين ، أو صفة للمصدر ، أي : إرسالاً مصحوباً بالحق^(١) .

﴿ بَشِيرًا ﴾ بالوعد . ﴿ وَنَذِيرًا ﴾ بالوعيد .

﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ ﴾ وما من أمة قبل أمتك ، والأمة : الجماعة الكثيرة : ﴿ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ ﴾^(٢) ، ويُقال لأهل كل عصرٍ أمة ؛ والمراد هنا أهل العصر ، وقد كانت آثار النذارة باقية بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فلم تخل تلك الأمم من نذير، وحين إندرست آثار نذارة عيسى عليه السلام بُعث محمد عليه السلام .

﴿ إِلَّا خَلَا ﴾ مضى . ﴿ فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ يُخَوِّفُهُمْ وخامة الطغيان وسوء عاقبة الكفران، وأكفنى بالنذير البشير في آخر الآية بعدما ذكرهما لأن النذارة مشفوعة بالبشارة ، فدل ذكر النذارة على ذكر البشارة .

﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ رسلهم ، ﴿ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ ﴾ حال وقد مضى^(٣) .

﴿ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ بالمعجزات . ﴿ وَبِالزُّبُرِ ﴾ وبالصحف .

﴿ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ أي : التوراة والإنجيل والزبور ، ولما كانت هذه الأشياء في جنسهم أُسْنِدَ المعجى بها إليهم إسناداً مطلقاً ، وإن كان بعضها في جميعهم ، وهى البيئات وبعضها في بعضهم وهى الزبر والكتاب وفيه مَسْأَلَةٌ لرسول الله ﷺ .

﴿ ثُمَّ أَخَذْتُ ﴾ عَاقَبْتُ .

(١) الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص٨٨ ، الدر المصون ج٥ ص٤٦٥ .

(٢) سورة القصص جزء من آية رقم ٢٣ .

(٣) التبيان في إعراب القرآن ص١٠٧٤ .

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بأنواع العقوبة .

﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ إنكارى عليهم وتعذيبي لهم .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ﴾ بالماء .

﴿ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ﴾ أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب، وغيرها

ممالا يحصر ، أو هيئاتها من الحُمرة والصفرة والخضرة ونحوها .

﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ ﴾ طرق مختلفة اللون ، جمع جُدَّة كَمُدَّةٍ ومُدَدٍ .

﴿ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا / وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ جمع غَرِيبٍ، وهو تأكيد

للأسود، يُقال أسود غريبٌ وهو الذى أبعد فى السواد وأغرب فيه ، ومنه الغراب^(١) ،

وكان من حق التأكيد أن يُتبع المؤكّد كقولك أضفر فاقع ، إلا أنه أضمر المؤكّد قبله

والذى بعده تفسير للمضمر ، وإنما يُفعلُ ذلك لزيادته التوكيد ، حيث يدل على المعنى

الواحد^(٢) من طريقي الإظهار والإضمار جميعاً ولا بد من تقدير حذف المضاف فى

قوله : ﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ ﴾ أي : ومن الجبال ذو جُدَدٍ بيضٍ وحمرة ، وسودٍ حتى

يؤول إلى قولك ومن الجبال مختلف ألوانه^(٣) كما قال : ﴿ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ﴾ .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ﴾ يعنى : ومنهم بعضٌ مختلف

الوانه .

﴿ كَذَلِكَ ﴾ أي : كإختلاف الثمرات والجبال ، ولما قال : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ

أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ وعدد آيات الله وأعلام قدرته وآثاره وأثار صنعته ، وما خلق

من الفطر المختلفة الأجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته أتبع ذلك : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى

اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ أي : العلماء به ، الذين علموه بصفاته فعظموه ، ومن أزداد به

علماً أزداد منه خوفاً ، ومن كان علمه به أقل كان آمناً ، وفي الحديث : « أعلمكم بالله

(١) انظر : لسان العرب جـ ١ ص ٦٤٦ و ص ٦٤٥ مادة : غرب .

(٢) بياض في: (أ) ، ولكن المعنى مستقيم .

(٣) انظر : التبيان فى إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٧٧ ، والفريدى فى إعراب القرآن المجيد جـ ٤

ص ٨٩ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٦٦ .

أشدَّكم له خَشِيَةً» (١) .

وتقديم إسم الله تعالى وتأخير العلماء يؤذن أن معناه : أن الذين يخشون الله من عباده العلماء دون غيرهم ، ولو عكس لكان المعنى : أنهم لا يخشون إلا الله كقوله : ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ (٢) وبينهما تغاير [ففى] (٣) الأولى بيان أن الخاشين هم العلماء، وفى الثاني بيان أن المُخْشَى منه هو الله تعالى ، وقرأ أبوحنيفة (٤) ، وعمر بن عبدالعزيز (٥) ، وابن سيرين (٦) رضي الله عنهم : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ

(١) يقول الزيلعي رحمه الله في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري ج٣ ص ١٥٢ : (غريب) ، وقال ابن حجر رحمه الله في الكافي الكشاف ص ١٣٩ : (لم أجده هكذا) ، ، ولكنه فى الصحيحين بلفظ آخر يقول ﷺ « .. ما بال أقوام يتنزّهون عن الشيء أصنعه ، فوالله إنى أعلمهم بالله وأشدّهم له خشية » . أخرجه البخاري ج٤ ص ٢٢٧٩ كتاب الإعتصام باب مايكره من التعمق والتنازع ، والغلو في الدين ، وأخرجه مسلم ج٤ ص ١٤٥٩ كتاب الفضائل باب علمه ﷺ بالله تعالى وشدة خشيته .

(٢) سورة الأحزاب آية ٣٩ .

(٣) فى : (أ) وفى .

(٤) سبقت ترجمته ص ٢٥ .

(٥) عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبدشمس ، الإمام الحافظ العلامة المجتهد الزاهد العابد ، أمير المؤمنين حقاً أبو حفص القرشي الأموي المدني البصري ، الخليفة الراشد أشج بني أمية ، توفى سنة إحدى ومئة .

انظر ترجمته : سير أعلام النبلاء ج٥ ص ١١٤ وقد أطلال فى ترجمته الذهبى رحمه الله ، تهذيب التهذيب ج٧ ص ٤٧٥ ، شذرات الذهب ج١ ص ١١٩ .

(٦) ابن سيرين : محمد ، الإمام ، شيخ الإسلام أبو بكر الأنصاري الأنسى البصري ، مولى أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ ، تملكه أنس . قال هشام بن حسان : أدرك محمد ثلاثين صحابياً ، توفى سنة عشر ومئة .

انظر ترجمته : سير أعلام النبلاء ج٤ ص ٦٠٦ وقد أطلال الذهبى رحمه الله فى ترجمته ، تهذيب التهذيب ج٩ ص ٢١٤ ، شذرات الذهب ج١ ص ١٣٨ .

الْعُلَمَاءِ ﴿١﴾ ، والخشية في هذه القراءة إستعارة والمعنى : إنما يعظم الله من عباده العلماء ﴿٢﴾ .

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ تعليل لو وجوب الخشية [لدلالته] ﴿٣﴾ على عقوبة العصاة وقهرهم ، وإثابة أهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب المثيب حقه أن يُخْشَى .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ﴾ يداومون على تلاوة القرآن .

﴿ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ أي : مسرين النفل

ومعلمين الفرض، يعني : لا يقتنعون بتلاوته عن حلاوة العمل به .

﴿ يَرْجُونَ ﴾ خبر إن ﴿٤﴾ . ﴿ تِجَارَةً ﴾ هي : طلب الثواب بالطاعة .

(١) يقول أبوحيان رحمه الله في البحر المحيط جـ ٩ ص ٢١ : (.. ولعل ذلك لا يصح عنهما - أي: عمر بن عبدالعزيز وأبوحنيفة - وقد رأينا كتباً في الشواذ ولم يذكروا هذه القراءة ، وإنما ذكرها الزمخشري ، وذكرها عن أبي حيوة أبوالقاسم يوسف بن جبارة في كتابه الكامل) ، ويقول ابن الجزري في كتابه النشر جـ ١ ص ١٦ : (.. كالقراءة المنسوبة إلى الإمام أبي حنيفة رحمه الله التي جمعها أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي ، ونقلها عنه أبو القاسم الهذلي وغيره ، فإنها لا أصل لها ، قال أبو العلاء الواسطي إن الخزاعي وضع كتاباً في الحروف نسبة إلى أبي حنيفة ، فأخذت خط الدارقطني وجماعة أن الكتاب موضوع لا أصل له (قلت) : وقد رويت الكتاب المذكور ومنه : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ برفع الهاء ونصب الهمزة وقد راج ذلك على أكثر المفسرين ونسبها إليه وتكلف توجيهها ، وأن أبا حنيفة ليرئ منها) . قلت : وكلام ابن الجزري رحمه الله يؤيد ما قاله أبو حيان رحمه الله آنفاً .

(٢) يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره جـ ٣ ص ٨٨٠ : (أي : إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به ، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال ، المنعوت بالأسماء الحسنى ، كلما كانت المعرفة به أتم ، والعلم به أكمل ، كانت الخشية له أعظم وأكثر) .

(٣) في (أ) : (بدلالته) .

(٤) الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٩١ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٦٨ .

﴿ لَنْ تَبُورَ ﴾ لن تكسد ، يعني تجارة ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله .

﴿ لِيُوفِّيَهُمْ ﴾ متعلق بلن تبور ، أي : ليوفيهم بنفاقها عنده .

﴿ أَجُورَهُمْ ﴾ ثواب أعمالهم .

﴿ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ بتفسيح القبور ، أو بتشفيعهم فيمن أحسن إليهم ، أو

يتضعف حسناتهم ، أو بتحقيق وعد لقائه ، أو يرجون في موضع الحال ، أي :

راجين ، واللام في : ﴿ لِيُوفِّيَهُمْ ﴾ تتعلق بيتلون ومابعده ، أي : فعلوا جميع ذلك من

التلاوة ، وإقامة الصلاة والإنفاق لهذا الغرض ، وخبر إن^(١) : ﴿ إِنَّهُ غَفُورٌ ﴾^(٢) شُكُورٌ /

أي : غفور لهم شكور لأعمالهم ، أي : يُعطي الجزيل على العمل القليل .

﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ أي : القرآن ، ومن للتبيين . ﴿ هُوَ الْحَقُّ

مُصَدِّقًا ﴾ حال مؤكدة^(٣) ، لأن الحق لا ينفك عن هذا التصديق .

﴿ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ لما تقدمه من الكتاب .

﴿ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ فَعَلِمَكَ وَأَبْصَرَ أحوالك وراك أهلاً لأن يُوحى

إليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيارٌ على سائر الكتب .

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ ﴾ أي : أوحينا إليك القرآن ثم أورثناه من بعدك ، أي :

حكمتنا بتوريثه .

﴿ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ وهم أمته من الصَّحابة ، والتابعين وتابعيهم ومن

بعدهم رضوان الله عليهم ومن بعدهم إلى يوم القيامة ، لأن الله اصطفاهم على سائر

الأمم ، وجعلهم أمةً وسطاً ليكونوا شهداء على الناس ، وأختصهم بكرامة الإتيان إلى

أفضل رُسُلِهِ ، ثم رتبهم على مراتب فقال : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ وهو المُرْجَأُ لِأمر

(١) انظر : إعراب القرآن / للنحاس جـ ٢ ص ٦٩٦ ، التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٧٧ ،

الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٩١ .

(٢) في المطبوع: (غفور) لفرطاتهم (شكور) .

(٣) التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٧٥ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٩١ ،

الدر المصون جـ ٥ ص ٤٦٨ .

. الله .

﴿ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ ﴾ هو الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً .

﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ وهذا التأويل يوافق التنزيل فإنه تعالى قال :

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ .. ﴾^(١) الآية .وقال بعده : ﴿ وَآخِرُونَ إِعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ .. ﴾^(٢) الآية .وقال بعده : ﴿ وَآخِرُونَ مَرَجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ .. ﴾^(٣) الآية .

والحديث : فقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال على المنبر بعد قراءة هذه

. الآية ، قال رسول الله ﷺ : « سَابِقْنَا سَابِقٌ وَمُقْتَصِدُنَا نَاجٍ ، وَظَالِمْنَا مَغْفُورٌ لَهُ »^(٤) ،

وعنه ﷺ : « السابِقُ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، وَالْمُقْتَصِدُ يَحْسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ثُمَّ يَدْخُلُ

الجنة ، وَأَمَّا الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ فَيُحْبَسُ حَتَّى يُظَنَّ أَنَّهُ لَنْ يَنْجُو ثُمَّ تَنَالَهُ الرَّحْمَةُ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ »^(٥) رواه

(١) سورة التوبة آية : ١٠٠ .

(٢) سورة التوبة آية : ١٠٢ .

(٣) سورة التوبة آية : ١٠٦ .

(٤) أخرجه البيهقي في البعث والنشور ص ٢٨٤ ، باب قوله عز وجل : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِي

أصطفينا من عباد ﴾ ، تحقيق الشيخ : عامر أحمد حيدر ، مطبعة مؤسسة الكتب الثقافية ،

الطبعة الأولى عام ١٤٠٦ هـ . أخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير ج ٣ ص ٤٤٣ ، حققه ودققه

د. عبدالمعطي قلججي ، مطبعة دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية عام ١٤١٨ هـ .

ويقول ابن حجر رحمه الله في الكافي الشاف ص ١٣٩ : (وأخرجه الثعلبي وابن مردويه من

وجه آخر عن ميمون بن سياه عن بن عثمان النهدي عن عمر رضي الله عنه ، فيه الفضل بن

عميره ، وهو ضعيف) وذكره السيوطي في الجامع الصغير ج ٤ ص ٢٨٣ ، وضعفه الألباني

رحمه الله في ضعيف الجامع الصغير وزيادته ص ٤٧٠ ، إشراف زهير الشاويش ، مطبعة

المكتب الإسلامي الطبعة الثانية عام ١٤١٠ هـ .

(٥) أخرجه الإمام أحمد ج ٥ ص ١٩٨ بنحوه ، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور ص ٨٣ بنحوه .

وأخرجه الحاكم في مستدركه ج ٢ ص ٤٢٦ ، وسكت عنه الذهبي .

وقال الهيثمي في المجمع ج ٧ ص ٩٥ : (رواه الطبراني وأحمد بإختصار إلا أنه قال: عن الأعمش عن

ثابت أو أبي ثابت أن رجلاً... وثابت ومن قبله من رجال الصحيح، وفي إسناد الطبراني غير مسمى) .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور ج ٧ ص ٢٤ إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه .

أبو الدرداء^(١) .

والأثر عن^(٢) ابن عباس رضي الله عنهما : السابق المخلص ، والمقتصد المرائي ،
والظالم الكافر بالنعمة غير الجاحد [لها]^(٣) لأنه حكم للثلاثة بدخول الجنة^(٤) .

وقول السلف ، فقد قال الربيع بن أنس^(٥) : الظالم صاحب الكبائر ، والمقتصد
صاحب الصغائر ، والسابق المجتنب لهما^(٦) .

وقال الحسن البصري رحمه الله^(٧) : الظالم من رجحت سيئاته ، والسابق من

(١) أبو الدرداء : عويمر مشهور بكنيته ، وأختلف في إسمه فقيل هو : عامر وعويمر لقب ،
وأختلف في إسم أبيه ، فقيل : قيس بن زيد ، وقيل : ثعلبة بن عامر بن زيد بن قيس ، أبو الدرداء
الأنصاري الخزرجي ، وكان من أفاضل الصحابة وحكمائهم ، تأخر إسلامه ، وأول مشاهدته
الخنديق ، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سلمان الفارسي رضي الله عنه وأختلف في سنة
وفاته ، قيل سنة ثلاث أو ثنتين أو ثمان أو تسع وثلاثين ، والأصح والأشهر الأكثر عند أهل
العلم انه توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه . أسد الغابة ج ٤ ص ٣١٨ ، الإصابة ج ٣
ص ٤٥ ، بتصرف واختصار .

(٢) في ب والمطبوع (فعن) .

(٣) في (أ) (له) .

(٤) بحر العلوم ج ٣ ص ٨٦ و ٨٧ وقد ذكر السمرقندي رحمه الله في معنى هذه الآية خمسة
وعشرون دليلاً ما بين حديث وأثر ثم قال بعد ذلك : (وقد قيل غير هذا إلا أنه يطول الكلام
فيه وفيما ذكرنا كفاية لمن عمل به) ، ومن أراد تمام الفائدة فليرجع إليه ، معالم التنزيل ج ٦
ص ٤٢٢ .

(٥) الربيع بن أنس : بن زياد البكري الخراساني الروزي بصري ، وكان عالم مرو في زمانه ، توفي
سنة تسع وثلاثين ومئة .

انظر ترجمته : سير أعلام النبلاء ج ٦ ص ١٦٩ .

(٦) بحر العلوم ج ٣ ص ٨٦ ، تفسير السمعاني ج ٤ ص ٣٥٩ ، معالم التنزيل ج ٦ ص ٤٢٢ ،
الجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ٣٤٧ .

(٧) سبق ترجمته ص ٣٦ .

رجحت حسناته . والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته^(١) .

وسئل أبو يوسف^(٢) رحمه الله عن هذه الآية فقال : كلهم مؤمنون ، وأما صفة الكفار فبعد هذا وهو قوله : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ .. ﴾^(٣) .

وأما الطبقات الثلاث : فهم الذين إصطفى من عباده ، فإنه قال : فمنهم ، ومنهم والكل راجع إلى قوله : ﴿ .. الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا .. ﴾ ، وهم أهل الإيمان وعليه الجمهور^(٤) .

وإنما قدم الظالم : للإيدان بكثرتهم وأن المقتصدين قليل بإضافة إليهم ، والسابقون أقل من القليل^(٥) .

(١) بحر العلوم ج ٣ ص ٨٦ ، الوسيط ج ٣ ص ٥٠٥ ، معالم التنزيل ج ٦ ص ٤٢٢ ، المحرر الوجيز ج ١٣ ص ١٧٥ ، زاد المسير ج ٦ ص ٤٨٩ ، وص ٤٩٠ ، روح المعاني ج ١١ ص ١٩٦ .

(٢) أبو يوسف هو : الإمام المجتهد ، العلامة المحدث ، قاضي القضاة ، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن معاوية الأنصاري الكوفي ، ولد سنة ثلاث عشرة ومئة وعن أبي يوسف قال : صحبت أبا حنيفة سبع عشرة سنة ، توفى سنة إثنين وثمانين ومئة ، سير أعلام النبلاء ج ٨ ص ٥٣٥ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٩٨ .

(٣) سورة فاطر آية ٣٦ ولم أقف على هذا القول ، وقال النحاس في معاني القرآن ج ٥ ص ٤٥٧ : (قيل : إن الفرق الثلاث ناجية ، قال : ذلك عمر وأبو الدرداء رضي الله عنهما ، وإبراهيم النخعي وكعب الأحبار) .

(٤) انظر : معاني القرآن ج ٥ ص ٤٥٧ ، بحر العلوم ج ٣ ص ٨٧ ، تفسير القرآن / للسمعاني ج ٤ ص ٣٥٨ ، المحرر الوجيز ج ١٣ ص ١٧٨ ، وتفسير القرآن العظيم / لابن كثير ج ٣ ص ٨٨٢ ، وروح المعاني ج ١١ ص ١٩٧ . قلت : وهو الأقرب للصواب فرحمة لله واسعة وبابه مفتوح لكل من تاب توبة نصوحاً .

(٥) البحر المحيط ج ٩ ص ٣٣ .

وقال ابن عطاء^(١) : إنما قدم الظالم لثلاثيأس من فضله^(٢) .

وقيل : إنما / قدمه يُعَرِّفُهُ أن ذنبه لا يعده من ربه .

وقيل : إن أول الأحوال معصية ، ثم توبة ثم إستقامة^(٣) .

وقال سهل^(٤) : السابق العالم ، والمقتصد المتعلم ، والظالم الجاهل .

وقال أيضاً : السابق الذي إشتغل بمعاده ، والمقتصد الذي إشتغل بمعاشه ومعاده ، والظالم الذي إشتغل بمعاشه عن معاده^(٥) .

وقيل : الظالم الذي يعبه على الغفلة والعادة ، والمقتصد الذي يعبه على الرغبة والرغبة ، والسابق الذي يعبه على الهيبة والإستحقاق .

وقيل : الظالم من أخذ الدنيا حلالاً كان^(٦) أو حراماً ، والمقتصد من يجتهد أن لأيا يأخذها إلا من حلال ، والسابق من أعرض عنها جملة^(٧) .

وقيل : الظالم طالب الدنيا ، والمقتصد طالب العقبى ، والسابق طالب المولى^(٨) .

(١) سبق ترجمته ص ١١ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) قال البغوي في معالم التنزيل ج ٦ ص ٤٢٣ : (قال أبو بكر الوراق : رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس ، لأن أحوال العبد ثلاثة : معصية ، وغفلة ، ثم توبة ثم قرينة ، فإذا أعطى دخل في حيز الظالمين ، وإذا تاب دخل في جملة المقتصدين وإذا صحت التوبة وكثرة العبادة والمجاهدة دخل في عداد السابقين) . قلت : وهذا تفسير لما ذكره النسفي .

(٤) سبق ترجمته ص ٣٤ .

(٥) انظر : معالم التنزيل ج ٦ ص ٤٢٢ ، المحرر الوجيز ج ١٣ ص ١٧٥ ، الجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ٣٤٨ .

(٦) في المطبوع (كانت) .

(٧) (من أعرض عنها جملة) هذا الكلام فيه نظر :

فإن الشرع : أمر بالمشي في الأرض والأكل من مناكبها وحث على طلب الرزق ومن أخلص النية في ذلك فهو في سبيل الله والنصوص من الكتاب والسنة مترادفة في ذلك بشرط أن لا تكون همّة ومبلغ علمه .

(٨) وقد أطال السمرقندي رحمه الله في سرد الأقوال في كتابه : بحر العلوم ج ٣ ص ٨٦ ، وص ٨٧ ، فليرجع إليه لتمام الفائدة .

﴿ يَأْذِنُ اللَّهُ ﴾ بأمره ، أو بعلمه ، أو بتوفيقه .

﴿ ذَلِكَ ﴾ أي : إيرات الكتاب .

﴿ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ، جَنَّاتُ عَدْنٍ ﴾ خير ثانٍ لذلك ، أو خبر مبتدأ محذوف ،

أو مبتدأ والخبر^(١) :

﴿ يَدْخُلُونَهَا ﴾ أي : الفرق الثلاث^(٢) ، (يَدْخُلُونَهَا) أبو عمرو^(٣) .

﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ ﴾ جمع أسورة جمع سوار^(٤) .

﴿ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾ أي : من ذهب مرصع باللؤلؤ ، (وَلُؤْلُؤًا) بالنصب والهمز^(٥)

نافع وحفص عطفًا على محل من أساور ، أي : يُحَلَّوْنَ أساورَ ولؤلؤًا .

﴿ وَلبَّاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ لما فيه من اللذة والزينة .

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ خوف النار ، أو خوف الموت ،

أو هموم الدنيا^(٦) .

(١) التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٧٥ ، والفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٩١ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٦٩ .

(٢) ساقط من (ب) وفي المطبوع بلفظ : (الثلاثة) ، وقال أبو حيان رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية جـ ٩ ص ٣٣ : (والظاهر أن الضمير المرفوع في يدخلونها عائداً إلى الأصناف الثلاثة ، وهو قول : عبدالله بن مسعود ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وأبي الدرداء ، وعقبة بن عامر ، وأبي سعيد ، وعائشة ، ومحمد بن الحنفية ، وجعفر الصادق ، وأبي إسحاق السبيعي ، وكعب الأحبار) .

(٣) الحجة في القراءات السبع ص ٢٩٦ ، التلخيص ص ٣٧٧ ، الموضح جـ ٣ ص ١٠٦٣ ، النشر جـ ٢ ص ٣٥٢ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٣٩٣ .

(٤) السُّوَارُ : والسُّوَارُ الْقُلْبُ : سِوَارُ الْمَرْأَةِ وَالْجَمْعُ أَسْوِرَةٌ وَأَسَاوِرُ . لسان العرب جـ ٤ ص ٣٨٧ . مادة : سور .

(٥) الحجة في القراءات السبع ص ٢٩٦ ، الموضح جـ ٣ ص ١٠٦٣ ، النشر جـ ٢ ص ٣٥٩ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٣٩٣ .

(٦) ذكر الماوردي في النكت والعيون جـ ٤ ص ٤٧٥ عشر تأويلات لمعنى هذه الآية، فنسب

﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ ﴾ يغفر الجنایات وإن كثرت .

﴿ شُكُورٌ ﴾ يقبل الطاعات وإن قلت .

﴿ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ ﴾ أي : الإقامة لانبرح منها ولانفارقها ، يُقال أَقَمْتُ

إقامةً ومقاماً ومقامةً .

﴿ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ من عطائه وإفضاله لا بإستحقاقنا .

﴿ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ ﴾ تعب ومشقة .

﴿ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ إعياءٌ من التعب وفترة^(١) ، وقرأ أبو عبدالرحمن

السُّلمي لُغُوبٌ بفتح اللام^(٢) وهو شيء يُلْغَبُ منه ، أي : لانتكلف عملاً يُلْغِبُنَا .

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا ﴾ جواب النفي ، ونَصَّبَهُ

بإضمار أن^(٣) ، أي : لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ بموتٍ ثانٍ فيستريحوا .

﴿ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ﴾ من عذاب نار جهنم .

﴿ كَذَلِكَ ﴾ مثل ذلك الجزاء .

﴿ نَجْزِي كُلَّ كُفُورٍ ﴾ (يُجْزَى كُلُّ) أبو عمرو^(٤) .

﴿ القول بأنه : الخوف من النار لابن عباس رضي الله عنهما ، وحزن الموت لعطيه ، وتعب الدنيا

وهمومها لقتاده ، وانظر : الوسيط جـ ٣ ص ٥٠٦ ، تفسير القرآن / للسمعاني جـ ٤ ص ٣٦٠

وقال رحمه الله : (والأولى : ان يُحمل على جميع الأحزان ، فهم ينجون عن كلها ، ومن

المعروف ان الحزن : هو حزن أهوال القيامة) ، مغالمة التنزيل جـ ٦ ص ٤٢٣ ، المحرر الوجيز

جـ ١٣ ص ١٧٧ وقال ابن عطية رحمه الله : (ولا معنى لتخصيص شيء من هذا الأحزان ، لأن

الحزن أجمع قد ذهب عنهم) ، البحر المحيط جـ ٩ ص ٣٤ . قلت : والعموم هنا أولى .

(١) ساقط من : المطبوع .

(٢) قراءة شاذة ، المحتسب جـ ٢ ص ٢٠٠ .

(٣) انظر : إعراب القرآن / للنحاس جـ ٢ ص ٧٠٠ ، التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٧٦ ،

الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٩٣ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٧٠ .

(٤) ساقط من (ب) وفي : المطبوع ، (كُلُّ كُفُورٍ) .

(٥) التلخيص ص ٣٧٧ ، الموضح ص ١٠٦٣ ، وص ١٠٦٤ ، النشر جـ ٢ ص ٣٥٢ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٣٩٤ .

﴿ وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا ﴾ يستغيثون ، فهو يفتعلون من الصُّرَاخ وهو : الصياح
بجهدٍ وشِدَّةٍ ، وَأُسْتَعْمِلَ فِي الإِسْتِغَاثَةِ لِجَهْدِ المُسْتَعِيثِ صَوْتَهُ .

﴿ رَبَّنَا ﴾ يقولون ربنا .

﴿ أَخْرَجْنَا نَعْمَلًا صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ أي : أخرجنا من النار وردنا إلى
الدنيا نؤمن بدل الكفر ، ونطع بعد المعصية ، فيجابون بعد قدر عمر الدنيا : ﴿ أَوْلَمْ
نُعْمِرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ ﴾ يجوز أن تكون : (ما) نكرة موصوفة ، أي : تعميراً
يتذكر فيه من تذكّر^(١) ، وهو متناول لكل عُمُرٍ تَمَكَّنَ فِيهِ المُكَلَّفُ من إصلاح شأنه وإن
قَصُرَ ، إلا إن التويخ في المتناول أعظم ، ثم قيل هو ثمان عشرة سنة / وقيل أربعون ،
وقيل ستون سنة^(٢) ﴿ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ ﴾ الرسول عليه السلام ، أو المشيب^(٣) ، وهو
عطف على معنى أولم^(٤) نَعْمَرْكُمْ ، لأن لفظه لفظ إستخبار ومعناه إخبار ، كأنه قيل : قد

(١) التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٧٦ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٩٣ ،
والدر المصون جـ ٩ ص ٤٧١ .

(٢) الوسيط جـ ٣ ص ٥٠٦ قال الواحدي رحمه الله : (قال عطاء الله رحمه الله : يريد ثمانين
عشره وهو قول قتادة رحمه الله ، وقال الحسن رحمه الله : أربعين سنة ، وقال ابن عباس
رضي الله عنهما في رواية مجاهد رحمه الله : ستين سنة) وانظر : النكت والعيون جـ ٤
ص ٤٧٦ ، وقال السمعاني رحمه الله في تفسيره جـ ٤ ص ٣٦١ : (الأكثرون على أنه ستون
سنة) لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : عن النبي ﷺ قال : « أعذر الله .. إلى امرئ
آخر أجله حتى بلغه ستين سنة » أخرجه البخاري في صحيحه جـ ٤ ص ٢٠١٧ كتاب الرقاق
باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العُمُر ، وانظر معالم التنزيل جـ ٦ ص ٤٢٥ ،
المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ١٧٨ ، وص ١٧٩ ، تفسير القرآن العظيم / لابن كثير جـ ٣
ص ٨٩٠ . قلت : والستون الأقرب للصواب .

(٣) قال البغوي رحمه الله في معالم التنزيل جـ ٦ ص ٤٢٧ : (يعني محمداً ﷺ ، هذا قول أكثر
المفسرين) ، وبذلك قال ابن عطية في المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ١٧٩ ، وابن كثير في تفسيره
جـ ٣ ص ٨٩١ .

(٤) الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٩٣ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٧١ .

عمرناكم وجاءكم النذير .

﴿ فذوقوا ﴾ العذاب .

﴿ فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ تَصْوِيرٍ ﴾ ناصر يعينهم .

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ما غاب فيهما عنكم .

﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ كالتعليل ، لأنه إذا عَلِمَ ما في الصدور وهو أخفى

ما يكون ، فقد علم كلَّ غيب في العالم ، وذاتُ الصدور مضمراتها ، وهي تأنيث ذو في نحو قول أبي بكر رضي الله عنه : [ذُو بَطْنٍ بِنْتِ خَارِجَةَ أَرَاهَا جَارِيَةً] ^(١) ، أي : ما في

بطنها من الحَبْلِ ، لأن الحبل يصحب البطن ، وكذا المضمرات تصحب الصدور ، وذو

موضوع لمعنى الصحبة ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ﴾ يُقال للمستخلف

خليفة ، ويُجمع ^(٢) خلائف ، والمعنى : أنه جعلكم خلفاء في أرضه ، قد مَلَكَكُمْ مقاليد

التصرف فيها ، وسلَّطكم على ما فيها ، وأباح لكم منافعها ، لتشكروه بالتوحيد والطاعة .

﴿ فَمَنْ كَفَرَ ﴾ منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية ^(٣) .

﴿ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ﴾ فوبال كفره راجع عليه ، وهو مقت الله وخسارُ الآخرة كما قال .

﴿ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ﴾ وهو أشدُّ البُغض .

﴿ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴾ هلاكاً وخسراناً .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمْ ﴾ آلهتكم التي أشركتموها في العبادة .

(١) في (أ) : ذو بطن خارجة جارية وما أثبتته منقول من الموطأ للإمام مالك رحمه الله فقول أبي بكر رحمه

الله أخرجه الإمام مالك في الموطأ جـ ٢ ص ٧٥٢ كتاب الأفضية باب ما لا يجوز من النحل .

وهو جزء من حديث طويل ولفظه : « ذو بطن بنت خارجة أراها جارية » . صححه ورقمه

وخرج أحاديثه : محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة دار الحديث .

بنت خارجة هي : حبيبة بنت خارجة بنت زيد الخزرجية زوجة أبي بكر الصديق رضي الله

عنه ، ولدت له أم كلثوم بعد وفاته ، انظر ترجمتها : أسد الغابة جـ ٧ ص ٦٠ ، الإصابة جـ ٤

ص ٢٦٩ ، وقال الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف جـ ٣

ص ١٥٦ : (وعن مالك رحمه الله رواه محمد بن الحسن في موطئه بسنده ومثله) . قلت :

فولدت حبيبة بنت خارجة رضي الله عنها أم كلثوم فتحقق بذلك قول أبوبكر رضي الله عنه .

(٢) في المطبوع : على خلائف .

(٣) من سنا البرق سطم ، وسنا إلى معالي الأمور سناءً إرتفع ، والسَّناءُ من الرِّفعة ، القاموس

المحيط ص ٤٠٣ ، مادة : سنا .

﴿ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أُرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ أروني بدل من أرايتم^(١) ، لأن معنى أرايتم أخبروني ، كأنه قيل : أخبروني عن هؤلاء الشركاء وعمّا إستحقوا به الشركة ، أروني أي : جزء من جزء الأرض إستبدوا بخلقه دون الله .

﴿ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ﴾ أم لهم مع الله شراكة في خلق السموات .
﴿ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ مِنْهُ ﴾ أي : معهم كتاب من عند الله ينطق بأنهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب ، بينات عليّ وإبن عامر ونافع وأبو بكر^(٢) .

﴿ بَلْ إِنْ يَعِدُّ ﴾ ما يعد .

﴿ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ ﴾ بدل من الظالمون^(٣) وهم الرؤساء .
﴿ بَعْضًا ﴾ أي : الأتباع . ﴿ إِلَّا غُرُورًا ﴾ هو قولهم : ﴿ هَوْلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾^(٤) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ﴾ يمنعها من أن تزولا ، لأنّ الإمساك منع .

﴿ وَلَئِنْ زَالَتَا ﴾ على سبيل الفرض .

﴿ إِنْ أَمْسَكْتَهُمَا ﴾ ما أمسكهما .

﴿ مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ من بعد إمساكه ، ومن الأولى مزيدة لتأكيد النفي ، والثانية للإبتداء^(٥) .

(١) الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ٩٤ ، الدر المصون ج٥ ص ٤٧١ .

(٢) الحجة في القراءات السبع ص ٢٩٦ ، وص ٢٩٧ ، التلخيص ص ٣٧٧ ت الموضح ج٣ ص ١٠٦٤ وص ١٠٦٥ ، النشر ج٢ ص ٣٥٢ ، الإتحاف ج٢ ص ٣٩٢ .

(٣) إعراب القرآن / للنحاس ج٢ ص ٧٠٢ .

(٤) سورة يونس آية : ٨٨

(٥) الدر المصون ج٥ ص ٤٧٢ يقول السمين الحلبي : (ر مِنْ أَحَدٍ ﴾ من مزيدة لتأكيد الإستغراق و ﴿ مِنْ بَعْدِي ﴾ للإبتداء الغاية) .

﴿ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكها ، وكانتا جديرتين بأن تُهدَّ هَذَا لِعِظَمِ كَلِمَةِ الشَّرْكِ ، كما قال : ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ .. ﴾ (١) الآية .

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ نَصَبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ ، أَي : إِقْسَامًا بَلِيغًا ، أَوْ عَلَى الْحَالِ أَي : جَاهِدِينَ فِي أَيْمَانِهِمْ (٢) .

﴿ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ﴾ بلغ قريشاً قبل مبعث النبي ﷺ أن أهل الكتاب كذبوا رُسُلَهُمْ فقالوا لعن الله اليهود / والنصارى أتتهم الرُّسُلُ [٤٠: اب] فكذبوهم فوالله لئن أتانا رسول لنكونن أهدي من إحدى الأمم (٣) ، أي : من الأمة التي يُقال فيها هي إحدى الأمم تفضيلاً لها على غيرها في الهدى والإستقامة ، كما يُقال للداهية العظيمة هي إحدى الدواهي .

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ ﴾ فلما بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

﴿ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نَفُورًا ﴾ أي : مازادهم مجيءُ الرسول ﷺ إلا تباعداً عن الحق وهو إسناد مجازي (٤) .

﴿ أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ ﴾ مفعول له وكذا :

﴿ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ﴾ والمعنى : ومازادهم إلا نفورا للإستكبار ومكر السيء ، أو حال (٥)

(١) سورة مريم آية : ٩٠ .

(٢) الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ٩٤ .

(٣) انظر : لباب النقول في أسباب النزول / للسيوطي ص ١٨١ و ص ١٨٢ .

(٤) يقول أبو حيان في البحر المحيط ج٩ ص ٤١ : (وإسناد الزيادة إليه مجاز ، لأنه هو السبب في أن زادوا أنفسهم نفورا ، كقوله تعالى : ﴿ فزادتهم رجساً إلى رجسهم ﴾ سورة التوبة آية ١٢٥ ، وصاروا (أضلَّ مما كانوا) .

(٥) التبيان في إعراب القرآن ج٢ ص ١٠٧٧ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ٩٥ ،

الدر المصون ج٥ ص ٤٧٣ .

يعنى : مستكبرين وماكرين برسول الله ﷺ والمؤمنين^(١) وأصل قوله^(٢) : ومكر السيء هو أن مكرو السيء ، أي : المكر السيء ثم مكروا السيء ، والدليل عليه قوله : ﴿وَلَا يَحِيقُ﴾ يحيط وينزل .

﴿الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ ولقد حاق بهم يوم بدر ، وفى المثل : من حفر لأخيه جُباً وقع فيه مُنكباً^(٣) .

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ وهى : إنزال العذاب على الذين كذبوا برسولهم من الأمم قبلهم ، والمعنى فهل ينظرون بعد تكذيبك إلا أن يُنزلَ بهم العذاب مثل الذي نزل بمن قبلهم من مكذبي الرسل ، وجُعِلَ إستقبالهم لذلك إنتظاراً له منهم . ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ يبين أن سنة الله^(٤) التى هى الإنتقام من مكذبي الرسل سنة لا يُبدلُها فى ذاتها ولا يحولُها عن أوقاتها ، وأن ذلك مفعولٌ لامحالة .

﴿أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ إستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه فى مسائرهم إلى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين ، وعلامات هلاكهم ودمارهم .

﴿وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ من أهل مكة .

﴿قُوَّةً﴾ إقتداراً فلم يتمكنوا من الفرار .

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ﴾ ليسبقه ويفوته .

﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ أي : شىء .

﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا﴾ بهم .

﴿قَدِيرًا﴾ قادراً عليهم .

(١) ساقط من المطبوع .

(٢) فى (ب) و (جـ) والمطبوع وأن مكروا السيء .

(٣) فى (جـ) والمطبوع مكبا ، والجُبُّ : بالضم البئر ، أو الكثيرة الماء البعيده القعر ، أو التى لم تُطو . القاموس المحيط ص ٨٧ ، مادة : جيب .

(٤) فى (ب) والمطبوع سنه .

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا ﴾ ﴿ بما إقترفوا من المعاصي .
﴿ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا ﴾ ﴿ على ظهر الأرض ، لأنه جرى ذكر الأرض في قوله :
﴿ ... لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ .. ﴾ (١) .
﴿ مِنْ دَابَّةٍ ﴾ ﴿ مِنْ نَسَمَةٍ تَدْبُ عَلَيْهَا .
﴿ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ ﴿ إلى يوم القيامة .
﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴾ ﴿ أي : لم تخفَ عليه حقيقة
أمرهم وحكمة حكمهم .

(١) الآية رقم ٤٤ من نفس السورة .

سورة يس مكية^(١) وهي ثلاث وثمانون آية .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يس﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما معناه : يا إنسان في لغة طيء^(٢) ، وعن ابن الحنيفة^(٣) : يا محمد^(٤) .

وقى الحديث : « إِنَّ اللَّهَ سَمَّانِي فِي الْقُرْآنِ بِسَبْعَةِ أَسْمَاءَ : مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَطِهٌ

(١) يقول السيوطي في الدر المنثور ج٣ ص ٣٧ : (أخرج ابن الضريس وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نزلت سورة يس بمكة) .

ونسب الإجماع إلى ذلك ابن عطية في المحرر الوجيز ج٣ ص ١٨٥ حيث قال رحمه الله : (هذه السورة مكية بإجماع إلا أن فرقة قالت : إن قوله ﴿ وَنَكَبَ مَا قَدَّمُوا وَأَثَارَهُمْ ﴾ مدينة نزلت في بني سلمة ثم رد على ذلك بقوله : (.. وليس الأمر كذلك ، وإنما نزلت الآية بمكة ولكنه أحتج بها عليهم في المدينة ..) . وبه قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج٥ ص ١ .

(٢) بحر العلوم ج٣ ص ٩٣ ، الوسيط ج٣ ص ٥٠٩ ، تفسير القرآن / للسمعاني ج٤ ص ٣٦١ ، وقال رحمه الله : (.. وهذا أشهر الأقاويل) ، معالم التنزيل ج٧ ص ٧ ، المحرر الوجيز ج١٣ ص ١٨٦ ، الجامع لأحكام القرآن ج٥ ص ٤ ، البحر المحيط ج٨ ص ٤٨ .

(٣) ابن الحنيفة : من كبراء التابعين السيد الإمام أبو القاسم وأبو عبد الله محمد بن الإمام علي بن أبي طالب ، أخو الحسن والحسين ، وأمه خولة بنت جعفر من سبي اليمامة زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ولد في العام الذي مات فيه أبو بكر رضي الله عنه ، ورأى عمر وروى عنه وعن أبيه وأبي هريرة وعثمان وعمار بن ياسر ومعاوية وغيرهم ، من الطبعة الثانية ، توفي بعد الثمانين . انظر : ترجمته الطبقات الكبرى / لابن سعد ج٥ ص ٦٧ وما بعدها ، سير أعلام النبلاء ج٤ ص ١١١ ، شذرات الذهب ج١ ص ٨٨ ، تقريب التهذيب ص ٤٩٧ .

(٤) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة بسنده ج١ ص ١٥٨ وذكره : السمرقندي في بحر العلوم ج٣ ص ٩٣ ، والماوردي في النكت والعيون ج٥ ص ٥ ، وابن الجوزي في زاد المسير ج٧ ص ٣ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج٥ ص ٥ ، وقال السيوطي في الدر المنثور ج٧ ص ٤١ : (وأخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم) .

ويس والمزمل والمدثر وعبدالله»^(١).

وقيل : ياسيد^(٢) ، ياسين بالإمامة عليّ وحمزة وخلف وحماد ويحيى^(٣) .

﴿ وَالْقُرْآنِ ﴾ قسم . ﴿ الْحَكِيمِ ﴾ ذي الحكمة ، أو لأنه دليل ناطق بالحكمة ،

أو لأنه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به .

﴿ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ جواب القسم^(٤) ، وهو رد على الكفار حين قالوا :

«لَسْتَ مُرْسَلًا»^(٥).

﴿ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ خبرٌ بعد خبر ، أو صلةٌ للمرسلين^(٦) ، أي : الذين أرسلوا

[١/١٤١]

على صراطٍ مستقيم ، أي : / طريقةٍ مستقيمة وهو الإسلام .

﴿ تَنْزِيلٍ ﴾ بنصب اللام شاميّ وكوفيّ غير أبي بكر على إقرأ تنزيل ، أو على أنه

مصدر ، أي: نزل تنزيل، وغيرهم بالرفع^(٧) على أنه خبر مبتدأ محذوف ، أي : هو تنزيل،

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوه جـ ١ ص ١٦٠ بلفظ قال : قال أبو بكر كريباً ولنبينا ﷺ خمسة أسماء في القرآن محمد وأحمد وعبدالله وطه ويس ، وذكره القاضي عياض في الشفا جـ ١ ص ٢٣٢ ، مطبعة دار الكتب العلمية ، والماوردي في النكت والعيون جـ ٥ ص ٥ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ٥ ، ونقل عن ابن العربي رحمه الله في الجامع لأحكام القرآن جـ ٤ ص ١٦٠٨ قوله : (وهذا حديث لا يصح) .

(٢) يقول القرطبي رحمه الله قال أبو بكر الوراق : (معناه : ياسيد البشر) . الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ٤٠٧ ، أحكام القرآن / لابن العربي جـ ٤ ص ١٦٠٧ .

(٣) التلخيص ص ٣٧٩ ، والموضح جـ ٣ ص ١٠٦٨ ، النشر جـ ٢ ص ٤٧٥ .

(٤) إعراب القرآن / للنحاس جـ ٢ ص ٧٠٨ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٧٥ .

(٥) سورة الرعد آية ٤٣ .

(٦) إعراب القرآن / للنحاس جـ ٢ ص ٧٠٨ ، والبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٧٨ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ٩٩ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٧٥ .

(٧) الحجة في القراءات السبع ص ٢٩٧ و ٢٩٨ ، التلخيص ص ٣٧٩ ، الموضح جـ ٣ ص ١٠٦٩ ، النشر جـ ٢ ص ٣٥٣ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٣٩٧ .

والمصدر بمعنى المفعول^(١) .

﴿ الْعَزِيزِ ﴾ الغالب بفصاحةِ نَظْمِ كتابه أوهام ذوي العناد .

﴿ الرَّحِيمِ ﴾ الجاذب بلطافة معنى خطابه أفهام أولي الرشاد .

واللام في : ﴿ لَتُنذِرَ قَوْمًا ﴾ متصل بمعنى المرسلين ، أي : أُرْسِلْتَ لِتُنذِرَ قَوْمًا .

﴿ مَا أَنْذِرُهُمْ ﴾ ما نافية عند الجمهور ، أي : قوماً غيرَ منذرٍ أبائهم على

الوصف بدليل قوله : ﴿ لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا آتَاهُمْ مِنْ نَّذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ ﴾^(٢) . ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا

إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَّذِيرٍ ﴾^(٣) أو موصولة منصوبة على المفعول الثاني ، أي : العذاب الذي

أنذره أبائهم كقوله : ﴿ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾^(٤) ، أو مصدرية ، أي : لتنذر قوماً

إنذار آبائهم ، أي : مثل إنذار آبائهم^(٥) .

﴿ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴾ إن جعلت ما نافية فهو متعلق بالنفي ، أي : لم يندروا فهم

غافلون، وإلا فهو متعلق بقوله : ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ لِتُنذِرَ ﴾ كما تقول : أرسلتك

إلى فلان لتنذره فإنه غافل ، أو فهو غافل .

﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَيَّ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ يعني قوله : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْ

الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾^(٦) أي : تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب، لأنهم ممن

علم أنهم يموتون على الكفر ، ثم مثل تصميمهم على الكفر ، وأنه لاسييل إلى إرعوائهم

(١) إعراب القرآن / للنحاس ج٢ ص ٧٠٨ ، والتبيان في إعراب القرآن ج٢ ص ١٠٧٨ ، والفريد

في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ٩٩ ، الدر المصون ج٥ ص ٤٧٥ ، بالإضافة إلى المصادر

السابقة لكتب القراءات .

(٢) سورة القصص آية : ٤٦ .

(٣) سورة سبأ آية : ٤٤ .

(٤) سورة النبأ آية : ٤٠ .

(٥) إعراب القرآن / للنحاس ج٢ ص ٧٠٨ ، والتبيان في إعراب القرآن ج٢ ص ١٠٧٨ ، والفريد

إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ٩٩ ، الدر المصون ج٥ ص ٤٧٥ .

(٦) سورة هود آية : ١١٩ ، السجده الآية ١٣ .

بأن جعلهم كالمغلولين المقمحين في أنهم لا يلتفتون إلى الحق، ولا يعطفون أعناقهم نحوه، ولا يطاطئون رؤوسهم له، وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ماقدامهم ولا ماخلفهم في أن لا تأمل لهم ولا تبصر، وأنهم متعامون عن النظر في آيات الله بقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ معناه: فالأغلال واصلة إلى الأذقان ملزوزة إليها.

﴿فَهُمْ مُّقْمَحُونَ﴾ مرفوعة رؤوسهم، يقال: قمح البعير فهو قامح إذا روي فرجع رأسه^(١)، وهذا لأن طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود خارجاً من الحلقة إلى الذقن فلا يُخلّيه يطأطئ رأسه فلا يزال مُقْمَحًا.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ بفتح السين حمزة وعلي وحفص، وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح، وما كان من خلق الله كالجبل ونحوه فبالضم^(٢).

﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ فأغشينا أبصارهم، أي: غطيناها وجعلنا عليها غشاوة.

﴿فَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ﴾ الحق والرشاد، وقيل نزلت في بنى مخزوم^(٣)، وذلك أن أباجهل حلف لئن رأى محمداً يصلي ليرضخن رأسه، فأتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه به فلما رفع يده أثننت إلى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع إلى قومه فأخبرهم، فقال: مخزومي آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله بصره^(٤).

(١) انظر: معاني / للزجاج ج٤ ص ٢٧٩، معاني القرآن / للنحاس ج٥ ص ٤٧٧، وص ٤٧٨.

(٢) الحجة في القراءات السبع ص ٢٩٨، الموضح ج٣ ص ١٠٧٠، الإتحاف ج٢ ص ٣٩٧.

(٣) بنى مخزوم: بطن من لؤي بن غالب بن فهر من قريش، وكان لمخزوم من الولد عمرو وعامر وعمران، منهم خالد بن الوليد، ومنهم أبو جهل عدو رسول الله ﷺ وأخوه العاص قتلا كافرين بيد، وأخوهما سلمة بن هشام أسلم فكان من خيار المسلمين، ومنهم سعيد بن المسيب المشهور، نهاية الأرب ص ٣٧١.

(٤) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة بنقص يسير ص ٤٦٠، انظر: كتاب الشفا / للقاضي عياض

﴿ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي : سواء عليهم الإنذار وتركيه والمعنى / : من أضله الله هذا الإضلال لم ينفعه الإنذار^(١) ، وروي أن عمر بن عبدالعزيز^(٢) رحمه الله قرأ الآية على غيلان القدري^(٣) فقال : كأني لم أقرأها أشهدك إني تائب عن قولي في القدر ، فقال : عمر اللهم إن صدق فتب عليه وإن كذب فسلط عليه من لا يرحمه ، فأخذ هشام بن عبد الملك^(٤) فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب دمشق^(٥) .

﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ ﴾ أي : إنما ينتفع بإنذارك من إتبع القرآن .
﴿ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ ﴾ وخاف عقاب الله ولم يره .

« ج ١ ص ٣٥١ ، والسيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٣٢٧ ، ولباب النقول في أسباب النزول / للسيوطي ص ١٨٢ .

وأصله في البخاري ج ٣ ص ١٥٩٥ ، قال ابن عباس قال أبو جهل : (لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة ، لأطأن على عنقه ..) الحديث كتاب التفسير باب : ﴿ كَلَّا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ، ناصية كاذبة خاطئة ﴾ .

(١) معاني القرآن / للزجاج ج ٤ ص ٢٨٠ .

(٢) سبق ترجمته ص ١٨٢ .

(٣) غيلان القدري هو : غيلان بن مسلمة الدمشقي أبو مردان ، تنسب إليه فرقة الغيلانية من القدرية ، وهو ثاني من تكلم في القدر ناظره الأوزاعي فأفتى بقتله ، فصُلب على باب كيسان بدمشق ، انظر : الملل والنحل ج ١ ص ٢٢٧ .

(٤) هشام بن عبد الملك : بن مروان الخليفة ، أبو الوليد القرشي الأموي الدمشقي ، ولد بعد السبعين ، واستخلف بعهد معقود من أخيه يزيد وكان ذلك في شعبان سنة خمس ومئة إلى أن مات في ربيع الآخر ، وله أربع وخمسون سنة .

انظر ترجمته : سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٣٥١ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ١٦٣ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ج ١٥ ص ١١ وقال القرطبي رحمه الله : (وقال بن عون : فأنا رأيته مصلوباً على باب دمشق فقلنا : ماشأنك يا غيلان ؟ فقال : أصابتنى دعوة الرجل الصالح : عمر ابن عبدالعزيز) ، وسبق الحديث عن دمشق ص ١٢٧ .

﴿ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ ﴾ وهي العفو عن ذنوبه .

﴿ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ أي : الجنة .

﴿ إِنَّا نَخْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ نبعثهم بعد مماتهم ، أو نخرجهم من الشرك إلى الإيمان^(١) .

﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا ﴾ ما أسلفوا من الأعمال الصالحة وغيرها .

﴿ وَعَآثَارَهُمْ ﴾ وما هلكوا عنه من أثر حسن ، كَعِلْمٍ عَلَّمُوهُ ، أو كتاب صَنَّفُوهُ ، أو حبس

[حَبْسُوهُ]^(٢) ، أو رباط ، أو مسجد صنعوه ، أو سَيِّءٍ كوظيفة وظَّفَها بعض الظَّلمة ، وكذلك

كل سُنَّةٍ حسنة أو سيئة يُسْتَنَّبُ بها ونحوه قوله تعالى : ﴿ يُنْبِئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾^(٣)

قَدَّمَ من أعماله وَأَخَّرَ من آثاره ، وقيل هي خطاهم إلى الجمعة أو الجماعة^(٤) .

﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ ﴾ عَدَدْنَاهُ وبيَّناه .

﴿ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ يعني اللوح المحفوظ لأنه أصل الكتب ومقتداها .

(١) النكت والعيون ج٥ ص ٩ ونسب الماوردي رحمه الله من قال أنه بالبعث : ليحيى بن سلام

رحمه الله ، ومن قال ؛ الإيمان بعد الكفر للضحاك رحمه الله ، تفسير القرآن / للسمعاني

ج٤ ص ٣٦٩ ، ورجح القرطبي رحمه الله في الجامع لأحكام القرآن ج١٥ ص ١١ : من قال

أنه المراد به البعث ، وكذلك أبوحيان رحمه الله في : البحر المحيط ج٩ ص ٥٢ ، قلت :

ومراد البعث هنا في هذه الآية أقرب للصواب .

(٢) ساقط من (أ) . قلت : المراد به الوقف ، وهو في اللغة : : الحبس ، وفي الشرع : حبس

العين على ملك الواقف والتصدق بالمنفعة . التعريفات / للجرجاني ص ٢٥٣ ، ضبط وتصحيح

جماعة من العلماء ، الطبعة الأولى عام ١٤١٣ هـ ، مطبعة دار الكتب العلمية .

(٣) سورة القيامة آية : ١٣ .

(٤) انظر : تفسير القرآن / للسمعاني ج١ ص ٣٧٠ ، المحرر الوجيز ج١٣ ص ١٩١ ،

وص ١٩٢ ، زاد المسير ج٨ ص ٨ ، وص ٩ ، الجامع لأحكام القرآن ج١٥ ص ١٢ ،

وص ١٣ ، البحر المحيط ج٩ ص ٥٢ ، تفسير القرآن العظيم / لابن كثير ج٣ ص ٩٠٠ وقال

رحمه الله باختصار : (وقى قوله تعالى : ﴿ وآثارهم ﴾ قولان : أحدهما : نكتب أعمالهم

التي باشروها بأنفسهم ، وآثارهم التي آثروها من بعدهم ، فنجزهم على ذلك أيضاً إن خيراً

فخيراً وإن شراً فشر ، والقول الثاني : أن المراد بذلك آثار خطاهم ، إلى الطاعة أو المعصية .

﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ﴾ وَمَثَلٌ لَهُمْ مِنْ قَوْلِهِمْ، عِنْدِي مِنْ هَذَا الضَّرْبِ كَذَا، أَي: مِنْ هَذَا الْمَثَلِ وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ عَلَى ضَرْبِ وَاحِدٍ، أَي: عَلَى مَثَلِ وَاحِدٍ، وَالْمَعْنَى: وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا مِثْلَ أَصْحَابِ الْقَرْيَةِ، أَي: أَنْطَاكِيَّةَ^(١)، أَي: أَذْكَرَ لَهُمْ قِصَّةَ عَجِيبَةٍ قِصَّةَ أَصْحَابِ الْقَرْيَةِ وَالْمَثَلِ الثَّانِي يَبَيِّنُ لِلأَوَّلِ، وَإِنْتِصَابٌ: ﴿ إِذِ ﴾ بِأَنَّهُ بَدَلَ مِنْ أَصْحَابِ الْقَرْيَةِ^(٢).

﴿ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ رَسَلَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٣) بَعَثَهُمْ دَعَاةً إِلَى الْحَقِّ فَكَانُوا عِبَادَةَ أَوْثَانٍ.

﴿ إِذِ ﴾ بَدَلَ مِنْ إِذِ الأُولَى^(٤).

﴿ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ ﴾ أَي: أَرْسَلَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَمْرِنَا.

﴿ أَتَيْنِ ﴾ صَادِقًا وَصِدُوقًا^(٥) فَلَمَّا قُرْبًا^(٦) إِلَى الْمَدِينَةِ رَأَى شَيْخًا يُرْعَى غُنَيْمَاتٍ لَهُ وَهُوَ حَبِيبُ النَّجَارِ فَسَأَلَ عَنْ حَالِهِمَا فَقَالَا نَحْنُ: رَسُولَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ نَدْعُوكُمْ مِنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَةِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ أَمْعَكُمَا آيَةٌ؟ فَقَالَا: نَشْفِي الْمَرِيضَ، وَنُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَكَانَ لَهُ ابْنٌ مَرِيضٌ مِنْ سَنِينَ فَمَسَحَاهُ فَمَقَامٌ، فَأَمَّنَ حَبِيبٌ وَفَشَا الْخَبِيرُ

(١) أَنْطَاكِيَّةُ: بِالْفَتْحِ ثَمَّ السُّكُونِ وَالْيَاءُ مَخْفُفَةٌ: قِصَّةُ الْعَوَاصِمِ مِنَ الثُّغُورِ الشَّامِيَّةِ، وَهِيَ مِنْ أَعْيَانِ الْبِلَادِ وَأَمْهَاتِهَا، مَوْصُوفَةٌ، بِالنِّزَاهَةِ وَالْحُسْنِ وَطِيبِ الْهَوَاءِ، وَعَذُوبَةُ الْمَاءِ، وَكَثْرَةُ الْفُرَاكِهِ وَسَعَةُ الْخَيْرِ، مَعْجَمُ الْبِلْدَانِ / جَد ١ ص ٣١٦ بِتَصْرُفٍ وَإِخْتِصَارٍ، وَقَالَ السَّمْعَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِهِ جَد ٤ ص ٣٧٠: (وَأَمَّا الْقَرْيَةُ فَأَكْثَرُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ أَنَّ الْقَرْيَةَ هِيَ أَنْطَاكِيَّةُ).

(٢) إِعْرَابُ الْقُرْآنِ / لِلنَّحَّاسِ جَد ٢ ص ٧١٣، التَّبْيَانُ فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ جَد ٢ ص ١٠٧٩، الْفَرِيدُ فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ جَد ٤ ص ١٠١، الدَّرُ الْمَصُونُ جَد ٤ ص ٤٧٧.

(٣) فِي الْمَطْبُوعِ إِلَى (أَهْلِهَا).

(٤) التَّبْيَانُ فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ جَد ٢ ص ١٠٧٩، الْفَرِيدُ فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ جَد ٢ ص ١٠٢، الدَّرُ الْمَصُونُ جَد ٤ ص ٤٧٧.

(٥) هُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَكَعْبِ الأَحْبَارِ وَوَهْبِ بْنِ مَنْبَهٍ. انظُرْ: التَّكْتُ وَالْعِيُونَ جَد ١٠ ص ١٠، مَعَالِمُ التَّنْزِيلِ جَد ٧ ص ١٣، زَادَ الْمَسِيرُ جَد ٧ ص ١٠، الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ جَد ١٥ ص ١٤.

(٦) فِي الْمَطْبُوعِ: (مِنْ).

فَشَفِيَّ عَلَى أَيْدِيهِمَا خَلَقَ [كثيراً] ^(١) ، فدعاهما الْمَلِكُ وقال : أَلنا إِلهَ نَسونى آلِهتنا ؟ قالوا : نعم من أَوْجَدَكَ وَآلِهتَكَ فقال : حتى انظر في أمرِكما ، فتتبعهما الناس وضربوهما ، وقيل حُبِسا ، ثم بَعَثَ عيسى عليه السلام شمعون فدخل متنكراً ، وعاشر حاشية الملك حتى أستأنسوا به ورفعوا خبره إلى الملك فَأَنسَ به فقال : له ذات يوم بلغنى أنك حبست رجلين فهل سمعت قولهما ؟ قال : لا فدعاهما ، فقال شمعون : من أرسلكما ؟ قالوا : الله الذي خلق كل شيء ورزق كل حيٍّ وليس له / شريك فقال : صِفاهُ وأجزاء ، قالوا : يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال : وما آيتكما ؟ قالوا : ما يتمنى الملك ، فدعا بغلام أكمه ، فدعوا الله فأبصر الغلام ، فقال شمعون : أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف ؟ قال ^(٢) : ليس لي عنك سرٌّ إنَّ إلهنا لا يبصر ، ولا يسمع ، ولا يبصر ، ولا ينفع ، ثم قال : إنَّ قَدِيرَ إلهكما على إحياء ميت آمنابه ، فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فقام وقال : إني دخلت في سبعة أودية من النار لِمَا مِتُّ عليه من الشرك ، [وأنا] ^(٣) أُحذِرُكم ما أنتم فيه فآمنوا ، وقال : فتحت أبواب السماء فرأيت شاباً حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة ، قال الملك : ومن هم ؟ قال : شمعون وهذان ، فتعجب الملك ، فلما رأى شمعون أنَّ قوله قد أثَّرَ فيه نصحه فآمن وآمن قومٌ ، ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فَهَلَكُوا ^(٤) .

(١) ساقط من : (أ) .

(٢) في المطبوع : قال الملك .

(٣) ساقط من (أ) .

(٤) انظر : بحر العلوم ج٣ ص ٩٥ ، ص ٩٦ ، معالم التنزيل ج٧ ص ١١ - ١٢ ، وقال ابن عطية رحمه الله في المحرر الوجيز ج١٣ ص ١٩٣ : (وذكر النقاش في قصص الآيات شيئاً يطول ، والصحة فيه غير متيقنة فاختصرته ، واللازم من الآية : أن الله تعالى بعث إليهما رسولين فدعيا أهل القرية إلى عبادة الله تعالى وحده ، وإلى الهدى والإيمان فكذبوهما فشدد الله تعالى أمرهما بثالث ، وقامت الحججة على أهل القرية ، وآمن منهم الرجل الذى جاء يسعى ، وقتلوه فى آخر أمره ، وكفروا فأصابتهم صيحة من السماء فحمدوا) . قلت : ما أروع من توجيه موفق لهذه الآيات من ابن عطية عليه رحمة الله ، بعيداً عن التخصيص التى يُشكُّ فى صحتها ، فالعبرة بلازم الآية ، الجامع لأحكام القرآن ج ١٥ ص ١٥ و ص ١٦ .

﴿ فَكَذَّبُوهُمَا ﴾ فَكَذَّبَ أَصْحَابُ الْقَرْيَةِ الرَّسُولَيْنِ .

﴿ فَعَزَّزْنَا ﴾ فَقَوَيْنَاهُمَا ، فَعَزَّزْنَا أَبُو بَكْرٍ (١) مِنْ عَزَّةٍ يَعَزُّهُ إِذَا غَلَبَهُ أَي : فغلبنا وقهرنا .

﴿ بِثَالِثٍ ﴾ وَهُوَ شَمْعُونُ (٢) ، وَتُرِكَ ذِكْرُ الْمَفْعُولِ بِهِ لِأَنَّ الْمُرَادَ ذِكْرَ الْمَعَزَّزِ بِهِ

وَهُوَ شَمْعُونُ ، وَمَا لَطَفَ فِيهِ مِنَ التَّنْدِيرِ حَتَّى عَزَّ الْحَقَّ وَذَلَّ الْبَاطِلَ ، وَإِذَا كَانَ الْكَلَامُ مُنْصَبًّا إِلَى غَرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ جُعِلَ سِيَاقُهُ لَهُ وَتَوَجَّهَتْ إِلَيْهِ كَأَنَّ مَاسِوَاهُ مَرْفُوضٌ .

﴿ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ ﴾ أَي : قَالَ الثَّلَاثَةُ لِأَهْلِ الْقَرْيَةِ .

﴿ قَالُوا ﴾ أَي : أَصْحَابُ الْقَرْيَةِ .

﴿ مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴾ رُفِعَ بَشَرٌ هُنَا وَنَصَبَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا ﴾ (٣)

لِإِنْتِقَاضِ النَّفْيِ بِالْأَفْلامِ لِمَا يَبْقَى شَبَّهُ بَلِيسٍ وَهُوَ الْمَوْجِبُ لِعَمَلِهِ .

﴿ وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ أَي : وَحْيًا .

﴿ إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾ مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَذَبَةٌ .

﴿ قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ أَكَّدَ الثَّانِي بِالْأَفْلامِ دُونَ الْأَوَّلِ ، لِأَنَّ الْأَوَّلَ

إِبْتِدَاءً أَخْبَارَ ، وَالثَّانِي جَوَابَ عَنِ الْإِنْكَارِ فَيَحْتَاجُ إِلَى زِيَادَةِ تَأْكِيدٍ ، وَرَبَّنَا يَعْلَمُ جَارٍ مَجْرَى

الْقَسَمِ فِي التَّوَكِيدِ (٤) ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ : شَهِدَ اللَّهُ ، وَعَلِمَ اللَّهُ .

﴿ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ أَي : التَّبْلِيغُ الظَّاهِرُ الْمَكْشُوفُ بِالْآيَاتِ الشَّاهِدَةِ

لصحته .

(١) الحجة في القراءات السبع ص ٢٩٨ ، التلخيص ص ٣٧٩ ، الموضح ص ١٠٧٠ ، النشر ج ٢

ص ٣٥٣ ، الإتحاف ج ٢ ص ٣٩٨ .

(٢) بحرم العلوم ج ٣ ص ٩٥ ، تفسير القرآن / للسمعاني ج ٤ ص ٣٧١ ، معالم التنزيل ج ٧

ص ١٢ ، زاد المسير ج ٧ ص ١١ وقال : بن العوزي رحمه الله : (قال مقاتل م وإسم هذا

الثالث شمعون ، وكان من الحواريين ، وهو وصي عيسى عليه السلام) ، الجامع لأحكام

القرآن ج ١٥ ص ١٥ .

(٣) سورة يوسف آية : ٣١ .

(٤) انظر : الدر المصون ج ٥ ص ٤٧٧ و ٤٧٨ .

﴿ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ﴾ تشاء منا منكم ، وذلك أنهم كرهوا دينهم ، ونفرت منهم نفوسهم ، وعادة الجاهل أن يتيمينوا بكل شيء مالوا إليه وقبلته طباعهم ، ويتشاءموا بما نفروا عنه ، وكرهوه فإن أصابهم بلاءٌ أو نعمة قالوا بشؤم هذا وبركة ذلك ، وقيل : حُبس عنهم القَطْرُ^(١) فقالوا ذلك .

﴿ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا ﴾ عن مقاتلكم هذه .

﴿ لَنَرَجُمَنَّكُمْ ﴾ لنقتلنكم ، أو لنطردنكم ، أو لنشتمنكم .

﴿ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ وليصبنكم عذاب الحريق^(٢) وهذا أشد العذاب .

﴿ قَالُوا طَائِرُكُمْ ﴾ أي : سبب شؤمكم^(٣) .

﴿ مَعَكُمْ ﴾ وهو الكفر .

﴿ أَيْنَ ﴾ بهمزة الإستفهام ، وحرف الشرط كوفيٌّ وشاميٌّ .

﴿ ذُكِّرْتُمْ ﴾ وُعِظْتُمْ ، ودُعِيتُمْ إلى الإسلام ، وجواب الشرط مضمرة وتقديره

تطيرتم ، أين بهمزة بعدها ياء مكسورة أبو عمرو ، (وأين) بهمزة مقصورة بعدها ياء مكسورة / مكِّيٌّ ونافع (ذُكِّرْتُمْ) بالتخفيف يزيد^(٤) .

﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ مجاوزون الحد في العصيان ، فمن ثمَّ أتاكم الشؤم من

قِيلِكُمْ لا من قِبَلِ رسولِ الله ﷺ ، وتذكيرهم ، أو بل أنتم مسرفون في ضلالكم وغيكم حيث تشاءمون ممن يجب التبرك به من رسل الله^(٥) .

(١) في المطبوع (المطر) .

(٢) في المطبوع (النار) .

(٣) هو قول ابن عيسى ذكره الماوردي في : النكت والعيون ج ٥ ص ١٢ .

(٤) الحجة في القراءات السبع ص ٢٩٨ ، النشر ج ٢ ص ٣٥٣ ، الإتحاف ج ٢ ص ٣٩٨ .

(٥) الأولى أن يقال : (ممن يجب التفاؤل به من رسل الله) لأنه مُقابل التشاؤم ، فإن كلمة التبرك قد تجر إلى الشرك، والإعتقاد فيهم، والتوسل بهم، وخاصة بعد مماتهم ، وإلا فالرسل عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم كل ما أتو به فهو خير وفيه الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة ، لأن ذلك كله من عند الله ، فهم رسل الله في أرضه مبشرين ومنذرين .

﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى ﴾ هو حبيب النجار^(١) ، وكان في غار من الجبل يعبد الله فلما بلغه خبر الرُّسل أتاهم وأظهر دينه وقال : أتسألون على ما جئتم به أجرا قالوا لا ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ، اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا ﴾ على تبليغ الرسالة .
﴿ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ أي : الرسل فقالوا أو أنت على دين هؤلاء ؟ فقال : ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ خلقتني .

﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ وإليه مرجعكم ، (ومالي) حمزة^(٢) .

﴿ ءَاتَاخِذْ ﴾ بهمزتين كوفي^(٣) . ﴿ مِنْ ذُوْنِهِ آلِهَةٌ ﴾ يعني : الأصنام .

﴿ إِنْ يُرِدْ بِالرَّحْمَنِ بَصُرٌ ﴾ شرط جوابه^(٤) : ﴿ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴾ من مكروه ، (ولا ينقذوني) (فأسمعوني) في الحاليين يعقوب^(٥) .

﴿ إِنِّي إِذَا ﴾ أي : إذا إتخذت . ﴿ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ظاهر يبين ، ولما نصح

قومه أخذوا يرحمونه فأسرع نحو الرسل قبل أن يُقتل فقال لهم : ﴿ إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ

(١) هو حبيب بن إسرائيل النجار كما قال بذلك السمرقندي في بحر العلوم جـ ٣ ص ٩٣ ، وقال السدي : كان قصاراً ، وهو الذي يعمل بالقصارة وعن بعضهم : أنه كان إسكافاً وقال وهب كان رجلاً يعمل الحرير ، وكان سقيماً قد أسرع فيه الجذام ، وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة ، وكان مؤمناً ذا صدقة يجمع كسبه إذا أمسى فيقسمه نصفين فيطعم نصفاً لعياله ويتصدق بنصف ، فلما بلغه أن قومه قصدوا قتل الرسل جاءهم : (قال : يا قوم إتبعوا المرسلين) انظر هذه الأقول : تفسير القرآن / للسمعاني جـ ٤ ص ٣٧٢ ، معالم التنزيل للبخاري جـ ٧ ص ١٣ و ص ١٤ ، المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ١٩٥ ، تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٩٠٤ .

(٢) قرأها حمزة ويعقوب بسكون الياء والباقي مفتوحة الياء ، التلخيص ص ٣٨١ ، الموضح في وجوه القراءات جـ ٣ ص ١٠٧١ ، وانظر الإتحاف جـ ٢ ص ٣٩٩ .

(٣) الموضح جـ ٧ ص ١٠٧١ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٣٩٩ .

(٤) انظر : إعراب القرآن / للنحاس جـ ٢ ص ٧٠٦ ، والتبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٨٠ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٧٩ .

(٥) أي : أن يعقوب أثبت اليائين في الحاليين ، انظر : التلخيص ص ٣٨٢ ، الإتحاف جـ ٢

فَاسْمَعُونَ ﴿١﴾ ، أَيْ : إِسْمَعُوا إِيمَانِي لِتَشْهَدُوا لِي بِهِ وَكَمَا قُتِلَ :

﴿ قِيلَ ﴾ لَهُ : ﴿ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ﴾ وَقَبْرَهُ فِي سَوِّقِ أَنْطَاكِيَّةِ^(١) ، وَلَمْ يَقُلْ لَهُ : لِأَنَّ الْكَلَامَ سَيَقُ لِي بَيَانَ الْقَوْلِ لِالْبَيَانِ الْمَقُولِ لَهُ مَعَ كَوْنِهِ مَعْلُومًا ، وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ مَخْلُوقَةٌ^(٢) ، وَقَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣) : لَمَّا أَرَادَ الْقَوْمُ أَنْ يَقْتُلُوهُ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ وَلَا يَمُوتُ إِلَّا بِفَنَاءِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ^(٤) ، فَلَمَّا رَأَى الْجَنَّةَ وَرَأَى نَعِيمَهَا : ﴿ قَالَ يَا آيَاتُ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ، بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي ﴾ أَيْ : بِمَغْفَرَةِ رَبِّي لِي ، أَوْ بِالَّذِي غُفِرَ لِي^(٥) .

﴿ وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ بِالْجَنَّةِ .

﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا ﴾ مَا نَافِيَهُ^(٦) .

﴿ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ قَوْمِ حَبِيبٍ . ﴿ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ أَيْ : مِنْ بَعْدِ قَتْلِهِ ، أَوْ رَفْعِهِ .

﴿ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ لِتَعْذِيبِهِمْ . ﴿ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴾ وَمَا كَانَ يَصْحُ فِي حِكْمَتِنَا أَنْ نَنْزِلَ فِي إِهْلَاكِ قَوْمِ حَبِيبٍ جُنْدًا مِنَ السَّمَاءِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَجْرَى

(١) قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : (خَرَقُوا خَرْفًا فِي حَلْقَةٍ فَعَلَقُوهُ بِسُورٍ مِنْ سُورِ الْمَدِينَةِ ، وَقَبْرَهُ بِأَنْطَاكِيَّةِ ، فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَهُوَ حَيٌّ فِيهَا يَرْزُقُ فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ﴾ ، انْظُرْ قَوْلَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ : مَعَالِمُ التَّنْزِيلِ جـ ٧ ص ١٧ ، الْمَحْرَرُ الْوَجِيزُ جـ ١٣ ص ١٥٦ وَذَكَرَ ابْنُ عَطِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ الْإِخْتِلَافَ فِي كَيْفِيَّةِ قَتْلِهِ ، وَكَذَلِكَ الْقُرْطُبِيُّ فِي الْجَامِعِ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ جـ ١٥ ص ١٩ ، وَأَبُو حَيَّانٍ فِي الْبَحْرِ الْمَحِيطِ جـ ٩ ص ٥٧ . وَأَنْطَاكِيَّةٌ سَبَقَ الْحَدِيثُ عَنْهَا ص ٢٠٣ .

(٢) انْظُرْ : كِتَابُ حَادِي الْأَرْوَاحِ إِلَى بِلَادِ الْأَفْرَاحِ أَوْ صِفَةِ الْجَنَّةِ / لِابْنِ الْقَيْمِ ص ٧٤ وَمَا بَعْدَهَا الْبَابُ السَّابِعُ إِلَى أَنْ قَالَ ص ٧٩ : (.. فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُمَا (أَيْ : الْجَنَّةُ وَالنَّارُ) لَمْ تَخْلُقَا فَهُوَ مُكَذِّبٌ بِالْقُرْآنِ وَأَحَادِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا أَحْسَبُهُ يُؤْمِنُ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ) حَقَّقَ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ : عَلِيُّ الشَّرِيجِيِّ ، قَاسِمُ النَّوْرِيِّ ، مَطْبَعَةُ مَوْسَسَةِ الرِّسَالَةِ ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى عَامَ ١٤١٢ هـ .

قُلْتُ : وَقَدْ أَجَادَ وَأَفَادَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ فَلْيَرْجِعْ إِلَيْهِ لِتَمَامِ الْفَائِدَةِ .

(٣) سَبَقَ تَرْحِمَتُهُ ص ٣٦ .

(٤) الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ جـ ١٧ ص ١٩ ، الْبَحْرِ الْمَحِيطِ جـ ٩ ص ٥٧ ، رُوحُ الْمَعَانِي / جـ ١١ ص ٢٢٨ .

(٥) قَالَ بَنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : (نَصَحَ قَوْمَهُ حَيًّا وَمَيِّتًا) ذَكَرَهُ الْمَاوَرْدِيُّ فِي : النُّكْتِ وَالْعَيُونَ جـ ١٤ ص ١٤ ، وَالْقُرْطُبِيُّ فِي الْجَامِعِ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ جـ ١٥ ص ٢٠ .

(٦) التَّبْيَانُ فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ جـ ٢ ص ١٠٨٠ ، الْفَرِيدُ فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ جـ ٤ ص ١٠٤ .

هلاك كل قوم على بعض الوجه دون بعض لحكمة إقتضت ذلك .

﴿ إِن كَانَتْ ﴾ الأخذه ، أو العقوبة .

﴿ إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً ﴾ صاح جبريل عليه السلام صيحة واحدة .

﴿ فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ مَيِّتُونَ ، كما تخمد النار^(١) ، والمعنى : أن الله كفى أمرهم

بصيحة مَلَكٍ ولم ينزل لإهلاكهم جنداً من السماء كما فعل يوم بدرٍ والخندق .

﴿ يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ الحسرة :

شدة الندم^(٢) ، وهذا نداءٌ للحسرة عليهم ، كأنما قيل لها تعالي : يا حسرة فهذه من

أحوالك التي حَقَّك أن تحضري فيها، وهي حال إستهزائهم بالرسول^(٣) ، والمعنى : أنهم

حقاً بأن يتحسر عليهم المتحسرون ويتلطف على حالهم المتلهفون ، أو هم : متحسِّرٌ

عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين .

﴿ أَلَمْ يَرَوْا ﴾ / ألم يعلموا .

﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ ﴾ كم نَصَبٌ بأهلكنا ، ويروا مُعَلَّقٌ عن العمل في

كم، لأنَّ كم لا يُعمل فيها عامل قبلها كانت للإستفهام أو للخبر، لأن أصلها الإستفهام

إِلَّا أَنْ مَعْنَاهُ نَافِذٌ فِي الْجُمْلَةِ ، وقوله : ﴿ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ بدل من كم

أهلكنا^(٤) على المعنى لا على اللفظ تقديره : ألم يروا كثرة إهلاكنا القرون من قبلهم

(١) الوسيط جـ ٣ ص ٥١٢ ، معالم التنزيل جـ ٧ ص ١٥ ، زاد المسير جـ ٧ ص ١٤ .

(٢) انظر: معاني القرآن / للزجاج جـ ٤ ص ٢٨٥ .

(٣) التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٨١ ، وقال العكبري في : (قوله تعالى ﴿ يا حسرة ﴾ فيه

وجهان أحدهما : أن حسرةً منادى ، أي : يا حسرةً احضري ، فهذا وقتك ، والثاني : المنادى

محذوف ، وحسرةً مصدر ، أي : اتحسر حسرةً) ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤

ص ١٠٦ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٨١ .

(٤) انظر : إعراب القرآن / للنحاس جـ ٢ ص ٧١٩ ، التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٨١ ،

إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ١٠٦ ، وص ١٠٧ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٨١ ، وص ٤٨٢ ،

ص ٤٨٣ وقد أطلال هنا السمين الحلبي رحمه الله في أوجه الإعراب فليرجع إليه لتمام الفائدة .

[كونهم]^(١) غير راجعين إليهم .

﴿ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ ﴿ لَمَّا بالتشديد : شامي وعاصم وحمزة ، بمعنى إلا ، وإن نافية ، وغيرهم بالتخفيف^(٢) على أَنَّ ماصلة للتأكيد ، وإن مخففة من الثقيلة وهي متلقة باللام لامحالة ، والتنوين في كلِّ عَوْضٍ من المضاف إليه ، والمعنى : إنَّ كلُّهم محشورون مجموعون محضرون للحساب ، او معذبون ، وإنما أخبر عن كلِّ بجميع لأن كلاً يفيد الإحاطة ، والجميع فعيل بمعنى مفعول ومعناه الاجتماع ، يعنى : أن المحشر يجمعهم .

﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ ﴾ مبتدأ وخبر ، أي : وعلامة تدل على أن الله يبعث الموتى إحياء الأرض الميتة ، ويجوز أن يرتفع آيةً بالإبتداء ولهم صفتها وخبرها^(٣) : ﴿ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ ﴾ اليابسة والتشديد مدني^(٤) .

﴿ أَحْيَيْنَاهَا ﴾ بالمطر ، وهو إستئناف بيان لكونالأرض الميتة آية ، وكذلك نسلخ ، ويجوز أن توصف الأرض والليل بالفعل لأنه أريد بهما الجنسان مطلقين^(٥) ، لا أرض دليل بأعيانها فعموما معاملة النكرات في وصفها بالأفعال^(٦) ونحوه :

ولقد أمرُّ على اللثيم يسبني^(٧)

﴿ وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا ﴾ أريد به الجنس . ﴿ فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴾ قَدَمَ الظرف ليدل على أن الحَبَّ هو الشيء الذي يتعلق به معظم العيش ، ويقوم بالإرتزاق منه صلاح

(١) في (أ) : أنهم .

(٢) الموضح ج٣ ص ١٠٧١ ، النشر ج٢ ص ٤٧٤ ، الإتحاف ج٢ ص ٤٠٠ .

(٣) إعراب القرآن / للنحاس ج٢ ص ٧٢٠ ، التبيان في إعراب القرآن ج٢ ص ١٠٨٢ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ١١٠ ، الدر المصون ج٥ ص ٤٨٣ .

(٤) الموضح ج٣ ص ١٠٧٢ ، الإتحاف ج٢ ص ٤٠٠ .

(٥) في المطبوع : (جنسان مطلقان) .

(٦) في المطبوع : (وصفهما) .

(٧) الكشاف ج٤ ص ١٥ ، الدر المصون ج٥ ص ٤٨٤ ، البحر المحيط ج٩ ص ٦٤ .

الإنسان^(١) ، وإذا قلَّ جاء القَحْطُ ووقع الضر ، وإذا فقد حضر الهلاك ونزل البلاء .
﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا ﴾ في الأرض . ﴿ جَنَّاتٍ ﴾ بساتين . ﴿ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا
مِنَ الْعَيْونِ ﴾ من زائده عند الأخفش^(٢) ، وعند غيره المفعول محذوف وتقديره: ما ينتفعون به^(٣) .
﴿ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ ﴾ والضمير لله تعالى ، أي : ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر ،
﴿ مِنْ ثَمَرِهِ ﴾ حمزة وعلي^(٤) .

﴿ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي : ومما عملته أيديهم من الغرس والسقي والتلقيح
وغيره ، ذلك من الأعمال إلى أن^(٥) بلغ الثمر منتهاه ، يعني: أن الثمر في نفسه فعل الله
وخلقه ، وفيه آثار من كد بني آدم ، وأصله من ثمرنا كما قال : وجعلنا وفجرنا فنقل
الكلام من التلحم إلى الغيبة على طريق الإلتفات ، ويجوز أن يرجع الضمير إلى النخيل ،
وتترك الأعناب غير مرجوع إليها ، لأنه عَلِمَ أنها في حكم النخيل مما عُلِّقَ به من أكل
ثمره ، ويجوز أن يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال رؤبة^(٦) ^(٧) :

فيها خطوطٌ من (سوادٍ) وبلق^(٨) (كأنها) في الجلدِ توليعُ البهق^(٩)

(١) في (ب) والمطبوع . الإنس .

(٢) أبو الحسين : سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط المجاشعي ، إمام النحو ، أخذ عن الخليل بن أحمد
ولزم سيويه حتى برع ، وله كتب كثيرة في النحو والعروض ومعاني القرآن ، مات سنة بضع عشرة
ومتين . انظر ترجمته سير أعلام النبلاء ج ١٠ ص ٢٠٦ ، شذرات الذهب ج ٢ ص ٣٦ .

(٣) التبيان في إعراب القرآن ج ٢ ص ١٠٨٢ .

(٤) الموضح ج ٣ ص ١٠٧٢ ، الإتحاف ج ٢ ص ٤٠٠ .

(٥) في (ب) و(المطبوع) : يبلغ .

(٦) رؤبة بن العجاج : بضم الراء وسكون الهمزة وفتح الباء الموحدة ، أبو محمد ، التيمي الراجز ،
من أعراب البصرة ، وكان رأساً في اللغة ، وكان أبوه قد سمع من أبي هريرة رضي الله عنه .
سير أعلام النبلاء ج ٦ ص ١٦٢ ، شذرات الذهب ج ١ ص ٢٢٣ .

(٧) ديوان رؤبة بن العجاج ص ١٠٤ ، إعتنى بتصحيحه وترتيبه : وليم بن الورد ، مطبعة دار بن
قتيبة ، الكويت . وقد صححت الأخطاء التي بين الأقواس من الديوان نفسه .

(٨) بلق : سواد وبياض ، وكذا البلقة ، لسان العرب ج ١٠ ص ٢٤ ، القاموس المحيط
ص ١١٢٢ ، مادة : بلق .

(٩) البهق: بياض دون البرص، ثم ذكر ابن منظور: هذا البيت للإستشهاد بهذا المعنى : لسان

فقيل له، أردت كأنّ ذاك ، وما عملتُ كوفي غير حفص ، وهي في مصاحف اهل الكوفة كذلك ، وفي مصاحف : أهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير^(١) ، وقيل : ما نافية^(٢) على أن الثمر خلق الله ولم / تعمله أيدي الناس ولا يقدرّون عليه .

[١/١٤٣]

﴿ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ استبطاءً وحثّ على شكر النعمة .

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ ﴾ الأصناف .

﴿ كُلِّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ ﴾ من النخيل والشجر والزرع والثمر .

﴿ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ الأولاد ذكوراً وإناثاً .

﴿ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ، ولا توصلوا إلى معرفتها

ففي الأودية والبحار أشياء لا يعلمها الناس .

﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ﴾ نخرج منه النهار إخراجاً لا يبقى معه شيء

من ضوء النهار ، أو ننزع عنه الضوء نزع القميص الأبيض ، فيعري نفس الزمان كشخص زنجي أسود ، لأن أصل ما بين السماء والأرض من الهواء الظلمة فأكتسى بعضه ضوء الشمس كبيت مظلم أُسْرَجَ فيه فإذا غاب السراج أظلم .

﴿ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾ داخلون في الظلام .

﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي ﴾ وآية لهم الشمس تجري .

﴿ لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾ لحدلها موقت مقدر ، تنتهي إليه من فلَكِهَا في آخر السنة ، شبه

بمستقر المسافرين إذا قطع مسيره ، أو لِحَدَلِهَا من مسيرها كل يوم في مرائي عيوننا ، وهو

◀ العرب جـ ١٠ ص ٢٩ ، والقاموس المحيط ص ١١٢٣ ، مادة : بهق .

(١) الحجة في القراءات السبع ص ٢٩٨ ، التلخيص ص ٣٨٠ ، الموضح جـ ٣ ص ١٠٧٢ ، النشر جـ ٢ ص ٣٥٣ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٤٠٠ .

(٢) إعراب القرآن / للنحاس جـ ٢ ص ٧٢٠ ، التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٨٢ ، الفريد في

إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ١٠٨ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٨٤ و ٤٨٥ وذكر أن في

(ما) أربعة أوجه : (موصوله ، أونافيه ، أو نكره موصوفه ، أو أنها مصدرية) .

المغرب ، أو لإنتهاء أمرها عند إنقضاء الدنيا^(١) .

﴿ ذَلِكَ ﴾ الجري على ذلك التقدير والحساب الدقيق .

﴿ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ ﴾ الغالب بقدرته على كل مقدور .

﴿ الْعَلِيمِ ﴾ بكل معلوم . ﴿ وَالْقَمَرَ ﴾ نَصَبٌ بفعل يفسره :

﴿ قَدَرْنَاهُ ﴾ وبالرفع مكِّي ونافع وأبو عمر وسهل على الإبتداء، والخبر قدرناه، أو

على وآية لهم القمر^(٢) .

﴿ مَنَازِلَ ﴾ وهي ثمانية وعشرون منزلاً ، ينزلُ القمرُ كل ليلة في واحدة منها

لايتخطاه ولايتقاصر عنه على تقدير مستوٍ يسير فيها من ليلة المستهل إلى الثامنة

والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة إذا نقص الشهر ، ولا بد في قدرناه منازل من تقدير

مضاف لأنه لامعنى لتقدير نفس القمر منازل، أي: قدرنا نوره فيزيد وينقص ، أو قدرنا

سيره^(٣) منازل فيكون ظرفاً^(٤) ، فإذا كان في آخر منازل دَقَّ واستقَّوسَ .

﴿ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ ﴾ هو عودُ الشُّمْرَاخِ^(٥) إذا يبس وإعوج ، ووزنه فَعْلُوْكَ من

(١) انظر : معاني القرآن / للنحاس ج ٥ ص ٤٩٣ ، بحر العلوم ج ٣ ص ٩٩ ، النكت والعيون

ج ٥ ص ١٧ الوسيط ج ٦ ص ٥١٤ ، تفسير القرآن / للسمعاني ج ٤ ص ٣٧٧ ، المحرر

الوجيز ج ١٣ ص ٢٠٠ ، الجامع لأحكام القرآن ج ١٥ ص ٢٧ ، البحر المحيط ج ٩

ص ٦٦ و ص ٦٧ ، تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩١٠ ، وقال ابن كثير رحمه الله : ﴿ لمستقر

لها ﴾ فيه قولان : أحدهما : أن المراد مستقرها المكاني ، وهو تحت العرش مما يلي الأرض

من ذلك الجانب ... الثاني : أن المراد بمستقرها هو منتهى سيرها وهو يوم القيام ، يبطل

سيرها وتسكن حركتها وتكور وينتهي هذا العالم إلى غايته ، وهذا هو مستقرها الزمني (قلت

: وهو تفصيل من ابن كثير رحمه الله قيم ومفيد .

(٢) الحجة في القراءات السبع ص ٢٩٨ ، التلخيص ص ٣٨٠ ، الموضح ج ٣ ص ١٠٧٣ ،

وص ١٠٧٤ ، النشر ج ٥ ص ٣٥٣ ، الإتحاف ج ٢ ص ٤٠٠ و ص ٤٠١ .

(٣) في (المطبوع) و (ج) مسيره .

(٤) الفريد في إعراب القرآن المجيد ج ٤ ص ١٠٩ ، الدر الصون ج ٥ ص ٤٨٦ .

(٥) الشمراخ : بالكسر : العثكال الذي عليه البُسر، وأصله في العذق وقد يكون في العنب، انظر :

الإنعراج وهو الإنعطاف .

﴿ الْقَدِيمِ ﴾ العتيق المحوّل ، فإذا (١) قَدَّمَ دَقَّ وأنحنى وأصفر فَشَبَّه به (٢) من ثلاثة

أوجه (٣) .

﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا ﴾ أي : لا يتسهّل لها ، ولا يصح ، ولا يستقيم .

﴿ أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ ﴾ فتجتمع معه في وقت واحد ، وتداخله في سلطانه فتطمس

نوره ، لأن لكل واحد من النيرين سلطاناً على حياله ، فسلطان الشمس بالنهار ،

وسلطان القمر بالليل .

﴿ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ﴾ ولا يسبق الليل النهار ، أي : آية الليل آية النهار ، وهما

النيران ولا يزال الأمر على هذا الترتيب إلى أن تقوم القيامة ، فيجتمع (٤) بين الشمس

والقمر وتطلع الشمس من مغربها .

﴿ وَكُلٌّ ﴾ التنوين فيه عوض من المضاف إليه ، أي : وكلهم ، والضمير للشموس

والأقمار (٥) .

﴿ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ يسرون .

﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ (ذُرِّيَّاتِهِمْ) مدني وشامي (٦) .

﴿ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ﴾ المملوء (٧) ، والمراد بالذرية : الأولاد ومن يهملهم

← لسان العرب ج٣ ص ٣١ ، والقاموس المحيط ص ٣٢٥ . مادة : شمراخ .

(١) في (ب) و(ج) المطبوع إذا .

(٢) في المطبوع القمر .

(٣) انظر : معاني القرآن / للزجاج ج٤ ص ٢٨٧ ، وص ٢٨٨ .

(٤) في المطبوع : فيجمع الله .

(٥) الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ١١٠ .

(٦) التلخيص ص ٣٨٠ ، الموضح ج٣ ص ١٠٧٤ ، الإتحاف ج٢ ص ٤٠١ ، وقال السمرقندي

في بحر العلوم ج٣ ص ١٠١ : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ ﴾ يعني : (علامة لكفار مكة على معرفة

وحدانية الله تعالى) .

(٧) هو قول ابن عباس رضي الله عنهما : النكت والعيون ج٥ ص ١٩ .

المفعول له (١) .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ ﴾ أي : ماتقدم من ذنوبكم وما تأخر مما أنتم تعلمونه (٢) من بعد ، أو من مثل الوقائع التي إبتليت بها الأمم المُكذِّبَةُ بأنبيائها ، وما خلفكم من أمر الساعة ، أو فتنة الدنيا وعقوبة الآخرة .

﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ لتكونوا على رجاء رحمة الله ، وجواب إذا مضمرة ، أي : أعرضوا وجاز حذفه لأن قوله : ﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ يدل عليه وَمِنْ الْأُولَى لتأكيد النفي ، والثانية للتبعيض ، أي : ودأبهم الإعراض عند كل آية وموعظة (٣) .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾ لمشركي مكة .

﴿ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ أي : تصدقوا على الفقراء .

﴿ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطِعِم مِّن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ ﴾ عن ابن عباس

رضي الله عنهما : كان بمكة زنادقة فإذا أمرُوا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله أَيْفِقِرُهُ وَنُطْعِمُهُ نحن (٤) . ﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ قول الله لهم ، أو حكاية قول المؤمنين لهم ، أو هو من جملة جوابهم للمؤمنين .

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ ﴾ أي : وعد البعث والقيامة .

﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فيما تقولون خطاب للنبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم .

﴿ مَا يَنْظُرُونَ ﴾ ينتظرون . ﴿ إِلَّا صِيحَةً وَاحِدَةً ﴾ هي النفخة الأولى .

﴿ تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد من خَصَمَهُ إذا غلبه

(١) انظر: إعراب القرآن / للنحاس جـ ٢ ص ٧٢٤ ، والتبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٨٣ ،

وص ١٠٨٤ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ١١١ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٨٧ .

(٢) في المطبوع : تعلمون .

(٣) انظر : الدر المصون جـ ٥ ص ٤٨٦ .

(٤) تفسير القرآن / للسمعاني جـ ٤ ص ٣٨١ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ٣٧ ، البحر

المحيط جـ ٩ ص ٢٧٢ ، إرشاد العقل السليم جـ ٤ ص ٣٨٨ ، روح المعاني جـ ٢٣ ص ٣٠ .

فى النخومة ، وشدد الباقون الصاد ، أى : يخصّمون بإدغام التاء فى الصاد لكنه مع فتح الخاء مكى، بنقل حركة التاء المدغمة إليها ، وبسكون الخاء مدنيّ ، وبكسر الياء والحاء يحيى فأتبع الياء والحاء فى الكسر ، وفتح الياء وكسر الخاء غيرهم ، والمعنى تأخذهم وبعضهم يخصم بعضاً فى معاملاتهم^(١) .

﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً ﴾ فلا يستطيعون أن يوصّوا فى شيء من أمورهم توصية .

﴿ وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ولا يقدرّون على الرجوع إلى منازلهم بل يموتون

حيث يسمعون الصيحة .

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ هى النفخة الثانية ، والصور القرن ، أو جمع صُورَة^(٢) .

﴿ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ ﴾ أى : القبور .

﴿ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ [بكسر السين أو ضمها]^(٣) .

﴿ قَالُوا ﴾ أى : الكفار . ﴿ يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا ﴾ من أنشأنا ﴿ مِنْ مَّرْقَدِنَا ﴾^(٤)

مضجعنا وقف لازم/ عن حفص^(٥)، وعن مجاهد^(٦) رحمه الله : للكفار هجعة^(٧) يجدون

(١) الحجّة فى القراءات السبع ص ٢٩٨ ، وص ٢٩٩ ، التلخيص ص ٣٨٠ ، الموضح جـ ٣ ص ١٠٧٤ ، وص ١٠٧٥ ، النشر جـ ٢ ص ٣٥٤ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٤٠١ .

(٢) معاني القرآن / للنحاس جـ ٥ ص ٥٠٣ وهو قول أبو عبيده ، ويقول النحاس : (الذى قال أبو عبيده لا يعرفه أهل التفسير ولا أهل اللغة .. وأهل اللغة على أن جمع صُورَة صُور) .

وقال ابن عطية رحمه الله فى المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ٢٠٦ : (هذه نفخة البعث ، والصور القرن فى قول جماعة من المفسرين وبذلك تواتر الأحاديث) .

(٣) ساقط من (أ) . و(ج) .

(٤) فى (ج) والمطبوع أى .

(٥) التلخيص ص ٣٨٠ ، الموضح جـ ٣ ص ١٠٧٥ ، وص ١٠٧٦ ، النشر جـ ٢ ص ٣٥٣ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٤٠٢ .

(٦) سبق ترجمته ص ٣١ .

(٧) فى المطبوع مضجعه .

والهجعة : يُقال أتيت فلاناً بعد هجيعة أى بعد نومة خفيفة من أول الليل . انظر لسان العرب

جـ ٨ ص ٣٦٧ مادة : هجع .

فيها طعم النوم ، فإذا صبح بأهل القبور قالوا من بعثنا^(١) .

﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ كلام الملائكة ، أو المتقين ، أو الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيحييون به أنفسهم ، أو بعضهم بعضاً^(٢) ، وما: مصدرية ، ومعناه : هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدق بالوعد والصدق ، أو موصولة وتقديره : هذا الذي وعده الرحمن والذي صدقه المرسلون أي : والذي صدق فيه المرسلون^(٣) .

﴿ إِنَّ كَانَتْ ﴾ النفخة الأخيرة .

﴿ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ للحساب، ثم ذكر ما يقال لهم في ذلك اليوم :

﴿ فَالْيَوْمَ لَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ، إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ ﴾ بضمين كوفي وشامي، وبضمة وسكون مكّي ونافع وأبو عمرو^(٤) ، والمعنى: في أي شغل وفي شغل لا يوصف ، وهو : إفتضاض الأبقار على شط الأنهار

(١) تفسير القرآن / للسمعاني جـ ٢ ص ٣٨٢ ، غرائب القرآن جـ ٥ ص ٥٤ ، تفسير القرآن / لابن كثير جـ ٣ ص ٩١٥ ، وقال ابن كثير في تفسيره جـ ٣ ص ٩١٥ (وهذا لا ينفى عذابهم في قبورهم ، لأنه بالنسبة إلى ما بعده في الشدة كالرقاد) . قلت : وهو الصحيح فالمراد بالمرقد المضجع ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور جـ ٧ ص ٦٣ لهنادفي الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري .

(٢) المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ٢٠٧ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ٤٢ ، تفسير القرآن العظيم / لابن كثير جـ ٣ ص ٩١٥ ورجح ابن كثير رحمه الله قول من قال أنه من كلام المؤمنين حيث قال : (... قاله غير واحد من السلف ، وهو الأصح) . بتصرف يسير .

(٣) التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٨٢ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ١١٣ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٨٨ .

(٤) الحجة في القراءات السبع ص ٢٩٩ ، التلخيص ص ٣٨٠ ، الموضح جـ ٣ ص ١٠٧٦ و ص ١٠٧٧ ، النشر جـ ٢ ص ٣٥٤ ، الإنحاف جـ ٢ ص ٤٠٢ .

تحت الأشجار^(١) ، أو ضرب الأوتار^(٢) أو ضيافة الجبار^(٣) .

﴿ فَآكِهِونَ ﴾ خبر ثان^(٤) (فَكِهِونَ) يزيد^(٥) ، والفاكهة والفكهة : المتنعم المتلذذ ومنه

[الفاكهة]^(٦) لأنها مما يتلذذ به وكذا الفكاكة .

﴿ هُم ﴾ مبتدأ . ﴿ وَأَزْوَأَجَهُم ﴾ عطف عليه^(٧) .

﴿ فِي ظِلَالٍ ﴾ حال جمع ظلّ ، وهو الموضع الذي لاتقع عليه الشمس ، كذئب

(١) هو قول ابن مسعود رضي الله عنه ، والحسن وابن جبير وقتادة عليهم رحمهم الله ، انظر :

النكت والعيون ج٥ ص ٢٤ ، الوسيط ج٣ ص ٥١٦ وقال الواحدي رحمه الله (.. وهو قول

جماعة من المفسرين) ، تفسير القرآن / للسمعاني ج٤ ص ٣٨٣ ونسبه لإبن عباس رضي الله

عنها ، وقال السمعاني رحمه الله : (وهو المعروف بين المفسرين) ، معالم التنزيل ج٧

ص ٢٢ ، المحرر الوجيز ج١٣ ص ٢٠٨ ، زاد المسير ج٧ ص ٢٧ ، الجامع لأحكام القرآن

ج١٥ ص ٤٣ ، البحر المحيط ج٩ ص ٧٥ ، تفسير القرآن العظيم / لإبن كثير ج٣ ص ٩١٦ .

• (٢) هو قول ابن عباس رضي الله عنهما ، ومسافع بن أبي شريح رحمه الله : النكت والعيون ج٥

ص ٢٤ ، تفسير القرآن / للسمعاني ج٥ ص ٣٨٣ ، المحرر الوجيز ج١٣ ص ٢٠٨ وقال ابن

عطية رحمه الله : (.. وقال مجاهد رحمه الله معناه : نعيم قد شغلهم ، وهذا هو القول

الصحيح وتعيين شيء دون شيء لاقياس له ..) . قلت : والمقام مقام الإطلاق وفضل الله

واسع وعدم التخصيص أولى .

(٣) معالم التنزيل ج٧ ص ٢٢ ، الجامع لأحكام القرآن ج١٥ ص ٤٣ ، غرائب القرآن ج٥

ص ٥٤١ ، البحر المحيط ج٩ ص ٧٥ ، إرشاد العقل السليم ج٤ ص ٣٩٠ ، روح المعاني

ج٢٣ ص ٣٤ .

(٤) انظر : إعراب القرآن / للنحاس ج٢ ص ٧٢٨ ، والتبيان في إعراب القرآن ج٢ ص ١٠٨٤ ،

والفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ١١٤ .

(٥) النشر ج٢ ص ٣٥٤ و ص ٣٥٥ ، الإتحاف ج٢ ص ٤٠٢ .

(٦) في (أ) الفكاكة .

(٧) انظر : إعراب القرآن / للنحاس ج٢ ص ٧٢٩ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤

ص ١١٤ ، الدر المصون ج٥ ص ٤٨٩ .

وذئاب أو جمع ظلة كبرمة وبرام^(١) ، دليله قراءة حمزة وعلي^(٢) ؛ (ظلل) جمع ظلة ، وهي : ما سترك عن الشمس .

﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ ﴾ جمع أريكة ، وهي : السرير في الحجلة^(٣) ، أو الفراش فيها .

﴿ مُتَّكِنُونَ ﴾ خبر ، أو في ظلال خبر وعلى الأرائك مستأنف^(٤) .

﴿ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مِمَّا يَدْعُونَ ﴾ يفتعلون من الدعاء ، أي : كلُّ ما يدعوا به

أهل الجنة يأتيهم ، أو يتمنون من قولهم أدع عليّ ماشئت ، أي : تمنّيه عليّ ، عن الفراء^(٥) : هو من الدعوى ولا يدعون مالا يستحقون^(٦) .

﴿ سَلَامٌ ﴾ بدلٌ مما يدعون^(٧) ، كأنه قال لهم سلام يقال لهم : ﴿ قَوْلًا مِنْ رَبِّ

رَحِيمٍ ﴾ والمعنى : أن الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة ، أو بغير واسطة تعظيماً لهم

(١) البرمة : بالضم قدرٌ من حجارة ، والجمع : برم وبرام وبرم . لسان العرب جـ ١٢ ص ٤٥ ، القاموس المحيط ص ٣٩٤ مادة : برم .

(٢) الحجلة في القراءات السبع جـ ٢ ص ٢٩٩ ، التلخيص ص ٣٨١ ، الموضح جـ ٣ ص ١٠٧٧ ، النشر جـ ٢ ص ٣٥٥ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٤٠٣ .

(٣) الحجلة : مثل القبة وحجلة العروس : معروفة وهي بيت يزين بالثياب والأسيرة والستور للعروس ، لسان العرب جـ ١١ ص ١٤٤ ، القاموس المحيط ص ١٢٧٠ .

(٤) انظر : التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٨٥ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ١١٤ و ١١٥ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٨٩ .

(٥) الفراء : العلامة صاحب التصانيف ، أبوزكريا يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الأسدي ، مولاهم الكوفي النحوي صاحب الكسائي ، مات الفراء بطريق الحج سنة سبع ومئتين ، وله ثلاث وستون سنة .

سير أعلام النبلاء جـ ١٠ ص ١١٨ ، تهذيب التهذيب جـ ١١ ص ٢١٢ .

(٦) لم أجده في كتاب معاني القرآن للفراء .

(٧) إعراب القرآن / للنحاس جـ ٢ ص ٧٢٩ ، والتبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٨٥ ، الفريد

في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ١١٦ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٨٩ و ٤٩٠ وذكر في إعرابه ستة أوجه .

وذلك متمنهم، ولهم ذلك لا يُمنَعونه ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين^(١) .

﴿وَأَمَّا زُوا آلِيَوْمَ أَيَّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ وانفردوا عن المؤمنين ، وكونوا على حدة ذلك حين يُحشر المؤمنون ، ويسار بهم إلى الجنة ، وعن الضحاك^(٢) : لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى أبداً^(٣) ، ويقول لهم يوم القيامة : ﴿أَلَمْ أَعْهَدَ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ العهد الوصية ، وَعَهْدَ إِلَيْهِ إِذَا وَصَّاهُ ، وَعَهْدُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ مَا رُكِّزَ فِيهِمْ مِنْ أَدْلَةِ الْعَقْلِ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ دَلَائِلِ السَّمْعِ ، وعبادة الشيطان : طاعته فيما يوسوس به إليهم ويزينه إليهم .

﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي﴾ وَحَدُّونِي وَأَطِيعُونِي .

[١/١٤٥]

﴿هَذَا﴾ إشارة إلى ما عهد إليهم / من معصية الشيطان وطاعة الرحمن .

﴿صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ أي : صراط بليغ في إستقامته ولا صراط أقوم منه .

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا﴾ بكسر الجيم والباء والتشديد مدني وعاصم وسهل ، (جِبِلًّا) بضم الجيم والباء والتشديد يعقوب ، جِبِلًّا مخففاً شامي وأبو عمرو ، (وجِبِلًّا) بضم الجيم والباء وتخفيف اللام غيرهم^(٤) ، وهذه لغات في معنى الخلق .

﴿كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ إستفهام تقرير على تركهم الإلتفاع بالعقل .

﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بها .

(١) البحر المحيط جـ ٩ ص ٧٦ ، إرشاد العقل السليم جـ ٤ ص ٣٩١ و ص ٣٩٢ ، روح المعاني جـ ٢٣ ص ٣٨ .

(٢) الضحاك : سبق ترجمته ص ١٣٧ .

(٣) معالم التنزيل جـ ٧ ص ٢٣ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ٤٦ ، غرائب القرآن جـ ٩ ص ٥٤ ، البحر المحيط جـ ٩ ص ٧٦ ، إرشاد العقل السليم جـ ٤ ص ٣٩٢ ، روح المعاني جـ ٢٣ ص ٣٩ .

(٤) الحجة في القراءات السبع ص ٢٩٩ ، التلخيص ص ٣٨١ ، الموضح جـ ٣ ص ١٠٧٧ و ص ١٠٧٨ ، النشر جـ ٢ ص ٣٥٧ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٤٠٣ .

﴿ أَصَلَوْهَا أَلْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ إدخالوا بكفركم ، وإنكاركم لها .

﴿ أَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ أي : نمنعهم من الكلام .

﴿ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ يُروى أنهم يجحدون

ويخاصمون فيشهد^(١) عليهم جيرانهم ، وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين ،

فحينئذٍ يُخْتَمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ^(٢) ، وفى الحديث : « يقول العبد يوم

القيامة إنى لا أجزى عليّ إلا شاهداً إلا من نفسى ، فَيُخْتَمُ عَلَىٰ فِيهِ وَيُقَالُ لَأَرْكَانِهِ أَنْطَقِي

فتنطق بأعماله ، ثم يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ فَيَقُولُ بَعْدًا لَكُنَّ وَسَحَقًا فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أَنْضِلُّ^(٣) .

﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ ﴾ لأعميناهم وأذهبنا أبصارهم ، والطمس :

لعفية شقّ العين حتى تعود ممسوحة^(٤) .

﴿ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ ﴾ على حذف الجار وإيصال الفعل والأصل : فاستبقوا إلى

(١) قى المطبوع : (فتشهد) .

(٢) انظر : معالم التنزيل ج٧ ص ٢٢٤ ، غرائب القرآن ج٥ ص ٥٤٢ ، إرشاد العقل السليم ج٤ ص ٣٩٤ .

وقال الماوردي رحمه الله النكت والعيون ج٥ ص ٢٧ : (وفي سبب الختم أربعة أوجه : أحدها : لأنهم قالوا : ﴿ واللّه ربنا ما كنا مشركين ﴾ سورة الأنعام آية ٢٣ ، فختم الله تعالى على أفواههم حتى نطقت جوارحهم قاله أبو موسى الأشعري رضي الله عنه .

الثاني : ليعرفهم أهل الموقف فيتميزون منهم ، قاله ابن زياد .

الثالث : لأن إقرار غير الناطق أبلغ في الإلتزام من إقرار الناطق لخروجه مخرج الإعجاز ، وإن كان يوماً لا يحتاج فيه إلى الإعجاز .

الرابع : ليعلم أن أعضائه التي كانت له أعواناً فى حق نفسه صارت عليه شهوداً فى حق ربه) .

(٣) أخرجه مسلم رحمه الله ج٤ ص ١٨٠٣ كتاب الزهد والرقائق . من رواية الشعبي عن أنس رضي الله عنه بنحوه ، وأخرجه النسائي فى تفسيره ج٢ ص ٢٠٦ وهو طويل والشاهد بلفظ آخر ، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه : صبري الشافعي وسيد الجليمي ، مطبعة مؤسسة الكتب الثقافية ، الطبعة الأولى عام ١٤١٠ هـ .

(٤) فى ج : تعفية ، انظر : لسان العرب ج٦ ص ١٢٦ ، مادة : طمس .

الصراط^(١) .

﴿ فَأَنى يُبْصِرُونَ ﴾ فكيف يبصرون حينئذ وقد طمسنا أعينهم .

﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ ﴾ قرده ، أو خنازير ، أو حجارة .

﴿ عَلَى مَكَانَتِهِمْ ﴾ (على مكاناتهم) أبوبكر وحماد^(٢) ، والمكان : واحدٌ كالمقامة

والمقام ، أي : مسخناهم في منازلهم حيث يجترحون المآثم .

﴿ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾ فلم يقدرُوا على ذهاب ولا مجيء ، أو

مُضِيًّا أمامهم ولا يرجعون خلفهم .

﴿ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ ﴾ عاصم وحمزة ، والتنكيس : جعل الشيء أعلاه أسفله ،

الباقون: (ننكسه)^(٣) .

﴿ فِي الْخَلْقِ ﴾ أي : نقله فيه ، بمعنى من أطلنا عُمره نَكَّسْنَا خَلْقَهُ فصار بدل

القوة ضعفاً ، وبدل الشباب هرمًا ، وذلك أنا خلقناه على ضَعْفٍ في جسد^(٤) ، وخلو من

عقل ، وعلم ، ثم جعلناه يتزايد إلى أن يبلغ أشده ، ويستكمل قوته ، ويعقل ويعلم مثله

وما عليه ، فإذا إنتهى نَكَّسْنَاهُ في الخلق ، فجعلناه يتناقص حتى يرجع إلى حالٍ شبيهة

بحال الصبي في ضَعْفِ جسده ، وقلة عقله ، وخلوه من العلم . كما يُنكَّسُ السهم

فِيُجْعَلُ أعلاه أسفله ، قال عز وجل : ﴿ [وَمِنْكُمْ مَّن] ^(٥) يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ

مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾^(٦) .

(١) الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ١١٨ ، الدر المصون ج٥ ص ٤٩١ و ص ٤٩٢ .

(٢) الموضح ج٣ ص ١٠٧٨ ، النشر ج٢ ص ٣٥٥ ، الإتحاف ج٢ ص ٤٠٤ .

(٣) الحجة في القراءات ص ٩٩ ، التلخيص ص ٣٨١ ، الموضح ج٣ ص ١٠٧٨ و ص ١٠٧٩ ،

النشر ج٢ ص ٣٥٥ ، الإتحاف ج٢ ص ٤٠٤ .

(٤) في المطبوع : جسده .

(٥) ساقط من (أ) ، ومثبت في هامش (ب) ، وفي (ج) ساقط : (منكم) .

(٦) سورة الحج آية ٥ .

﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى أَنْ يَنْقَلِبَهُمْ مِنَ الشَّبَابِ إِلَى الْهَرَمِ ، وَمَنْ الْقُوَّةَ إِلَى الضَّعْفِ ، وَمَنْ رِجَاحَةَ الْعَقْلِ إِلَى الْخَرَفِ^(١) وَقَلَّةَ التَّمْيِيزِ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَطْمَسَ عَلَى أَعْيُنِهِمْ وَيَمْسُخِمْهُمْ عَلَى مَكَاتِهِمْ وَيَبْعَثَهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَبِالْتِمَاءِ مَدَنِيٍّ وَيَعْقُوبَ وَسَهْلَ^(٢) . / وَكَانُوا يَقُولُونَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ [١٤٥/ب] فَنَزَلَ^(٣) : ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ﴾ ، أَي : وَمَا عَلَّمْنَا النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْلَ الشُّعْرَاءِ ، أَوْ وَمَا عَلَّمْنَاهُ بِتَعْلِيمِ الْقُرْآنِ الشُّعْرَ ، عَلَى مَعْنَى أَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ بِشُعْرٍ ، فَهُوَ كَلَامٌ مُوزُونٌ مَقْفَى يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى ، فَأَيْنَ الْوِزْنُ وَأَيْنَ التَّقْفِيهِ ؟ فَلَا مَنَاسِبَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشُّعْرِ إِذَا حَقَّقْتَ^(٤) .

﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ وَمَا يَصِحُّ لَهُ ، وَلَا يَلِيقُ بِحَالِهِ ، وَلَا يَتَطَلَّبُ لَهُ لَوْطَلِبِهِ ، أَي : جَعَلْنَاهُ بِحَيْثُ لَوْ أَرَادَ قَرْضَ الشُّعْرَ لَمْ يَتَأْتَّ لَهُ ، وَلَمْ يَتَسَهَّلْ ، كَمَا جَعَلْنَاهُ أُمِّيًّا لَا يَهْتَدِي إِلَى الْخَطِّ لِتَكُونِ الْحُجَّةُ أَثْبَتَ وَالشُّبُهَةُ أَدْحَضَ وَأَمَا قَوْلُهُ :

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبُ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ^(٥)

وقوله :

هَلْ أَنْتَ إِلَّا أَضْبَعٌ دَمِيَّتٌ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتَ^(٦)

فَمَا هُوَ إِلَّا مِنْ جِنْسِ كَلَامِهِ الَّذِي كَانَ يَرْمِي بِهِ عَلَى السَّلِيْقَةِ مِنْ غَيْرِ صَنْعَةٍ فِيهِ ، وَلَا تَكْلُفٍ ، إِلَّا أَنَّهُ اتَّفَقَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ إِلَى ذَلِكَ وَلَا التَّفَاتِ مِنْهُ أَنْ جَاءَ مُوزُونًا كَمَا يَتَّفِقُ

(١) خَرَفَ : كَنَصَرَ ، فَهُوَ خَرِفٌ ، فَسَدَ عَقْلُهُ . الْقَامُوسُ الْمَحِيْطُ ص ١٠٣٨ ، مَادَّةُ : خَرَفَ .

(٢) الْحِجَّةُ فِي الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ ص ٣٠٠ ، الْمَوْضُوحُ ج ٣ ص ١٠٧٩ ، الْإِتْحَافُ ج ٢ ص ٤٠٤ .

(٣) انْظُرْ : بَحْرُ الْعُلُومِ / لِلْسَمْرَقَنْدِيِّ ج ٣ ص ١٠٥ ، الْوَسِيْطُ ج ٣ ص ٥١٨ ، تَفْسِيْرُ الْقُرْآنِ /

لِلْسَمْعَانِيِّ ج ٤ ص ٣٨٦ ، مَعَالِمُ التَّنْزِيلِ ج ٧ ص ٢٦ ، زَادُ الْمَسِيْرِ ج ٧ ص ٢٣ وَص ٣٤ ، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيْمِ ج ٤ ص ٣٩٥ .

(٤) فِي : الْمَطْبُوعِ حَقَّقْتَهُ .

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيْحِهِ ج ٢ ص ٨٨٥ كِتَابُ الْجِهَادِ بَابُ مِنْ قَادِ دَابَّةٍ غَيْرِهِ فِي الْحَرْبِ ، وَمُسْلِمٌ ج ٣ ص ١١٢١ كِتَابُ الْجِهَادِ بَابُ فِي غَزْوَةِ حَنْيْنٍ .

(٦) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيْحِهِ ج ٢ ص ٨٦٧ كِتَابُ الْجِهَادِ بَابُ مَنْ يَنْكَبُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَمُسْلِمٌ ج ٣ ص ١١٣٤ كِتَابُ الْجِهَادِ بَابُ مَالِقَى النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَدَى الْمُشْرِكِيْنَ وَالْمُنَافِقِيْنَ .

في خُطْبِ الناس ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة ، ولا يسميها أحد شعراً لأن صاحبه لم يقصد الوزن ولا بد منه ، على أنه ﷺ ، قال : لقيت بالسكون وفتح الباء في كذب ، وخفض الباء في المُطَلَّب ، ولَمَّا نفى أن يكون القرآن من جنس الشعر قال : ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي : المعلم .

﴿إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ أي : ماهو إلا ذكر من الله يُوعظ به الإنس والجن ، وماهو إلا قرآن كتاب سماوي يُقرأ في المحاريب ، ويُتلى في المتعبات ، ويُنال بتلاوته ، والعمل به فوز الدارين ، فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين .

﴿لِيُنذِرَ﴾ القرآن ، أو الرسول ، لتندر مدني وشامي وسهل ويعقوب^(١) .

﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ عاقلاً متأملاً ، لأن الغافل كالमित ، أو حياً بالقلب .

﴿وَيَحِقُّ الْقَوْلُ﴾ وتجب كلمة العذاب . ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ .

وهم الذين لا يتأملون وهم في حكم الأموات .

﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ أي : مما تولينا نحن إحدائه

ولم يقدر على توليه غيرنا .

﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ أي : خلقناها لأجلهم ، فملكناها إياهم فهم متصرفون فيها

تصرف الملاك ، مختصون بالانتفاع بها ، أو فهم لها ضابطون قاهرون .

﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ وصيرناها منقادة لهم ، وإلا فمن كان يقدر عليها لولا تذييله

وتسخيره لها ، ولهذا أُلزم الله سبحانه الراكب أن يشكر هذه النعمة ، ويسبح بقوله :

﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ..﴾^(٢) .

﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ وهو ما يُرْكَبُ .

﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ أي : سخرناها لهم ليركبوا ظهرها ويأكلوا لحمها .

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ من الجلود والأوبار وغير ذلك .

(١) الحجة في القراءات السبع ص ٢٠٠ ، التلخيص ص ٣٨١ ، الموضح ج ٣ ص ١٠٨٠ ، النشر

ج ٢ ص ٣٥٥ ، الإتحاف ج ٢ ص ٤٠٤ .

(٢) سورة الزخرف آية : ١٣ .

﴿ وَمَشَارِبٌ ﴾ من اللبن ، وهو جمع مَشْرَبٍ وهو موضع الشُّرْبِ ، أو الشراب .

﴿ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ الله على إنعام الأنعام .

﴿ وَأَتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴾ أي: لعل أصنامهم تنصرهم إذا حزبهم أمر .

﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ أي : آلهتهم .

﴿ نصرهم ﴾ نصر عابديهم . ﴿ وَهُمْ لَهُمْ ﴾ / أي : الكفار للأصنام .

﴿ جُنْدٌ ﴾ أعوان وشيعة .

﴿ مُحْضَرُونَ ﴾ يخدمونهم ويذبون عنهم ، أو إتخذوهم لينصروهم عندالله

ويشفعوا لهم ، والأمر خلاف ماتوهموا حيث هم يوم القيامة جندٌ معدون لهم محضرون

لعذابهم ، لأنهم يُجْعَلُونَ وَقُودًا لِلنَّارِ^(١) .

﴿ فَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ ﴾ وبضم الياء وكسر الزاي نافع ، من حَزَنَهُ وَأَحْزَنَهُ يعني :

فلا يهمنك^(٢) تكذيبهم وأذاهم وجفاهم^(٣) .

﴿ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ ﴾ من عداوتهم .

﴿ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ وإنا مُجَازُوهم عليه فَحَقَّ مثلك أن يتسلى بهذا الوعيد ،

ويستحضره في نفسه صورة حاله وحالهم في الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يُرْهَقُهُ

الحُزْنَ ، ومن زعم أن من قرأ أَنَا نَعْلَمُ بالفتح فسدت صلاته وإن إعتقد معناه كفر فقد

أخطأ لأنه لا يمكن حمله على حذف لام التعليل ، وهو كثير في القرآن والشعر وفي كل

كلام ، وعليه تلبية رسول الله ﷺ : « إِنَّ الحمد والنعمة لك »^(٤) .

(١) في (ب) والمطبوع وقود النار .

(٢) في المطبوع : يهمنك .

(٣) النشر ج٢ ص ٣٥٥ ، الإتحاف ج٢ ص ٤٠٥ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ج١ ص ٤٦٣ كتاب الحج باب التلبية .

وأخرجه مسلم في صحيحه ج١ ص ٦٩١ كتاب الحج باب التلبية وصفتها ووقتها .

وأخرجه أبو داود في سننه ج٢ ص ١٦٢ كتاب المناسك باب كيفية التلبية ، وأخرجه النسائي

في سننه ج٥ ص ١٥٩ كتاب مناسك الحج باب كيفية التلبية ، مطبعة دار الفكر ، الطبعة

كسر أبو حنيفة ، وفتح الشافعي رحمة الله عليهما^(١) وكلاهما تعليل ، فإن قلت إن كان المفتوح بدلاً من قولهم كأنه قيل : فلا يحزنك أنا نعلم مايسرون وما يعلنون ففساده ظاهر ، قلت : هذا المعنى قائم مع المكسورة إذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين أن تعلق الحزن بكون الله عالماً ، وعدم تعلقه لا يدوران على كسر إن وفتحها ، وإنما يدوران على تقديرك فتفضل إن فتحت بأن تُقدر معنى لتعليل ولا تقدر معنى البدل ، كما أنك تفضل بتقدير معنى التعليل إذا كسرت ، ولا تقدر معنى المفعولية ، ثم إن قدرته كاسراً أو فاتحاً على ما عظم فيه الخطب ذلك القائل فما فيه إلا نهي رسول الله ﷺ عن الحزن على علمه تعالى بسرهم وعلانيتهم ، والنهي عن حزنه ليس إثباتاً لحزنه بذلك كما في قوله : ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴾^(٢) ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٣) ﴿ فَلَاتَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ﴾^(٤) .

ونزل في أبي بن خلف^(٥) : حين أخذ عظماً بالياً وجعل يفتته بيده ويقول : يا محمد

◀ الأولى عام ١٣٤٨ هـ .

وأخرجه الترمذي في سننه ج٢ ص ١٦٠ أبواب الحج باب ماجاء في التلبية ، مطبعة دار الفكر الطبعة الثانية عام ١٤٠٣ هـ .

وأخرجه ابن ماجه في سننه ج٢ ص ٩٧٤ كتاب المناسك باب التلبية ، مطبعة دار إحياء التراث الإسلامي تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، طبعة عام ١٣٩٥ هـ .
فالحديث منخرج في الكتب الستة .

(١) انظر : النشر ج٢ ص ٢٤٤ عند سورة آل عمران ، الإتحاف ج٢ ص ٤٠٥ .

(٢) سورة القصص آية : ٨٦ .

(٣) سورة الأنعام آية : ١٤ ، يونس آية : ١٠٥ ، القصص آية : ٨٧ .

(٤) سورة الشعراء آية : ٢١٣ .

(٥) أبي بن خلف : كان من أشد أعداء النبي ﷺ ، وقد قتله النبي عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم في غزوة أحد بحرية تناولها من الحارث بن الصمة ثم استقبله فطعنه في عنقه ، فكانت سبباً في وفاته ، انظر : السيرة النبوية / لابن هشام ج٣ ص ٤٧ .

أترى الله يحيي هذا بعد مارم^(١) ، فقال رسول الله ﷺ : « نعم ويعثك ويدخلك جهنم^(٢) » .

﴿ أَوْلَمْ يَرَ الْإِنْسَانَ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ ﴾ مَذْرَةٌ^(٣) خَارِجَةٌ مِنَ الْإِحْلِيلِ الَّذِي هُوَ قَنَاةُ النَّجَاسَةِ .

﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ بَيْنَ الْخَصُومَةِ ، أَي : فَهُوَ عَلَى مَهَانَةٍ أَصْلِهِ ، وَدِنَاءَةِ أَوَّلِهِ يَتَصَدَّى لِمَخَاصِمَةِ رَبِّهِ ، وَيُنْكَرُ قُدْرَتَهُ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَيِّتِ بَعْدَمَا رَمَّتْ عِظَامَهُ ، ثُمَّ يَكُونُ خِصَامَهُ فِي الْأَزْمِ وَصِفِّ وَأَلْصَقِهِ بِهِ وَهُوَ كَوْنُهُ مُنْشَأً مِنْ مَوَاتٍ ، وَهُوَ يَنْكُرُ إِنْشَاءَهُ مِنْ مَوَاتٍ وَهُوَ غَايَةُ الْمَكَابِرَةِ .

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا ﴾ بِفَتْهِ الْعِظَمِ . ﴿ وَنَسِيَ خَلْقَهُ ﴾ مِنَ الْمَنِيِّ ، فَهُوَ أَغْرَبُ مِنَ إِحْيَاءِ الْعِظَمِ ، الْمَصْدَرُ مُضَافٌ إِلَى الْمَفْهُومِ ، أَي : خَلَقْنَا إِيَّاهُ .

﴿ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ وَهُوَ إِسْمٌ لِمَا بَلِيَ مِنْ / الْعِظَامِ غَيْرِ صِفَةٍ ،

(١) رُمَّ : الْعِظَمُ يَرُمُّ رِمَّةً بِالْكَسْرِ وَرَمًا وَرَمِيمًا وَأَرَمَّ بَلَى فَهُوَ رَمِيمٌ ، الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ ص ١٤٤٠ ، مَادَّةٌ : رَمَمَ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ جَد ٢ ص ٤٢٩ ، وَقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يَخْرُجَاهُ ، وَذَكَرَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ .

وَعَزَاهُ السِّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَثْنُورِ جَد ٧ ص ٧٤ : لِإِبْنِ الْمُنْذَرِ وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ وَالْإِسْمَاعِيلِيِّ فِي مَعْجَمِهِ وَابْنِ مَرْدُويهِ وَكُلُّهَا عَنِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ .

وَذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي : أَسْبَابِ النُّزُولِ ص ٤٢٣ ، وَالسِّيُوطِيُّ فِي : لِبَابِ النُّقُولِ ص ١٨٤ ، وَيَقُولُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ الرَّوَايَتَيْنِ : (وَعَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ سِوَاءٍ كَانَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ قَدْ نَزَلَتْ فِي أَبِي بِنِ خَلْفٍ ، أَوْ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ ، أَوْ فِيهِمَا فَهِيَ عَامَةٌ فِي كُلِّ مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ وَالْأَلْفَ وَاللَّامَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَوْلَمْ يَرَ الْإِنْسَانَ ﴾ لِلْجِنْسِ يَعْمُ كُلُّ مَنْكَرٍ لِلْبَعْثِ) جَد ٣ ص ٩٢٦ .

قُلْتُ : فَالْأَفْضَلُ أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ عَامًا فَالْعِبْرَةُ بِعَمُومِ اللَّفْظِ لِابْتِخَاصِ السَّبَبِ .

(٣) مَذْرَةٌ : قَدْرُهُ . لِسَانَ الْعَرَبِ جَد ٥ ص ١٦٤ . مَادَّةٌ : مَذَرَ .

كالرِّمَّةِ والرُّفَاتِ فهذا لم يؤنث ، وقد وقع خبراً لمؤنث^(١) ، ومن يُبْتَت الحياة في العظام ويقول : إن عظام الميتة نجسه لأن الموت يؤثر فيها من قبل أن الحياة تحلُّها تشبث بهذه الآية وهي عندنا ظاهرة ، وكذا الشَّعْرُ والعصب لأن الحياة لاتحلُّها فلا يؤثر فيها الموت^(٢) ، والمراد بإحياء العظام في الآية : ردها إلى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس .

﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا ﴾ خلقها .

﴿ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ أي : ابتداءً . ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ ﴾ مخلوق . ﴿ عَلِيمٌ ﴾ لاتخفى عليه أجزاءه وإن تفرقت في البر والبحر فيجمعه ويعيده كما كان .

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ تقدحون ، ثم ذكر من بدائع خلقه إنقداح النار من الشجر الأخضر مع مضادة النار والماء وانطفائهما به ، وهي الزناد التي توري بها الأعراب وأكثرها من المرخ^(٣) والعفار^(٤) ، وفي أمثالهم : في كلِّ شجرٍ نارٌ وأستمجد المرخُ والعفار^(٥) لأن المرخ شجر سريع الوري ، والعفار شجر تقدح منه النار ، يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وخما خضروان يقطر

(١) الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ١٢١ ، الدر المصون ج٥ ص ٤٩٣ .

(٢) ذهب الإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أحمد رحمهم الله : أن العظم تحله الحياة فيؤثر فيه الموت كسائر الأعضاء وظاهر الآية معهم إذ فيها إثبات الحياة للعظام ، انظر : الجامع لأحكام القرآن ج١ - ص ١٥٥ ، ويقول ابن العربي في أحكام القرآن ج٤ ص ١٦١٦ : (عندك هذه الآية دليل على أن في العظام حياة وأنه ينجس بالموت لأن كل محل تحل الحياة به فيخالفها الموت ينجس ويحرم بقوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾) سورة المائدة آية ٢ ، وانظر : أحكام القرآن للجصاص ج٥ ص ٢٥١ ، روح المعاني ج٢٣ ص ٥٤ و ص ٥٥ .

(٣) المرخ : شجر كثير الوري سريع . لسان العرب ج٣ ص ٥٣ ، مادة : مرخ .

(٤) العفار : شجر منه الزناد ، والمرخ العفار وهما شجرتان فيهما نار ليس في غيرهما من الشجرة . لسان العرب ج٤ ص ٥٨٩ ، مادة : عفر . ٨٩ .

(٥) مجمع الأمثال ج٢ ص ٤٤٥ ، ومعنى : أستمجد : استفضل ، وإستكثر ، وذلك أن هاتين الشجرتين من أكثر الشجر ناراً وزنادهما أسرع الزناد ورِيّاً ، والعناب : من أقل الشجر ناراً ، والمثل موجود في لسان العرب ج٣ ص ٥٣ ، وجد٤ ص ٥٨٩ .

منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العَفَّارِ وهي أنثى فتتقدح النار بإذن الله .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : ليس من شجرة إلا وفيها النار إلا العُنَّابُ^(١) ،

لمصلحة الدق للثياب .

فمن قَدَّرَ على جمع الماء والنار في الشجر قَدَّرَ على المعاقبة بين الموت والحياة في البشر ، وإجراء أحد الضدين على الآخر بالتعقيب أسهل في العقل من الجمع بلا ترتيب ، والأخضر على اللفظ ، وقرية الخضراء على المعنى^(٢) ، ثم يَبَيِّنُ أن من قَدَّرَ على خلق السموات والأرض مع عِظَمِ شأنهما فهو على خلق الأناس أقدر ، بقوله : ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ في الصغر بالإضافة إلى السموات والأرض ، وأن يعيدهم ، لأن المعاد مثل المبتدأ وليس به . ﴿بَلَىٰ﴾ أي : قل بلى هو قادر على ذلك . ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ﴾ الكثير المخلوقات . ﴿الْعَلِيمُ﴾ الكثير المعلومات^(٣) .

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ﴾ شأنه .

﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ﴾ أن يكونه .

(١) العُنَّابُ : من الثمر معروف ، الواحدة عُنَّابَةٌ ، ويقال له : السنجلان بلسان الفرس ، وربما :

سمى ثمر الأراك عُنَّابًا . لسان العرب جـ ١ ص ٦٣٠ ، مادة : عنب .

وقول ابن عباس رضي الله عنهما : ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف جـ ٣ ص ١٦٨ ،

وقال ابن حجر في الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف : (لم أجده) ص ١٤٠ .

ونسبه السمرقندي في بحر العلوم جـ ٣ ص ١٠٧ إلى الكلبي ، ونسبه كل من : البغوي في

معالم التنزيل جـ ٧ ص ٧ ، والخازن في لباب التأويل جـ ٤ ص ١٤ ، وابن كثير في تفسيره جـ ٣

ص ٩٢٧ إلى الحكماء ، والآلوسي في روح المعاني جـ ٢٣ ص ٥٥ إلى ابن عباس والكلبي .

قلت : ولعله ليس من قول ابن عباس رضي الله عنهما وإنما هو من أقوال الحكماء .

(٢) البحر المحيط جـ ٩ ص ٨٥ ، أنوار التنزيل جـ ٢ ص ٢٨٨ ، روح المعاني جـ ١٣ ص ٥٥ .

(٣) يقول البغوي رحمه الله في معالم التنزيل جـ ٧ ص ٢٩ : ﴿ وهو الخلاق ﴾ : يخلق خلقاً

بعد خلق ﴿ العليم ﴾ بجميع ما خلق . قلت : وهي عبارة أدق من عبارة النسفي .

﴿ فَيَكُونُ ﴾ فيحدث ، أي : فهو كائن موجود لامحالة ، فالحاصل أن المكونات بتخليقه وتكوينه ، ولكن عَبَّرَ عن إيجاده بقوله كُنْ من غير أن كان منه كافٌ ونون ، وإنما هو بيان لسرعة الإيجاد ، كأنه يقول : كما لا يُثقل قول كُنْ عليكم فكذا لا يثقل على الله إبتداء الخلق وإعادتهم .

فَيَكُونُ شامي وعليّ عطفٌ على يقول ، وأما الرفع فلإنها جملةٌ من مبتدأ وخبر لأن تقديرها فهو يكونُ معطوفةٌ على مثلها وهي أمره أن يقول له كن فيكون^(١) .
﴿ فَسُبْحَانَ ﴾ تنزيه مما [وصفه]^(٢) به المشركون ، وتعجيب من أن يقولوا فيه ما قالوا .

﴿ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي : ملك كل شيء ، وزيادة / الواو والتاء للمبالغة ، يعني : هو مالك كل شيء .

﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ تعادون بعد الموت بلا فوت ، (تَرْجِعُونَ) يعقوب^(٣) .
قال عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَلْبًا ، وَإِنَّ قَلْبَ الْقُرْآنِ يَسُ ، مَنْ قَرَأَ يَسُ يريدُ بها وجهَ الله غَفَرَ الله له ، وأُعطي من الأجر كأنما قرأ القرآن إثنين وعشرين مرة »^(٤) .

(١) الحجة في القراءات السبع ص ٣٠٠ ، الموضح جـ ٣ ص ١٠٨١ ، والنشر جـ ٢ ص ٣٥٦ ، والإتحاف جـ ٢ ص ٤٠٥ .

(٢) في (أ) وصف .

(٣) الموضح جـ ٣ ص ١٠٨١ ، النشر جـ ٢ ص ٣٥٦ ، والإتحاف جـ ٢ ص ٤٠٥ .

(٤) أخرج القضاعي في مسند الشهاب جـ ٢ ص ١٣٠ بلفظ المؤلف إلا أنه قال عند لفظ : (.. كأنما قرأ القرآن اثنين وعشرين مرة ، ... كأنما قرأ القرآن اثنتي عشرة مرة) إعتنى به سلطان الطبيشي ، مطبعة دار ابن خزيمة ، الطبعة الأولى عام ١٤١٤ هـ ، وإنما أخرج الترمذي في سننه جـ ٤ ص ٢٣٧ أبواب فضائل القرآن باب ماجاء في يس بلفظ : « من قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات » وقال : حديث حسن غريب ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده جـ ٥ ص ٢٦ ، كما في الترمذي وأخرجه الدارمي في سننه جـ ٢ ص ٥٤٨ كتاب فضائل القرآن باب فضل يس ، ويقول الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته ص ٢٧٩ : (موضوع) أي : بلفظ الترمذي والدارمي .

وقال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ قَرَأَ يَسَ أَمَامَ حَاجَتِهِ قُضِيَتْ لَهُ »^(١) .
وقال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ قَرَأَهَا إِنْ كَانَ جَائِعاً أَشْبِعَهُ اللَّهُ ، وَإِنْ كَانَ ضَمَاناً
أَرَوَاهُ اللَّهُ ، وَإِنْ كَانَ عُرْيَاناً أَلْبَسَهُ اللَّهُ ، وَإِنْ كَانَ خَائِفاً أَمَّنَهُ اللَّهُ ، وَإِنْ كَانَ مُسْتَوْحِشاً
أَنَسَهُ اللَّهُ ، وَإِنْ كَانَ فَقِيْرًا أَغْنَاهُ اللَّهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي السِّجْنِ أَخْرَجَهُ اللَّهُ ، وَإِنْ كَانَ أُسِيْرًا
خَلَّصَهُ اللَّهُ ، وَإِنْ كَانَ ضَالًّا هَدَاهُ اللَّهُ ، وَإِنْ كَانَ مَدْيُونًا قَضَى اللَّهُ دَيْنَهُ مِنْ خَزَائِنِهِ »^(٢) .
وَتُدْعَى الدَّافِعَةُ وَالْقَاضِيَةُ ، تَدْفَعُ عَنْهُ كُلَّ سُوءٍ وَتَقْضِي لَهُ كُلَّ حَاجَةٍ^(٣) .
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ^(٤) .

« وذكره الزمخشري في الكشاف جـ ٤ ص ٣٢ ، بلفظ المصنف ، ولكنه مختصر ، وأبو السعود

في إرشاد العقل السليم جـ ٤ ص ٤٠١ .

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ وإنما أخرج :

الدارمي في سننه جـ ٢ ص ٥٤٩ كتاب فضائل القرآن باب فضل يس بلفظ : عن عطاء بن أبي

رباح قال : بلغني أن رسول الله ﷺ قال : « من قرأ يس في صدر النهار قضيت حوائجه » .

(٢) لم أقف عليه في كتب الحديث ولا كتب التفسير ، ومن لفظه يتضح أنه موضوع .

(٣) هو جزء من حديث طويل موضوع ، ذكره ابن الجوزي في الموضوعات جـ ١ ص ١٧٩ خرج

آياته وآحاديثه توفيق حمدان ، مطبعة دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى عام ١٤١٥ هـ ،

وذكره البيضاوي في أنوار التنزيل جـ ٢ ص ٢٧٥ في أول السورة .

(٤) ساقط : من (أ) و (ب) ، وفي المطبوع . والله أعلم .

سورة الصافات مكية^(١) وهي مائة وإحدى^(٢) أو إثنان وثمانون آية^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ، فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ، فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴾ أقسم الله^(٤) سبحانه بطوائف الملائكة ، أو بنفوسهم الصافات أقدامها في الصلاة^(٥) .

فالزاجرات السحاب سوقاً ، أو عن المعاصي بالإلهام ، فالتاليات لكلام الله من الكتب المنزله وغيرها وهو قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما ومجاهد رحمه الله ، أو بنفوس العلماء العُمَّال الصافات أقدامها في التهجد وسائر الصلوات ، فالزاجرات بالمواعظ والنصائح ، فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه ، أو بنفوس الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف ، وتزجر^(٦) الخيل للجهاد وتتلوا الذكر مع ذلك^(٧) ، وَصَفًّا :

(١) يقول السيوطي في الدر المنثور جـ٧ ص ٧٧ : (أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نزلت سورة الصافات بمكة) ، بل نسب الإجماع إلى ذلك : ابن الجوزي في زاد المسير جـ٧ ص ٤٤ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن جـ١٥ ص ٦١ .

(٢) بياض في : (أ) .

(٣) ساقط من : (ج) .

(٤) ساقط من : (ب) و (ج) و (المطبوع) .

(٥) عن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم» قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال : « يمتون الصفوف المقدمة ويتراصون في الصف » . أخرج الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه جـ١ ص ٢٧٠ كتاب الصلاة باب الأمر بالسكون في الصلاة وإتمام الصفوف ، وأخرجه أبو داود في سننه جـ١ ص ١٧٨ كتاب الصلاة باب تسوية الصفوف ، وأخرجه النسائي في سننه جـ٢ ص ٩٢ ، كتاب الإمامة ، باب حث الإمام على رص الصفوف والمقاربة بينها ، وأحمد في مسنده جـ٥ ص ١٠١ .

(٦) تَزَجَّرُ : من زَجَرَ الإبل يَزَجُرُها إذا حَثَّها وحملها على السرعة . لسان العرب جـ٤ ص ٣١٩ ، زَجَرَ .

(٧) انظر هذه الأقوال : معاني القرآن / للنحاس جـ٦ ص ٨ ، بحر العلوم جـ٣ ص ١٠٩ و ١١٠ ،

مصدرٌ مؤكّدٌ ، وكذلك زجراً ، والفاء يدل على ترتيب الصفات غى التفاضل ، فتفيد الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة ، أو على العكس ، وجواب القسم^(١) ، ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ قيل هو جواب قولهم : ﴿أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾^(٢) .

﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خيرٌ بعد خبرٍ ، أو خبر مبتدأ محذوف ، أي : هو رب^(٣) .

﴿وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ أي : مطالع الشمس ، وهى : ثلثمائة وستون مشرقاً ، وكذلك المغارب^(٤) ، تشرق الشمس كل يوم فى مشرق منها وتغرب فى مغرب^(٥) ، ولا تطلع ولا تغرب فى واحدٍ يومين ، وأمّا : ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ

النكت والعيون جـ ٥ ص ٣٦ و ص ٣٧ ، الوسيط جـ ٣ ص ٥٢١ وذكر الواحدى رحمه الله أن المقسم فى الثلاث الآيات الماضية : هم الملائكة ، تفسير القرآن / للسمعاني جـ ٤ ص ٣٩١ وقال السمعاني : (ذهب أكثرهم أن المراد بهم الملائكة) بتصرف ، معالم التنزيل جـ ٧ ص ٣٣ و ص ٣٤ ، المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ٢١٩ و ص ٢٢٠ ، زاد المسير جـ ٧ ص ٤٤ و ص ٤٥ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ٦٣ ، البحر المحيط جـ ٩ ص ٨٩ و ص ٩٠ .

(١) إعراب القرآن / للنحاس جـ ٢ ص ٧٣٨ ، التبيان فى إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٨٧ ، الفريد فى إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ١٢٣ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٩٤ .

(٢) سورة : ص آية : ٥ .

(٣) إعراب القرآن / للنحاس جـ ٢ ص ٧٣٨ ، التبيان فى إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٨٧ ، الفريد فى إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ١٢٣ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٩٥ .

(٤) فى المطبوع : المغرب .

(٥) انظر : تفسير عبدالرزاق جـ ٢ ص ١١٩ ، تحقيق د. عبدالمعطي قلعجي ، مطبعة دار المعرفة ، الطبعة الأولى عام ١٤١١ هـ ، والنكت والعيون جـ ٥ ص ٣٧ ، ونسب الماوردي رحمه الله القول فى ذلك إلى : قتادة والسدي رحمهما الله ، معالم التنزيل جـ ٧ ص ٣٤ ، زاد المسير جـ ٢٧ ص ٤٥ ، البحر المحيط جـ ٩ ص ٩٠ ، وعزاه السيوطي فى الدر جـ ٧ ص ١٧٩ إلى بن المنذر .

﴿المَغْرِبِينَ﴾^(١) فإنه أراد مشرقى الصيف والشتاء وَمَغْرِبِيَهُمَا ، وأما : ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾^(٢) فإنه أراد الجهة ، فالمشرق جهة والمغرب جهة .

﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ القربى منكم ، تأنيث الأذنى .

﴿بَزِينَةَ الْكَوَاكِبِ﴾ حمزة وحفص على البدل من الزينة^(٣) ، والمعنى : أنا زينا

[أ/١٤٧] السماء الدنيا بالكواكب ، / (بزينة الكواكب) أبو بكر على البدل من محل بزينة ، أو على إضمار أعنى ، أو على إعمال المصدر منوناً في المفعول ، بزينة الكواكب غيرهم ، بإضافة المصدر إلى الفاعل ، أي : بأن زانتها الكواكب ، وأصله بزينة الكواكب ، أو على إضافته إلى المفعول ، أي : بأن زان الله الكواكب وَحَسَّنَهَا ، لأنها إنما زينت السماء لِحُسْنِهَا في أنفسها ، وأصله بزينة الكواكب لقراءة أبي بكر^(٤) .

﴿وَحِفْظًا﴾ محمول على المعنى ، لأن المعنى إنا خلقنا الكواكب زينةً للسماء

وحفظاً من الشياطين ، كما قال : ﴿وَلَقَدْ زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَائِحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ..﴾^(٥) ، أو الفعل المعلل مقدر ، كأنه قيل : وحفظاً من كل شيطان قد زينها بالكواكب ، أو معناه حفظناها حفظاً .

﴿مِن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾ خارج من الطاعة ، والضمير فى : ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾

لكل شيطان ، لأنه : فى معنى الشياطين^(٦) ، ﴿يَسْمَعُونَ﴾ كوفي غير أبى بكر^(٧) ، وأصله

(١) سورة الرحمن آية : ١٧ .

(٢) سورة الشعراء آية ٢٨ ، والمزمل آية ٩ .

(٣) المطبوع : (زينة) .

(٤) الحجة فى القراءات السبع ص ٣٠٠ ، التلخيص ص ٣٨٣ ، الموضح جـ ٣ ص ١٠٨٤ و ص ١٠٨٥ ، النشر جـ ٢ ص ٣٥٦ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٤٠٧ ، و ص ٤٠٨ .

(٥) سورة تبارك آية : ٥ .

(٦) انظر : الفريد فى إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ١٢٥ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٩٥ .

(٧) الحجة فى القراءات السبع ص ٣٠١ ، التلخيص ص ٣٨٣ ، الموضح جـ ٣ ص ١٠٨٥ ، النشر جـ ٢ ص ٣٥٦ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٤٠٧ ، و ص ٤٠٨ .

يتسمعون ، والتسمع تَطَلَّبُ السماع ، يقال : تَسَمَّعَ فسمع [أو فلم يسمع] ^(١) وينبغي أن يكون كلاماً منقطعاً مبتدأً إقتصاصاً لما عليه حال المُسْتَرْقَةِ ، وأنهم لا يقدرُونَ أن يسمعوا إلى كلام الملائكة ، أو يتسمَّعوا وقيل : أصله لثلا يَسْمَعُوا فحذفت اللام كما حذفت في جئتك أن تكرمني ، فبقي أن لا يسمعوا فحذفت أن وأهدر عملها ^(٢) ، كما في قوله :

أَلَا يَهْدَى الزَّاجِرِي أَخْضَرُ الْوَعَى ^(٣)
.....

وفيه تعسف يجب صون القرآن عن مثله ، فإن كل واحد من الحذفين غير مردود على إنفراده ، ولكن إجتماعهما منكر ، والفرق بين سمعت فلاناً يتحدث ، وسمعت إليه يتحدث ، وسمعت حديثه ، أن المُعَدَّى بنفسه يفيد الإدراك ، والمعدى بإلى يفيد الإصغاء مع الإدراك ^(٤) .

﴿إِلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ أي : الملائكة ، لأنهم يسكنون السموات ، والإنس والجن هم الملائك الأسفل لأنهم سكان الأرض .

﴿وَيُقَذَّفُونَ﴾ يرمون بالشهب .

﴿مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ من جميع جوانب السماء من أي جهةٍ صعَدوا للإستراق .

﴿ذُحُورًا﴾ مفعول له ، أي : ويُقذفون للذحور أو مدحورين على الحال ^(٥) ، أو لأن القذف والطرف متقاربان في المعنى فكأنه قيل يدحرون أو قذفاً .

(١) ساقط من: (أ) .

(٢) انظر : الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ١٢٦ ، الدر المصون ج٥ ص ٤٩٥ و ص ٤٩٦ .

(٣) وعجزه : وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدي ، وهو لطفة بن العبد من معلقته، شرح القصائد العشر / لأبي زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني ، المعروف بالخطيب التبريزي ص ١١١ ، حقيقه وضبط غرائبه وعلق عليه : محمد مجيب الدين عبد الحميد ، مطبعة محمد علي صبح وأولاده بمصر ، الطبعة الأولى عام ١٣٨٣ هـ .

(٤) قلت : وفيه توجيه لطيف من النسفي رحمه الله يدل على سعة علمه في النحو والصرف .

(٥) انظر : التبيان في إعراب القرآن ج٢ ص ١٠٨٢ ، والفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤

ص ١٢٦ ، الدر المصون ج٥ ص ٤٩٦ .

﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ ﴾ دائم من الوُصُوب^(١) أي: أنهم في الدنيا مرجومون بالشُّهْب وقد أَعَدَّلَهُمْ في الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع ، ومن في : ﴿ إِلَّا مَنْ ﴾ في محل الرفع بدل من الواو في لا يسمعون^(٢) ، أي : لا يسمع الشياطين إلا الشيطان الذي : ﴿ خَطِفَ الْخَطْفَةَ ﴾ أي سَلَبَ السَّلْبَةَ ، يعني : أخذ شيئاً من كلامهم بسرعة .

﴿ فَاتَّبَعَهُ ﴾ لحقه . ﴿ شِهَابٌ ﴾ أي : نَجْمٌ رَجْمٌ .

﴿ نَاقِبٌ ﴾ مضيء^(٣) . ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ ﴾ فاستخبر كفار مكة .

﴿ أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا ﴾ أي : أقوى خلقاً من قولهم شديد الخلق ، وفي خَلْقِهِ شِدَّةٌ ،

[أ/١٤٨] أو أصعب خلقاً وأشقَّه على معنى الرد / لإنكارهم البعث ، وأن من هانَ عليه خَلْقُ هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه إختراعها كان خلق البشر عليه أهون .

﴿ أَمْ مَنْ خَلَقْنَا ﴾ يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة ، والسموات والأرض وما

بينهما ، وجيء بِمَنْ تَغْلِيظاً للعقلاء على غيرهم ، ويدلُّ عليه قراءة من قرأ آمَنَ عَدَدْنَا بالتخفيف والتشديد^(٤) .

﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ لاصق^(٥) ، أو لآزم^(٦) ، وقُرئ

(١) انظر : معاني القرآن / للفراء ج٢ ص ٣٨٣ ، معاني القرآن / للزجاج ج٤ ص ٢٩٩ ، معاني القرآن / للنحاس ج٦ ص ١٢ ونسبه النحاس لمجاهد وقتادة رحمهما الله .

(٢) الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ١٢٧ ، الدر المصون ج٥ ص ٤٩٦ .

(٣) معاني القرآن / للزجاج ج٤ ص ٢٩٩ ، معاني القرآن / للنحاس ج٦ ص ١٣ ونسبه النحاس رحمه الله : للحسن ومجاهد وقتادة وأبومجلز عليهم رحمة الله ، ويقول البغوي في معالم التنزيل ج٧ ص ٣٥ : (قال عطاء رحمه الله : سمي النجم الذي يرمي الشياطين ثاقباً لأنه يثقبهم) .

(٤) المحرر الوجيز ج١٣ ص ٢٢٣ ونسبها ابن عطية رحمه الله إلى : الأعمش (أمن) ، وقال أبو حيان رحمه الله في البحر المحيط ج٩ ص ٩٣ : (وفي مصحف عبدالله : أم من عَدَدْنَا وهو تفسير لمن خلقنا، أي : من عددنا من الصافات وما بعدها من المخلوقين) ، روح المعاني ج١٢ ص ٧٥ .

(٥) هو قول ابن عباس رضي الله عنهما انظر : بحر العلوم ج٣ ص ١١٢ ، النكت والعيون ج٥ ص ٤٠ ، الوسيط ج٣ ص ٥٢٢ ، معالم التنزيل ج٧ ص ٣٥ ، زاد المسير ج٧ ص ٤٩ .

(٦) هو قول مجاهد وقتادة رحمهما الله ، انظر : معاني القرآن / للفراء ج٢ ص ٣٨٤ ، معاني

به^(١) ، وهذا شهادة عليهم بالضعف ، لأن ما يُصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة ، أو إحتجاج عليهم بأن الطين اللازب الذى خُلِقُوا منه تراب فمن أين إستتكروا أن يُخَلِّقُوا من تراب مِثْلِهِ؟! حيث قالوا: ﴿أَعِذَا كُنَّا تُرَابًا﴾^(٢) وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر إنكارهم البعث .

﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ من تكذيبهم إياك .

﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ هم منك ومن تَعْجَبِكَ ، أو عجبت من إنكارهم البعث وهم يسخرون من أمر البعث ، (بل عَجِبْتُ) حمزة وعلي^(٣) ، أي : إستعظمت ، والعَجَبُ : روعةٌ تعترى الإنسان عند إستعظام الشيء ، فَجُرْدٌ لمعنى الإستعظام فى حقه تعالى لأن لايجوز عليه الروعة ، أو معناه : قل محمد بل عجبت^(٤) .

﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾ ودأبهم أنهم إذا وَعِظُوا بشيء لا يتعظون به .

﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً﴾ معجزة ، كإنشقاق القمر ونحوه .

﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ يستدعي بعضهم من بعض^(٥) أن يسخروا منها، أو يبالغون فى السخرية.

﴿وَقَالُوا إِن هَذَا﴾ ما هذا . ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهر . ﴿أَعِذَا﴾ إِسْتَفْهَامٌ إنكار .

← القرآن / للزجاج جـ ٤ ص ٢٩٩ ، معاني القرآن / للنحاس جـ ٦ ص ١٤ .

(١) روح المعاني جـ ٢٣ ص ٧٥ .

(٢) سورة الرعد آية ٥ ، سورة النمل آية ٦٧ .

(٣) الحجة فى القراءات السبع ص ٣٠١ ، التلخيص ص ٣٨٣ ، الموضح جـ ٣ ص ١٠٨٦ ، البشر جـ ٢ ص ٣٥٦ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٤٠٨ .

(٤) انظر : الوسيط جـ ٣ ص ٥٢٢ و ٥٢٣ ، تفسير السمعاني جـ ٤ ص ٣٩٤ ،

معالم التنزيل جـ ١٣ ص ٢٢٤ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ٧٠ ،

البحر المحيط جـ ٩ ص ٩٤ ، تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٨ ويقول رحمه الله:

(أي : بل عجبت يا محمد من تكذيب هؤلاء المنكرين للبعث ، وأنت

موقن مصدق بما أخبر الله تعالى من الأمر العجيب ، وهو إعادة الأجسام

بعد فنائها) .

(٥) فى (ب) و (المطبوع) : بعضهم بعضاً .

﴿ مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أُنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ أي : نُبْعَثُ إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا .

﴿ أَوْأَبَاؤُنَا ﴾ معطوف على محلِّ إِنَّ واسمها ، أو على الضمير في مبعوثون^(١) ،

والمعنى : أُبَيِّعَتْ أَيْضًا آبَاؤُنَا عَلَى زِيَادَةِ الْإِسْتِعَادِ يَعْنُونَ أَنَّهُمْ أَقْدَمُ فَبَعَثَهُمْ أَعْدُ وَأَبْطَلَ ،
أَوْأَبَاؤُنَا بِسُكُونِ الْوَاوِ مَدْنِيٌّ وَشَامِيٌّ^(٢) ، أي : أُبَيِّعَتْ وَاحِدٌ مِنَّا عَلَى الْمَبَالِغَةِ فِي الْإِنْكَارِ .

﴿ الْأَوْلُونَ ﴾ الأقدمون . ﴿ قُلْ نَعَمْ ﴾ تبعثون ، (نَعِمٌ عَلَيَّ)^(٣) ، وهما لغتان .

﴿ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴾ صاغرون . ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ ﴾ جواب شرط مقدرٍ تقديره : إِذَا

كَانَ ذَلِكَ فَمَا^(٤) هِيَ إِلَّا : ﴿ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ وهى لا ترجع إلى شيء إنما هى مبهمه
موضحها خبرها ، ويجوز فإنما البعثة زجرة واحدة وهى النفخة الثانية ، والزجرة :
الصيحة ، من قولك زجر الراعي الإبل أو الغنم إذا صاح عليها^(٥) .

﴿ فَإِذَا هُمْ ﴾ أحياءُ بُصْرَاءَ . ﴿ يَنْظُرُونَ ﴾ إلى سوء أعمالهم ، أو ينتظرون ما

يحل بهم .

﴿ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا ﴾ الويل : كلمة يقولها القائل وقت الهلكة .

﴿ هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ أي : اليوم الذى نُدان فيه ، أي : نجازى بأعمالنا .

﴿ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴾ يوم القضاء ، والفرق بين فرق الهدى والضلال .

﴿ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكذِّبُونَ ﴾ ثم يحتمل أن يكون هذا يوم الدين إلى قوله :

﴿ أَحْشَرُوا ﴾ من كلام الكفرة بعضهم / مع بعض ، وان يكون من كلام الملائكة لهم ،

وأن يكون : ﴿ يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ من كلام الكفرة و : ﴿ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴾

من كلام الملائكة جواباً لهم .

١

(١) الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ١٢٨ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٩٨ .

(٢) التلخيص ص ٣٨٣ ، الموضح جـ ٣ ص ١٠٨٧ ، وص ١٠٨٨ . الإتحاف جـ ٢ ص ٤١٠ .

(٣) الإتحاف جـ ٢ ص ٤١٠ .

(٤) الدر المصون جـ ٤ ص ٤٩٨ ، وص ٤٩٩ .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ٢٧٢ ، إرشاد العقل السليم جـ ٤ ص ٤٠٥ ، روح

المعاني جـ ٢٣ ص ٧٩ .

﴿ أَحْشَرُوا ﴾ خطاب الله للملائكة . ﴿ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ كفروا . ﴿ وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾

أي : وأشباههم ، أو قرنائهم من الشياطين ، أو نساءهم الكافرات ، والواو بمعنى مع ، وقيل للعطف^(١) ، وقرئ بالرفع عطفاً على الضمير في ظلموا^(٢) .

﴿ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ، مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ أي : الأصنام .

﴿ فَأَهْدُوهُمْ ﴾ دلُّوهم ، عن الأصمعي^(٣) : هديته في الدين هُدى وفي الطريق هدايه^(٤) .

﴿ إِلَى صِرَاطٍ أَلْجَحِيمِ ﴾ طريق النار . ﴿ وَقِفُوهُمْ ﴾ أحبسوهم .

﴿ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ عن اقوالهم وأفعالهم .

﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾ أي : لا ينصر بعضكم بعضاً ، وهذا توييح لهم بالعجز

عن التناصر بعد ما كانوا متناصرين في الدنيا ، وقيل : هو جواب لأبي جهل^(٥) حيث قال يوم بدر: ﴿ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ ﴾^(٦) ، وهو في موضع النصب على الحال، أي: مالكم

(١) انظر : إعراب القرآن / للنحاس جـ ٢ ص ٧٤٣ ، وص ٧٤٤ ، التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٨٩ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٩٩ .

(٢) يقول العكبري في التبيان جـ ٢ ص ١٠٨٩ : (وقرئ شاذاً بالرفع عطفاً على الضمير في (ظلموا)) ، ويقول السمين الحلبي رحمه الله في الدر المصون جـ ٥ ص ٤٩٩ : (وقرئ بالرفع عطفاً على ضمير ﴿ظلموا﴾ وهو ضعيف لعدم العامل) .

(٣) الأصمعي : الإمام العلامة ، حجة الأدب ، لسان العرب ، أبو سعيد عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع .. الأصمعي البصري اللغوي الأخباري أحد الأعلام ، ولد سنة بضع وعشرين ومئة ، كتب شيئاً لا يحصى عن العرب وكان ذا حفظ وذكاء ولطف عارة ، فَنَسَادَ . توفي سنة ست عشر ومئتين . انظر أعلام النبلاء جـ ١٠ ص ١٧٥ ، شذرات الذهب جـ ٢ ص ٣٦ .

(٤) لم أقف على كلام الأصمعي .

(٥) سبق الحديث عنه ص ١٤٥ .

(٦) سورة القمر آية : ٤٤ ، وقد ذكره ابن جرير الطبري جـ ٢٧ ص ٦٥ ، وقال : (إنه قول لكفار مكة يوم بدر) والواحدي في الوسيط جـ ٣ ص ٥٢٤ ، والسمعاني في تفسيره جـ ٤ ص ٣٩٦ ، والبغوي في معالم التنزيل جـ ٧ ص ٣٨ ، وابن الجوزي في زاد المسير جـ ٧ ص ٥٣ ، والقرطبي في جامع الأحكام جـ ٥ ص ٧٤ ، وغيرهم من المفسرين .

غير متناصرين^(١) .

﴿ بَلْ هُمْ أَلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾ منقادون ، او قد أسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز وكلهم^(٢) مستسلم غير منتصر .

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ أي : التابع على المتبوع .

﴿ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ يتخاصمون . ﴿ قَالُوا ﴾ أي : الأتباع للمتبعين ﴿ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴾ عن القوة والقهر ، إذ اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش^(٣) ، أي : أنكم كنتم تحملوننا على الضلال وتفسروننا عليه .

﴿ قَالُوا ﴾ أي : الرؤساء .

﴿ بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ بل أيتم أنتم الإيمان وأعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير مُلجئين .

﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ ﴾ تسلط نسلبكم به تمكنكم وإختياركم .

﴿ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴾ بل كنتم قوماً مختارين الطغيان .

﴿ فَحَقَّ عَلَيْنَا ﴾ فلزمنا جميعاً .

﴿ قَوْلِ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴾ يعني وعيد الله^(٤) بأننا ذائقون لعذابه لامحاله لعلمه

بحالنا، ولو حكى الوعيد كما هو لقال إنكم لذائقون ، ولكنه عدل به إلى لفظ المتكلم

(١) إعراب القرآن / للنحاس جـ ٢ ص ٧٤٤ ، التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٨٩ ، الفريد في

إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ١٢٩ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٤٩٩ .

(٢) في (ب) و (المطبوع) فكلهم .

(٣) يقول الفراء في معاني القرآن جـ ٢ ص ٣٨٤ : (وقوله: ﴿ كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾ يقول :

كنتم تأتوننا من قِبَلِ الَّذِي ، أي : تأتوننا تخدعوننا بأقوى الوجوه ، واليمين : القدرة والقوة) ، ورجح الخازن رحمه الله في لباب التأويل جـ ٤ ص ١٨ : هذا القول ، والشوكانى فى فتح

القدرير جـ ٤ ص ٣٩١ ، مطبعة دار الفكر ، طبعة عام ١٤٠٣ هـ .

(٤) يقول البغوي رحمه الله في معالم التنزيل جـ ٧ ص ٣٩ : (هي قوله تعالى : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ

مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾) . السجدة آية : ١٣ .

لأنهم متكلمون عن أنفسهم ونحوه قوله : لَقَدْ زَعَمْتَ هَوَازِنَ^(١) قَلَّ مَالِي^(٢) ، ولو حكى قولها لقال : قَلَّ مَالِك .

﴿ فَأَغْوَيْنَاكُمْ ﴾ فدعوناكم إلى الغي .

﴿ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴾ فأرذنا إغواءكم لتكونوا أمثالنا .

﴿ فَإِنَّهُمْ ﴾ فإن الأتباع والمتبوعين جميعاً .

﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ يوم القيامة .

﴿ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ كما كانوا مشتركين في الغواية .

﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾ بالمشركين إنا مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم .

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ إنهم كانوا إذا سمعوا

بكلمة التوحيد إستكبروا عنها^(٣) وأبوا إلا الشرك .

﴿ وَيَقُولُونَ أَنْنَا ﴾ بهمزيين شامي وكوفي^(٤) .

﴿ لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴾ يعنون محمداً عليه السلام .

﴿ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ ﴾ ردُّ على المشركين .

﴿ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ كقوله : ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾^(٥) .

﴿ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ، وَمَا تَجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ بلا زيادة .

﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴾ / بفتح اللام كوفي ومدني^(٦) ، وكذا ما بعده ، أي :

[١٤٩/أ]

(١) هوازن : امرأة الشاعر وجاء بياء المتكلم لجواز الحكاية بالمعنى ، انظر : الكشاف جـ ٤ ص ٤٠ في الهامش .

(٢) وعجزه : وسهل غير ما أنفقت مالاً ، وذكر : في الدر المنثور جـ ٥ ص ٤٩٩ ، البحر المحيط جـ ٩ ص ٩٨ .

(٣) ساقط من المطبوع .

(٤) انظر : النشر جـ ٢ ص ٣٥٧ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٤١٠ .

(٥) سورة البقرة آية ٩٧ ، المائدة آية ٤٦ ، فاطر آية ٣١ ، الأحقاف آية ٣٠ .

(٦) الإتحاف جـ ٢ ص ٤١١ .

لكن عباد الله على الإستثناء المنقطع .

﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ، فَوَاكِهُ ﴾ فَسَّرَ الرزق المعلوم بالفواكه ، وهي : كُلُّ ما يَتَلَذَّذُ به ، ولا يتقوت لحفظ الصحة ، يعني : أن رزقهم كُلُّه فواكه ، لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات لأن أجسامهم^(١) محكمة مخلوقة للأبد ، فما يأكلونه للتلذذ ، ويجوز أن يُرادُ رزقٌ معلومٌ بمنوعاتٍ بخصائصٍ خُلِقَ عليها من طيبِ طعامٍ ، ورائحةٍ ولذةٍ وحسنِ منظرٍ ، وقيل معلوم الوقت كقوله : ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾^(٢) ، والنفس إليه أسكن^(٣) .

﴿ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴾ معظمون^(٤) .

﴿ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ يجوز أن يكون ظرفاً ، وأن يكون حالاً ، وأن يكون خبراً بعد خبر^(٥) وكذا : ﴿ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ التقابلُ أتمُّ للسرورِ وآنس .

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ ﴾ بغير همزة أبوعَمْرٍو وحمزة في الوقف ، وغيرهما بالهمزة^(٦) ، يقال للزجاجة فيها الخمر كأس ، وتسمى الخمر نفسها كأساً ، وعن الأَخفش^(٧) : كل كأس في القرآن فهي الخمر ، وكذا في تفسير بن عباس رضي الله

(١) في: (المطبوع) أجسادهم .

(٢) سورة مريم آية : ٦٢ .

(٣) انظر هذه الأقوال : الوسيط جـ ٣ ص ٥٢٥ ، زاد المسير جـ ٧ ص ٥٥ و ص ٥٦ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ٧٧ ، لباب التأويل جـ ٤ ص ١٨ ، البحر المحيط جـ ٥ ص ١٠٠ ، فتح القدير جـ ٤ ص ٣٩٢ ، ورجح الشوكاني رحمه الله أنه المعلوم هو المذكور في قوله بعده ﴿ فَوَاكِهُ ﴾ فإنه بدل من رزق ، أو خبر مبتدأ : أي : هو فواكه .

(٤) في المطبوع : (منعوت) .

(٥) التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٨٩ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ١٣٠ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٥٠٠ .

(٦) الإتحاف جـ ٢ ص ٤١١ .

(٧) سبق ترجمته ص ٢١١ .

عنهما^(١) .

﴿ مِّن مَّعِينٍ ﴾ من شراب معين ، أو من نهر معين ، وهو : الجاري على وجه الأرض الظاهر للعيون ، وُصِفَ بما وُصِفَ به الماء لأنه يجري في الجنة في أنهار كما يجري الماء قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ ﴾^(٢) .

﴿ بَيِّضَاءَ ﴾ صفة للكأس^(٣) .

﴿ لَذَّةٍ ﴾ وصفت باللذة كأنها نفسُ اللذة وعينها ، أو ذاتُ لذةٍ ﴿ لِلشَّارِبِينَ ، لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ أي : لا تغتال عقولهم كخمر الدنيا ، وهى من غَالِه يُغْوِلُه غَوْلًا : إذا أهلكه وأفسده^(٤) .

﴿ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾ يَسْكُرُونَ . من نَزَفَ الشارب إذا ذَهَبَ عقله^(٥) ، ويقال

(١) لم أقف عليه فى كتاب معاني القرآن / للأخفش ونسب القول إلى الضحاك رحمه الله إعراب القرآن / للنحاس جـ ٢ ص ٧٤٧ ، المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ٢٣١ ، وزاد المسير جـ ٧ ص ٥٦ ، مفاتيح الغيب جـ ٢٦ ص ١٣٧ ونسبه الرازي للأخفش ، ورغائب القرآن جـ ٥ ص ٥٦٠ وونسبه النيسابوري لابن عباس رضى الله عنهما وللأخفش ، التسهيل جـ ٢ ص ١٧٠ ونسبه الكلبي لابن عباس رضى الله عنهما ، وعزاه السيوطي فى الدر المنثور جـ ٧ ص ٨٧ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم ، ونسب القول للضحاك رحمه الله ، روح المعانى جـ ١٢ ص ٨٦ .

(٢) سورة محمد آية : ١٥ .

(٣) التبيان فى إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٨٩ ، الفريد فى إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ١٣٠ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٥٠٠ و ص ٥٠١ .

(٤) انظر : لسان العرب جـ ١١ ص ٥٠٧ ، والقاموس المحيط ص ١٣٤٤ ، مادة : غول .

(٥) يقول ابن كثير رحمه الله فى تفسيره جـ ٤ ص ١٢ : (قال مجاهد رحمه الله لاتذهب عقولهم ، وكذا قال ابن عباس رضى الله عنهما ومحمد بن كعب والحسن وعطاء بن أبي مسلم والسدى وغيرهم ، وقال الضحاك رحمه الله عن ابن عباس رضى الله عنهما : فى الخمر أربع خصال : السُّكْرُ ، والصداع ، والقيءُ ، والبول ، فذكر الله تعالى خمر الجنة فنزهاها عن هذه الخصال...) .

للسكران نَزِيفٌ وَمَنْزُوفٌ، (يُنزِفُونَ) عليٌّ وحمزة^(١)، أي : لايسكرون أولاً ينفذ^(٢) شرابهم من أنزفَ الشارب إذا ذهب عقله ، أو شرابه .

﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾ قَصَرْنَ أَبْصَارَهُنَّ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ لَايَمْدُدْنَ طَرْفًا إِلَى غَيْرِهِمْ .

﴿ عَيْنٌ ﴾ جمع عَيْنَاءَ ، أي : نجلاء واسعة العين .

﴿ كَانَهُنَّ بَيضٌ مَكْنُونٌ ﴾ مصونٌ ، شَبَّهُنَّ ببيض النعام المكنون في الصفاء^(٣) ، وبها [تُشَبَّهُ] ^(٤) العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور^(٥) ، وَعُطِفَ : ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ ﴾ يعني أهل الجنة ، ﴿ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ عطف على يطاق عليهم ، والمعنى : يشربون فيتحادثون^(٦) على الشراب كعادة الشُّرْبِ^(٧) قال :

وَمَا بَقِيَتْ مِنَ اللَّذَاتِ إِلَّا أَحَادِيثُ الْكِرَامِ عَلَى الْمُدَامِ^(٨)

(١) الحجة في القراءات السبع ص ٣٠٢ ، والتلخيص في القراءات الثمان ص ٣٨٣ ، والموضح ج ٣ ص ١٠٨٨ و ١٠٨٩ ، والنشر ج ٢ ص ٣٥٨ ، والإتحاف ج ٢ ص ٤١١ .

(٢) في المطبوع (لاينزف) .

(٣) معاني القرآن / للزجاج ج ٤ ص ٣٠٤ ، معاني القرآن / للنحاس ج ٦ ص ٢٨ .

(٤) في (أ) : يشبه .

(٥) يقول أبو حيان رحمه الله في البحر المحيط ج ٩ ص ١٠٠ : (ذكر الله عزوجل أولاً الرزق ، وهو ما يتلذذ به الأجسام ، وثانياً الإكرام ، وهو ما يتلذذ به النفوس ، ثم ذكر المحل الذي هم فيه ، وهو جنات النعيم ، ثم أشرف المحل ، وهو السرور ، ثم لذة التأنس بان بعضهم يقابل بعضاً ، وهو أتم السرور وأنسه ، ثم المشروب وأنهم لايتناولون ذلك بأنفسهم ، بل يطاق عليهم بالكؤوس ، ثم وُصِفَ ما يطاق عليهم به من الطيب وإنتفاء المفاسد ، ثم ذكر تمام اللذة الجسمانية ، وختم بها كما بدأ باللذة الجسمانية من الرزق ، وهي أبلغ الملاذ ، وهي التأنس بالنساء) .

(٦) في: (ب) و (المطبوع): يتحادثون .

(٧) في: المطبوع الشراب والشُّرْب جمع شارب كالصُّحْب جمع صاحب .

(٨) الدر المصون ج ٥ ص ٥٠٣ ، الكشاف ج ٤ ص ٤٤ .

فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى عليهم^(١) في الدنيا إلا أنه جيء به ماضياً على ما عُرف في أخباره^(٢) .

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ^(٣) ، يَقُولُ أَإِنَّكَ ﴿﴾ بهمزيين شامي وكوفي^(٤) .
﴿ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿﴾ بيوم الدين .

﴿ أَمْ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أُنْمِتْنَا لَمَدِينُونَ ﴿﴾ لَمَجْزِيُونَ ، من الدِّين وهو الجزاء .

﴿ قَالَ ﴿﴾ ذلك القائل : ﴿ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴿﴾ إلى النار لأريكم ذلك القرين / قيل
إن في الجنة كواً ينظر أهلها منها إلى أهل النار ، أو قال الله تعالى لأهل الجنة : هل أنتم
مطلعون إلى النار فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار^(٥) .

﴿ فَاطَّلَعَ ﴿﴾ المسلم . ﴿ فَرَأَاهُ ﴿﴾ أي : قرينه .

﴿ فِي سِوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿﴾ في وسطها .

﴿ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لِتُرْدِينَ ﴿﴾ إن مخففة من الثقيلة ، وهي تدخل على كاد كما

(١) في: (المطبوع) : عما جرى لهم وعليهم .

(٢) انظر : الدر المصون جـ ٥ ص ٥٠٣ ، وقال السمين الحلبي : (وأتى بقوله : ﴿ فأقبل ﴿﴾ ماضياً لتحقيق وقوعه ..) .

(٣) يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره جـ ٤ ص ١٣ : (قال مجاهد : يعني شيطاناً . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : هو الرجل المشرك يكون له صاحب من أهل الإيمان في الدنيا ، ولأتنافى بين كلام مجاهد وابن عباس رضي الله عنهما ، فإن الشيطان يكون من الجن فيوسوس في النفس ، ويكون من الإنس فيقول كلاماً تسمعه الأذنان وكلاهما يتعاونان ..)
ورجح ابن عطية رحمه الله في المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ٢٣٥ قول ابن عباس رضي الله عنهما ، قلت : والجمع بين القولين أفضل كما فعل ابن كثير رحمه الله .

(٤) الإتحاف جـ ٢ ص ٤١٠ و ص ٤١١ .

(٥) النكت والعيون جـ ٥ ص ٤٩ و ص ٥٠ ، تفسير القرآن / للسمعاني جـ ٤ ص ٤٠٠ ، معالم التنزيل جـ ٧ ص ٤١ ونسب البغوي رحمه الله القول إلى ابن عباس رضي الله عنهما ، زاد المسير جـ ٧ ص ٦٠ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ٨٢ و ص ٨٣ ، البحر المحيط جـ ٩ ص ١٠٣ .

تدخل على كان ، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية . والإرداءُ : الإهلاك ، وبالياء في الحالين يعقوب^(١) .

﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي ﴾ وهي : العصمة والتوفيق في الإستمسك بعروة الإسلام .
﴿ لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ من الذين أحضروا العذاب كما أحضرتُهُ أنت
وأمثالك .

﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمِيتِينَ ، إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ الفاء للعطف على محذوف^(٢) تقديره : أنحن [مخلدون]^(٣) منعّمون فما نحن بميتين ولا معذبين ، والمعنى : أن هذه حال المؤمنين وهو أن لا يذوقوا إلا الموتة الأولى بخلاف الكفار فإنهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة .

وقيل لحكيم : ما شر من الموت ؟ قال : الذي يتمنى فيه الموت^(٤) ، وهذا قول يقوله المؤمن تحدثاً بنعمة الله بمسمع من قرينه ليكون تويخاً له وزيادة تعذيب ، وموتتنا نصب على المصدر ، والإستثناء متصل تقديره : لانموت إلا مرة ، أو منقطع وتقديره : لكن الموتة الأولى قد كانت في الدنيا^(٥) . ثم قال : لقرينه تقريراً : ﴿ إِنَّ هَذَا ﴾ أي : الأمر الذي نحن فيه : ﴿ لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ثم قال الله عزوجل : ﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ وقيل : أيضاً هو أيضاً من كلامه^(٦) .

(١) التلخيص ص ٣٨٤ ، الإنحاف ج ٢ ص ٤١٢ حيث قال البنا رحمه الله : (وأثبت الياء وصلأ في ﴿ لتردين ﴾ ورث ، وفي الحالين يعقوب) . قلت : أي : في الوصل والوقف .

(٢) انظر : الدر المصون ج ٥ ص ٥٠٥ .

(٣) في (أ) : المخلدون .

(٤) الكشاف ج ٤ ص ٤٥ ، لم أقف عليه عند غيره من المفسرين .

(٥) إعراب القرآن / للنحاس ج ٢ ص ٧٥٢ ، التبيان في إعراب القرآن ج ٢ ص ١٠٩ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد ج ٤ ص ١٣٣ ، الدر المصون ج ٥ ص ٥٠٥ .

(٦) انظر : المحرر الوجيز ج ١٣ ص ٢٣٧ وذكر ابن عطية قولاً آخرأ هذه الآية حيث قال :

(ويحتمل : ان يكون من خطاب الله تعالى لمحمد ﷺ وامته ، ويقوى في هذا ، لأن قول

المؤمن لمثل هذا فليعمل ، والآخر ، ليست بدار محمل ، إلا على تجوّز ، كان يقول : لمثل

﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزْلاً ﴾ تمييز^(١) .

﴿ أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ ﴾ أي : نعيم الجنة وما فيها من اللذات والطعام والشراب خير نزلاً أم شجرة الزقوم خير نزلاً ؟ والنزلُ : ما يقام للنازل بالمكان من الرزق ، والزقوم : شجر مر يكون بتهامة^(٢) .

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴾ محنة وعذاباً لهم في الآخرة ، أو ابتلاءً لهم في الدنيا ، وذلك أنهم قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر ؟ فكذبوا .

﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴾ قيل منبتها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتهما .

﴿ طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ الطلع للنخلة فاستعير لِمَا طلع من شجرة الزقوم من حملها ، وشبهه برؤوس الشياطين : للدلالة على تناهيه في الكراهة ، وقبح المنظر ، لأن الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لإعتقادهم أنه شر محض ، وقيل الشيطان حية عَرَفَاءُ قبيحة المنظر هائلة جداً^(٣) .

﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُلُونَ مِنْهَا ﴾ من الشجرة ، [أي]^(٤) : من طلعتها .

⇐ هذا كان ينبغي أن يعمل العاملون (، زاد المسير جـ ٧ ص ٦١ ونسب ابن الجوزي رحمه الله هذا القول : للتعليبي ، الجامع لأحكام القرين جـ ١٣ ص ٨٤ ، لباب التأويل جـ ٤ ص ١٩ ، البحر المحيط جـ ٩ ص ١٠٥ ، فتح القدير جـ ٤ ص ٣٩٧ ، ورجح الشوكاني قول من قال أنه من قول المؤمن .

(١) التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٩٠ ، والفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ١٣٣ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٥٠٥ .

(٢) النكت والعيون جـ ٥ ص ٥١ ونسب هذا القول إلى قطرب ، وقال السمعاني في تفسيره جـ ٤ ص ٤٠١ : (فالأكثر أن شجرة لأيعرف لها مثل في الدنيا ...) معالم التنزيل جـ ٧ ص ٤٢ ، زاد المسير جـ ٣ ص ٦٣ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ٨٥ .

(٣) انظر : معاني القرآن / للفراء جـ ٢ ص ٣٨٣ ، معاني القرآن / للزجاج جـ ٤ ص ٣٠٦ ، ومعاني القرآن / للنحاس جـ ٦ ص ٣٥ .

(٤) في (أ) (أومن) .

﴿ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴾ [فمالئون] ^(١) بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد .

﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا ﴾ على أكْلِهَا .

﴿ لَشَوْبًا ﴾ لخلطاً ولمزاجاً .

﴿ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ ماءٍ حارٍّ يشوى وجوههم ، ويُقطع أمعاءهم ، كما قال في صفة

شراب أهل الجنة : ﴿ وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴾ ^(٢) ، [والمعنى] ^(٣) : ثم إنهم يملئون البطون

من شجرة الزقوم ، وهو حار يحرق / بطونهم ، وَيُعْطِشُهُمْ فلا يُسْقُونَ إلا بعد مَلْيٍّ ^(٤)

تعدياً ^(٥) بذلك العطش ، ثم يُسْقُونَ ما هو أحر وهو الشراب المشوب بالحميم .

﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ ﴾ أي : أنهم يُذْهَبُ بهم عن مقارهم ومنازلهم في

الجحيم ، وهي : الدركات التي أُسْكِنُوها إلى شجرة الزقوم فيأكلون إلى أن يمتلئوا ،

ويُسْقُونَ بعد ذلك ثم يَرْجِعُونَ إلى دركاتهم ، ومعنى التراخي في ذلك ظاهر .

﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ، فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴾ عِلَّلَ إستحقاقهم

للقوع في تلك الشدائد بتقليد الآباء في الدين ، وإتباعهم إياهم في الضلال وترك إتباع

الدليل ، والإهراع : الإسراع الشديد كأنهم يُحَثُّونَ حَثًّا ^(٦) .

﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ ﴾ قبل قوم قريش .

﴿ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ يعني : الأمم الخالية بالتقليد ، وترك النظر والتأمل .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ ﴾ أنبياء حذروهم العواقب .

(١) في (أ) : فمالئوا .

(٢) سورة المطفيين آية : ٣٧ .

(٣) في (أ) : ومعنى .

(٤) مَلْيٌّ : يقول ابن منظور : (.. مضى مَلْيٌّ من النهار ، أي : ساعة طويلة) . لسان العرب

جـ ١٥ ص ٢٩١ . مادة : ملا .

(٥) في المطبوع : لهم بذلك .

(٦) انظر : معاني القرآن / للفراء جـ ٢ ص ٣٨٧ ، ومعاني القرآن / للزجاج جـ ٤ ص ٣٠٧ ،

ومعاني القرآن / للنحاس جـ ٦ ص ٣٦ .

﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ ﴾ الذين أنذروا وحذّروا ، أي : أهلِكُوا جميعاً .
 ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ أي : إلا الذين آمنوا منهم وأخلصوا لله دينه على
 القراءتين^(١) ، ولما ذكر إرسال المنذرين في الأمم الخالية وسوء عاقبة المنذرين أتبع
 ذلك ذكر نوح ودعائه إياه حين أيس من قومه بقوله : ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ ﴾ دعانا
 لِنُنَجِّيهُ مِنَ الْغَرَقِ ، وقيل أريد به قوله : ﴿ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ ﴾^(٢) .

﴿ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾ اللام [الداخلة]^(٣) على نِعْم جواب قسم محذوف ،
 والمخصوص بالمدح محذوف تقديره : ولقد نادانا نوح فوالله لنعم المجيبون نحن^(٤) ،
 والجمع دليل العظمة والكبرياء ، والمعنى : أجبناه أحسن الإجابة ، ونصرناه على أعدائه
 وأنتقمنا منهم بأبلغ ما يكون .

﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ ﴾ ومن آمن به وأولاده .

﴿ مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ غَمٌ^(٥) الغرق .

﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ وقد فني غيرهم ، قال قتادة^(٦) : الناس كلهم من
 ذرية نوح^(٧) ، وكان لنوح عليه السلام ثلاثة أولاد : سام وهو أبوالعرب وفارس والروم ،

(١) التلخيص ص ٢٩٤ عند سورة يوسف ، النشر ج ٢ ص ٢٩٥ .

(٢) سورة القمر آية : ١٠ .

(٣) في (أ) : الداخل .

(٤) التبيان في إعراب القرآن ج ٢ ص ١٠٩٠ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد ج ٤ ص ١٣٤ ،

الدر المصون ج ٥ ص ٥٠٦ .

(٥) في (ب) و (ج) وهو غم ، وفي (المطبوع) وهو الغرق .

(٦) قد سبق ترجمته ص ١٢١ .

(٧) وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير و قتادة وابن المسيب رحمهم الله

أجمعين وهو قول الجمهور ، انظر : النكت والعيون ج ٥ ص ٤٥٣ ، الوسيط ج ٣

ص ٥٢٧ ، تفسير السمعاني ج ٤ ص ٤٣ ، المحرر الوجيز ج ١٣ ص ٢٤٠ ، زاد المسير ج ٧

ص ٦٥ ، الجامع لأحكام القرآن ج ١٥ ص ٨٩ ، البحر المحيط ج ٩ ص ١٠٨ ، تفسير ابن

كثير ج ٤ ص ١٩ ، التسهيل ج ٢ ص ١٧٢ ، الدر المنثور ج ٧ ص ٩٩ .

وحام وهو أبوالسودان من المشرق إلى المغرب ، ويافث وهو أبو الترك ويأجوج ومأجوج^(١) .

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ من الأمم هذه الكلمة وهى : ﴿ سَلَامٌ عَلَيَّ نُوحٍ ﴾
يعنى يُسَلِّمُونَ عليه تسليماً ، ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقولك : قرأت سورة
أنزلناها .

﴿ فِي الْعَالَمِينَ ﴾ أي : ثبَّتَ هذه التحية فيهم جميعاً ، ولا يخلو أحدٌ منهم منها ،
كأنه قيل : ثبَّتَ الله التسليم على نوح وأدامه فى الملائكة والثقلين ، يسلمون عليه عن
آخرهم .

﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ علل مجازاته بتلك التكرمه السنية بأنه كان
محسناً .

﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ثم علل كونه محسناً بأنه كان عبداً مؤمناً ليريك
جلالة محل الإيمان ، وأنه القصارى من صفات المدح والتعظيم .

﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴾ أي : الكافرين .

﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ﴾ أي : من شيعة نوح / ، أي : ممن شايعه على أصول
الدين ، أو شايعه التصلب فى دين الله ، ومصابرة المكذبين ، وكان بين نوح وإبراهيم
ألفان وستمائة وأربعون سنة ، وما كان بينهما إلا نبيان : هود وصالح^(٢) .

﴿ إِذْ جَاءَ رَبُّهُ ﴾ إذ تعلق بما فى الشيعية من معنى المشايعة ، يعنى : وإن ممن
شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه .

(١) وأخرج الترمذي بسنده بلفظ عن سَمُرَةَ عن النبي ﷺ قال : « سام أبو العرب وحام أبو الحبش
ويافث أبو الروم » جـ ٤ ص ٤٣ كتاب التفسير باب سورة الصافات وقال حديث حسن غريب .
وضعه الألباني فى ضعيف سنن الترمذي ص ٤٠٨ وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده جـ ٥
ص ١١ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ٩١ ، البحر المحيط جـ ٩ ص ١٠٩ ، روح المعاني جـ ٢٣
ص ٩٩ .

﴿ بَقَلْبِ سَلِيمٍ ﴾ من الشرك ، أو من آفات القلوب لإبراهيم ، أو بمحذوف وهو أذُكُر ، ومعنى المجيء بقلبه رَبَّهُ : أنه أخلص لله قلبه وعلم الله ذلك منه فضرب المجيء مثلاً لذلك^(١) .

﴿ إِذِ ﴾ بَدَلٌ مِنَ الْأُولَى^(٢) .

﴿ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ، أُنْفِكَا إِلَهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ أُنْفِكَا مفعول له تقديره : أتريدون آلهة من دون الله إفاً ، وإنما قدم المفعول على الفعل للعناية ، وقدم المفعول له على المفعول به : لأنه كان الأهم عنده ان يكافحهم بأنهم على إفاً وباطلٍ في شركهم ، ويجوز أن يكون إفاً مفعولاً به ، أي : أتريدون إفاً^(٣) ، ثم فسر الإفاً بقوله : آلهة دون الله علي أنها إفاً في نفسها ، أو حالاً ، أي : تريدون آلهة من دون الله آفكين^(٤) ﴿ فَمَا ظَنُّكُمْ ﴾ أي : شيء ظنكم .

﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وأنتم تعبدون غيره ، وما رُفِعَ بالإبتداء والخبر ظنكم ، أو فماظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره وعلمتم أنه المنعم على الحقيقة فكان حقيقاً بالعبادة :

﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴾ أي : نظر في النجوم رامياً يبصره إلى السماء متفكراً في نفسه كيف يحتال ، أو أراهم أنه ينظر في النجوم لإعتقادهم عِلْمُ النجوم فأوهمهم أنه أستدل بأمارة على أنه يَسْتَقِم .

(١) انظر هذه الأقوال : بحر العلوم ج٣ ص ١١٧ ، النكت والعيون ج٥ ص ٥٤ ، الجامع لأحكام القرآن ج١٥ ص ٩١ ، البحر المحيط ج٩ ص ١٠٨ ، روح المعاني ج٢٣ ص ١٠٠ .

(٢) التبيان في إعراب القرآن ج٢ ص ١٠٩١ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ١٣٥ ، الدر المصون ج٥ ص ٥٠٨ ، قلت : والمراد بالأولى ، أي : في قوله تعالى قبل هذه الآية :

﴿ إِذَا جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبِ سَلِيمٍ ﴾

(٣) الإفاً: الكذب ، لسان العرب ج١٠ ص ٣٩٠ ، والقاموس المحيط ص ١٢٠٣ ، مادة : أفاً .

(٤) انظر : التبيان في إعراب القرآن ج٢ ص ١٠٩١ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٢ ص ١٣٥ ، الدر المصون ج٥ ص ٥٠٨ .

﴿ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ أي : مشارف للستّم ، وهو الطاعون ، وكان أغلب الأقسام عليهم ، وكانوا يخافون العدوى ، ليتفرقوا عنه ، فهربوا منه إلى عيدهم وتركوه في بيت الأصنام ليس معه أحد ، ففعل بالأصنام ما فعل ، وقالوا علم النجوم حقاً ثم نسيخ الإشتغال بمعرفته ، والكذب حرام إلا إذا عرّض ، والذي قاله : إبراهيم عليه السلام مِعْرَاضٌ^(١) من الكلام ، أي : سأسقم ، أو من الموت في عنقه سقيم ، ومن المثل : كفى بالسلامة داءً^(٢) ، ومات رجلٌ فجاءةً فقالوا : مات وهو صحيح . فقال إعرابي : أصحيح من الموت في عنقه ، أو أراد إنني سقيم لكفركم ، كما يُقال أنا مريض القلب من كذا .

﴿ فَتَوَلَّوْا ﴾ فأعرضوا . ﴿ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴾ أي : مَوْلِينَ الأدبار .

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام غير ثلاث كذبات اثنتين في ذات الله تعالى قوله : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ وقوله : ﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾ وقوله في سارة هي : أختي) ، أخرجه البخاري في صحيحه جـ ٢ ص ١٠٣٤ كتاب الأنبياء باب قوله تعالى : ﴿ وَأَتَّخِذُ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ وقصة ساره طويلة ، وأخرجه الإمام مسلم رحمه الله جـ ٤ ص ١٤٦٨ كتاب الفضائل باب من فضائل إبراهيم عليه السلام ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده جـ ٢ ص ٤٠٣ و ص ٤٠٣ ، ويعلق ابن كثير رحمه الله في تفسيره جـ ٤ ص ٢١ حيث قال : (ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يُذم فاعله حاشا وكلا ، وإنما أطلق الكذب على هذا تجوزاً ، وإنما هو من المعارض في الكلام لمقصد شرعي ديني) .

(٢) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب بسنده جـ ٢ ص ٣٠٢ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « كفى بالسلامة داءً » .

وأخرجه الديلمي في الفردوس جـ ٣ ص ٢٩٠ .

ورمز إليه بالضعف السيوطي في الجامع الصغير جـ ٢ ص ٣٨٩ ، وضعفه الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع الصغير وزيادته ص ٦٠٨ .

وذكره ابوحيان في البحر المحيط جـ ٩ ص ١١٠ .

قلت : ومعناه : أن حياة الإنسان سبب لموته وإن لم يتعرض للأمراض فهي الداء الحاضر .

﴿ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِتِهِمْ ﴾ فمال إليهم سرا .

﴿ فَقَالَ ﴾ إستهزاءً . ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ وكان عندهم طعام . ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴾ والجمع بالواو والنون لَمَّا أنه خاطبها خطاب من يعقل^(١) .

﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا ﴾ فأقبل عليهم مستخفياً ، كأنه قال : فضربهم ضرباً لأن راغ عليهم بمعنى ضربهم ، أو فراغ عليهم يضربهم ضرباً ، أي : ضارباً^(٢) .

﴿ بِالْيَمِينِ ﴾ أي : ضرباً شديداً بالقوة ، لأن اليمين أقوى الجارحتين وأشدّهما ، أو بالقوة والمتانة ، أو بسبب / الحلف الذي سبق منه ، وهو قوله : ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ ﴾^(٣) .

﴿ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ ﴾ إلى إبراهيم .

﴿ يَزِفُونَ ﴾ يسرعون من الزيف وهو الإسراع^(٤) ، (يُزِفُونَ) حمزة من أَزَفَ إذا دخل في الزيف إزافاً^(٥) ، وكأنه^(٦) قد رآه بعضهم يُكْسِرُهَا وبعضهم لم يره ، فأقبل من رآه مسرعاً نحوه ، ثم جاء من لم يره يكسرها فقال لمن رآه : ﴿ مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾^(٧) فأجابوه على سبيل التعريض بقولهم : ﴿ سَمِعْنَا فَتَىٰ يَدُكُرُهُمْ يُقَالُ

(١) قلت : من باب التهكم والسخرية ، وإلا فإن إبراهيم عليه السلام يعلم أنها أصنام لا تنطق .

(٢) يقول الهمداني في الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ١٣٥ : (إنتصاب قوله ﴿ ضارباً ﴾ على المصدر من راغ حملاً على المعنى كأنه قال : ضربهم ضرباً .. وذلك أن تجعله في موضع الحال من المنوي في الفعل ، أي : ضارباً) باختصار .

(٣) سورة الأنبياء آية : ٥٧ .

(٤) انظر : معاني القرآن / للزجاج ج٤ ص ٣٠٩ ، معاني القرآن / للنحاس ج٦ ص ٤٤ ، وص ٤٥ .

(٥) الحجة في القراءات السبع ص ٣٠٢ ، التلخيص ص ٣٨٣ ، الموضح ج٣ ص ١٠٨٩ ، النشر ج٢ ص ٣٥٧ ، الإتحاف ج٢ ص ٤١٢ .

(٦) في المطبوع : فكأنه .

(٧) سورة الأنبياء آية : ٥٩ .

لَهُ إِبْرَاهِيمَ ﴿١﴾ ثُمَّ قَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ نَحْنُ نَعْبُدُهَا وَأَنْتَ تَكْسِرُهَا فَأَجَابَهُمْ بِقَوْلِهِ : ﴿ قَالَ
أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْتُونَ ﴾ بِأَيْدِيكُمْ .

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ وخلق ما تعملونه من الأصنام ، أو ما مصدرية أي
وخلق أعمالكم وهو دليلنا في الأفعال (٢) أن الله خالقكم وخلق أعمالكم فَلِمَ تعبدون
غيره .

﴿ قَالُوا أَبْنُوا لَهُ ﴾ أي : لأجله .

﴿ بُنْيَانًا ﴾ من الحجر طوله ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً (٣) .

﴿ فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴾ في النار الشديدة ، وقيل : كلُّ نارٍ بعضها فوق بعض فهي
جحيم (٤) .

﴿ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا ﴾ بإلقاءه في النار .

﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ ﴾ المقهورين عند الإلقاء ، فخرج من النار .

(١) سورة الأنبياء آية : ٦٠ .

(٢) يقول ابن عطية رحمه الله في المحرر الوجيز جـ ١٣ ص ٢٤٦ : (فذهب جماعة من
المفسرين أن (ما) مصدرية والمعنى : ان الله خلقكم وأعمالكم ، وهذه الآية عندهم قاعدة في
خلق أفعال العباد وذلك موافق لمذهب أهل السنة في ذلك ..) ، ويقول القرطبي في الجامع
لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ٩٦ : (.. والأحسن أن تكون (ما) مع الفعل مصدراً والتقدير :
والله خلقكم وعملكم ، وهذا مذهب أهل السنة : أن الأفعال خلق الله عز وجل وإكتساب
للعباد ، وفي هذا إبطال مذهب القدرية والجبرية) ، ويقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره
جـ ٤ ص ٢٢ : (يحتمل أن تكون ما مصدرية فيكون الكلام خلقكم وعملكم ، ويحتمل أن
تكون بمعنى الذي تقديره : والله خلقكم والذي تعملونه ، وكلا القولين متلازم والأول
أظهر ..) .

(٣) نُسِبَ هذا القول إلى ابن عباس رضي الله عنهما انظر : الوسيط جـ ٣ ص ٢٨ ، وتفسير القرآن
للسمعاني جـ ٤ ص ٤٠٦ ، ومعالم التنزيل جـ ٧ ص ٤٥ ونسبه إلى مقاتل رحمه الله ، مفاتيح
الغيب جـ ٢٦ ص ١٥٠ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ٩٧ ، غرائب القرآن جـ ٥ ص ٥٧٠ .

(٤) معاني القرآن / للزجاج جـ ٤ ص ٣١٠ .

﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي ﴾ إلى موضع أمرني بالذهاب إليه .

﴿ سَيَهْدِينِ ﴾ سيرشدني إلى ما فيه صلاح في ديني ويعصمني ويوفقني ، (سيهديني) فيهما يعقوب^(١) .

﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ بعض الصالحين يريد الولد ، لأن لفظ الهبه غلب على الولد .

﴿ فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ أنطوت البشارة على ثلاث على : أن الولد غلام ذكر^(٢) ، وأنه يبلغ أوان الحلم ، لأن الصبي لا يوصف بالحلم ، وأنه يكون حلوماً ، وأيُّ حلمٍ أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال : ﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ ﴾^(٣) . ثم استسلم لذلك .

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ﴾ بلغ أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحوائجه ، ومعه لا يتعلق بلغ لإقتضائه بلوغهما معاً حد السعي ، ولا بالسعي لأن صلة المصدر لا يتقدم^(٤) عليه ، فبقي أن يكون بياناً ، كأنه لما قال : فلما بلغ السعي ، أي : الحد الذي يقدر فيه على السعي قيل : مع من ؟ قال : مع أبيه ، وكان إذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة^(٥) ﴿ قَالَ ﴾

(١) التلخيص ص ٣٨٤ ، والموضح جـ ٣ ص ١٠٩٦ ، النشر جـ ٢ ص ٣٦١ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٤١٢ .

(٢) يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره جـ ٤ ص ٢٣ : (وهذا الغلام هو إسماعيل عليه السلام فإنه أول ولد بُشِّرَ به إبراهيم عليه السلام ، وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب ، بل في نص كتابهم ان إسماعيل عليه السلام ولد لإبراهيم عليه السلام ست وثمانون ، وولد إسحاق وعمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام تسع وتسعون سنة ..) .

(٣) آية : ١٠٢ من نفس السورة .

(٤) في المطبوع : لا يتقدم .

(٥) قال الفراء في معاني القرآن جـ ٢ ص ٣٨٩ : (وكان إسماعيل يومئذ ابن ثلاث عشرة) ، معاني القرآن / للنحاس جـ ٦ ص ٤٧ ، ونسبه الماوردي في النكت والعيون : للفراء والكلبي جـ ٥ ص ٦٠ . ونسبه ابن الجوزي في / زاد المسير جـ ٧ ص ٧٢ ، إلى ابن السائب رحمه الله .

يَأْبُنِي ﴿﴾ حفص ، والباقون بكسر الياء (١) .

﴿ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ﴾ وفتح الياء فيهما حجازي وأبو عمرو (٢) ، وقيل له في المنام : أذبح ابنك ورؤيا الأنبياء كالوحي في اليقظة ، وإنما لم يقل رأيت لأنه رأى مرة بعد مرة ، قيل : رأى ليلة التروية كأن قائلاً يقول له إن الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح رَوَى في ذلك من الصباح إلى الرواح أَمِنَ الله هذا الحُلُم أم من الشيطان ؟ فمن ثم سُمِّي يوم التروية (٣) ، فلما أمسى رأى مثل ذلك فَعَرَفَ أنه من الله فمن ثم سُمِّي يوم عرفه ، ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فَهَمَّ بنحره فَسُمِّي يوم النحر (٤) .

﴿ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾ من الرأي ، على وجه المشاورة لامن رؤية العين ، ولم يشاوره ليرجع إلى رأيه ومشورته ، ولكن ليعلم أيجزغ أم يصبر ؟ ، (تري) عليّ وحمزة (٥) / ، أي : ماذا تبصر من رأيك وتبديه .

﴿ قَالَ يَا أَبَتِ أَفَعَلْ مَا تُمُرُّ ﴾ أي : ما تؤمر به ، وقرئ به (٦) .

﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ على الذبح ، روي أن الذبيح قال لأبيه : يا أبت خذ بنا صيتي وأجلس بين كتفي حتى لا أؤذيك إذا أصابتنى الشفرة ، ولا تذبحنى

(١) النشر ج٢ ص ٢٨٩ عند سورة هود ، الإتحاف ج٢ ص ٤١٢ .

(٢) التلخيص ص ٣٨٤ ، الموضح ج٣ ص ١٠٩٦ ، النشر ج٢ ص ٣٦٠ ، الإتحاف ج٢ ص ٤١٢ .

(٣) قلت : الذي هو اليوم الثامن من أيام الحج ، وفيه يذهب الحاج إلى منى فيصللي فيه الفروض الخمسة قصرًا لاجتماعًا ، وهو من سنن الحج .

(٤) مفاتيح الغيب ج٢٦ ص ١٥٣ ، لباب التأويل ج٤ ص ٢٣ ، غرائب القرآن ج٥ ص ٥٧٢ ، البحر المحيط ج٩ ص ١١٦ ، أنوار التنزيل ج٢٩٨ ، روح المعاني ج١٢ ص ١٢٨ .

(٥) الحجة في القراءات السبع ص ٣٠٢ ، والتلخيص ص ٣٨٣ ، والموضح ج٣ ص ١٠٩٠ ، النشر ج٢ ص ٣٥٧ ، الإتحاف ج٢ ص ٤١٣ .

(٦) معاني القرآن / للفراء ج٤ ص ٣٩٠ ، ويقول : (وفي قراءة عبد الله :) (إنني أرى في المنام إفعل ما أمرت به) ، ويقول ابن عطية في المحرر الوجيز ج١٣ ص ٢٤٨ : (وفي مصحف عبد الله بن مسعود : إفعل ما أمرت به) .

وأنت تنظر في وجهي عسى أن ترحمني ، وأجعل وجهي إلى الأرض ، ويروى إذ بحني وأنا ساجد وأقرأ على أمي السلام ، وإن رأيت أن تردّ قميصي على أمي فافعل فإنه عسى أن يكون أسهل لها^(١) .

﴿ فَلَمَّا أَسْلَمًا ﴾ إنقادا لأمر الله وخضعا ، وعن قتادة رضي^(٢) الله عنه : أسلم هذى إبنه وهذا نفسه^(٣) .

﴿ وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ صرعه على جبينه^(٤) ، ووضع السكين على حلقه فلم يعمل ، ثم وضع السكين على قفاه فأنقلب السكين ، ونودي يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ، روى أن ذلك المكان عند الصخرة التي بمنى^(٥) ، وجواب : ﴿ لَمَّا ﴾ محذوف تقديره : فَلَمَّا أسلما وتله للجبين .

(١) انظر : بحر العلوم ج٣ ص ١٢٠ ، تفسير القرآن / للسمعاني ج٤ ص ٤٠٨ ، وانظر هذه الأقوال : في الدر المنثور / للسيوطي ج٧ ص ١١٠ ، و١١١ ، و١١٢ ، ويقول ابن جزى الكلبي في التسهيل : (وقد أكثر الناس في قصص هذه الآية وتركناه لعدم صحته) ج٢ ص ١٧٥ .

(٢) سبق ترجمته ص ١٢١ .

(٣) بحر العلوم ج٣ ص ١٢١ ، النكت والعيون ج٥ ص ٦١ ، معالم التنزيل ج٧ ص ٤٨ ، مفاتيح الغيب ج٢٦ ص ١٥٧ ، الجامع لأحكام القرآن ج١٥ ص ١٠٤ ، غرائب القرآن ج٥ ص ٥٧٢ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ج٧ ص ١١١ : إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم .

(٤) يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره ج٤ ص ٢٤ : (قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وقاتدة رحمهم الله ﴿ وتله للجبين ﴾ أكبه على وجهه) .

(٥) انظر : بحر العلوم ج٣ ص ١٢٠ و١٢١ ، النكت والعيون ج٥ ص ٦٢ ، وتفسير القرآن /

للسمعاني ج٤ ص ٤٠٨ ، ومعالم التنزيل ج٧ ص ٤٨ و٤٩ أحكام القرآن / لابن العربي ج٤ ص ١٦١٨ ، الجامع لأحكام القرآن ج١٥ ص ١٠٢ و١٠٣ وقال القرطبي رحمه الله بعد ذكر هذه الأقوال : (وهذا كله جائز في القدرة الإلهية لكنه يفتقر إلى نقل صحيح فإنه أمر لا يدرك بالنظر وإنما طريقه الخبر ، ولو كان قد جرى ذلك لبينه الله تعالى تعظيماً لرتبة إسماعيل وإبراهيم صلوات الله عليهما ، وكان أولى بالبيان من الفدا ..) . البحر المحيط ج٨ ص ١١٨ ، وروح المعاني ج١٢ ص ١٣٠ .

﴿ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ﴾ أي : حققت ما أمرناك به في المنام من تسليم الولد للذبح ، كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من إستبشارهما وحمدهما لله وشكرهما على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله ، أو الجواب قبلنا منه ، ونادينا معطوف عليه .

﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ تعليل لتحويل ما خولهما من الفرج بعد الشدة .
﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُئِينُ ﴾ الإختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم ، أو المحنة البينة .

﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ ﴾ هو ما يُذبح ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما : هو الكبش الذي قربه هايل فقبل منه ، وكان يرعى في الجنة حتى فُدي به إسماعيل عليه السلام^(١) ، وعنه رضي الله عنهما : لو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس أبناءهم^(٢) .

﴿ عَظِيمٍ ﴾ ضخمة الجثة ، سمين ، وهي السنة في الأضاحي ، وروى أنه هرب من إبراهيم عليه السلام عند الجمره فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقيت سنة في الرمي^(٣) ، وروى أنه لما ذبحه قال جبريل عليه السلام : الله أكبر الله أكبر الله أكبر فقال

(١) تفسير عبدالرزاق ج٢ ص ١٢٥ ، جامع البيان ج٢٣ ص ٨٦ ، النكت والعيون ج٥ ص ٦٢ ، وص ٦٣ ، وتفسير القرآن / للسمعاني ج٤ ص ٤٠٩ ، معالم التنزيل ج٧ ص ٧٧ ، مفاتيح الغيب ج٢٦ ص ١٥٨ ، والجامع لأحكام القرآن ج١٥ ص ١٠٧ ، غرائب القرآن ج٥ ص ٥٧٣ ، تفسير القرآن / لابن كثير ج٤ ص ٢٦ ، والبحر المحيط ج٩ ص ١١٨ ، وقال ابن كثير في البداية والنهاية ج١ ص ١٤٩ بعد ذكره عدة أقوال في معنى (بذبح) : (ثم غالب ماؤها من الأثار مأخوذ من الإسرائيليات . وفي القرآن كفاية عما جرى من الأمر العظيم والإختبار الباهر ، وأنه فدى بذبح عظيم ، وقد ورد في الحديث أنه كان كبشاً ..) . دقق أصوله وحققه د: أحمد أبو ملحم ، ود: علي نجيب عطوى ، والأستاذ: فؤاد السيد ، والأستاذ: مهدي ناصر الدين ، والأستاذ: علي عبدالساتر ، مطبعة دار الريان ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٠٨ هـ .

(٢) الكشاف ج٤ ص ٥٥ ، وقال ابن حجر رحمه الله في الكافي الشاف ص ١٤١ : (لم أجده) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ج١٥ ص ١٠٦ ، وروح المعاني ج١٢ ص ١٣٢ .

الذبيح : لا إله إلا الله والله أكبر فقال إبراهيم عليه السلام الله أكبر ولله الحمد ، فبقى سنة^(١) ، وقد إستشهد أبوحنيفة رضي الله^(٢) عنه بهذه الآية : فيمن نذر ذبح ولده أن يلزمه ذبح شاة^(٣) .

والأظهر أن الذبيح : إسماعيل عليه السلام ، وهو قول أبي بكر وإبن عباس وإبن عمر وجماعة من التابعين رضي الله عنهم لقوله عليه السلام : « أنا إبن الذبيحين »^(٤) فأحدهما جده : إسماعيل والآخر أبوه عبدالله ، وذلك أن عبدالمطلب نذر إن بلغ بنوه عشرة أن يذبح آخر ولده تقرباً ، وكان عبدالله آخراً ، ففداه بمائة من الإبل ، ولأن قرني الكعبش كانا منوطين في الكعبة في أيدي بني إسماعيل إلى أن احترق البيت في زمن الحجاج^(٥) ، وبن

(١) ذكره الزيلعي في : تخريج أحاديث الكشاف ج٣ ص ١٧٧ ، ولم يتطرق إلى حكمه ، وقال إبن حجر في الكافي الشاف ص ١٤١ : (لم أجده) .

(٢) سبقت ترجمته ص ٢٥ .

(٣) أحكام القرآن / لابن العربي ج٤ ص ١٦١٩ ، وقال ابن العربي في بيان المذاهب الأخرى : (قال الشافعي : هي معصية يستغفر الله فيها .. وقال أبو عبدالله إمام دار الهجرة : يلزمه ذبح شاه) باختصار ، أحكام القرآن / للقرطبي ج٥ ص ١١١ ، أحكام القرآن / للجصاص ص ٢٥١ و ص ٢٥٢ .

(٤) أخرجه الحاكم ج٢ ص ٥٤٤ بلفظ : (يا إبن الذبيحين) وسكت عليه الحاكم وقال الذهبي إسناده وإه وقال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف ج٣ ص ١٧٧ (غريب اللفظ) ، وقال الألباني : (لا أصل له بهذا اللفظ) يعني : « أنا إبن الذبيحين » ، سلسلة الضعيفة حديث رقم ٣٣١ ج١ ص ٥٠١ ، مطبعة مكتبة المعارف ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨ هـ .

(٥) الحجاج : بن يوسف بن أبي عقيل بن مسعود .. أبو محمد الثقفى ، ولاءه عبدالملك بن مروان فقتل إبن الزبير ، ثم عزله وولاه العراق ، كان مولد الحجاج في سنة تسع وثلاثين ، وقيل سنة: أربعين ، وقيل في سنة إحدى وأربعين ، ثم نشأ شاباً لبيباً فصيحاً بليغاً حافظاً القرآن ، وله قصة طويلة تحكي قصة حياته عند بن كثير في البداية والنهاية ج٥ ص ١٢٣ وما بعدها ، سير أعلام النبلاء ج٤ ص ٣٤٣ ، وقال عنه الذهبي رحمه الله باختصار : (كان ظلوماً جباراً خبيثاً سفاكاً للدماء ، وكان ذا شجاعة وإقدام ومكر ودهاء ، وتعظيم للقرآن ، نسبته ولا

الزبير^(١) .

وعن الأصمعي^(٢) أنه قال : سألت أبا عمرو بن العلاء^(٣) عن الذبيح فقال يا أصمعي أين عَزَبَ عنك عقلك ومتى كان / إسحاق بمكة وإنما كان إسماعيل بمكة ، وهو الذي بنى البيت مع أبيه ، والمنحر بمكة^(٤) ، وعن علي وإبن مسعود والعباس وجماعة من التابعين رضي الله عنهم أنه إسحاق ، ويدل عليه كتاب يعقوب إلى يوسف عليهما السلام : من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله^(٥) .

← نجه بل نبغضه في الله ، وله حسنات مغموره في بحر ذنوبه ، وأمره إلى الله ، وله توحيد في الجملة (.

(١) ابن الزبير : عبدالله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزيز بن قصى بن كلاب بن مرة القرشي الأسدي ، أبوبكر ، أمه أسماء بنت أبي بكر ، وجدته لأبيه : صفية بنت عبدالمطلب ، عمه رسول الله ﷺ ، وخالته عائشة أم المؤمنين ، وهو أول مولود ولد في الإسلام ، وقتله الحجاج بن يوسف سنة ثلاث وسبعين وأجتاز به إبن عمر رضي الله عنهم ، وهو مصلوب ، فوقف وقال : السلام عليك أبا خبيب ، ودعاه ثم قال : أما والله إن أمة أنت شرها لنعم الأمة ، يعنى أهل الشام كانوا يسمونه ملحداً ومنافقاً وغير ذلك . انظر ترجمته : أسد الغابة في معرفة الصحابة ج٣ ص ٣٤٢ ، الإصابة ج٢ ص ٣٠٩ .

(٢) الأصمعي : سبقت ترجمته ص ٢٤٠ .

(٣) أبو عمر بن العلاء : هو زيان بن عمار التميمي المازني البصري ، أبوعمر وأحد القراء السبعة مولده في نحو سبعين ، برز في الحروف والنحو ، وتصدر للإفادة مده واشتهر بالفصاحة والصدق وسعة العلم ، قال أبو عبيدة : كان أعلم الناس بالقراءات والعريه والشعر وأيام العرب ، ذكر غير واحد أن وفاته كانت في سنة أربع وخمسين ومئة . سير اعلام النبلاء ج٦ ص ٤٠٧ باختصار .

(٤) غرائب القرآن ج٥ ص ٥٧١ .

(٥) يقول الزيلعي في كتابه تخريج أحاديث الكشاف ج٣ ص ١٧٩ : (رواه الدارقطني في كتابه غرائب مالك ثم ذكر الحديث بطوله .. ثم قال الدارقطني : هذا حديث موضوع باطل وإسحاق بن وهب الطهرمسي يضح الحديث على إبن وهب وغيره ، حدث عنه بهذا الإسناد أحاديث لا أصل لها) .

والراجح في هذا الموضوع أن إسماعيل عليه السلام هو الذبيح وهو الذي رجحه النسفي وهو قول جمهور العلماء ، انظر جامع البيان ج٢٣ ص ٨٣ وما بعدها ، بحر العلوم ج٣ ص ١١٩ . ومعالم التنزيل ج٧ ص ٤٦ و ٤٧ ، وزاد المسير ج٧ ص ٧٣ ، البحر المحيظ ج٩ ص ١١٩ ، وإبن كثير ج٤ ص ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ وقد جعل عنوانا : ذكر الآثار الواردة بأنه

←

وإنما قال : وفديناه وإن كان الفادى إبراهيم عليه السلام والله تعالى هو المفتدى منه أنه الأمر بالذبح، لأنه تعالى وهب له الكبش ليفتدى به ، وهاهنا إشكال وهو أنه لا يخلو: إما أن يكون ما أتى به إبراهيم عليه السلام من بطحه على شِقِّهِ وإمرار الشفرة على حلقة في حكم الذبح أم لا ؟ فإن كان في حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء هو التخليص من الذبح ببدل وإن لم يكن فما معنى صدقت الرؤيا وإنما كان يُصدَّقها لوصح منه الذبح أصلاً ، أو بدلاً ولم يصح ؟ والجواب : أنه عليه السلام قد بذل وسعه وفعل مايفعل الذابح ، ولكن الله تعالى جاء بما منع الشفرة أن تمضى فيه ، وهذا لايقدر في فعل إبراهيم عليه السلام ووهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة في نفس

⇐ إسماعيل عليه الصلاة والسلام وهو الصحيح المقطوع به ، فتح القدير ج ٤ ص ٤٠٤ .

ويقول ابن تيمية رحمه الله في الفتاوي الكبرى ج ٤ ص ٣٣١ : (... وفي الجملة فالنزاع فيها مشهور ، لكن الذى يجب القطع به أنه إسماعيل ، وهذا الذى عليه الكتاب والسنة والدلائل المشهور ، وهو الذى تدل عليه التوراة التى بأيدي أهل الكتاب ..) .

ويقول ابن القيم رحمه الله فى زاد المعاد ج ١ ص ٧١ : (إسماعيل هو الذى عليه القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وأما القول بأنه إسحاق فمردود بأكثر من عشرين وجهاً ..) .

وهناك قول ثالث للزجاج فى معاني القرآن ج ٤ ص ٣١١ حيث قال : (والقول فيهما كثير والله أعلم أيهما كان الذى) فلم يرجح أحد القولين بل توسط فيهما : وقال ابن كثير رحمه الله فى البداية والنهاية ج ١ ص ١٤٩ : (وقد قال : بأنه إسحاق طائفة كثيرة من السلف وغيرهم قال وإنما أخذوه والله أعلم - من كعب الأحبار ، او صحف أهل الكتاب ، قال وليس فى ذلك حديث صحيح عن المعصوم حتى نترك لأجله الظاهر الكتاب العزيز .. قال : ولا يفهم هذا من القرآن بل المفهوم، بل المنطوق ، بل النص عند التأمل على أنه إسماعيل ، قال وما أحسن ما استدل به محمد بن كعب القرظي على إنه إسماعيل وليس بإسحاق من قوله تعالى : ﴿ فبشرناهُ بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ قال فكيف البشارة بإسحاق وأنه سيولد له يعقوب ثم يؤمر بذبح إسحاق وهو صغير قبل أن يولد له؟! هذا لا يكون ، لأنه يناقض البشارة المتقدم والله أعلم .) .
بتصرف يسير . قلت : فالرأي الراجح على أنه إسماعيل عليه السلام .

إسماعيل عليه السلام بدلاً منه ، وليس هذا بنسخ [منه] ^(١) للحكم كما قال البعض ، بل ذلك الحكم كان ثابتاً إلا أن المحل الذي أضيف إليه لم يحلَّه الحكم على طريق الفداء دون النسخ ^(٢) ، وكان ذلك ابتلاءً ليستقر حكم الأمر عند المُخاطب في آخر الحال ، على أن المبتغى منه في حق الولد أن يصير قرباناً بنسبة الحكم إليه مُكْرَمًا بالفداء الحاصل لِمَعْرَةِ الذبح مبتلى بالصبر والمجاهدة إلى حال المكاشفة ، وإنما النسخ بعد استقرار المراد بالأمر لاقبله وقد سُمِّيَ فداءً في الكتاب لانسخاً .

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ ولا وقف عليه لأن : ﴿ سَلَامٌ عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ ﴾ مفعول و « تركنا » : ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ ولم نقل إنا ^(٣) هنا كما في غيره لأنه قد سبق في هذه القصة فاستُخِفَّ بطرحه إكتفاءً بذكره مرة عن ذكره ثانية .

(١) ساقط من : (أ) .

(٢) انظر : المحرر الوجيز ج ١٣ ص ٢٧١ ، ويقول ابن عطية رحمه الله باختصار وتصرف : (وأهل السنة على أن هذه القصة نسخ فيها العزم على الفعل والمعتزلة التي تقول إنه لا يصح إلا بعد وقوع الفعل إفرقت في هذه الآية على فرقتين فقالت فرقه وقع الذبح والتأم بعد ذلك - وعلق عليه ابن عطية - بقوله وهذا كذب صُراح وقالت فرقة بل كان إبراهيم لم ير في منامه إلا إمرار الشفرة فقط فظن أنه ذُبح فجهز فنفذ ذلك فلما الذي رآه وقع النسخ .. ثم قال فقد كثر الناس في قصص هذه الآية بما صحته معدومه فأختصرته) ، انظر : أحكام القرآن / لابن العربي ج ٤ ص ١٦١٨ و ١٦١٩ ، غرائب القرآن ج ٥ ص ٥٧٣ ، الجامع لأحكام القرآن ج ١٥ ص ١٠٢ و ١٠٣ ، وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيره ج ٤ ص : (.. وقد إستدل بهذا الآية والقصة : جماعة من علماء الأصول على صحة النسخ قبل التمكن من الفعل خلافاً لطائفة من المعتزلة ، والدلالة من هذه ظاهر لأن الله تعالى شرع لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ولده ثم نسخه عنه وصرفه إلى الفداء ، وإنما المقصود من شرعه أولاً إثابة الخليل على الصبر على ذبح ولده وعزمه على ذلك قال تعالى : ﴿ إن هذا لهو البلاء المبين ﴾ ، أي : الإختبار الواضح الجلي حيث أمر بذبح ولده فسارع إلى ذلك مستسلماً لأمر الله تعالى منقاداً لطاعته ولهذا قال : ﴿ وإبراهيم الذي وفى ﴾ .) .

(٣) في المطبوع : إنا كذلك هنا .

﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ، وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا ﴾ حال مقدره من إسحاق ، ولا بد من تقدير مضاف محذوف ، أي : وبشرناه بوجود إسحاق نبياً^(١) ، أي : بأن يوجد مقدره نبوت ، فالعامل في الحال الوجود لا البشارة .

﴿ مِنْ الصَّالِحِينَ ﴾ حال ثانية^(٢) وورودها على سبيل التثنية ، لأن كلَّ نبيٍّ لا بد وأن يكون من الصالحين .

﴿ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ﴾ أي : أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا ، وقيل : باركنا على إبراهيم في أولاده ، وعلى إسحاق بأن أخرجنا من صلبه ألف نبي^(٣) أو لهم يعقوب وآخرهم عيسى عليه السلام .

﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ ﴾ مؤمن . ﴿ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ كافر . ﴿ مُبِينٌ ﴾ ظاهر ، أو محسن إلى الناس وظالم على نفسه بتعديه على حدود الشرع ، وفيه : تنبيه على أن الخبيث والطيب لا يجري أمرهما على العرق والعنصر فقد يلد البرُّ الفاجر والفاجر البرُّ ، وهذا مما يهدم أمر الطيب والعناصر ، وعلى أن الظلم في أعقابهما لم يعد / عليهما بعب و لانتقيصه ، وأن المرء إنما يُعاب بسوء فعله ، ويعاقب على ما أجتاحت يده لا على ما وجد من أصله أو^(٤) فرعه .

﴿ وَلَقَدْ مَنَّا ﴾ أنعمنا .

﴿ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ بالنبوة . ﴿ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا ﴾ بني إسرائيل .

(١) يقول السمرقندي في بحر العلوم جـ ٣ ص ١٣٢ : (يعني بشرناه بنبوة إسحاق بعد ما أمر بذبح إسماعيل ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : بُشِّرَ بِإِسْحَاقَ بعد ما أُمِرَ بِذبحِ إسماعيل ، وكان إسماعيل أكبر من إسحاق بثلاثة عشر سنة) .

(٢) التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٩٢ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ١٣٩ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٥١١ .

(٣) غرائب القرآن جـ ٥ ص ٥٧٤ .

قلت : التحديد با لعدد يحتاج إلى دليل صريح صحيح ، وهو مالا يوجد هنا .

(٤) في المطبوع : أصله وفرعه .

﴿ مِنْ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ من الغرق ، أو من سلطان فرعون وقومه وغشيمهم .

﴿ وَنَصَرْنَا هُمْ ﴾ أي : موسى وهارون وقومهما .

﴿ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴾ على فرعون وقومه .

﴿ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴾ البليغ في بيانه ، وهو : التوراة .

﴿ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ صراط أهل الإسلام ، وهي صراط الذين أنعم

الله عليهم ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾^(١) .

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْرِينِ ، سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ، إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي

الْمُحْسِنِينَ ، إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ هو الياس بن

ياسين من ولد هارون أخي موسى ، وقيل هو إدريس النبي عليه السلام^(٢) ، وقرأ بن

مسعود رضي الله عنه وإن إدريس في موضع إلياس^(٣) .

﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ الاتخافون الله .

﴿ أَتَدْعُونَ ﴾ أتعبدون . ﴿ بَعْلًا ﴾ هو علمٌ لصنم كان من ذهبٍ ، وكان طوله

عشرين ذراعاً وله أربعة أوجه ، فتنوا به وعظّموه حتى أخدموه أربعمئة سادن وجعلوهم

(١) سورة الفاتحة آية : ٧ .

(٢) نَسِبَ هذا القول : إلى ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم أجمعين وقتادة وعكرمة رحمهما الله ،

انظر : جامع البيان جـ ٢٣ ص ٩١ ، بحر العلوم جـ ٣ ص ١٢٣ ، النكت والعيون جـ ٥ ص ٦٤ ، المحرر

الوجيز جـ ١٣ ص ٢٥٣ ، زاد المسير جـ ٧ ص ٧٩ و ٨٠ وقال ابن الجوزي رحمه الله : (إنه نبي من

أنبياء بني إسرائيل قاله الأكثرون) ، مفاتيح الغيب / جـ ٢٦ ص ١٦١ ، وقال الرازي : (.. وأما أكثر

المفسرين فهو متفقون على أنه نبي من أنبياء بني إسرائيل وهو الياس بن ياسين من ولد هارون أخي

موسى عليه السلام) الطبعة الثانية عام ١٤٠٥ هـ ، مطبعة دار الفكر ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥

ص ١١٨ ، لباب التأويل جـ ٤ ص ٢٥ ، وقال الخازن رحمه الله : (وقال أكثر المفسرين هو نبي من

أنبياء الله) ، البحر المحيط جـ ٩ ص ١٢١ ، وذكر هذه الأقوال السيوطي في الدر المشور جـ ٧

ص ١١٧ ، قلت : والقول بأنه نبي من بني إسرائيل هو الأقرب للصواب .

(٣) هي قراءة شاذة : المحتسب جـ ٢ ص ٢٢٤ وقال بن جنبي : (فيجب أن يكون من تحريف

العرب الكلم الأعجمي لأن ليس من لغتها ، فثَقِلَ الحفل به) .

أنبيائه^(١) ، وكان [موضعه]^(٢) يُقال له : بَكَ فَرَكَّبَ وصَارَ بَعْلَبَكَّ وهو من بلاد الشام^(٣) .
[وقيل : في الياس والخضر أنهما حيان]^(٤) وقيل : إلياس موكلٌ بالفيافي كما وُكِّلَ
الخضر بالبحار^(٥) ، والحسن رحمه الله^(٦) يقول : قد هلك إلياس والخضر ولا تقول كما
يقول الناس إنهما حيَّان^(٧) .

﴿ وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴾ وتتركون عبادة الله الذي هو أحسن المقدرين .
﴿ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴾ بنصب الكلِّ عراقي غير أبي بكر وأبي عمرو
على البدل من أحسن وغيرهم على الإبتداء^(٨) .

(١) في المطبوع : أنبياء .

(٢) في (أ) بموضعهم ، وكان موضعه وفي (ج) وكان في موضع .

(٣) بَعْلَبَكُّ : بالفتح ثم السكون ، وفتح اللام والباء الموحده ، والكاف مشدده ، مدينة قديمة فيها
أبنية عجيبة ، وآثار عظيمة ، وقصور على أساطير الرخام لانظير لها في الدنيا ، بينها وبين
دمشق ثلاثة أيام من جهة الساحل .. وهو اسم مركب من بَعْل من بَعْل : اسم صنم ، وبَكَ أصله من
بَكَ عُنُقَه ، أي : دقها . معجم البلدان جـ ١ ص ٥٣٧ .

(٤) ساقط من (أ) ، انظر : معالم التنزيل جـ ٧ ص ٢٥٨ .

(٥) تفسير القرآن / للسمعاني جـ ٤ ص ٤١٢ ، معالم التنزيل جـ ٧ ص ٥٨ ، غرائب القرآن جـ ٥ ص ٥٧٥ ،
الدر المثور جـ ٧ ص ١١٨ ، روح المعاني جـ ٢٣ ص ١٢٩ ، وهو منسوب للحسن رحمه الله .

(٦) سبق ترجمته ص ٣٦ .

(٧) غرائب القرآن جـ ٥ ص ٥٧٥ ، وقد سئل ابن تيمية رحمه الله عنهما في الفتاوى جـ ٤
ص ٣٣٧ هل هما في الأحياء فأجاب : (أنهما ليسا في الأحياء ، ولا معمران ، وقد سأل
إبراهيم الحربي أحمد بن حنبل عن تعمير الخضر والياس ، وأنهما باقيان يريان ويروى عنهما ،
فقال الإمام أحمد : من أحال على غائب لم ينصفه ، وما ألقى هذا إلا شيطان ، وسئل
البخاري عن الخضر والياس ، هل هما في الأحياء ؟ فقال : كيف يكون هذا ، وقد قال النبي
ﷺ : « لا يبقى على رأس مائة سنة ممن هو على وجه الأرض أحد » ، وقال أبو الفرج بن
الجوزي : قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ ﴾ وليس هما في الأحياء ، والله أعلم .

(٨) الحجة في القراءات السبع ص ٣٠٤ ، التلخيص ص ٣٨٤ ، الموضح جـ ٣ ص ١٠٩٣ ، النشر

جـ ٢ ص ٣٦٠ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٤١٥ .

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ ﴿ في النار .

﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ ﴿ من قومه .

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ، سَلَامٌ عَلَيَّ إِلَى يَاسِينَ ﴾ ﴿ أي : الياس وقومه المؤمنين

كقولهم: الخبييون يعني: بأبا خبيب عبدالله بن الزبير^(١) وقومه آل ياسين شامي ونافع^(٢)، لأن ياسين إسم ، أي : الياس فأضيف إليه الآل .

﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّ لَوْطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ، إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ، إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴾ ﴿ في الباقيين .

﴿ ثُمَّ دَمَرْنَا ﴾ ﴿ أهلكتنا . ﴿ الْآخِرِينَ ، وَإِنَّكُمْ ﴾ ﴿ يا أهل مكة .

﴿ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴾ ﴿ داخلين في الصباح .

﴿ وَبِاللَّيْلِ ﴾ ﴿ والوقف عليه مطلق^(٣) .

﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿ يعني تمرّون على منازلهم في متاجرهم إلى الشام ليلاً ونهاراً فما

فيكم عقول تعتبرون بها ، وإنما لم يختم قصة لوط ويونس بالسلام كما ختم قصة من قبلهما لأن : الله تعالى قد سلّم على جميع المرسلين في آخر السورة فأكتفى بذلك عن ذكر كل واحد منفرداً بالسلام .

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ، إِذْ أَبَقَ ﴾ ﴿ الإباق : الهربُ إلى حيث لا يهتدي إليه الطلبُ ، فسُمِّيَ هربه من قومه بغير إذن ربِّه إباقاً مجازاً^(٤) .

﴿ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ ﴿ المملوء ، وكان يونس عليه السلام^(٥) وعد قومه

(١) سبق ترجمته ص ٢٦١ .

(٢) الحجة في القراءات السبع ص ٣٠٣ ، التلخيص ص ٣٨٤ ، الموضح ج ٣ ص ١٠٩٤ و ص ١٠٩٥ ، النشر ج ٢ ص ٣٦٠ ، الإتحاف ج ٢ ص ٤١٥ .

(٣) أي : أن الكلام قدتم هنا .

(٤) أي : مجازاً مرسلأً من قبيل إطلاق المقيد على المطلق .

(٥) قال السدي رحمه الله : (يونس بن متى من أنبياء الله تعالى بعثه الله إلى قرية يُقال لها نينوى

على شاطئ دجلة ، وقال قتادة رحمه الله : هي من أرض الموصل) : ذكر ذلك المارودي في

العذاب فلما تأخر العذاب عنهم خرج المتشور^(١) منهم ، فقصد البحر وركب السفينة فوقفت ، فقالوا : ها هنا عبد آبق / من سيده ، وفيما يزعم البحارون أن السفينة إذا كان فيها آبق لم تجر ، فأقترعوا فخرجت القرعة على يونس عليه السلام فقال أنا الآبق وزج بنفسه في الماء فذلك قوله : ﴿ فَسَاهَمَ ﴾ فقارعهم مرة ، أو ثلاثاً بالسهم ، والمساهمة : إلقاء السهم على جهة القرعة .

﴿ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ المغلوبين بالقرعة .

﴿ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ ﴾ فابتلعه . ﴿ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ داخل في الملامة .

﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ من الذاكرين الله كثيراً بالتسبيح ، أو من القائلين : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾^(٢) ، أو من المصلين قبل ذلك ، وعن بن عباس رضي الله عنهما : كل تسبيح في الصلاة فهو صلاة^(٣) ، ويقال : إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر^(٤) .

← النكت والعيون جـ ٥ ص ٦٦ ، وقال أبو حيان في البحر المحيط جـ ٩ ص ١٢٣ : (يونس بن متى من بني إسرائيل ، وروى أنه نبي وهو ابن ثمان وعشرين سنة ، بعثه الله إلى قومه ، فدعاهم للإيمان فخالفوه ، فوعدهم بالعذاب ، فأعلمهم الله بيومه فحدده يونس لهم) .

(١) المتشور الخجل : الشورة : بفتح الشين الخجلة ، انظر لسان العرب جـ ٤ ص ٤٣٦ ، القاموس المحيط ص ٥٤٠ ، مادة : شور .

(٢) سورة الأنبياء آية : ٨٧ .

(٣) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره جـ ٢ ص ١٤٨ و ١٤٩ عند تفسير سورة غافر عن قتادة في قوله تعالى ﴿ وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار ﴾ آية : ٥١ ، قال : (هي صلاة الصبح وصلاة العصر ، وكل شيء من القرآن من ذكر التسبيح فهو صلاة) . ذكر : في معالم التنزيل جـ ٧ ص ٦٠ ، وزاد المسير جـ ٧ ص ٨٧ ، والجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ١٢٦ ، وغرائب القرآن جـ ٥ ص ٥٧٦ ، والدر المنثور جـ ٧ ص ١٢٦ ، وروح المعاني جـ ١٢ ص ١٤٤ .

(٤) تفسير القرآن / للسمعاني جـ ٤ ص ٤١٥ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ١٢٦ ، تفسير القرآن / لابن كثير جـ ٤ ص ٣٣ ، وقال السيوطي في الدر المنثور جـ ٧ ص ١٢٥ : (وفي الحكمة : أن العمل الصالح يرفع صاحبه) .

﴿لَلْبَثِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ الظاهر لبثه حياً إلى يوم البعث ، وعن قتادة^(١):
 لكان بطن الحوت له قبراً إلى يوم القيامة ، وقد لبث في بطنه ثلاثة أيام ، أو سبعة أو
 أربعين يوماً ، وعن الشعبي^(٢): التقمة ضحوة ولفظه عشية^(٣) .

﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ﴾ فألقيناه بالمكان الخالي الذي لا شجر فيه ولا نبات .

﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ عليلٌ بما ناله من إلتقام الحوت ، وروي : أنه عاد بدنه كبذن
 الصبي حين يُولد^(٤) .

﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً﴾ أي: أنبتناها فوقه مظلة [له]^(٥) كما يُطَبُّ^(٦) البيت على الإنسان .

﴿مَنْ يَقْتِطِنِ﴾ الجمهور : على أنه القرع^(٧) ، وفائدته : أن الذباب لا يجتمع

(١) سبق ترجمته ص ١٢١ .

(٢) سبق ترجمته ص ٨ .

(٣) انظر : بحر العلوم ج٣ ص ١٢٤ ، والنكت والعيون ج٥ ص ٦٨ ، والوسيط ج٣ ص ٥٣٣ ،
 تفسير القرآن / للسمعاني ج٤ ص ٤١٦ ، معالم التنزيل ج٧ ص ٦١ ، المحرر الوجيز ج١٣
 ص ٢٤٧ ، زاد المسير ج٧ ص ٨٨ وذكر ابن الجوزي خمسة أقوال في ذلك ، مفاتيح الغيب
 ج٢٦ ص ١٦٥ ، وقال الرازي رحمه الله: (ولا أدري بأى دليل عينوا هذه المقادير) ،
 والجامع لأحكام القرآن ج٥ ص ١٢٧ والبحر المحيط ج٩ ص ١٢٤ ، وقال أبوحيان رحمه
 الله: (وذكر في مدة لبثه في بطن الحوت أقوالٌ متكاذبه ضربنا عن ذكرها صفحاً) . وتفسير
 القرآن / لابن كثير ج٤ ص ٣٢ وقال رحمه الله : (والله تعالى أعلم بمقدار ذلك) . روح
 المعاني ج١٢ ص ١٤٥ ، الدر المنثور ج٧ ص ١٢٧ .

(٤) قاله السدي رحمه الله : انظر : النكت والعيون ج٥ ص ٦٨ ، والوسيط ج٣ ص ٥٣٣ ، البحر والمحيط
 ج٧ ص ١٢٤ ، وتفسير القرآن / لابن كثير ج٤ ص ٣٣ ، روح المعاني ج١٢ ص ١٤٦ .

(٥) ساقط من: (أ) .

(٦) الطُّبُّ : بضمّتين : جبل طويل يُشَدُّ به سرادق البيت أو الوتدُ . القاموس المحيط ص ١٤٠ ، مادة : طبب .

(٧) انظر : الوسيط ج٣ ص ٥٣٣ ، قال الواحدي رحمه الله : (قال مقاتل : القرع وهو قول
 الجميع) ، تفسير القرآن / للسمعاني ج٤ ص ٤١٦ ، معالم التنزيل ج٧ ص ٦١ وقال البغوي
 رحمه الله : (يعني : القرع على قول جميع المفسرين) ، تفسير ابن كثير ج٤ ص ٣٣ .

عنده ، وأنه أسرع الأشجار نباتاً وإمتداداً وإرتفاعاً^(١) .

وقيل لرسول الله ﷺ : إنك لتُحَبُّ القرع قال : « أجل هي شجرة أخى يونس »^(٢) .
﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ ﴾ المراد به : القوم الذين بُعِثَ اليهم قبل الإلتقام ، فتكون قد مضرة .

﴿ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ في مرأى الناظر، إذا رآها الرائي قال : هي مائة ألف أو أكثر ، وقال الزجاج^(٣) قال : غير واحد معناها بل يزيدون^(٤) ، قال ذلك الفراء^(٥) ، وأبو عبيدة^(٦) ، ونقل عن ابن عباس^(٧) رضي الله عنهما كذلك .
﴿ فَأَمْنُوا ﴾ به وبما أُرسِلَ به .

(١) يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره جـ ٤ ص ٣٣ : (وذكر بعضهم في القرع فوائد منها : سرعة نباته ، وتظليل ورقه لكبره ونعومته ، وأنه لا يقربها الذباب ، وجودة تغذيته ثمره ، وأنه يؤكل نيئاً ومطبوخاً بلبه وقشره ، وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يحب الدباء ويتبعه من حواشي الصفحة) ، يقول ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد جـ ٤ ص ٤٠٤ : (واليقطين المذكور في القرآن هو نبات الدباء ، وثمره يسمى الدباء ، والقرع ، وشجرة اليقطين . ثم ذكر رحمه الله فوائد عدة ثم قال : (وبالجملة فهو من ألطف الأغذية ، وأسرعها انفعالاً ، ويذكر عن أنس رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ كان يكثر من أكله) . تحقيق وتخريج وتعليق : شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط ، مطبعة مؤسسة الرسالة ، الطبعة الخامسة عشر عام ١٤٠٧ هـ .

(٢) قال الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف جـ ٣ ص ١٨١ : (غريب) ، وقال ابن حجر في الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف جـ ١٤١ : (لم أجده) ، قلت أي : لم يجده ابن حجر رحمه الله بهذا اللفظ .

(٣) سبق ترجمته ص ٤٧ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه / للزجاج جـ ٤ ص ٣١٤ .

(٥) معاني القرآن / للفراء جـ ٢ ص ٣٩٣ .

(٦) مجاز القرآن / لأبي عبيدة جـ ٢ ص ١٧٥ ، تعليق الدكتور فؤاد سزكين ، وأبو عبيدة : هو معمر بن المثنى البصري ولد سنة ١١٠ هـ ، كان من أعلم الناس باللغز وأخبار العرب وأنسابها وكان بعضهم يقدم على الأصمعي ، صنف قريباً من مأتي كتاب منها غريب القرآن ومجاز القرآن ومعاني القرآن وغريب الحديث وغير ذلك توفي سنة ٢٠٩ هـ ، انظر ترجمته : تاريخ بغداد جـ ١٣ ص ٢٥٢ للخطيب البغدادي ، مطبعة دار الكتب العلمية ، طبقات المفسرين للدواودي جـ ٢ ص ٣٢٦ ، تحقيق علي محمد عمر ، مطبعة الإستقلال الكبرى ، طبعة عام ١٣٩٢ هـ .

(٧) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ص ٤٧٥ ، مطبعة دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى عام ١٤١٢ هـ ، والنكت والعيون جـ ٥ ص ٦٩ ، وزاد المسير جـ ٧ ص ٨٩ .

﴿ فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ إلى منتهى آجالهم .

﴿ فَاسْتَفْتِهِمُ أَلْبَنَاتُ وَأَلَهُمُ أَلْبَنُونَ ﴾ معطوف على مثله في أول السورة ،

أي: على ﴿ فَاسْتَفْتِهِمُ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا ﴾^(١) وإن تباعدت بينهما المسافة .

أَمَرَ رَسُولَهُ^(٢) ﷺ : باستفتاء قريش عن وجه إنكار البعث أولاً ، ثم ساق الكلام موصولاً ببعضه ببعض ، ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التى قسموها حيث جعلوا لله تعالى الإناث ولأنفسهم الذكور فى قولهم الملائكة بنات الله ، مع كراهتهم الشديده لهن ووأديهم وإستكفاهم من ذكرهن .

﴿ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴾ حاضرون ، تخصيص علمهم

بالمشاهدة: إستهزاء بهم ، وتجهيل^(٣) ، لأنهم كما لم يعلموا ذلك مشاهدةً لم يعلموه بخلق الله علمه فى قلوبهم ، ولا بإخبار صادق ، ولا بطريق إستدلال ونظر ، أو معناه : أنهم يقولون ذلك عن طمأنينة نفس لإفراط جهلهم كأنهم شاهدوا خلقهم .

﴿ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ، وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ فى قولهم .

﴿ أَصْطَفَىٰ الْبَنَاتِ عَلَىٰ الْبَنِينَ ﴾ بفتح الهمزة للإستفهام، وهو إستفهام توبيخ ،

وَحُدِفَتْ هَمْزَةُ الْوَصْلِ إِسْتِغْنَاءً عَنْهَا بِهَمْزَةِ الْإِسْتِفْهَامِ^(٤) .

﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ هذا الحكم الفاسد .

﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ بالتخفيف حمزة وَعَلِيٌّ وحفص^(٥) .

﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴾ حجة نزلت عليكم من السماء بأن الملائكة بنات الله .

(١) آية ١١ من نفس السورة .

(٢) فى المطبوع : (أمر رسول الله).

(٣) فى المطبوع : (وتجهيل لهم).

(٤) انظر : إعراب القرآن / للنحاس ج٢ ص ٧٧٤ ، التبيان فى إعراب القرآن ج٢ ص ١٠٩٤ ،

الفريد فى إعراب القرين المجيد ج٤ ص ١٤٣ ، الدر المصون ج٥ ص ٥١٤ وص ٥١٥ .

(٥) انظر : إعراب القراءات السبع وعللها ج١ ص ١٧٣ ، سورة الأنعام آية ١٥٢ ، والتلخيص

ص ٢٦٢ ، الموضح ج١ ص ٥١٢ وص ٥١٣ ، النشر ج٢ ص ٢١٦ .

﴿ فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ ﴾ الذي أنزل عليكم .

﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فى دعواكم .

﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ ﴾ بين الله . ﴿ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ ﴾ الملائكة لإستتارهم (١) .

﴿ نَسَبًا ﴾ وهو زعمهم أنهم بناته ، أو قالوا إن الله تزوج من الجن فولدت له

الملائكة .

﴿ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ ولقد علمت الملائكة : إن الذين قالوا

هذا القول لمحضرون فى النار .

﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ نزهة نفسه عن الولد والصحابة .

﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ إستثناء منقطع من الْمُحْضَرِينَ ، معناه : ولكن

المخلصين ناجون من النار، وسبحان الله يعترض بين الإستثناء وبين ماوقع منه ،

ويجوز أن يقع الإستثناء من واو يصفون ، أي : يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصون

برآء من أن يصفوه به (٢) .

﴿ فَإِنَّكُمْ ﴾ يا أهل مكة .

﴿ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴾ ومعبودكم .

﴿ مَا أَنْتُمْ ﴾ وهم جميعاً . ﴿ عَلَيْهِ ﴾ على الله . ﴿ بِفَاتِنِينَ ﴾ بمضلين . ﴿ إِلَّا

مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ﴾ بكسر اللام ، أي : لستم تضيئون أحداً إلا أصحاب النار الذين

(١) قال الماوردي رحمه الله فى النكت والعيون ج٥ ص ٧١ : (وفى تسمية الملائكة على هذا

الوجه جنّة ثلاثة أوجه : أحدها : أنهم بطن من بطون الملائكة يُقال لهم جنّة ، قاله مجاهد ،

الثاني : لأنهم على الجنان ، قاله أبو صالح ، الثالث : لإستتارهم عن العيون كالجن

مستخفين) ، ويقول القرطبي فى الجامع لأحكام القرآن ج٥ ص ١٥٤ : (أكثر أهل التفسير أن

الجنّة هاهنا الملائكة) ، وقال أبو حيان فى البحر المحيط ج٩ ص ١٢٧ : (الظاهر أن الجنّة

هم الشياطين) وبه قال به الألويسي فى روح المعاني ج٢٣ ص ١٥١ .

(٢) انظر : إعراب القرآن / للنحاس ج٢ ص ٧٧٥ ، والتبيان فى إعراب القرآن ج٢ ص ١٠٩٤ ،

والفريد فى إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ١٤٤ ، الدر المصون ج٥ ص ٥١٥ .

سبق في علمه أنهم بسوء أعمالهم يستوجبون أن يَصَلُّوْهَا يقال : فَتَنَ فلان على فلان إمرأته كما تقول أفسدها عليه ، وقال الحسن رحمه الله^(١) : فإنكم أيها القائلون بهذا القول والذي تعبدونه من الأصنام ما أنتم على عبادة الأوثان بمضلين أحداً إلا من قُدِّرَ عليه أن يَصَلِّيَ الجحيم ، أي : يدخل النار ، وقيل : ما أنتم بمضلين إلا مَنْ وَجبت عليه الضلال في السابقة^(٢) ، و ﴿ مَا ﴾ في (ما أنتم) : نافية ، و ﴿ مِنْ ﴾ موضع النصب بفاتين^(٣) ، وقرأ الحسن رحمه الله : (صَالُ الجحيم) ، بضم اللام^(٤) ، وَوَجَّهَهُ أن يكون جمعاً ، فحذفت النون للإضافة ، وحذفت الواو لإلتقاء الساكنين هي واللام في الجحيم ، وَمَنْ مُوَحَّدُ اللفظ مجموع المعنى فَحُوِّلَ هو على لفظه والصالون على معناه .

﴿ وَمَا مِنَّا ﴾ أحدٌ . ﴿ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ في العبادة لا يتجاوزه ، فَحُذِفَ الموصوف وأقيمت الصِّفَة مقامه .

﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴾ نَصُفُّ أقدامنا في الصلاة ، [أ]^(٥) ونَصُفُّ حول العرش داعين للمؤمنين^(٦) .

(١) سبق ترجمته ص ٣٦ .

(٢) يقول النحاس في إعراب القرآن ج ٢ ص ٧٧٥ : (أهل التفسير مجمعون فيما علمته على أن المعنى : ما أنتم بمضلين أحداً إلا من قُدِّرَ الله عزوجل عليه أن يضل .) ثم قال : (وفي هذه الآية ردُّ على القدرية من كتاب الله عزوجل) ، وانظر : النكت والعيون ج ٥ ص ٧٢ ، قال الماوردي قال ابن عباس رضي الله عنهما : (إلا من سبق في علم الله تعالى أنه يَصَلِّي الجحيم) ، تفسير القرآن / للسمعاني ج ٤ ص ٤١٩ ونسب القول إلى ابن عباس رضي الله عنهما .. وقال : (وروى هذا القول : الحسن البصري ومحمد بن كعب و إبراهيم النخعي والضحاك رحمهم الله جميعاً) ، والجامع لأحكام القرآن ج ١٥ ص ١٣٥ .

(٣) انظر : التبيان في إعراب القرآن ج ٢ ص ١٠٩٤ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد ج ٤ ص ١٤٤ .

(٤) هي قراءة شادة ذكرها ابن جنبي في : المحتسب ج ٢ ص ٢٢٨ .

(٥) ساقط من (أ) .

(٦) وذكر المروزي بسنده في كتاب الصلاة ص ٧٢ عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت :

﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ الْمُنْزَهُونَ ، أو المصلُّون ، والوَجْهُ : أن يكون هذا وما قبله من قوله : ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم في قوله : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ ﴾ كأنه قيل : ولقد عَلِمَ الملائكة وشهدوا أن المشركين مفترون عليهم في مُناسبة رب العزة ، وقالوا سبحانه الله فنزهوه عن ذلك ، وأستثنوا عباد الله المخلصين وبرؤهم منه ، وقالوا : للكفرة إذا صح ذلك فإنكم وآلهتكم لاتقدرون أن تفتنوا على أحداً من خلقه وتُضِلُّوه إلا من كان من أهل النار ، وكيف نكون مُناسبين لرب العزة وما نحن إلا عبيدٌ أذلاءً بين يديه لكلِّ مِنا مقامٌ^(١) من الطاعة لايسطيع أن يَزِلَّ عنه ظُفراً ، خشوعاً لعظمته ، ونحن الصَّافُونَ / أقدامنا لعبادته مسبِّحين ممجِّدين كما يجب على العباد لربهم ، وقيل : هو من قول رسول الله ﷺ ، يعني : ومامن المسلمين أحدٌ إلا له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله^(٢) ، من قوله تعالى ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّخْمُوداً ﴾^(٣) ، ثم ذكر أعمالهم وأنهم الذين يصطفون في الصلاة ويسبحون الله وينزهونه عما لايجوز عليه .

﴿ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴾ أي : مشركوا قریش قبل مبعثه ﷺ .

« قال رسول الله ﷺ : « ما في السماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملكٌ ساجد أو قائم فذلك قول الملائكة : ﴿ وما منا إلا له مقام معلوم وإننا لنحن الصافون وإننا لنحن المسبحون ﴾ . تحقيق وضبط الأستاذ الدكتور : مصطفى صميده ، مطبعة دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى عام ١٤١٧ هـ ، وحسنه الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ٣ ص ٤٩ .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور ج ٧ ص ١٣٥ إلى ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه .

(١) في المطبوع : مقام معلوم .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ج ١٥ ص ١٣٨ ، غرائب القرآن ج ٥ ص ٥٧٨ ، البحر المحيط

ج ٩ ص ١٣٠ ، التسهيل ج ٣ ص ١٧٧ قال ابن جزى الكلبي رحمه الله بعد أن ذكر القولين :

(... والأول أشهر) .

(٣) سورة الإسراء آية : ٧٩ .

﴿ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴾ أي : كتاباً من كتب الأولين الذين نزل عليهم التوراة والإنجيل .

﴿ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴾ لأخلصنا العبادة لله وَلَمَّا كَذَبْنَا كَمَا كَذَبُوا ، وَلَمَّا خَالَفْنَا كَمَا خَالَفُوا ، فجاءهم الذكر الذي هو سيد الأذكار ، والكتاب الذي هو معجز من بين الكتب .

﴿ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ مغبة تكذيبهم ، وما يَجِلُّ بهم من الإنتقام ، وَإِنْ مخففة من الثقيلة ، واللام هي الفارقة ، وفي ذلك أنهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادّين فيه فكم يَبِّينَ أول أمرهم وآخره .

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾ الكلمة قوله : ﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ، وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ وإنما سماها كلمة وهي كلمات : لأنها لما أنتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة ، والمراد: الموعد بعلوهم على عدوهم في مقام الحجاج ، وملاحم القتال في الدنيا ، وعلوهم عليهم في الآخرة ، وعن الحسن رحمه الله^(١) : ما غلبَ نبيٌّ في حرب^(٢) ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما : إن لم يُنصَرُوا في الدنيا نُصِرُوا في العقبى^(٣) ، والحاصل ، أن قاعدة أمرهم وأساسه والغالب منه الظفرُ والنُصرةُ ، وإن وقع في تضاعيف ذلك شوبٌ من الإبتلاء والمحنة ، والعبرة للغالب .

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ فأعرض عنهم .

﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ إلى مدة يسيره ، وهي المدة التي أمهلوا فيها ، أو إلى يوم بدر ، أو

(١) سبق ترجمته ص ٣٦ .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن جـ ١٧ ص ١٣٩ ، البحر المحيط جـ ٩ ص ١٣١ ، الفتوحات الإلهية جـ ٣ ص ٥٥٨ ، مطبعة دار الفكر ، والدر المنثور جـ ٧ ص ١٣٩ ، روح المعاني جـ ١٢ ص ١٥٦ .

(٣) انظر : تفسير القرآن / للسمعاني جـ ٤ ص ٤٢١ ، وروح المعاني جـ ١٢ ص ١٥٦ بلفظ عن ابن عباس رضي الله عنهما : (وإن لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة) .

إلى فتح مكة^(١) .

﴿ وَأَبْصِرْهُمْ ﴾ أي : أبصر ما ينالهم يومئذ .

﴿ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ ذلك، وهو للوعيد لا للتبعيد ، أو أنظر إليهم إذا عذبوا

فسوف يبصرون ما أنكروا ، أو أعلمهم فسوف يعلمون .

﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ قبل حينه .

﴿ فَإِذَا نَزَلَ ﴾ [العذاب]^(٢) ﴿ بِسَاحَتِهِمْ ﴾ بفنائهم .

﴿ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ صباحهم^(٣) ، واللام في المنذرين مُبْهَمٌ في جنس ما

أنذروا ، لأن ساء وبئس يقتضيان ذلك^(٤) ، وقيل : هو نزول رسول الله ﷺ يوم الفتح

بمكة^(٥) ، مُثَلُّ العذاب النازل بهم بعدما أنذروه فأنكروه بجيشٍ أنذر بهجومه قومه بعض

(١) قال الماوردي في النكت والعيون ج ٥ ص ٧٣ : (في نسخ هذه الآية قولان ، الأول : أنها

منسوخه قاله قتادة ، ب : الثاني أنها ثابتة) ، وقال البغوي في معالم التنزيل ج ٧ ص ٦٥ :

(قال مقاتل بن حيان : أنها منسوخه بآية القتال) ، وقال ابن عطية في المحرر الوجيز ج ١٣

ص ٢٦٣ : (وهذا مما نسخته آية السيف) ، وقال الخازن في لباب التأويل ج ٤ ص ٣٠ :

(وهذه الآية منسوخه بآية القتال ..) ، وقال ابن جزى الكلبي في المتسهيل ج ٢ ص ١٧٨ :

(أي : أعرض عنهم وذلك موادة منسوخه بالسيف ، والحين هنا يراد : يوم بدر ، وقيل

حضور آجالهم ، وقيل يوم القيامة) .

(٢) ساقط من (أ) .

(٣) يقول النحاس في معاني القرآن ج ٦ ص ٧٠ : (أي : فبئس صباح الذين انذروا بالعذاب ،

وفيه إضمار ، أي : فساء الصباح صباحهم) .

وفي الحديث المتفق عليه قوله ﷺ : (الله أكبر خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قومٍ فساء

صباح المنذرين) قاله : ثلاث مرات .

أخرجه البخاري في صحيحه ج ٣ ص ١٢٧٧ كتاب المغازي باب غزوة خيبر .

وأخرجه مسلم في صحيحه ج ٣ ص ١١٣٨ كتاب الجهاد باب غزوة خيبر .

(٤) الفريد في إعراب القرآن المجيد ج ٤ ص ١٤٦ .

(٥) غرائب القرآن ج ٥ ص ٥٧٩ ، إرشاد العقل السليم ج ٤ ص ٤٢٥ ، روح المعاني ج ٢٣ ص ١٥٧ .

نصّاجهم فلم يلتفتوا إلى إنذاره حتى أناخ بفنائهم بغتةً فشنّ عليهم الغاره ، وكانت عادة مغايرهم أن يغيروا صباحاً فسميت الغازة صباحاً وإن وقعت في وقت آخر .

﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ، وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ (١) وإنما ثنى (١) ليكون تسليّةً على تسليّة ، وتأكيداً لوقوع الميعاد إلى تأكيدٍ ، وفيه فائدة زائدة : وهى إطلاق الفعلين معاً عن التقييد بالمفعول / وأنه يُبصر وهم يبصرون مالا يحيط به الذكر من صنوف المسرّة وأنواع المساءة ، وقيل : أريد بأحدهما عذاب الدنيا والآخرة عذاب الآخرة (٢) .

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ ﴾ أضيف الرب إلى العزة لإختصاصه بها ، كأنه قيل : ذوالعزة كما تقول صاحبُ صدقٍ لإختصاصه بالصدق ، ويجوز أن يراد : أنه ما من عزةٍ لأحدٍ إلا هو ربها ومالكها كقوله : ﴿ تَعَزُّ مَنْ تَشَاءُ ﴾ (٣) .

﴿ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ من الولد والصاحبة والشريك .

﴿ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴾ عمّ الرّسل بالسلام بعدما خص البعض في السورة ، لأن في تخصيص كل بالذكر تطويلاً .

﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ على هلاك الأعداء ، ونصرة الأنبياء ، إشمطت السورة : على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوه إليه مما هو مُنَزَّه عنه ، وما عاناه المرسلون من جهتهم ، وما حولوه في العاقبة من النصر عليهم ، فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون ، والتسليم على المرسلين والحمد لله رب العالمين على ما قيض من حسن العواقب ، والمراد تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك لا يخلُّوا به ، ولا يغفلوا عن مضمّنات كتابه الكريم ، ومودعات قرآنه المجيد ، وعن على رضي الله

(١) حينما قال تعالى فيما مضى : ﴿ فتول عنهم حتى حين ﴾ آية ١٧٤ من نفس السورة .

(٢) لباب التأويل ج٤ ص ٣٠ ، غرائب القرآن ج٥ ص ٥٧٩ ، أنوار التنزيل ج٢ ص ٣٠٥ ، إرشاد العقل السليم ج٤ ص ٤٢٥ ، روح المعاني ج٢٣ ص ١٥٧ .

(٣) سورة آل عمران آية : ٢٦ .

عنه : (من أحبَّ أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾) (١) .

(١) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه : ج٢ ص ٢٣٧ كتاب الصلاة باب التسبيح والقول وراء الصلاة، والحديث موقوفاً على علي رضي الله عنه وفي سنده : الأصبغ بن نباته أبو القاسم الحنظلي التميمي وقال الرازي في الجرح والتعديل ج٢ ص ٣١٩ وص ٣٢٠ : (هو لين الحديث ليس بشيء) ، مطبعة دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى عام ١٣٧١ هـ .

وقال ابن حجر رحمه الله في تقريب التهذيب ص ١١٣ : (أصبغ بن نباته التميمي الحنظلي ، الكوفي ، يكنى أبا القاسم ، متروكٌ رُمي بالرفض) ، تقديم : محمد عوامة ، مطبعة الرشيد ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٦ هـ .

وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف ج٣ ص ١٨٢ إلى الثعلبي ، وقال ابن حجر في الكافي الشاف ص ١٤١ : (رواه عبدالرزاق والثعلبي من رواية الأصبغ بن نباته عن علي موقوفاً ، ورواه ابن أبي حاتم من رواية الشعبي عن النبي ﷺ مرسلًا) ، وذكره الواحدي بسنده في الوسيط ج٣ ص ٥٣٦ ، والبغوي في معالم التنزيل ج٧ ص ٦٦ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ج٧ ص ١٤١ إلى : حميد بن زنجويه .

سورة ص مكية^(١) وهي ثمان وثمانون آية كوفى وتسع بصري وست مدنى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿صَّ﴾ ذِكْرُ هَذَا الْحَرْفِ مِنْ حُرُوفِ الْمَعْجَمِ عَلَى سَبِيلِ التَّحْدِي وَالْتِنِيهِ عَلَى الْإِعْجَازِ ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ الْقِسْمَ مَحْذُوفِ الْجَوَابِ الدَّلَالَةَ التَّحْدِي عَلَيْهِ كَأَنَّهُ قَالَ : ﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ أَي : ذِي الشَّرْفِ إِنَّهُ لِكَلَامٍ مَعْجَزٍ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ : ﴿صَّ﴾ خَبْرٌ مَبْتَدَأُ مَحْذُوفٌ عَلَى أَنَّهَا^(٢) إِسْمٌ لِلسُّورَةِ كَأَنَّهُ قَالَ : صَّ ، أَي : هَذِهِ السُّورَةُ الَّتِي أَعْجَزَتْ الْعَرَبَ وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ كَمَا تَقُولُ هَذَا حَاتِمٌ^(٣) وَاللَّهُ تَرِيدُ هَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ بِالسَّخَاءِ وَاللَّهُ ، وَكَذَلِكَ إِذَا أَقْسَمَ بِهَا كَأَنَّهُ قَالَ : أَقْسَمْتُ بِصَّ وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ إِنَّهُ لِمَعْجَزٌ^(٤) ، ثُمَّ قَالَ : ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ﴾ تَكْبِيرٌ عَنِ الْإِذْعَانِ لَذَلِكَ ، وَالْإِعْتِرَافُ بِالْحَقِّ .

﴿وَشِقَاقٍ﴾ خِلَافٌ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ ، وَالتَّنْكِيرُ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ لِلدَّلَالَةِ عَلَى شِدَّتَيْهِمَا وَتَفَاقُمِهِمَا ، وَقُرْيَاءٌ فِي (غِرَّةٍ)^(٥) ، أَي : فِي غَفْلَةٍ عَمَّا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ وَإِتْبَاعِ

(١) معاني القرآن / للنحاس جـ ٦ ص ٧٣ ، ونسب السيوطي ذلك في الدر المنثور : جـ ٧ ص ١٤٢ إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (نزلت صورة (ص) بمكة) ، بل نسب الإجماع إلى ذلك : ابن عطية في المحرر الوجيز جـ ١٤ ص ٥ ، وابن الجوزي في زاد المسير جـ ٧ ص ٩٦ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ١٤٢ .

(٢) في المطبوع : (إنه) .

(٣) حاتم بن عبدالله بن سعد الحشرج الطائى القحطاني ، أبو عدي ، فارس ، شاعر ، جواد جاهلي يضرب المثل بجوده ، زار الشام فتزوج ماريه بنت حجر الغسانية مات فى عوارض ، جبل في بلاد طي ، فى السنة الثامنة بعد مولد النبي ﷺ ، انظر : الأعلام للزركلي جـ ٢ ص ١٥١ ، مطبعة دار العلم للملايين ، الطبعة الثانية عام ١٩٨٩ م .

(٤) انظر : إعراب القرآن / للنحاس جـ ٢ ص ٧٨٠ ، والبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١٠٩٦ ، والفريد في إعراب القرآن المعجيد جـ ٤ ص ١٤٩ و ص ١٥٠ ، والدر المصون جـ ٥ ص ٥٢٠ .

(٥) قال ابن الجوزي في زاد المسير : جـ ٧ ص ٩٩ : (وقرأ عمرو بن العاص رضي الله عنه ،

الحق .

﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا ﴾ وعيدٌ لذوي العزة والشقاق .

﴿ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ من قبل قومك .

﴿ مِنْ قَرْنٍ ﴾ من أمةٍ . ﴿ فَنَادَوْا ﴾ فدعوا وأستغاثوا حين رأوا العذاب .

﴿ وولات ﴾ هي لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رُبِّ ، وَثُمَّ

للتوكيد ، وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل إلا على الأحيان ، ولم يبرز إلا أحد مقتضياتها

إمّا / الإسم ، أو الخبر وأمتنع بروزهما جميعاً ، وهذا مذهب : الخليل^(١) وسيبويه^(٢) ، وعند

الأخفش^(٣) : أنها النافية للجنس زيدت عليها التاء ، وَخُصَّتْ بنفي الأحيان .

وقوله : ﴿ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ منجى منصوبٌ بها ، كأنك قلت : ولا حين مناص لهم ،

وعندهما^(٤) : أن النصب على تقدير وولات الحين حين مناص ، أي : وليس الحين حين مناص^(٥) .

⇐ وأبورزين وابن يعمر ، وعاصم الجحدري ، ومحبوب عن أبي عمرو في : ﴿ غِرَّةٍ ﴾ ، بغين

معجمة وراء غير معجمة) ، البحر المحيط جـ ٩ ص ١٣٦ ، روح المعاني جـ ٢٣ ص ١٦٣ .

(١) الخليل : الإمام ، صاحب العربية ، ومنشع علم العروض ، أبو عبدالرحمن ، الخليل بن أحمد

الفراهيدي البصري ، أحد الأعلام ، كان رأساً في لسان العرب ، ديناً ، ورعاً ، قانعاً ،

متواضعاً ، ولد سنة مئة ، مات سنة بضع وستين ومئة . انظر ترجمته : سير أعلام النبلاء جـ ٧

ص ٤٢٩ ، شذرات الذهب جـ ١ ص ٢٧٥ .

(٢) سيبويه : إمام النحو ، حجة العرب ، أبوبشر ، عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي ، ثم البصري ،

وقد طلب الفقه والحديث مدة ، ثم أقبل على العربية ، فبرع وساد أهل العصر ، مات سنة

ثمانين ومئة ، سير أعلام النبلاء جـ ٨ ص ٣٥١ ، شذرات الذهب جـ ١ ص ٢٥٢ .

(٣) الأخفش : سبق ترجمته ص ٢١١ ، معاني القرآن / للأخفش جـ ٢ ص ٤٥٣ و ص ٤٥٤ ، تحقيق

د . فائز فارس ، الطبعة الثانية عام ١٤٠١ هـ .

(٤) أي : عند الخليل وسيبويه .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه / للزجاج جـ ٤ ص ٣٢٠ و ص ٣٢١ ، وإعراب القرآن / للنحاس جـ ٢

ص ٧٨١ ، و ص ٧٨٢ ، والتبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ٢٠٩٧ ، والفريد في إعراب القرآن

المجيد جـ ٤ ص ١٥١ ، و ص ١٥٢ و ص ١٥٣ ، الدر المصون جـ ٧ ص ٥٢٠ وما بعدها .

﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ ﴾ مِنْ أَنْ جَاءَهُمْ .

﴿ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ﴾ رسولٌ من أنفسهم ينذرهم ، يعنى : إستبعدوا أن يكون النبي من

البشر .

﴿ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ، أَجْعَلُ الْأَلْهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴾ ولم يقل وقالوا إظهاراً للغضب عليهم ، ودلالة على أن هذا القول لا يجسر عليه إلا الكافرون المتوغلون فى الكفر ، المنهمكون فى الغيِّ إذ لا كفر أبلغ من أن يُسمُوا من صدقهُ الله كاذباً ساحراً ، ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الأبلج ولا يتعجبوا من الشرك وهو باطل لجلج .

وروي أن عمر رضي الله عنه لما أسلم فرح المؤمنون وشقَّ على قريش فأجتمع خمسة وعشرون نفساً من صناديدهم ومشوا إلى أبي طالب^(١) وقالوا أنت كبيرنا ، وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء ، يريد الذين دخلوا فى الإسلام ، وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك ، فأستحضر أبوطالب رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخى هؤلاء قومك يسألونك سؤالاً^(٢) فلا تملِّ كلَّ الميلِ على قومك ، فقال عليه السلام : (ماذا يسألونى؟) فقالوا : أرفضنا وأرفض ذكر آلهتنا ونَدْعُكَ وإلهك ، فقال عليه السلام : (أعطونى كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم) ، قالوا : نعم وعشراً ، أي : نعطيكمها وعشر كلمات معها ، فقال : قولوا : (لا إله إلا الله) ، فقاموا ، وقالوا (أجعل الآلهة إلهاً واحداً)^(٣) ، أي : أصير (إن هذا لشيء عجاب) ، أي : بليغ فى العجب ، وقيل :

(١) أبو طالب : بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قُصي القرشي عم رسول الله ﷺ شقيق أبيه توفى قبل الهجرة ، انظر : الإصابة جـ ٤ ص ١١٥ .

(٢) ساقط: من (ب) وفي المطبوع السواء .

(٣) أخرجه الإمام أحمد بنحوه فى مسنده جـ ١ ص ٢٢٧ ، وص ٣٦٢ ، وقال أحمد شاكر رحمه الله (صحيح الإسناد) فى تحقيقه للمسند جـ ٣ ص ٣١٤ الحديث رقم (٢٠٠٨) ، مطبعة دار المعارف ، طبعة عام ١٣٦٩ هـ .

وأخرجه الترمذي فى سننه جـ ٥ ص ٤٤ كتاب التفسير باب سورة ص ، وقال حديث حسن صحيح .

العجيبُ ماله مثلٌ ، والعُجَابُ مالا مثلَ له .

﴿ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَشُوا ﴾ وأنطلق أشراف قريش عن مجلس أبي طالب

بعدما بَكَّتَهُمْ^(١) رسول الله ﷺ بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض [أن]^(٢) امشوا ، وأن

بمعنى : أي لأن المُنْطَلِقِينَ عن مجلس التقاول لا بد لهم من أن يتكلموا ويتفاضوا فيما

جرى لهم ، فكان إنطلاقهم متضمناً معنى القول .

﴿ وَأَصْبِرُوا عَلَيَّ ﴾ عباده . ﴿ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا^(٣) لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾ أي : يريد الله

تعالى ويحكم بإمضائه فلا مَرَدٌّ له ولا ينفذ فيه إلا الصبر ، أو إن هذا الأمر لشيء من

نوابب الدهر يُراد بنا فلا إنفكاك لنا منه .

﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا ﴾ بالتوحيد . ﴿ فِي الْمِلَّةِ الْأَخْرَةِ ﴾ في ملة عيسى التي هي

آخر الملل ، لأن النصرى مُثَلَّثَةٌ غير مُوَحَّدَةٍ^(٤) ، أو في ملة قريش التي أدركنا عليها

آبَاءَنَا^(٥) .

← وأخرجه أبويعلى في مسنده جـ ٤ ص ٤٥٥ و ص ٤٥٦ . حققه وخرج أحاديثه حسين سليم أسد، مطبعة دار المأمون ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٥ هـ .

وأخرجه الحاكم في مستدركه جـ ٢ ص ٤٣٢ ، وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

وأخرجه النسائي في تفسيره جـ ٢ ص ٢١٦ .

وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة جـ ٢ ص ٣٤٥ .

وذكره : الواحدى فى أسباب النزول ص ٤٢٤ ، والسيوطي في لباب النقول ص ١٨٣ ،

١٨٤ .

(١) بَكَّتَهُمْ : التَّبَكُّيْتُ ، التَّقْرِيعُ ، والغلبة بالحُجَّةِ ، القاموس المحيط المحيط ص ١٨٩ مادة : بَكَّتَهُ .

(٢) ساقط من : (أ) .

(٣) في المطبوع : ﴿ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا ﴾ الأمر .

(٤) أي : يقولون بالتثليث ، بمعنى : أن الله ثالث ثلاثه ، وقصدهم من ذلك : الأب والإبن وروح

القدس ، انظر : الملل والنحل جـ ١ ص ٢٢١ .

(٥) القول الأول : منسوب إلى ابن عباس رضي الله عنهما وقتاده والسدي وإبن جريح رحمهم

﴿ إِنَّ هَذَا ﴾ ما هذا . ﴿ إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴾ كذب إختلقه محمد ﷺ من تلقاء نفسه .

﴿ أُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ ﴾ القرآن . ﴿ مِنْ بَيْنِنَا ﴾ / أنكروا أن يُختصَّ بالشرف من

بين أشرافهم ، وينزل عليهم الكتاب من بينهم حسداً .

﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِي ﴾ من القرآن .

﴿ بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ ﴾ بل لم يذوقوا عذابي بعد ، فإذا ذاقوه زال عنهم ما بهم

من الشك والحسد حينئذ ، أي : أنهم لا يُصدِّقون به إلا أن يمسه العذاب فيصدقون

حينئذ .

﴿ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴾ يعني : ما هم بمالكي خزائن

الرحمة حتى يصيبوا بها من شاءوا ، أو يصرفوها عن شاءوا ، ويتخيروا للنبوة

صناديدهم ، ويرفعوا بها عن محمد ﷺ ، وإنما الذي يملك الرحمة وخزائنها العزيز

القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها ، الذي يَقْسِمُهَا على

ما تقتضيه حكمته ، ثم رشح هذا المعنى فقال : ﴿ أَمْ لَهُمْ ثُلُكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا

بَيْنَهُمَا ﴾ حتى يتكلموا في الأمور الربانية والتدابير الإلهية التي يختص بها ربُّ العزة

والكبرياء ، ثم تَهَكَّمَ بهم غاية التهكم فقال : فإن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق

والتصرف في قسمة الرحمة :

﴿ فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴾ فليصعدوا في المعارج والطرق التي يُتَوَصَّلُ بها إلى

السماء حتى يُدبِّروا العالم وملكوت الله وَيَنْزِلُوا الوحي إلى من يختارون ، ثم وعد نبيه

ﷺ النُّصْرَةَ عليهم بقوله : ﴿ جُنْدٌ ﴾ مبتدأ ﴿ مَا ﴾ صلة مقوية للنكرة المبتدأة

﴿ هُنَالِكَ ﴾ إشارة إلى بدرٍ ومصارعهم ، أو إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الإنتداب

لمثل ذلك القول العظيم ، من قوله : لمن يُنتدَبُ لأمر ليس من أهله لست . ﴿ هُنَالِكَ ﴾ ؛

≡ الله ، والقول الثاني : منسوب إلى مجاهد وقتادة رحمهما الله . انظر : النكت والعيون جـ ٥

ص ٧٩ ، تفسير القرآن / للسمعاني ج ٤ ص ٤٢٦ ، معالم التنزيل ج ٧ ص ٧٢ ، زاد المسير

ج ٧ ص ١٠٣ ، و ص ١٠٤ ، الجامع لأحكام القرآن ج ١٥ ص ١٥٢ ، البحر المحيط ج ٩

خبر المبتدأ^(١).

﴿ مَهْزُومٌ ﴾ مكسور .

﴿ مِنْ الْأَحْزَابِ ﴾ متعلق بجند ، أو بمهزوم يريد ما هم إلا جند من الكفار المتحزبين على رسول الله ﷺ مهزومٌ عما قريب ، فلا تبال بما يقولون ولا تكثرث لما به يَهْدُونَ .

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ ﴾ قبل أهل مكة .

﴿ قَوْمُ نُوحٍ ﴾ نوحاً . ﴿ وَعَادٌ ﴾ هودا .

﴿ وَفِرْعَوْنُ ﴾ موسى . ﴿ ذُو الْأَوْتَادِ ﴾ قيل : كانت له أوتاد وحبال يلعب بها

بين يديه ، وقيل : يُوتدُ من يُعذبُ بأربعة أوتاد في يديه ورجليه^(٢) .

﴿ وَتَمُودٌ ﴾ وهم قوم صالح صالحاً .

﴿ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴾ لوطا . ﴿ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ﴾ الغيضة^(٣) شعيباً .

﴿ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴾ أراد بهذه الإشارة الإعلام بأن الأحزاب الذين جعل الجند

المهزوم منهم هم هم ، وأنهم الذين وجد منهم التكذيب .

﴿ إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ ﴾ ذكر تكذيبهم أولاً في الجملة الخبرية على وجه

الإبهام حيث لم يُبين المكذب ، ثم جاء بالجملة الإستثنائية فأوضحه فيها وبين

المكذب ، وهم الرسل ، وذكر أن كل واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل ، لأن في

تكذيب الواحد منهم تكذيب الجميع لإتحاد دعوتهم ، وفي تكرير التكذيب وإيضاحه

بعد إبهامه ، والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية أولاً وبالإستثنائية ثانياً ، ومما في

(١) التبيان في إعراب القرآن ج٢ ص ١٠٩٨ ، والفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ١٥٥ ،

الدر المصون ج٥ ص ٥٢٦ و ص ٥٢٧ .

(٢) انظر : بحر العلوم ج٣ ص ١٣٠ .

(٣) يقول السمرقندي في بحر العلوم ج٣ ص ١٣٠ : (يعنى : الغيضة ، وهم قوم شعيب عليه

السلام) ، والغِيضَةُ : بالفتح الأجمَةُ ، ومجتمع الشجر في مغيض ماء . القاموس المحيط

المحيط ص ٨٣٨ ، مادة : غيض .

الإستثنائية من الوضع على وجه التوكيد أنواعٌ من المبالغة المسجلة عليهم بإستحقاق أشد العذاب وأبلغه^(١)، ثم قال: ﴿فَحَقَّ عِقَابٌ﴾ أي: فوجب لذلك أن أعقابهم / حق عقابهم، (عذابي)، (عقابي) في الحالين يعقوب^(٢).

﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ﴾ وما ينتظر أهل مكة، ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأحزاب^(٣).

﴿إِلَّا صِيحَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: النفخة الأولى وهي الفزع الأكبر.

﴿مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ وبالضم حمزة وعلي^(٤)، أي: مالها من توقُّفٍ مقدارَ فواقٍ، وهو: ما بين حَلْبَتِي الحالب، أي: إذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: مالها من رجوع ونزاد، من أفاق المريض إذا رجع إلى الصحة^(٥)، وفواقُ الناقة: ساعةٌ يَرْجِعُ الدَّرُّ إلى ضرعها^(٦)، يريد: أنها نفخةٌ فحسب لاثنتي ولا تُردُّ.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا﴾ حَظْنَا من الجنة، لأنه عليه السلام ذكر وَعَدَّ اللهُ المؤمنين الجنة، فقالوا على سبيل الهُزءِ عَجِّلْ لَنَا نصيبنا منها، أو نصيبنا من العذاب

(١) انظر: الدر المصون ج٥ ص ٥٢٨.

(٢) التلخيص ص ٣٨٧، الموضح ج٣ ص ١١٠٩، النشر ج٢ ص ٣٦٢، الإتحاف ج٢ ص ٤٢٥. قلت: والمراد بالحالين هنا: الوقف والوصل.

(٣) الوسيط ج٣ ص ٥٤٢ وذكر الواحدي القول الأول، وذكر أبو حيان في البحر المحيط ج٩ ص ١٤٤: القولين، وقال في الثاني: (وفيه بُعد)، فتح القدير ج٤ ص ٤٢٤.

(٤) الحجة في القراءات السبع ص ٣٠٤، التلخيص ص ٣٨٦، الموضح ج٣ ص ١٠٩٨، النشر ج٢ ص ٣٦١، الإتحاف ج٢ ص ٤١٩.

(٥) انظر: معاني القرآن / للزجاج ج٤ ص ٣٢٣، معالم التنزيل ج١٥ ص ٧٤، زاد المسير ج٧ ص ١٠٨، الجامع لأحكام القرآن ج١٥ ص ١٥٦، روح المعاني ج١٢ ص ١٧٢.

(٦) لسان العرب ج١٠ ص ٣١٦ وقال ابن منظور: (وهو قدر ما بين الحلبتين من الراحة، تُضم فاءه وتُفتح)، مادة: الوقف. وانظر: معاني القرآن / للفراء ج٢ ص ٤٠، ومعاني القرآن / للزجاج ج٤ ص ٣٢٣، ومعاني القرآن / للنحاس ج٦ ص ٨٦.

الذي وعدته كقوله : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ﴾^(١) ، وأصل القِطِّ : القسط من الشيء لأنه قطعة منه ، من قَطَّه إذا قَطَّعه ، ويُقال لصحيفة الجائزة قِطٌّ لأنها قطعة من القرطاس^(٢) .

﴿ قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ، أَصْبِرْ عَلَيَّ مَا يَقُولُونَ ﴾ فيك ، وصنُّ نفسك أن تَزِلَّ فيما كَلَّفْتَ من مصابرتهم وتحمَّل أذاهم .

﴿ وَأَذْكَرُ عَبْدَنَا دَاوُودَ ﴾ وكرامته على الله كيف زَلَّ تلك الزلَّة اليسيرة فلقني من عتاب الله مالقي^(٣) .

﴿ ذَا الْأَيْدِ ﴾ ذا القوة في الدين ، [وما يدلُّ على أن الأيد القوة في الدين قوله]^(٤) : ﴿ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ أي : رجَّاعٌ إلى مرضاة الله تعالى ، وهو : تعليلٌ لذي الأيد ، روى أنه كان يصوم يوماً ويفطر يوماً وهو أشدُّ الصوم ، ويقومُ نصفَ الليل^(٥) .

﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ﴾ ذَلَّلْنَا .

﴿ الْجِبَالِ مَعَهُ ﴾ قيل : كان تسخيرها أنها تسير معه إذا أراد سيرها إلى حيث يُريد .

﴿ يُسَبِّحْنَ ﴾ في معنى مسبحات على الحال ، وأختارُ يُسَبِّحْنَ على مُسَبِّحات ليدل على حدوث التسييح من الجبال شيئاً بعد شيء وحالاً بعد حال .

(١) سورة الحج آية : ٤٧ ، سورة العنكبوت آية ٥٣ .

(٢) انظر : معاني القرآن / للفراء جـ ٢ ص ٤٠٠ ، معاني القرآن / للزجاج جـ ٤ ص ٣٢٣ ، معاني القرآن / للنحاس جـ ٦ ص ٨٨ .

(٣) وقال السمعاني في تفسيره جـ ٤ ص ٤٢٩ : (هو داود بن إيشا) .

(٤) ساقط من (أ) .

(٥) أصله حديث أخرجه الشيخان : فعن عبدالله بن عمرو قال . قال رسول الله ﷺ : « إن أحبَّ الصيام إلى الله صيام داود ، وأحبَّ الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام ، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً » ، أخرجه البخاري في صحيحه جـ ١ ص ٣٣٨ كتاب التهجد باب من نام عند السحر .

وأخرجه مسلم في صحيحه جـ ٢ ص ٦٧٢ كتاب الصيام ، باب النهي عن صوم الدهر . واللفظ لمسلم .

﴿ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ أي : في طرفي النهار ، والعشيُّ : وقت العصر إلى الليل ، والإشراق : وقت الإشراق وهو حين تشرق الشمس ، أي : تضيئ وهو وقت الضحى ، وأما شروقها فطلوعها تقول : شرقت الشمس ولما تُشرق ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما : ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية (١) .

﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً ﴾ وسخرنا الطير مجموعةً من كل ناحية ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما : كان إذا سَبَّحَ جاوبته الجبال بالتسييح ، وأجتمعت إليه الطير فسبحت فذلك حَشْرُها (٢) .

﴿ كُلُّ لَهُ أَوَابٌ ﴾ كل واحد من الجبال والطيور لأجل داود عليه السلام ، أي : لأجل تسييحه مُسَبِّحٌ ، لأنها كانت تُسَبِّحُ لتسييحه ، ووضع الأواب موضع المسبِّح لأنَّ

(١) انظر : جامع البيان جـ ٢٣ ص ٨٧ ، الوسيط جـ ٣ ص ٥٤٤ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ١٦١ ، وغرائب القرآن جـ ٥ ص ٥٨٦ .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير جـ ٢٤ ص ٤٠٦ ، بلفظ : عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : قال : (كنت أمر بهذه الآية فما أدري ماهي ؟ حتى حدثتني أم هاني بنت أبي طالب أن رسول الله ﷺ دخل عليها فدعا بوضوء في جفنة ، فكأنني أنظر إلى أثر العجين فيها ، فتوضأ ثم قام فصلى الضحى فقال : « يا أم هاني هذه صلاة الإشراق » ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد جـ ٢ ص ٢٣٨ : (وفيه حجاج بن نصير ضعفه ابن المديني وجماعه ووثقه ابن معين وابن حبان) .

وقال ابن حجر في الكافي الشاف ص ١٤٢ : (هذا موقوف وهو أصح) .

وعزاه السيوطي في الدر جـ ٧ ص ١٥٠ إلى : ابن المنذر وابن مردويه بلفظ : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (لقد أتى عليَّ زمان وما أدري وجه هذه الآية : ﴿ يسبحن بالعشي والإشراق ﴾ قال : رأيت الناس يصلون الضحى) .

وذكره : ابن عطية في المحرر الوجيز جـ ١٤ ص ١٧ : والبغوي في معالم التنزيل جـ ٧ ص ٧٦ ، وابن الجوزي في زاد المسير جـ ٧ ص ١١٠ ، والخازن في لباب التأويل جـ ٤ ص ٢٣ ، والبيضاوي في أنوار التنزيل جـ ٢ ص ٣٠٩ ، والآلوسي في روح المعاني جـ ١٢ ص ١٧٤ .

الأواب وهو التَّوَابُ الكثيرُ الرجوع إلى الله وطلب مرضاته من عاداته أن يُكثر ذكر الله ويديم تسميحه وتقديسه ، وقيل : الضمير لله ، أي : كلُّ من داود عليه السلام والجبال والطير لله أوابٌ أي مسبِّحٌ مرجعٌ للتسبيح .

﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ﴾ قويناه ، قيل كان بيت حول محرابه ثلاث وثلاثون ألف رجل يحرسونه^(١) .

﴿ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ ﴾ الزُّبُورَ وعلم الشرائع ، وقيل كلُّ كلام وافق الحق فهو حكمة^(٢) .

﴿ وَفَصَلَ الْخِطَابِ ﴾ علم القضاء وقطع الخصام ، والفصل بين الحق والباطل ، والفصل هو / التمييز بين الشئيين ، وقيل : للكلام البين فصلٌ بمعنى المفصول كضرب الأمير ، وفصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذي يتبينه مَنْ يُخاطب به لا يلتبس عليه ، وجاز أن يكون الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور ، والمراد بفصل الخطاب : الفاصل الذي يفصل بين الصحيح والفساد والحق والباطل ، وهو كلامه فى القضايا والحكومات وتدبير الملك والمشورات^(٣) ، وعن على رضي الله عنه : هو الحُكْم

(١) معانى القرآن / للفراء جـ ٢ ص ٤٠١ ، بحر العلوم جـ ٣ ص ١٣١ .

(٢) بحر العلوم جـ ٣ ص ١٣١ ، الوسيط جـ ٣ ص ٥٤٤ وقال الواحدي رحمه الله : (وهذا قول جماعة من المفسرين) ، تفسير القرآن / للسمعاني جـ ٤ ص ٤٣٠ ، زاد المسير جـ ٧ ص ١١١ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ١٦٢ ، ويقول أبو حيان رحمه الله فى البحر المحيط جـ ٩ ص ١٤٦ : (.. وهى عبارة شاملة لما وهبه الله تعالى من قوة وجند ونعمة ، فالنخبيص ببعض الأشياء لا يظهر) ، غرائب القرآن جـ ٥ ص ٥٨٧ ، تفسير القرآن العظيم / لابن كثير جـ ٤ ص ٤٦ .

قلت : عبارة أبو حيان رحمه الله ، أقرب إلى الصواب ، والعلم عند الله تعالى .

(٣) انظر الأقوال فى معنى : ﴿ فصل الخطاب ﴾ : معانى القرآن / للنحاس جـ ٦ ص ٩٢ وص ٩٣ ، النكت والعيون جـ ٥ ص ٨٤ ، تفسير السمعي جـ ٤ ص ٤٣٠ وص ٤٣١ ، الوسيط جـ ٣ ص ٥٤٥ وقال الواحدي رحمه الله : (" وفصل الخطاب " : الشهود والإيمان البينة على المدعى واليمين على من أنكر ، لأن خطاب الخصوم ينقطع وينفصل وهذا قول أكثر المفسرين) يعنى زاد المسير جـ ٧ ص ١١٢ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ١٦٢ ، البحر المحيط جـ ٩ ص ١٤٦ .

بالينة على المُدعي واليمين علي المُدعى عليه، وهو من الفصل بين الحق والباطل^(١) ، وعن الشعبي^(٢) رحمه الله : هو قوله أما بعد ، وهو أول من قال أما بعد^(٣) ، فإن من تكلم في الأمر الذي له شأن يفتح بذكر الله وتحميده ، فإذا أراد أن يخرج إلى الغرض المسوق له فصل بينه وبين ذكر الله بقوله : أما بعد .

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبُؤُاُ الْخَصْمِ ﴾ ظاهره الإستفهام ومعناه : الدلالة على أنه من الأنبياء العجبية ، والخصمُ الخصمَاءُ ، وهو يقع على الواحد والجمع لأنه مصدر في [الأصل]^(٤) تقول خصمته خصماً ، وانتصاب : ﴿ إِذْ ﴾ بمحذوف تقديره : وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم ، او بالخصم لما فيه من معنى الفعل .

﴿ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ تَصَعَّدُوا^(٥) سورته ، ونزلوا إليه ، والسور : الحائط المرتفع ، والمحراب : الغرفة ، أو المسجد ، أو صدر المسجد^(٦) .

(١) النكت والعيون ج٥ ص ٨٤ ونسبه لشريح وقتادة رحمهما الله ، معالم التنزيل ج٧ ص ٧٧ ، المحرر الوجيز ج١٢ ص ١٧ ونسبه لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وشريح والشعبي رحمهما الله ، الجامع لأحكام القرآن ج١٧ ص ١٦٢ ، البحر المحيط ج٩ ص ١٤٦ .

(٢) سبقت ترجمته ص ٨ .

(٣) معاني القرآن / للنحاس ج٦ ص ٩٣ ، النكت والعيون ج٦ ص ٩٣ ونسبه لموسى الأشعري رضي الله عنه ، والشعبي رحمه الله ، تفسير القرآن / للسمعاني ج٩ ص ٤٣١ ، معالم التنزيل ج٧ ص ٧٨ ، المحرر الوجيز ج١٤ ص ١٧ ، الجامع لأحكام القرآن ج١٥ ص ١٦٢ ، غرائب القرآن ج٥ ص ٥٨٧ ، تفسير القرآن العظيم / لابن كثير ج٤ ص ٤٧ وبعد ذكر عدة أقوال قال رحمه الله : (وقال مجاهد رحمه الله أيضاً هو : الفصل في الكلام والحكم وهذا يشمل هذا كله ، وهو المراد) ، قلت : وهو الأقرب للصواب ، لأن كل ما مضى من المعاني تدخل تحت هذا المعنى .

(٤) في (أ) : الجمع .

(٥) يقول السمعاني في تفسيره ج٤ ص ٤٣١ : (وذكر تسوروا بلفظ الجمع ، لأن الجمع يتناول الإثنين فصاعداً) .

(٦) يقول الراغب الأصفهاني في مفردات القرآن ص ١١٠ : (.. ومحراب المسجد : قيل سمي

﴿ إِذْ بَدَلْ مِنْ الْأُولَى ^(١) .

﴿ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ﴾ رُوي : أن الله تعالى بعث إليه مَلَائِكِينَ فِي صورة إنسانين ، فطلبوا ان يَدْخُلَا عَلَيْهِ فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس [فتسورا] ^(٢) عليه المحراب فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسان ففزِعَ مِنْهُمْ ، [لأنهما] ^(٣) دخلوا عليه المحراب يوم القضاء ، [ولأنهما نزلا] ^(٤) عليه من فوق، وفي يوم الإحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه ^(٥) .

﴿ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ ﴾ خبر مبتدأ محذوف ، أي : نحن خصمان ^(٦) .

﴿ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ ﴾ تَعَدَّى وَظَلَمَ .

﴿ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ ﴾ ولا تَجِرْ ، من الشطط وهو مجاوزة الحق

وتخطي الحق .

بذلك لأنه موضع محاربة الشيطان والهوى ، وقيل : سمي بذلك لكون حق الإنسان فيه أن يكون حريياً من أشغال الدنيا ومن تَوَزُّعِ الخواطر ، وقيل : الأصل فيه أن محراب البيت صدر المجلس ثم أُتِيذَتْ للمساجد ، فَمُعِي صَدْرُهُ به ، وقيل : بل المحراب أصله في المسجد وهو اسمُ حَصٍّ به صدر المجلس ، فَسُمِّيَ صدر البيت محراباً تشبيهاً بمحراب المسجد ، وكان هذا أصح ، قال عز وجل ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ ﴾ .

(١) الدر المصون ج٥ ص ٥٣٠ .

(٢) في (أ) : فتسوروا .

(٣) في جميع النسخ : لأنهم والصواب ما أثبتته .

(٤) في جميع النسخ : لأنهم نزلوا والصواب ما أثبتته .

(٥) انظر : معاني القرآن / للزجاج ج٤ ص ٣٢٥ و ٣٢٦ ، الوسيط ج٣ ص ٥٤٦ ، تفسير

القرآن / للسمعاني ج٤ ص ٤٣١ وقال السمعي رحمه الله : (وأتفتت عامة المفسرين على

أن الذين دخلوا كانوا مَلَائِكِينَ) ، الجامع لأحكام القرآن ج٥ ص ١٦٩ ، البحر المحيط ج٦

ص ١٤٧ .

(٦) انظر : إعراب القرآن / للنحاس ج٢ ص ٧٩١ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٤

ص ٣٢٦ ، الدر المصون ج٥ ص ٥٣١ .

﴿ وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ وأرشدنا إلى وسط الطريق ومحجته ، والمراد: عين الحق ومحضه .

روي أن اهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضاً أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبت ، وكان لهم عادة في المواساة بذلك ، وكان الأنصار يواسون المهاجرين بمثل ذلك ، فاتفق أن عين^(١) داود عليه السلام وقعت على امرأة أوريا فأحبها فسأله النزول عنها فأستحى أن يرده ففعل ، فتزوجها ، وهى أم سليمان عليه السلام ، وقيل : له إنك مع عظم منزلتك وكثرة نساءك لم يكن ينبغي لك أن تسأل رجلاً ليس له إلا امرأة واحدة النزول عنها لك ، بل كان الواجب عليك مغالبة هواك ، وقهر نفسك ، والصبر على ما أمتحنت به ، وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود ، فأثره أهلها ، فكانت زلتة أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه .

وما يُحكى على أنه بعث مرة بعد مرة أوريا إلى غزوة البلقاء^(٢) وأحب أن يُقتل ليتزوجها فلا يليق من المُتسمين بالصلاح من أفنان المسلمين فضلاً عن / بعض أعلام الأنبياء^(٣) .

(١) ساقط من: (المطبوع) .

(٢) البلقاء : من أعمال دمشق بين الشام ووادي القري ، قصبها عمّان وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة ، وبجودة حنطتها يُضرب المثل ، وأنها سميت البلقاء لأن بالقي من بني عمّان بن لوط عليه السلام عمّرها ، .. وبها الكهف والرقيم فيما زعم بعضهم .
معجم البلدان ج١ ص ٥٧٩ و ص ٥٨٠ .

(٣) هذه القصة باطلة وألصقت بداود عليه السلام ، وهى مأخوذة من الإسرائيليات والقصد منها تشويه عصمة الأنبياء :

يقول النحاس في معاني القرآن ج٦ ص ٩٨ : (قد جاءت أخبار وقصص في أمر داود عليه السلام وأوريا وأكثرها لا يصح ولا يتصل ولا ينبغي أن يُجتراً على مثلها إلا بعد المعرفة بصحتها) ، ويقول ابن العربي في أحكام القرآن ج ٤ ص ١٦٣٦ : (وأما قولهم أنها لما أعجبت أمر بتقديم زوجها للقتل في سبيل الله ، فهذا باطل قطعاً) ، وقال القاضي عياض في: (الشفاء) ج ٢ ص ١٦٣ و ص ١٦٤ : (وأما قصة داود عليه السلام فلا يجب أن يلتفت إلى ماسطرة فيه

وعن علي رضي الله عنه : من حَدَّثَكُم بِحَدِيثِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَيَّ مَا يَرَوِيهِ

الإخباريون عن أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص الله عليه قوله : ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتْنَاهُ - إِلَى قَوْلِهِ - وَحَسُنَ مَا بَدَّ لَهُ وَقَوْلُهُ فِيهِ أَوَابٌ ، فَمَعْنَى فَتْنَاهُ أَحْتَبَرْنَاهُ وَأَوَابٌ قَالَ قَتَادَةُ : مَطِيْعٌ وَهَذَا التَّفْسِيرُ أَوْلَى ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ مَسْعُودٍ مَا زَادَ دَاوُدَ عَلَيَّ أَنْ قَالَ : لِلرَّجُلِ أَنْزَلَ لِي عَنْ إِمْرَأَتِكَ وَأَكْفَلْنِيهَا ، فَعَاتَبَهُ اللَّهُ عَلَيَّ ذَلِكَ وَنَبِهَهُ عَلَيْهِ وَأَنْكَرَ عَلَيْهِ شُغْلَهُ بِالدُّنْيَا ، ثُمَّ قَالَ : وَإِلَى نَفْيِ مَا أُضِيفَ فِي الْأَخْبَارِ إِلَى دَاوُدَ ذَهَبَ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرٍ وَأَبُو تَمَامٍ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْمُحَقِّقِينَ قَالَ . قَالَ الدَّوَّادِيُّ لَيْسَ فِي قِصَّةِ دَاوُدَ وَأُورِيَا خَبْرٌ يَثْبُتُ وَلَا يَظُنُّ بَنِي صَحْتِهِ قَتْلَ مُسْلِمٍ) بِإِخْتِصَارٍ .

ويقول الفخر الرازي في مفاتيح الغيب جـ ١٣ ص ١٨٩ بتصرف يسير : (أصل القصة يرجع إلى أمرين : إلى السير في قتل رجل مسلم بغير حق، وإلى الطمع في زوجته وكلاهما منكر عظيم .. وكل هذه الصفات تنافي كونه عليه السلام موصوفاً بهذا الفعل المنكر والعمل القبيح) .

وقال الخازن في تفسيره جـ ٤ ص ٣٦ : (إعلم أن من خصه الله تعالى بنبوته وأكرمه برسالته وشرفه على كثير من خلقه، وأتمن على وحيه، وجعله واسطة بينه وبين خلقه لا يليق أن ينسب إليه ما لو نسب إلى أحاد الناس لاستنكف أن يُحدِّث به عنه ، فكيف يجوز أن ينسب إلى بعض أعلام الأنبياء والصفوة الأمناء **في ذلوك**) .

ويقول القاضي البيضاوي في أنوار التنزيل جـ ٢ ص ٣١٠ : (وما قيل إنه أرسل أوريا إلى الجهاد ومراراً وأمر أن يُقدِّم حتى قُتل فتزوجها هُراءً وافترأ) .

ويقول أبو حيان في تفسيره جـ ٩ ص ١٥١ : (.ويعلم قطعاً أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الخطايا ، لا يمكن وقوعهم في شيء منها ، ضرورةً أنه لو جوزنا عليهم شيئاً من ذلك، بطلت الشرائع ، ولم تثق بشيء مما يذكرون أن الله أوحى به إليهم فما حكى الله تعالى في كتابه يمر على ما راده الله تعالى ، وما حكى القصاص مما فيه غض عن منصب النبوة طرحتاه) .

ويقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره جـ ٤ ص ٤٧ : (.. قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب إتباعه) .

قلت : وأردت من سرد هذه الأقوال من علماء التفسير وغيرهم عليهم رحمة الله أجمعين للتأكيد على أن هذه القصة باطلة وأنها إسرائيلية فلاتصح .

القصاصُ جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الأنبياء^(١) .

وروى أنه حَدَّثَ بذلك عمر بن عبدالعزيز رحمه الله^(٢) وعنده رجل من أهل الحق فكذَّبَ المحدثَ به وقال : إن كانت القصة علي ما في كتاب الله فما ينبغي أن يُلتَمَسَ خلافها وأعظمُ بأن يُقال غير ذلك ، وإن كانت على ما ذكرت وكفَّ الله عنها سترًا على نبيِّه فما ينبغي إظهارها عليه ، فقال عمر لسَماعي هذا الكلام أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس^(٣) ، والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله بقصته عليه السلام ليس إلا طلبه إلى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب ، وإنما جاءت على طريق التمثيل والتعريض دون التصريح لكونها أبلغ في التوبيخ ، من قَبْلِ ان التأمل إذا أدَّاه إلى الشعور بالمُعْرَضِ به كان أوقع في نفسه ، وأشدَّ تمكناً من قلبه وأعظم أثراً فيه مع مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة^(٤) .

﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي ﴾ هو بدل من هذا ، أو خبر لإِنَّ^(٥) ، والمراد أخوة الدين ، أو أخوة الصداقة والألفة ، أو أخوة الشركة والخِطَّة^(٦) لقوله : ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ ﴾^(٧) .

(١) يقول ابن العربي رحمه الله في أحكام القرآن ج ٤ ص ١٦٣٦ : (وهذا مما لا يصح عنه رضي الله عنه) ، وقال ابن حجر رحمه الله في الكاف الشاف ص ١٤٢ : (لم أحده) ، وقال الآلوسي رحمه الله في روح المعاني ج ٢٣ ص ١٨٥ : (إلا أن الزين العراقي ذكر أن الخبر لم يصح عن علي كرم الله وجهه) .

(٢) سبق ترجمته ص ١٨٢ .

(٣) الكشاف ج ٤ ص ٨١ .

(٤) قلت : وفيه توجيه قيم من النسفى لقصة داود عليه السلام ، وهو اللائق بمقام النبوة والأنبياء .

(٥) الفريد في إعراب القرآن المجيد ج ٤ ص ١٥٩ .

(٦) النكت والعيون ج ٥ ص ٨٧ ، معالم التنزيل ج ٧ ص ٨٠ ، الجامع لأحكام القرآن ج ١٥

ص ١٧٢ ، غرائب القرآن ج ٥ ص ٥٨٨ ، أنوار التنزيل ج ٢ ص ٣١٠ ، البحر المحيط ج ٩

ص ١٤٨ ، إرشاد العقل السليم ج ٤ ص ٤٣٥ ، روح المعاني ج ٢٣ ص ١٨٠ .

(٧) نفس السورة آية : ٢٤ .

﴿ لَهُ تِسْعٌ وَتَسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ (ولي) حفص^(١) ، والنعجة كناية عن المرأة^(٢) ، ولما كان هذا تصويراً للمسألة وفرضاً لها لا يمتنع أن يفرض الملائكة في أنفسهم ، كما تقول : لي أربعون شاة ولك أربعون فخلطناها ومالكما من الأربعين أربعة ولا رُبُعها^(٣) .

﴿ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا ﴾ ملكنيها ، وحقيقته إجعلني أكفلها كما أكفل ما تحت يدي ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما : إجعلها كِفْلِي ، أي : نصيبي^(٤) .

﴿ وَعَزَّنِي ﴾ وغلبنني ، يُقال : عَزَّ يَعِزُّ .

﴿ فِي الْخِطَابِ ﴾ في الخصومة ، أي : أنه كان أقدرَ على الإحتجاج مِنِّي ، وأراد بالخطاب مخاطبة المُحاج المجادل ، أو أراد خَطَبْتُ المرأة وخطبها هو ، فخطبني خطاباً أي : غالبني في الخطبة فغلبنني حيث زوّجها دوني ، ووجه التمثيل أن مُثَلَّت قصة

(١) الحجة في القراءات السبع ص ٣٠٥ ، التلخيص ص ٣٨٧ ، الإتحاف ج ٢ ص ٤٢٠ .

(٢) يقول ابن حزم رحمه الله في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٤ ص ١٨ و ١٩ : (أن النعاج على حقيقتها ولا تصرف إلى معنى آخر) ، مطبعة دار المعرفة ، طبعة عام ١٣٩٥ هـ .

ونسبه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ١٧٤ ، إلى طاوروس بن كيسان، وكذلك أبو حيان في البحر المحيط ج ٩ ص ١٤٨ .

(٣) معاني القرآن / للزجاج ج ٤ ص ٣٢٦ ، الوسيط ج ٣ ص ٥٤٧ ، تفسير القرآن / للسمعاني ج ٥ ص ٤٣٤ ، الجامع لأحكام القرآن ج ١٥ ص ١٧٢ ، أنوار التنزيل ج ٢ ص ٣١٠ ، البحر المحيط ج ٩ ص ١٤٨ ، إرشاد العقل السليم ج ٤ ص ٤٣٥ ، روح المعاني ج ٢٣ ص ١٨٠ ، وقال الآلوسي رحمه الله : (والظاهر إبقاؤها على حقيقتها ، ويراد بها أنثى الضأن) ، كما قال ابن حزم فيما مر .

قلت : والأفضل بقاء اللفظ على ظاهره لعدم ورود النص الصحيح في صرفه إلى معنى آخر .

(٤) انظر : النكت والعيون ج ٥ ص ٨٧ ، معالم التنزيل ج ٧ ص ٨٠ ، الجامع لأحكام القرآن ج ١٥ ص ١٧٤ و نسبه القرطبي لطاوروس بن كيسان رحمه الله ، أنوار التنزيل ج ٢ ص ٣١٠ ، البحر المحيط ج ٩ ص ١٤٨ و نسبه أبو حيان لابن كيسان ، إرشاد العقل السليم ج ٤ ص ٤٣٥ ، روح المعاني ج ٢٣ ص ١٨٠ و نسبه الآلوسي أيضاً لابن كيسان رحمه الله .

أوريا مع داود^(١) بقصة رجل له نعجة واحده ولخليطه تسع وتسعون ، فأراد صاحبه تامة المائة فطمع في نعجة خليطه ، وأراده على الخروج من ملكها إليه ، وحاجّه في ذلك محاجّة حريصٍ على بلوغ مراده ، وإنما كان ذلك على وجه التحاكم إليه بحكم ما حكّم به من قوله : ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَيَّ نِعَاجِهِ ﴾ حتى يكون محجوجاً بحكمه ، وهذا جواب قسم محذوف ، وفي ذلك إستتكار لفعل خليطه ، والسؤال مصدر مضاف إلى المفعول وقد ضمّن معنى الإضافة فَعُدِّيَّ تعديتها ، كأنه قيل : باضافة نعجتك إلى نعاجه على وجه السؤال والطلب^(٢) ، وإنما ظلّم الآخر بعدما أعترف به خصمه ولكنه لم يُحكّ في القرآن لأنه معلوم^(٣) ، ويروى أنه قال : أنا أريد أن أخذها منه وأكمل نعاجي مائة ، فقال داود إن رُمّت ذلك ضربنا منك هذا وهذا وأشار إلى طرف الأنف والجبهة فقال يا داود أنت أحق أن يُضرب منك هذا وهذا / وأنت فعلت كيت وكيت ، ثم نظر داود فلم يرَ أحداً فَعَرَفَ ما وقع فيه^(٤) .

﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ ﴾ الشَّرَكَاءُ والأصحاب .

﴿ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ المستثنى

منصوب وهو من الجنس ، والمستثنى منه بعضهم .

﴿ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ ما للإبهام ، وهم مبتدأ ، وقليلٌ خبره^(٥) .

﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ ﴾ أي : عَلِمَ وأيقن ، وإنما أستعير لأن الظن الغالب يُداني العِلْمَ .

﴿ أَنَّمَا فَتَانَهُ ﴾ إبتليناه .

(١) وقد سبق الكلام حول هذا الموضوع ص ٢٩١ .

(٢) انظر : التبيان في إعراب القرآن ج٢ ص ١٠٩٩ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ١٦٠ ، الدر المصون ج٥ ص ٥٣١ و ٥٣٢ .

(٣) النكت والعيون ج٥ ص ٨٧ و ٨٨ ، تفسير القرآن / للسمعاني ج٥ ص ٤٣٥ ، زاد المسير ج٧ ص ١٢١ ، البحر المحيط ج٩ ص ١٤٩ ، روح المعاني ج٢٣ ص ١٨١ .

(٤) قول السدي رحمه الله : زاد المسير ج٧ ص ١٢١ .

(٥) الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ١٦١ .

﴿ فَاسْتَغْفِرَ رَبَّهُ ﴾ لزلته . ﴿ وَخَرَّ رَاكِعًا ﴾ أي : سقط على وجهه ساجداً لله ، وفيه دليل على ان الركوع يقوم مقام السجود في الصلاة إذا نُوي^(١) ، لأن المراد مجرد ما يصلح تواضعاً عند هذه التلاوة ، والركوع في الصلاة يعمل هذا العمل بخلاف الركوع في غير الصلاة .

﴿ وَأَنَابَ ﴾ ورجع إلى الله بالتوبة ، وقيل : إنه بقى ساجداً أربعين يوماً وليلة لا يرفع [رأسه]^(٢) إلا لصلاة مكتوبة أو ما لأبد منه ، ولا يرقأ دمه حتى نبت العشب من دمه ولم يشرب ماء إلا وثلثاه دمع^(٣) .

﴿ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ ﴾ أي : زلته . ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى ﴾ لقربة . ﴿ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ مرجع ، وهو الجنة .

(١) انظر : أحكام القرآن للجصاص ج٥ ص ٢٥٦ ونسب هذا المذهب إلى محمد بن الحسن رحمه الله ، وأحكام القرآن / للقرطبي ج٥ ص ١٥٢ و ١٨٢ ص ١٨٣ ، وزاد المسير لابن الجوزي ج٧ ص ١٢٢ و ١٢٣ ، وقال ابن الجوزي رحمه الله : (إختلف العلماء هل هذه من عزائم السجود على قولين أ : أحدهما ليست من عزائم السجود قاله الشافعي ، ب : الثاني أنها من عزائم السجود قاله أبو حنيفة وعن أحمد روايتان) .

ويقول أبو حيان في البحر المحيط ج٥ ص ١٥١ (والذي يذهب إليه ما دل على ظاهر الآية أن المتسورين المحراب كانوا من الإنس ، دخلوا عليه من غير المدخل ، وفي غير وقت جلوسه للحكم ، وأنه فزع منهم ظاناً أنهم يفتالونه ، إذ كان منفرداً في محرابه لعبادة ربه ، فلما إتضح له أنهم جاؤه في حكومة ، وبرزمنهم إثنان للتحاكم ، كما قص الله تعالى ، وأن داود عليه السلام ظن دخولهم عليه في ذلك الوقت ومن تلك الجهة إنفاذ من الله له أن يفتالوه ، فلم يقع ما كان ظنه ، فاستغفر من ذلك الظن ، حيث أخلف ولم يكن يقع مظنونوه ، وخر ساجداً ..) ، وإليه ذهب ابن حزم رحمه الله في الفصل في الملل والنحل ج٤ ص ١٨ .

(٢) ساقط من : (أ) .

(٣) وهذا القول فيه من المبالغات ما فيه ، وهو من الإسرائيليات وقد ذُكر في بعض كتب التفسير ، يقول ابن عطية رحمه الله في المحرر ج١٤ ص ٢٦ و ٢٧ عند قصة نبت العشب من دمه : (وروى غير هذا ممالا تثبت صحته .) .

﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ أي : استخلفناك على المُلْكِ في الأرض ، أو جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الأنبياء القائمين بالحق ، وفيه دليل على أن حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير^(١) .

﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ أي : بحكم الله إذ كنت خليفةً ، أو بالعدل .

﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾ أي : هوى النفس في قضائك .

﴿فَيُضِلَّكَ﴾ الهوى . ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه .

﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ أي : نسيانهم يوم الحساب .

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من الخلق .

﴿بَاطِلًا﴾ خلقًا باطلاً لحكمة بالغية ، أو مبطلين عابثين كقوله : ﴿وَمَا خَلَقْنَا

السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾^(٢) ، وتقديره : ذوي باطل أو عبثاً ، فوضع باطلاً

موضعه ، أي : ما خلقناها وما بينهما للعبث واللعب، ولكن للحق المبين ، وهو أننا

خلقنا نفوساً أودعناها العقل ، ومنحناها التمكين ، وأزحنا عِلْمَهَا ، ثم عرَّضناها للمنافع

العظيمة بالتكليف ، وأعددنا لها عاقبةً وجزاءً على حسب أعمالهم .

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى خلقها باطلاً .

﴿ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الظن بمعنى المظنون ، أي : خلقها للعبث لا للحكمة ، هو

مظنون الذين كفروا ، وإنما جُعِلُوا ظانِّينَ أنه خلقها للعبث لا للحكمة مع إقرارهم بأنه

خالق السموات والأرض وما بينهما لقوله : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٣) لأنه لما كان إنكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب

مؤدياً إلى أن خلقها عبثاً وباطلاً جُعِلُوا كأنهم يظنون ذلك ويقولونه ، لأن الجزاء هو

(١) يقول أبو حيان رحمه الله في البحر المحيط جـ ٩ ص ١٥١ : (جَعَلَهُ تَعَالَى دَاوُدَ خَلِيفَةً فِي

الْأَرْضِ يَدُلُّ عَلَى مَكَانَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، عِنْدَهُ وَإِصْطِفَائِهِ ، وَيُدْفَعُ فِي صَدْرِهِ مِنْ نَسْبِ إِلَيْهِ شَيْئاً

مِمَّا لَا يَلِيقُ بِمَنْصَبِ النَّبِيَّةِ) .

(٢) سورة الأنبياء آية : ١٦ .

(٣) سورة لقمان آية : ٢٥ ، وسورة الزمر آية : ٣٨ .

الذي سيقت إليه الحكمة في خلق العالم فمن جحدته فقد جحد الحكمة في خلق العالم.

﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ، أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ / أم منقطعة ، ومعنى الإستفهام فيها : الإنكار^(١) ، والمراد : أنه لو بطل الجزاء كما يقول الكفار لاستوت أحوال من أصلح وأفسد وأتقى وفجر ، ومن سوى بينهم كان سفيهاً ولم يكن حكيماً .

﴿ كِتَابٌ ﴾ أي : هذا كتاب . ﴿ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ ﴾ يعني : القرآن .

﴿ مُبَارَكٌ ﴾ صفة أخرى^(٢) .

﴿ لِيَتَذَكَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ وأصله ليتدبروا قرئ به ، ومعناه : ليتفكروا فيها فيقفوا على ما

فيه ويعملوا به ، وعن الحسن : قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لاعلم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده^(٣) ، لتدبروا على الخطاب بحذف إحدى التائين يزيد^(٤) .

﴿ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ وليتعظ بالقرآن أولوا العقول .

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ ﴾ أي : سليمان ، وقيل : داود ، وليس

بالوجه فالمخصوص بالمدح محذوف .

﴿ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ وعلل كونه ممدوحاً بكونه أواباً ، أي : كثير الرجوع إلى الله

تعالى .

﴿ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ ﴾ على سليمان عليه السلام . ﴿ بِالْعِشِيِّ ﴾ بعد الظهر .

﴿ الصَّافِنَاتُ ﴾ الخيول القائمة على ثلاث قوائم وقد أقامت الأخرى على طرف

الحافر .

﴿ الْجِيَادُ ﴾ السَّراعُ ، جمع جواد ، لأنه يجود بالركض ، وصفها بالصفون لأنه

(١) الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ١٦٣ و ١٦٣ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٥٣٣ .

(٢) يقول البغوي في معالم التنزيل جـ ٧ ص ٨٨ : (كثير خيره ونفعه) .

(٣) الكشاف جـ ٤ ص ٩ .

(٤) النشر جـ ٢ ص ٣٦١ ، إتحاف الفضلاء جـ ٢ ص ٤٢١ .

لا يكون في الهُجْنِ^(١) وإنما هو في العِرَابِ^(٢) ، وقيل : وصفها بالصفون والجوده ليجمع لها بين الوصفين المحمودين ، واقفةً وجاريةً يعني : إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في موقعها وإذا جرت كانت سراعاً خِفَافاً في جريها ، وقيل : الجياد الطوال الأعناق من الجيد .

وروي أن سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق^(٣) ونصيبين^(٤) فأصاب ألف فرس ، وقيل : ورثها من أبيه وأصابها أبوه من العمالقة ، وقيل : خرجت من البحر لها أجنحة فقعد يوماً بعدما صلى الظهر على كرسيه وأستعرضها فلم تزل تُعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر ، وكانت فرضاً عليه فأغتمَ لِمَا فاتته وأستردها^(٥) وعقرها تقرباً لله وبقي^(٦) مائة ، فمافي أيدي الناس من الجياد فمن نسلها ، وقيل لما عقرها أبدله الله خيراً منها وهي الريح تجري بأمره^(٧) .

(١) في المطبوع: (الهجان) .

والهُجْنُ : الهجين من الخيل الذي ولدته برذونة من حصان عربي ، وخيل هُجْنٌ . لسان العرب جـ ١٣ ص ٤٣١ ، مادة : هجن .

(٢) العِرَابُ : الإعرابُ معرفتك بالفرس العربي من الهجين : إذا صَهَلَ ، وخيلٌ عِرَابٌ مُعْرِبَةٌ .. والمُعرب من الخيل : الذي ليس فيه عِرْقُ هَجِينٍ . وعِرَاباً : أي عربية منسوبة إلى العرب . لسان العرب جـ ١ ص ٥٨٩ و ٥٩٠ باختصار ، مادة : عرب .

(٣) سبق الحديث عنها ص ١٢٧ .

(٤) نصيبين : بالفتح ثم بالكسر ثم ياء علامة الجمع الصحيح ، والنسبة إليها : نصيبِيٌّ : وهي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل ، من الموصل إلى الشام بينها وبين الموصل ستة أيام، فتحت عام ١٧ هـ . انظر : معجم البلدان جـ ٥ ص ٢٣٣ .

(٥) في المطبوع: (فأستردها) .

(٦) المطبوع: (بقي) .

(٧) انظر هذه الأقوال في : المحرر الوجيز جـ ١٤ ص ٣٠ ، زاد المسير جـ ٧ ص ١٣٨ و ص ١٢٩ ، والجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ١٩٣ و ص ١٩٤ ، ولباب التأويل جـ ٤ ص ٤٠ ، وغير ذلك من كتب التفسير . وقال ابن جزبي الكلبي في التسهيل جـ ٢ ص ١٨٧ : (وأنكر بعض العلماء هذه الرواية وقال تفويت الصلاة ذنب لا يفعله سليمان وعقر الخيل لغير فائدة لا يجوز فكيف يفعله سليمان عليه

﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ﴾ أي : آثرت حُبَّ الخيل عن ذكر ربي كذا عن الزجاج^(١) ، فأحببت بمعنى آثرت كقوله تعالى : ﴿ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾^(٢) وعن بمعنى على ، وَسُمِّي الخيل خيراً كأنها نفس الخير لَتَعْلُق الخير بها كما قال ﷺ : « الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة »^(٣) .

وقال أبو علي^(٤) : أحببت بمعنى جلست من إيجاب البعير وهو بروكه ، حُبَّ

السلام ، وأى ذنب للخيل في تفويت الصلاة فقال بعضهم : إنما عقرها ليأكلها الناس ، وكان زمانهم زمان مجاعة فعقرها تقرباً إلى الله ، وقال بعضهم : لم تفته الصلاة ولا عقير الخيل ، بل كان يصلي فعرضت عليه الخيل فأشار إليهم فأزالوها حتى دخلت اصطبلاتها فلما فرغ من صلاته قال ردوها فطفق يمسح عليها يديه كرامة لها ومحبه ، وقيل إن المسح عليها كان وسماً في سوقها وأعناقها بوسم حبس في سبيل الله) ، وبذلك قال الفخر الرازي في مفاتيح الغيب جـ ٢٦ ص ٢٠٥ وما بعدها ، قال ابن حزم في الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ ٤ ص ٢٠ : (ومعنى هذه الآية ظاهر بين : وهو انه عليه السلام أخبر أنه أحب حب الخير من أجل ذكر ربه حتى توارت الشمس بالحجاب أو حتى توارت تلك الصافنات الجياد بحجابها ، ثم أمر بردها فطفق مسحاً بسوقها وأعناقها بيده برأ بها وإكراماً لها ، وليس فيه إشارة إلى ما ذكروه من قتل الخيل وتعطيل الصلاة ، وكل هذا قد قاله ثقات المسلمين فكيف ؟ ولا حجة في قوله دون رسول الله ﷺ) باختصار يسير ، وهو أقرب للصواب ، والعلامة عنده تعالى .

(١) معاني القرآن وإعرابه جـ ٤ ص ٣٣٠ .

(٢) سورة فصلت آية : ١٧ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه جـ ٢ ص ٨٨١ كتاب الجهاد والسير باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة .

وأخرجه مسلم في صحيحه جـ ٣ ص ١١٨٦ كتاب الإمارة باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده جـ ٣ ص ٣٩ .

(٤) أبو علي : إمام النحو ، أبو علي ، الحسن بن أحمد بن عبدالغفار الفارسي الفسوي ، صاحب التصانيف ، ومن تلامذته : أبو الفتح بن جنّي ، مصنفاته كثيرة نافعة ، وكان فيه إعتزال ، مات ببغداد في ربيع الأول سنة سبع وسبعين وثلاث مئة ، سير أعلام النبلاء جـ ١٦ ص ٣٧٩ .

الخير ، أي : المال مفعول [له] ^(١) مضاف إلى المفعول .

﴿ حَتَّى تَوَارَتْ ﴾ الشمس . ﴿ بِالْحِجَابِ ﴾ والذي دَلَّ على أن الضمير للشمس مرور ذكر العشى ، ولا بد للمُضمَر ^(٢) من جرى ذِكْرُه ، أو دليل ذكر ، أو الضمير للصفات حتى توارت بحجاب الليل يعني الظلام ^(٣) .

﴿ رُدُّوَهَا عَلَيَّ ﴾ أي : قال للملائكة ردو الشمس / عَلَيَّ لأصلي العصر فَرُدَّتْ الشمس له فصلي العصر ، أوردو الصفات .

﴿ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ فجعل يمسح مسحاً ، أي : يمسح السيف بسوقها وهي جمع ساق ، كدارٍ ودور ، وأعناقها يعني يقطعها لأنها منعتة عن الصلاة ، تقول مسح غلاوته إذا ضرب عنقه ، وَمَسَحَ الْمُسْفَرُ الْكِتَابَ ^(٤) : إذا قطع أطرافه بسيفه ، وقيل : إنما فعل ذلك كفارة لها ، أو شكراً لرد الشمس وكانت الخيل مأكولةً في شريعته فلم يكن إتلافاً ، وقيل : مسحها بيده إستحساناً لها وإعجاباً بها ^(٥) .

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ ﴾ إبتليناه . ﴿ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ ﴾ سرير مُلْكِهِ . ﴿ جَسَدًا ﴾ ثُمَّ أَنَابَ ﴿ رَجَعَ إِلَى اللَّهِ ، قِيلَ : فَتَنَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ مَا مَلَكَ عَشْرِينَ سَنَةً ، وَمَلَكَ بَعْدَ الْفِتْنَةِ عَشْرِينَ سَنَةً ، وَكَانَ مِنْ فَتْنَتِهِ أَنَّهُ وُلِدَ لَهُ ابْنٌ فَقَالَتِ الشَّيَاطِينُ إِنَّ عَاشَ لَمْ تَفَكْ مِنَ السُّخْرَةِ ^(٦) ، فَسَيَّلْنَا أَنْ نَقْتُلَهُ أَوْ نَخْبِلُهُ ، فَعَلِمَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَكَانَ

(١) ساقط من: (أ) .

(٢) في ب والمطبوع: (ل للضمير) .

(٣) انظر : الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ١٦٤ و ١٦٥ ، وقال الهمداني : (وقيل المال كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ تَرَكَ خَيْرًا ﴾ ، ﴿ وَإِنَّ لِحَبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ ، والمال : الخيل التي شغلته) ، الدر المصون ج ٥ ص ٥٣٤ و ٥٣٥ .

(٤) يقول ابن منظور : السَّفَرُ : بالكسر ، الكتاب ، وقيل هو الكتاب الكبير ، وقيل هو جزء من التوراة ، والجمع أسفار ، لسان العرب ج ٤ ص ٣٧١ ، مادة : سفر .

(٥) وهو القول الراجح ، لما بنياه من أقوال العلماء: ابن حزم، والفخر الرازي، والكلبي رحمهم الله وغيرهم. انظر: كلام الفخر الرازي في مفاتيح الغيب: حول هذا الموضوع ج٦ ص ٢٠٥ وما بعدها .

(٦) رَجُلٌ سُخْرَةٌ كَهَمْزَةٍ يَسْخَرُ مِنَ النَّاسِ . القاموس المحيط ص ٥١٩ ، مادة : سخر .

يَعْذُوه فِي السَّحَابَةِ خَوْفًا مِنْ مَضْرَةِ الشَّيْطَانِ^(١) فَأَلْفَى وَلَدَهُ مَيْتًا عَلَى كُرْسِيَةٍ فَتَنَبَهُ عَلَى زَلَّتْهُ فِي أَنْ لَمْ يَتَوَكَّلْ فِيهِ عَلَى رَبِّهِ^(٢) .

وروي عن النبي ﷺ^(٣) : « قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كلُّ واحدةٍ منهن تأتي بفارسٍ يجاهد في سبيل الله ، ولم يقل إن شاء الله ، فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشقِّ رجلٍ ، فجيء به على كرسية فوضع في حجره ، فوالذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون^(٤) .

وأما ما يروى من حديث الخاتم ، والشيطان ، وعبادة الوثن في بيت سليمان عليه السلام فمن أباطيل اليهود^(٥) .

﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا ﴾ ﴿ قدم الإستغفار على إستيهاب المُلكِ جَرِيًّا

(١) في: (ب) والمطبوع الشياطين .

(٢) النكت والعيون ج ٥ ص ٩٦ ، ونسبه الماوردي رحمه الله إلى الشعبي ، زاد المسير ج ٧ ص ١٣٤ ، روح المعاني ج ٢٣ ص ١٩٨ ، وقال الآلوسى رحمه الله بعد أن ذكر هذا القول : (روى ذلك عن الشعبي ، ورواه بعضهم عن أبي هريرة رضی الله عنه على وجه لا يشك في وضعه) .

(٣) وهو القول الذي عليه المحققون في معنى الفتنة في هذه الآية، وهو الراجح إن شاء الله، انظر: تفسير القنخر الرازي ج ٢٦ ص ٢٠٥ ، والبحر المحيط لأبي حيان ج ٩ ص ١٥٥ ، ولباب التأويل للخازن ج ٤ ص ٤٣ ، والتسهيل : للكلبى ج ٢ ص ١٨٥ ، روح المعاني ج ٢٣ ص ١٩٨ . وغيرهم .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ج ٢ ص ١٠٦٥ كتاب الأنبياء باب ووهبنا لداود سليمان . ومسلم في صحيحه ج ٣ ص ١٠٣٢ كتاب الأيمان باب الإستثناء .

يقول أبو حيان في البحر المحيط ج ٩ ص ١٥٥ عند قوله: ﴿ لقد فتنا سليمان ﴾ : (نَقَلَ المفسرون في هذه الفتنة وإلقاء الجسد أقوالاً يجب براءة الأنبياء منها يوقف عليها في كتبهم وهي مما لا يحل نقلها، وأما هي من أوضاع اليهود والزنادقة ولم يبين الفتنة ما هي ولا الجسد الذي ألقاه على كرسى سليمان ، وأقرب ما قيل أن المراد بالفتنة كونه لم يستثنى في الحديث ..) ثم ساق الحديث .

(٥) قلت : وهذه من إيجابيات الإمام النسفي رحمه الله في الرد على الإسرائيليات أحياناً .

على عادة الأنبياء والصالحين في تقديم الإستغفار على السؤال^(١) .

﴿ لَا يَنْبَغِي ﴾ لا يتسهَّل ولا يكون .

﴿ لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ أي : دوني^(٢) ، وبفتح الياء مدني وأبو عمرو^(٣) ، وإنما سأل بهذه الصفة ليكون معجزةً له لاحسداً ، وكان قبل ذلك لم تُسَخَّرْ له الريح والشياطين ، فلما دَعَا بذلك سُخِّرَتْ له الريح والشياطين ، ولن يكون معجزة حتى يخرق العادات .

﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ، فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ ﴾ (الرياح) أبو جعفر^(٤) ﴿ تَجْرِي ﴾ حال

(١) يقول القرطبي في الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ٢٠٤ : (يقال كيف أقدم سليمان عليه السلام على طلب الدنيا مع ذمها من الله تعالى وبغضه لها وحقارتها ؟ فالجواب : أن ذلك محمول عند العلماء على : أداء حقوق الله ، وسياسة ملكه ، وترتيب منازل خلقه ، وإقامة حدوده ، والمحافظة على رسوله ، وتعظيم شعائره ، وظهور عبادته ، ولزوم طاعته ، ونظم القانون حكم النافذ عليه منه ، وتحقيق الوعود في أنه يعلم ما لا يعلم أحد من خلقه حسب ما صرح بذلك لملائكته فقال : ﴿ إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ وحاشا سليمان أن يكون سؤاله طلباً بنفس الدنيا ، لأنه هو والأنبياء أزهده خلق الله فيها ، وإنما سأل مملكتها لله ..) .

(٢) يقول ابن عطية رحمه الله في المحرر الوجيز جـ ١٤ ص ٣٤٠ : (وأختلف المتأولون في معنى قوله : ﴿ لا ينبغي لأحد من بعدي ﴾ فقال جمهور الناس : أراد أن يفرد به بين البشر لتكون خاصة له وكرامة ، وهذا هو الظاهر من قول النبي ﷺ : « أن عفريتاً من الجن تفلت بالراحة ليقطع عليّ صلاتي فأمكنني الله منه ، فأخذته فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد ، حتى تنظروا إليه كلكم ، فذكرت دعوة أخي سليمان : ﴿ ربِّ هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي ﴾ فرددته خاسئاً ») .

والحديث : أخرجه البخاري في صحيحه جـ ٢ ص ١٠٦٤ كتاب الأنبياء باب قوله تعالى : ﴿ ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب ﴾ .. الآية .

وأخرجه مسلم في صحيحه جـ ١ ص ٣٢٠ كتاب المساجد باب : جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة والتعوذ منه ، وجواز العمل القليل .

(٣) التلخيص ص ٣٨٧ : أي : من بعدي ، النشر جـ ٢ ص ٣٦٢ .

(٤) الحجة في القراءات السبع ص ٩١ عند سورة البقرة آية ١٦٤ ، التلخيص ص ٢١٥ ، النشر

جـ ٢ ص ٢٢٣ ، الإتحاف جـ ١ ص ٤٢٤ و ٤٢٥ .

من الريح^(١) .

﴿ بِأَمْرِهِ ﴾ بأمر سليمان عليه السلام .

﴿ رُخَاءً ﴾ لينةً طيبةً لا تُزْعِزِعُ، وهو حالٌ من ضمير تجري .

﴿ حَيْثُ ﴾ ظرف تجري^(٢) . ﴿ أَصَابَ ﴾ قَصَدَ وَأَرَادَ ، والعرب تقول : أصاب

الصواب فأخطأ الجواب^(٣) .

﴿ وَالشَّيَاطِينَ ﴾ عطف على الريح ، أي : وسخرنا له الشياطين .

﴿ كُلِّ بِنَاءٍ ﴾ بدل من الشياطين^(٤) ، كانوا يبنون له ماشاء من الأبنية .

﴿ وَغَوَاصٍ ﴾ أي : ويغوصون له في البحر لإخراج اللؤلؤ ، وهو أول من إستخرج

اللؤلؤ من البحر^(٥) ، والمعنى : وسخرنا له كل بناءٍ وغواصٍ من الشياطين .

﴿ وَآخِرِينَ ﴾ عطف على كلِّ بناءٍ داخل في حكم البذل^(٦) .

﴿ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ / وكان يُقَرَّنُ مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود

والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد ، والصفدُ : القيد^(٧) ، وسمي به العطاء لأنه

(١) التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١١٠١ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ١٦٧ ،

الدر المصون جـ ٥ ص ٥٣٦ .

(٢) التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١١٠١ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ١٦٧ ،

الدر المصون جـ ٥ ص ٥٣٦ .

(٣) يقول الزجاج في معاني القرآن جـ ٤ ص ٣٣٣ : (إجماع المفسرين وأهل اللغة أنه حيث أراد ،

وحقيقته قَصَدَ) ، وقد حكى المثل الأصمعي : كما في معاني القرآن للنحاس جـ ٦ ص ١١٥ ،

ويقول السمعاني في تفسيره جـ ٤ ص ٤٤٥ : (أي : أراد الصواب فأخطأ الجواب) .

(٤) التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١١٠١ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ١٦٨ .

(٥) معالم التنزيل جـ ٧ ص ٩٥ .

(٦) الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ١٦٨ ، وقال الهمداني : (وهو بدل الكل من

الكل) .

(٧) الصفدُ : محركة ، القيد ، والعطاء ، والورثاق ، وجمعها : أصفاد ، لسان العرب جـ ٣ ص ٢٥٦ ،

القاموس المحيط ص ٣٧٥ ، مادة : صفد .

إرتباط للمنع عليه ، ومنه قول على رضي الله عنه : من برك فقد أسرك ومن جفاك فقد أطلقك^(١) .

﴿ هَذَا ﴾ الذي أعطيناك من المُلْكِ والمال والبسطة .

﴿ عَطَاؤُنَا فَأَمْنٌ ﴾ فأعط منه ما شئت ، من المِنَّةِ : وهي العطاء .

﴿ أَوْ أَمْسِكْ ﴾ عن الإِعْطَاءِ^(٢) ، وكان إذا أعطى أُجِرَ ، وإن منع لم يَأْتِ بخلاف غيره .

﴿ بَغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ متعلق بعطاؤنا ، وقيل هو حال^(٣) منه ، أي : هذا عطاؤنا جما

كثيراً لا يكاد يقدر على حصره ، أو هذا التسخير عطاؤنا فأمن على من شئت من الشياطين بالإطلاق ، أو أمسك من شئت منهم في الوثاق بغير حساب ، أي : لا حساب عليك في ذلك^(٤) .

﴿ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّآبٍ ﴾ لزلفى إسم إنَّ ، والخبر له والعامل في عند الخبر^(٥) .

﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ ﴾ هو بدلٌ من عبدنا ، أو عطف بيان .

﴿ إِذْ ﴾ بدل إشمال منه^(٦) .

(١) الكشاف ج٤ ص ٩٦ .

(٢) في: (ب) و (المطبوع) : العطاء .

(٣) التبيان في إعراب القرآن ج٢ ص ١١٠١ .

(٤) انظر : النكت والعيون ج٥ ص ١٠٠ ، الوسيط ج٣ ص ٥٦٦ ، معالم التنزيل ج٧ ص ٩٦ ، زاد المسير ج٧ ص ١٤١ ، البحر المحيط ج٩ ص ١٥٨ ، التسهيل ج٣ ص ١٨٦ ورجح الكلبي رحمه الله قول ابن عباس رضي الله عنهما هو : (أن الله قال له : أعط من شئت ، وأمنع من شئت) .

(٥) التبيان في إعراب القرآن ج٢ ص ١١٠١ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ١٦٨ .

(٦) إعراب القرآن / للنحاس ج٢ ص ٧٩٦ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ١٦٨ ،

الدر المصون ج٥ ص ٥٣٦ .

وقال الماوردي في النكت والعيون ج٥ ص ١٠١ عند إسم أيوب: (قيل : هو أيوب بن حوص

﴿ نَادَى رَبَّهُ ﴾ دعاه . ﴿ أَنَى مَسْنَى ﴾ بأنى مَسْنَى ، حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولولم يحك لقال : بأنه مسه لأنه غائب . ﴿ الشَّيْطَانُ بُنْصَبٌ ﴾ قراءة العامة بُنْصَبٌ : يزيد تثقيلاً نُصْبٍ ، بِنَصَبٍ كَرُشْدٍ وَرَشْدٍ يَعْقُوبُ ، بِنَصَبٍ عَلَى أَصْلِ الْمَصْدَرِ هَيْبَةٌ^(١) ، والمعنى : واحد هو التعب والمشقة .

﴿ وَعَذَابٌ ﴾ ألم^(٢) يريد مرضه ، وما كان يقاسي فيه من أنواع الوَصْبِ ، وقيل أراد ما كان يوسوس إليه في مرضه من تعظيم منازل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ إلى الله في أن يكفِيَهُ ذلك بكشف البلاء ، أو بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل^(٣) ، وروي : أنه كان يعود ثلاثاً من المؤمنين فارتد أحدهم فسأل عنه فقيل : ألقى إليه الشيطان أن الله لا يتلي الأنبياء والصالحين^(٤) ، وَذَكَرَ فِي سَبَبِ بَلَاءِهِ : أنه ذبح شاةً فأكلها وجاره جائع ، أو رأى منكراً فسكت عنه ، أو إبتلاه الله لرفع الدرجات بلا زلّةٍ سبقت منه^(٥) .

⇐ بن عويل ، وكان في زمن يعقوب بن إسحاق ، وتزوج إبنته إلبا بنت يعقوب ، وكانت أمه بنت لوط عليه السلام ، وكان أبوه حوص ممن آمن بإبراهيم عليه السلام .

(١) الحجة في القراءات السبع ص ٣٠٤ ، التلخيص ص ٣٨٦ ، الموضح ج ٣ ص ١١٠١ ، الإتحاف ج ٢ ص ٤٢١ .

(٢) ساقط من المطبوع .

(٣) يقول أبو حيان رحمه الله في البحر المحيط ج ٩ ص ١٦١ في الرد على من قال أن : سبب العذاب ما كان يوسوس إليه في مرضه من تعظيم منازل به من البلاء : (.. لا يناسب مناصب الأنبياء .. من أن أيوب كانت له طاعة للشيطان فيما وسوس به وأن ذلك سببٌ لِمَا مَسَّهُ اللهُ بِهِ من النصب والعذاب .. في قدرة له على الشر إلا بالقاء الوسوس الفاسده لغير المعصوم ..) بإختصار .

قلت : وهذا هو الصحيح فالأنبياء لهم مكاتهم وقدرهم فلا يذكر في تفسير شيء من قصصهم إلا ما ثبت صحته .

(٤) البحر المحيط ج ٩ ص ١٦١ ، روح المعاني ج ٢٣ ص ٢٠٦ .

(٥) انظر : المحرر الوجيز ج ١٤ ص ٣٧ ، البحر المحيط ج ٩ ص ١٦١ . وهذه الأقوال كلها

﴿ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ ﴾ حكاية ما أجيب به أيوب عليه السلام ، أي : أرسلنا إليه جبريل عليه السلام فقال له أركض برجلك ، أي : أضرب برجلك الأرض وهى أرض الجابية^(١) فضربها فنبعت عينٌ فقيل : ﴿ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ أي : هذا ماءٌ تَغْتَسَلُ به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك ، وقيل : نبعت له عينان فأغتسل من أحدهما وشرب من الأخرى ، فذهب الداء من باطنه وظاهره بإذن الله تعالى^(٢) .

﴿ إجتهادات بدون أدلة صحيحة ، وإلبن العربي كلام جميل وتعليق مفيد حول قصة أيوب عليه السلام فى حاله وماروى، فيها ورأيت أن أنقله للقاري حيث قال : (لم يصح عن أيوب فى أمره إلا ما أخبرنا الله عنه فى كتابه، فى آيتين الأولى فى سورة الأنبياء آية ٨٣ قوله تعالى : ﴿ وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر ﴾ والثانية فى ص : ﴿ أنى مسنى الشيطان بنصبٍ وعذاب ﴾ وأما النبى ﷺ فلم يصح عنه أنه ذكره بحرف واحد إلا قوله : « بينا أيوب يغتسل فخرّ عليه جراد من ذهب .. » الحديث ، وإذا لم يصح عنه فيه قرآن ولا سنة إلا ما ذكرناه ، فمن الذى يوصل السامع إلى أيوب خيره ، أم على أى لسان سمعه ؟ والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات ، فأعرض عن سطورها بصرك ، وأصم عن سماعها أذنيك ، فإنها لاتعطى ففكرك إلا خيالاً ، ولاتزيد فؤادك إلا خيالاً) . لم أقف عليه فى كتاب أحكام القرآن لإلبن العربي ونقلها-أي : العبارة-القرطبي فى الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ٢١٠ ، والحديث أخرجه البخارى جـ ١ ص ١٠٨ كتاب الغسل باب من إغتسل غريانا وحده فى الخلوة .

(١) قال قتادة : هما عينان بأرض الشام فى أرض يُقال لها الجابية ، انظر : النكت والعيون جـ ٥ ص ١٠٢ ، والمححر الوجيز جـ ١٤ ص ٣٧ ، غرائب القرآن جـ ٥ ص ٦٠٢ ، وروح المعاني جـ ١٢ ص ٢٠٧ .

(٢) انظر : بحر العلوم جـ ٣ ص ١٣٧ ، النكت والعيون جـ ٥ ص ١٠٢ ، الوسيط جـ ٣ ص ٥٥٧ ، تفسير القرآن جـ ٤ ص ٤٤٦ ، معالم التنزيل جـ ٧ ص ٩٦ ، زاد المسير جـ ٧ ص ١٤٣ قال ابن الجوزي رحمه الله : (قال الحسن رحمه الله : ركض برجله فنبعت عين فأغتسل منها .. ثم ركض برجله فنبعت عين فشرب منها ، وعلى هذا جمهور العلماء أنه ركض ركضتين ..) بإختصار ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ٢٠٧ وما بعدها ، البحر المحيط جـ ٩ ص ١٦٢ ، التسهيل جـ ٣ ص ١٨٦ .

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ ﴾ قيل : أحياهم الله تعالى بأعيانهم وزاده مثلهم^(١).

﴿ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ مفعول لهما^(٢) ، أي : الهبة كانت للرحمة له ، ولتذكير أولى الألباب لأنهم إذا سمعوا بما أنعمنا به عليه لَصَبْرِهِ رَغَبْتَهُمْ فِي الصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ .

﴿ وَخُذْ ﴾ معطوف على أركض^(٣) . ﴿ بِيَدِكَ ضِعْفًا ﴾ حزمة صغيرة / من حشيش، أو ريحان ، أو غير ذلك ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: قبضة من الشجر^(٤) .

﴿ فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ ﴾ وكان حلف في مرضه لِيَضْرِبَنَّ إِمْرَأَتَهُ مِائَةً إِذَا بَرَأَ ، فحلل الله يمينه بأهون شيء عليه وعليها لِحُسْنِ خِدْمَتِهَا إِيَّاهُ ، وهذه الرخصة باقية ويجب أن يصيب المضروب كل واحد من المائة^(٥) ، والسبب في يمينه : أنها أبطأت عليه ذاهبةً في حاجةٍ فَحَرَجَ

(١) يقول ابن عطية رحمه الله في المحرر الوجيز جـ ١٤ ص ٣٩ : (وروى أن الله تعالى وهب له أهله وماله في الدنيا وردَّ من مات منهم وماهلك من ماشية وحاله ثم بارك في جميع ذلك وولد له الأولاد حتى تضاعف الحال ، وروى أن هذا كله وعد في الآخرة ، أي : يفعل الله له ذلك في الآخرة ، والأول أكثر في قول المفسرين) .

(٢) التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١١٠٢ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ١٦٩ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٥٣٧ .

(٣) الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ١٦٩ .

(٤) إرشاد العقل السليم جـ ٤ ص ٤٤٤ .

(٥) وهو قول : الإمام أبو حنيفة وأبو يوسف وزفر ومحمد والشافعية : أن إذا ضرب ، ضربة واحدة بعد أن يصيبه كل واحدة منه فقد برَّ في يمينه ، وقال مالك والليث لا يبر وقال بن الجوزي ، وبه قال أصحابنا ، وقد روى عن مجاهد أنه قال هي لأيوب خاصة ، وقال عطاء للناس عامة ، انظر تفاصيل ذلك في : أحكام القرآن / للقرطبي جـ ١٥ ص ٢١٣ ، وأحكام القرآن للجصاص جـ ٥ ص ٢٥٨ و ٢٢٩ ، المحرر الوجيز جـ ١٤ ص ٤٠ ، زاد المسير جـ ٧ ص ١٤٥ ، ولباب التأويل جـ ٤ ص ٤٤ .

صدره ، وقيل باعت ذؤابتها^(١) برغيفين ، وكانتا متعلقتا أيوب عليه السلام إذا قام^(٢) .

﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ ﴾ عَلِمْنَاهُ . ﴿ صَابِرًا ﴾ على البلاء ، نَعَمْ قد شكنا إلى الله مابه وأسترحمه ، لكن الشكوى إلى الله لا تسمى جزعاً ، فقد قال يعقوب عليه السلام : ﴿ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾^(٣) على أنه عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفةً على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس إليهم أنه لو كان نبياً لما ابتلي بمثل ما ابتلي به ، وإرادة القوة على الطاعة ، فقد بلغ أمره إلى أن لم يبق منه إلا القلب واللسان^(٤) .

﴿ نِعَمَ الْعَبْدُ ﴾ أيوب عليه السلام .

﴿ إِنَّهُ أَوَّابٌ ، وَأَذْكَرُ عِبَادَنَا ﴾ عَبَدْنَا مكي .

﴿ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ فمن جمع فإبراهيم^(٥) ومن بعده^(٦) عطف بيان لعبادنا^(٧) ومن وحد^(٨) فإبراهيم عليه السلام وحده عطف بيان له ، ثم عطف ذريته على عبدنا^(٩) ، ولما كانت أكثر الأعمال تُبَاشَرُ بالأيدي غُلِبَتْ ، فقليل في كُلِّ عملٍ هذا مما

(١) ذؤابتها : جمع ذؤابة وهي : الجلدة المعلقة على آخرة الرَّحْلِ . القاموس المحيط ص ١٠٨ ، مادة : ذب .
(٢) تفسير القرآن / للسمعاني ج ٤ ص ٤٤٧ ، وقال رحمه الله في القول الثاني : (وهذا قول غريب) ، والجامع لأحكام القرآن ج ٥ ص ١٥٢ ، تفسير القرآن / لابن كثير ج ٤ ص ٦١ ، روح المعاني ج ٢٣ ص ٢٠٨ .

(٣) سورة يوسف آية ٨٦ .

(٤) البحر المحيط ج ٩ ص ١٦٣ .

(٥) أي : عبادنا .

(٦) يقول ابن عطية رحمه الله في المحرر الوجيز ج ٤ ص ٤٠ : (وتأول قوم من المتأولين من هذه الآية أن الذبيح إسحاق من حيث ذكره الله بعقب ذكر أيوب أنبياء إمتحنهم الله بمحن كما امتحن أيوب ، ولم يذكر إسماعيل لأنه ممن لم يمتحن ، وهذا ضعيف كله) .

(٧) في المطبوع : على عبادنا .

(٨) أي : عبداً .

(٩) الحجة في القراءات السبع ص ٣٠٥ وقال ابن خالويه رحمه الله : (إجماع القراء على لفظ الجمع إلا ما قرأه ابن كثير من التوحيد) ، التلخيص ص ٣٨٦ ، الموضح ج ٣ ص ١١٠١ و ص ١١٠٢ ، النشر ج ٢ ص ٣٦١ ، الإتحاف ج ٢ ص ٤٢١ .

عملت أيديهم ، وإن كان عملاً لا تتأتى فيه المباشرة بالأيدي ، أو كان العُمَالُ جَذْمًا لا أيدي لهم، وعلى هذا ورد قوله : ﴿ **أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ** ﴾ أي : أولى الأعمال^(١) والفكر كأن الذين لا يعملون أعمال الآخرة ولا يجاهدون في الله ، ولا يتفكرون أفكار ذوي الديانات في حكم الزمّنى الذين لا يقدرّون على أعمال جوارحهم ، والمسلوبى العقول الذين لا إستبصار لهم ، وفيه تعريض بكل من لم يكن من عُمَالِ الله^(٢) ، ولا من المستبصرين في دين الله^(٣) ، وتوييح على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما .

﴿ **إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ** ﴾ جعلناهم لنا خالصين .

﴿ **بِخَالِصَةٍ** ﴾ بخصلة خالصة لا شوبَ فيها .

﴿ **ذِكْرَى الدَّارِ** ﴾ ذكرى في محلّ النصب ، أو الرفع بإضمار أعني ، أو هي ، أو الجر على البدل من خالصة ، والمعنى : إنا أخلصناهم بذكر الدار ، والدارُ هنا : الدار الآخرة ، يعني : جعلناهم لنا خالصين بأن جعلناهم يُذَكَّرُونَ الناس الدار الآخرة ويزهّدونهم في الدنيا كما هو دَيْدُنُ الأنبياء عليهم السلام ، أو معناه : أنهم يُكثَرُونَ ذكر الآخرة والرجوع إلى الله وينسون ذكر الدنيا بخالصة ذكرى^(٤) على الإضافة مدني ونافع^(٥) ، وهي من إضافة الشيء إلى ما يُبَيِّنُهُ ، لأن الخالصة تكون ذكرى وغير ذكرى ،

(١) في المطبوع : أي : أولى الأعمال الظاهره ، والفكره الباطنه .

(٢) يقصد بذلك : الذين لا يعملون بعلمهم .

(٣) البحر المحيط ج٩ ص ١٦٤ ، ويقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره ج٤ ص ٦١ في معنى

الآية : (أي : يعني بذلك العمل الصالح والعلم النافع والقوة في العبادة ، والبصيرة النافده ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ **أُولَى الْأَيْدِي** ﴾ يقول أولى القوة ، ﴿ **وَالْأَبْصَارِ** ﴾ يقول الفقه في الدين .. وقال قتادة والسدي : أعطوا قوة في العبادة وبَصْرًا في الدين) باختصار يسير .

(٤) في المطبوع : ذكرى الدار .

(٥) التلخيص ص ٣٨٦ ، والموضح ج٣ ص ١١٠٣ ، والنشر ج٢ ص ٣٦١ ، والإتحاف ج٢

وذكرى مصدر^(١) ومضاف إلى المفعول، أي: [بإخلاصهم]^(٢) ذكرى الدار، وقيل: خالصة بمعنى خلوص فهي مضافة إلى الفاعل^(٣)، أي: بأن خلصت لهم ذكرى الدار على أنهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم^(٤) آخر، إنما همهم ذكرى الدار لا غير، وقيل ذكرى / الدار الثناء الجميل في الدنيا، وهذا شيء قد أخلصتهم به، فليس يُذكر غيرهم في الدنيا بمثل ما يُذكرون به^(٥)، يقويه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾^(٥).

﴿وَأَنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ﴾ المختارين من بين أبناء جنسهم .

﴿الْأَخْيَارِ﴾ جمع خيرٍ أو خيرٍ على التخفيف كأموات في جمع مَيِّتٍ أو مَيِّتٍ .

﴿وَأَذْكَرَ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ﴾ كأنَّ حرف التعريف دخل على اليسع^(٦) .

﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾^(٧) وَكُلُّ التَّنْوِينِ عوضٌ عن المضاف إليه وكلهم: ﴿مِنَ الْأَخْيَارِ﴾

(١) في (ب) و(المطبوع) : بدون واو .

(٢) في (أ) : (بأن خلص) .

(٣) انظر : إعراب القرآن / للنحاس جـ ٢ ص ٧٩٨ و ص ٧٩٩ ، التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١١٠٢ و ص ١١٠٣ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ١٧٠ و ص ١٧١ و ص ١٧٢ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٥٣٧ و ص ٥٣٨ .

(٤) انظر : هذه الأقوال في معنى قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِذِكْرَى الدار﴾ : جامع البيان للطبري جـ ٢٣ ص ١٧١ وقال ابن جرير رحمه الله : (وأولى الأقوال بالصواب في ذلك على قراءة من قرأ بالتنوين أن يُقال : معناه إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ هِيَ ذِكْرَى الدار الآخرة ، فعلموا لها في الدنيا فأطاعوه الله وراقبوه) ، النكت والعيون جـ ٥ ص ١٠٥ ، وقد ذكر الماوردي رحمه الله في ذلك خمسة أوجه ، الوسيط جـ ٣ ص ٥٦٢ ، تفسير القرآن / للسمعاني جـ ٤ ص ٤٤٨ ، معالم التنزيل جـ ٧ ص ٩٧ ، المحرر الوجيز جـ ١٤ ص ٤١ و ص ٤٢ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ٢١٨ ، البحر المحيط جـ ٩ ص ١٦٤ و ص ١٦٥ .

(٥) سورة مريم آية : ٥٠ .

(٦) يقول السمعاني في تفسيره جـ ٤ ص ٤٤٨ : (اليسع : هو نبي من الأنبياء ، ويُقال : اليسع هو تلميذ إلياس النبي عليه السلام ولما رفع الله إلياس عليه السلام خلف اليسع في قومه) .

(٧) يقول الفراء في معاني القرآن جـ ٢ ص ٤٠٩ : (يُقال إنه سُمي ذا الكفل : أن مائة من بني إسرائيل انفلتوا من القتل فأواهم وكفلهم ، ويُقال أنه كفل لله بشيء فوفى به ، والكفل في كلام العرب : الجدّ والحظ ..) .

هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَنَابٍ ﴿١﴾ أي : هذا شرف وذكر جميل يُذَكَّرُونَ به أبدأً ، أو أن لهم مع ذلك لِحُسْنَ مرجع ، يعني : يُذَكَّرُونَ في الدنيا بالجميل ويرجعون في الآخرة إلى مغفرة رب جليل ، ثُمَّ يبين كيفية حُسْنِ ذلك المرجع فقال : ﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ ﴾ بدل من : ﴿ حُسْنَ مَنَابٍ ﴾ ، ﴿ مُفْتَحَةً ﴾ حالٌ من جنات (١) لأنها معرَّفة لإضافتها إلى عَدْنٍ وهو عَلَمٌ ، والعامل فيها مافي للمتقين من معنى الفعل .

﴿ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴾ إرتفاع الأبواب بأنها فاعل مفتحةً، والعائد محذوف، أي : مفتحة لهم الأبواب منها ، فحذف كما حذف قوله : ﴿ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (٢) أي : لهم ، أو أبوابها إلا أن الأول أجود ، أو هي : بدل من الضمير في مفتحةً ، وهو ضمير الجنات تقديره : مفتحةً هي الأبواب وهو من بدل لإشتمال .

﴿ مُتَكِينِينَ ﴾ حال من المجرور في : ﴿ لَهُمُ ﴾ والعامل : ﴿ مُفْتَحَةً ﴾ (٣) .
﴿ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾ أي : وشرابٍ كثير فحذف إكتفاءً بالأول .

﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾ قَصَرْنَ طَرْفَهُنَّ على أزواجهن .

﴿ أترابٌ ﴾ لِدَاتُ أسنانهن كأسنانهم لأن التحاب بين الأقران أثبت (٤) ، وكان اللدات سُمِّيْنَ أتراباً : لأن الترابَ مَسَّهُنَّ في وقت واحد (٥) .

(١) التبيان في إعراب القرآن ج٢ ص ١١٠٣ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ١٧٢ ، الدر المصون ج٥ ص ٥٣٨ و ص ٥٣٩ .

(٢) سورة النازعات آية : ٣٩ .

(٣) انظر : إعراب القرآن / للنحاس ج٢ ص ٧٩٩ ، التبيان في إعراب القرآن ج٢ ص ١١٠٣ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ١٧٣ ، الدر المصون ج٥ ص ٥٣٩ .

(٤) انظر : معاني القرآن / للزجاج ج٤ ص ٣٣٨ ، معاني القرآن / للنحاس ج٦ ص ١٢٧ .

(٥) يقول السمعاني في تفسيره ج٤ ص ٤٤٩ : (أتراب : أي أمثال ، ويُقال لِدَاتُ مستويات

الأسنان ، وعن مجاهد رحمه الله : أتراب متواخيات لاتعدادين ولاتباعضن ، وقيل :

لاتتغايرن ، قال يحيى بن سلام : بنات ثلاث وثلاثين سنة ..) .

﴿ هَذَا مَا تُوَعَدُونَ ﴾ وبالياء مكي وأبو عمرو^(١) .

﴿ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ أي : ليوم تُجزئ كل نفس بما عملت .

﴿ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ تَفَادٍ ﴾ من إنقطاع ، والجملة حال من الرزق ، والعامل

الإشارة^(٢) .

﴿ هَذَا ﴾ خبر والمبتدأ محذوف ، أي : الأمر هذا ، أو هذا كما ذكر^(٣) .

﴿ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَنَابٍ ﴾ مرجع .

﴿ جَهَنَّمَ ﴾ بدل منه^(٤) .

﴿ يَصَلُونَهَا ﴾ يدخلونها . ﴿ فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذي

يفترشه النائم .

﴿ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ أي : هذا حميم وغساق فليذوقوه ، فهذا مبتدأ

وحميم خبره ، وغساق عطف على الخبر ، فليذوقوه إعتراض ، أو العذاب هذا فليذوقوه ،

ثم إبتداء فقال : هو حميم وغساق^(٥) ، وبالتشديد : حمزة وعلي وحفص^(٦) ، والغساقُ

(١) التلخيص ص ٣٨٦ ، الموضح جـ ٣ ص ١١٠٤ والوجه : أنه على الغيبة ، النشر جـ ٢ ص ٣٦١ ،

الإتحاف جـ ٢ ص ٤٢٢ .

(٢) التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١١٠٤ وقال العكبري : (الجملة حال من الرزق ، والعامل

الإشارة ، أي : إن هذا لرزقنا باقياً) ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ١٧٤ .

(٣) انظر : التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١١٠٤ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤

ص ١٧٤ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٥٣٩ .

(٤) إعراب القرآن / للنحاس جـ ٢ ص ٨١٠ ، التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١١٠٤ وقال

العكبري : (﴿ جهنم ﴾ بدل من شر) ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ١٧٤ ،

الدر المصون جـ ٥ ص ٥٣٩ و ص ٥٤٠ .

(٥) إعراب القرآن / للنحاس جـ ٢ ص ٨٠١ ، التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١١٠٤

و ص ١١٠٥ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ١٧٤ و ص ١٧٥ ، وساقط من المطبوع

من : (عطف على الخبر إلى هو حميم) .

(٦) التلخيص ص ٣٨٦ ، والموضح جـ ٣ ص ١١٠٤ و ص ١١٠٥ ، النشر جـ ٢ ص ٣٦١ ،

والإتحاف جـ ٢ ص ٤٢٣ وقال البنا : (على أنها صفة).

بالتشديد والتخفيف : ما يُغسَقُ من صديد أهل النار ، يقال : غَسَقَتُ العَيْنَ إذا سال دَمْعُهَا ، وقيل : الحميم يحرق بحرّه ، والغساقُ يُحْرِقُ ببرده^(١) .

﴿وَأَخْرُ﴾ أي : وعذاب آخر ، أو مذوق آخر .

﴿مِنْ شَكْلِهِ﴾ من مثل العذاب المذكور ، وأخرُ بصرى^(٢) ، أي : ومذوقات أخرُ من شكل هذا المذوق في الشدة والفظاظة .

﴿أَزْوَاجٌ﴾ صفة^(٣) لأخر ، لأنه يجوز أن يكون ضرباً^(٤) .

﴿هَذَا / فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ هذا جمعٌ كثيفٌ قد إقتحم معكم النار ، أي : دخل النار في صحبتكم ، والإقتحام : الدخول في الشيء بشدة ، والقحمة : الشدة^(٥) ، وهذه حكاية كلام الطاعين بعضهم مع بعض ، أي : يقولون هذا ، والمراد بالفوج : أتباعهم الذين إقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب .

﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ دعاءٌ منهم على أتباعهم ، تقول لمن تدعوا له مرحباً ، أي : أتيت رحباً من البلاد لاضيقا ، أو رَحِبْتُ بلادك رَحْباً ثم تدخل عليه : (لا) في دعاء السوء ، (وبِهِمْ) : بيانٌ للمدعو عليهم^(٦) .

(١) انظر : معاني القرآن / لفراء جـ ٢ ص ٤١٠ ، معاني القرآن / للزجاج جـ ٤ ص ٣٣٩ ، معاني القرآن / للنحاس جـ ٦ ص ١٢٨ و ١٢٩ وقال رحمه الله : (قال قتادة : كنا نحدث أن الغساق : ما يسيل من بين الجلد واللحم .. قال أبو جعفر : قول قتادة أولى ، لأنه يُقال : غسقت عينه إذا سالت) باختصار .

(٢) التلخيص ص ٣٨٦ ، والموضح جـ ٣ ص ١١٠٥ ، والنشر جـ ٢ ص ٣٦١ ، والإتحاف جـ ٢ ص ٤٢٣ .

(٣) التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١١٠٥ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ١٧٥ و ص ١٧٦ ، الدر المصون جـ ٥ ص ٥٤١ .

(٤) أي : من شكله ، قال ابن منظور في لسان العرب جـ ١ ص ٥٤٨ : (يقال فلان ضريب فلان ، أي : نظيره ، وضريب الشيء مثله وشكله) ، مادة : ضرب .

(٥) انظر : مفردات القرآن / للأصفهاني ص ٤٠٨ .

(٦) غرائب القرآن جـ ٥ ص ٦٠٥ .

﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ داخلوها ، وهو : تعليل لإستيجابهم الدعاء عليهم ، وقيل : هذا فوج مقتحم : كلام الخزنة لرؤساء الكفرة في أتباعهم ، ولا مرحباً بهم إنهم صالوا النار : كلام الرؤساء ، وقيل : هذا كله كلام الخزنة^(١) .

﴿قَالُوا﴾ أي : الأتباع .

﴿بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ أي : الدعاء الذي دعوتم علينا أنتم أحق به ، وعللوا ذلك بقوله : ﴿أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ والضمير للعذاب ، أو لصليهم ، أي : أنكم دعوتمونا إليه فكفرنا بأتباعكم .

﴿فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ أي : النار . ﴿قَالُوا﴾ أي : الأنباع .

﴿رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ أي : مضاعفاً .

﴿فِي النَّارِ﴾ ومعناه ذا ضعفٍ . ونحوه قوله : ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَأَتِيهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾^(٢) ، وهو أن يزيد على عذابه مثله .

﴿وَقَالُوا﴾ الضمير لرؤساء الكفرة .

﴿مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا﴾ يعني فقراء المسلمين .

﴿كُنَّا نَعُدُّهُمْ﴾ في الدنيا . ﴿مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ من الأراذل الذين لاخير فيهم ولا

جـوى .

﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِحْرِيًّا﴾ بلفظ الإخبار عراقي غير عاصم على أنه صفة لرجالاً مثل :

﴿كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ ، وبهمزة الإستفهام غيرهم على أنه إنكار على أنفسهم في الإستسخر منهم ، (سُحْرِيًّا) : مدني وحمزة وعليّ وخلف والمفضل^(٣) . ﴿أَمْ زَاغَتْ﴾

(١) وقال ابن عطية رحمه الله في المحرر الوجيز جـ ١٤ ص ٤٦ : (... والأظهر أن قائل ذلك لهم

ملائكة العذاب وهو الذى حكاه الثعلبي وغيره ..) وبه قال الكلبي في التسهيل جـ ٣

ص ١٨٨ .

(٢) سورة الأعراف آية : ٣٨ .

(٣) الحجة في القراءات السبع ص ٣٠٧ ، الموضح جـ ٣ ص ١١٠٧ ، النشر جـ ٢ ص ٣٢٩ ،

الإتحاف جـ ٢ ص ٤٢٤ .

مالت . ﴿ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴾ هو متصل بقوله : مالنا ، أي : مالنا لانراهم فى النار كأنهم ليسوا فيها بل أزاغت عنهم ابصارنا فلا نراهم وهم فيها، قَسَمُوا أمرهم بين أن يكونوا من أهل الجنة وبين أن يكونوا من أهل النار إلا أنه خَفِيَ عليهم مكانهم .

﴿ إِنَّ ذَلِكَ ﴾ الذي حكينا عنهم .

﴿ لِحَقٍّ ﴾ لَصِدْقٍ كائنٌ لامحالة ، لا بد أن يتكلموا به ، ثم بين ماهو فقال : هو ﴿ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾ وَلَمَّا شَبَّه تَقَاوُلَهُمْ وما يجري بينهم من السؤال والجواب بما يجري بين المتخاصمين سماه تخاصماً ، ولأن قول الرؤساء : لا مرحباً بهم ، وقول أتباعهم : بل أنتم لا مرحباً بكم من باب الخصومة ، فَسُمِّيَ التَقَاوُلُ كله تخاصماً لإشتماله على ذلك .

﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لمشركي مكة .

﴿ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ﴾ ما أنا إلا رسولٌ منذرٌ أنذركم عذاب الله تعالى .

﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ ﴾ وأقول لكم إن دين الحق توحيد الله ، وأن تعتقدوا أن لا

إله إلا الله .

﴿ الْوَاحِدُ ﴾ بلانِدٍ ولا شريك . ﴿ الْقَهَّارُ ﴾ لكل شيء .

﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ له الملك والربوبية فى العالم كله .

﴿ الْعَزِيزُ ﴾ الذى لا يُغلب إذا عَاقَب .

﴿ الْغَفَّارُ ﴾ لذنوبكم إلتجأ إليه .

﴿ قُلْ هُوَ ﴾ أي : هذا / الذى أنبأتكم به من كوني رسولاً منذراً ، وأن الله واحد [١/١٦١]

لاشريك له .

﴿ نَبُوءًا عَظِيمًا ﴾ لا يُعْرَضُ عن مثله إلا غافل شديد الغفلة ثم : ﴿ أَنْتُمْ عَنْهُ

مُعْرِضُونَ ﴾ غافلون .

﴿ مَا كَانَ لِي ﴾ حفص^(١) . ﴿ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ أَحْتَجُّ

(١) التلخيص ص ٣٨٧ ، الموضح ج ٢ ص ١١٠٨ و ١١٠٩ ، والنشر ص ٣٦٢ ، للإتحاف ج ٢

بصحة نبوته^(١) بأن ما يُنبئُ به عن الملائة الأعلى وإختصامهم أمرٌ ما كان له من علمٍ قط ثم عَلِمَه ، ولم يسلك الطريق الذي يسكله الناس في علم ما لم يعلموا وهو : الأخذ من أهل العلم وقراءة الكتب ، فعَلِمَ أن ذلك لم يحصل له إلا بالوحي من الله تعالى .

﴿ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا لِلْإِنذَارِ ، فَحَذَفَ اللَّامَ وَأَنْتَصَبَ بِإِفْضَاءِ الْفِعْلِ إِلَيْهِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرْتَفِعَ عَلَيَّ مَعْنَى مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا هَذَا وَهُوَ : أَنْ أُنذِرَ وَأُبَلِّغَ وَلَا أُفْرِطُ فِي ذَلِكَ ، أَي : مَا أَوْمَرُ إِلَّا بِهَذَا الْأَمْرِ وَحْدَهُ ، وَلَيْسَ لِي غَيْرُ ذَلِكَ ، وَبِكَسْرٍ : إِنَّمَا يَزِيدُ عَلَيَّ الْحِكَايَةَ ، أَي : إِلَّا هَذَا الْقَوْلَ وَهُوَ أَنْ أَقُولَ لَكُمْ : إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ وَلَا أَدْعِي شَيْئًا آخَرَ^(٢) ، وَقِيلَ : النَّبَأُ الْعَظِيمُ قِصَصِ آدَمَ وَالْإِنْبَاءُ بِهِ مِنْ غَيْرِ سَمَاعٍ مِنْ أَحَدٍ ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : الْقُرْآنَ ، وَعَنْ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣) : يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٤) ، وَالْمُرَادُ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى أَصْحَابُ الْقِصَّةِ : الْمَلَائِكَةُ ، وَآدَمَ ، وَابْلِيسَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي السَّمَاءِ ، وَكَانَ التَّقَاوُلُ بَيْنَهُمْ^(٥) ، وَإِذْ

(١) أي : آدم عليه السلام ، قال السمعاني رحمه الله في تفسيره جـ ٤ ص ٤٥٢ : (وقوله ﴿ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما هو قولهم لله تعالى في أمر آدم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يَفْسُدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ ﴾) ، الآية إلى آخرها ، سورة البقرة آية : ٣٠ .

(٢) النشر جـ ٥ ص ٣٦٢ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٤٢٤ .

(٣) سبق ترجمته ص ٣٦ .

(٤) قال الماوردي في النكت والعيون جـ ٥ ص ١٠٩ : (فيه قولان أحدهما : أنه القيامة ، والقول الثاني : هو القرآن قاله مجاهد والضحاك والسدي) قال الواحدي في الوسيط جـ ٣ ص ٥٦٦ : (يعنى القرآن في قول الجميع) ، وقال ابن عطية رحمه الله في المحرر الوجيز جـ ١٤ ص ٤٨ : (الإشارة بقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴾ إلى التوحيد والمعاد فهي إلى القرآن وجميع ما تضمن ، وعظُمُه أن التصديق به نجاته ، والتكذيب به هلكة) ، ونسب ابن الجوزي رحمه الله في زاد المسير جـ ٧ ص ١٥٤ القول بأنه القرآن إلى : بن عباس ومجاهد والجمهور ، والثاني : إلى قتادة وهو البعث بعد الموت ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ٢٢٦ ، البحر المحيط جـ ٩ ص ١٧٢ ، التسهيل جـ ٣ ص ١٨٩ وذهب الكلبى إلى ما ذهب إليه ابن عطية رحمه الله في المحرر .

(٥) قال السمعاني رحمه الله في تفسيره جـ ٤ ص ٤٥٣ : (ذهب أكثر أهل التفسير إلى أن المراد بالملائة الأعلى هم الملائكة ، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما وغيره) ، الجامع لأحكام

يختصمون : متعلقٌ بمحذوفٍ إذ المعنى ما كان لي من علم بكلام الملائكة الأعلى وقت إختصامهم .

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾ بدل^(١) من إذ يختصمون ، أي : في شأن آدم عليه السلام حين قال تعالى على لسان ملكٍ . ﴿ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾ ، وقال ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾^(٢) .

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ﴾ فإذا أتممت خلقه^(٣) وعدلته .

﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ الذي خلقته ، وأضافه إليه تخصيصاً كيبت الله ، وناقاة الله ، والمعنى : أحييته وجعلته حساساً متنفساً .

﴿ فَفَعُّوا ﴾ أمرٌ من وقع يقع ، أي : أسقطوا على الأرض ، والمعنى : أسجدوا .

﴿ لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ قيل : كان إنحناءاً يدل على التواضع ، وقيل : كان سجدةً لله ، أو كان سجدةً التحية .

﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ كلُّ للإحاطة ، وأجمعون للإجماع ، فأفاد أنهم سجدوا عن آخرهم جميعاً في وقت واحد غير متفرقين في أوقات .

﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ ﴾ تعظم عن السجود^(٤) .

◀ القرآن ج ١٥ ص ٢٢٦ ، غرائب القرآن ج ٥ ص ٦٠٧ ورجح النيسابوري قول من قال : (الملائكة) ، البحر المحيط ج ٩ ص ١٧٢ ، التسهيل ج ٣ ص ١٨٩ .

(١) الفريد في إعراب القرآن المجيد ج ٤ ص ١٧٩ ، الدر المصون ج ٥ ص ٥٤٤ و ٥٤٥ .

(٢) سورة البقرة آية : ٣٠ .

(٣) في المطبوع : خلقته .

(٤) يقول ابن كثير في تفسيره ج ٤ ص ٦٦ بعد ذكر قصة خلقه ثم أمر الله الملائكة بالسجود :

(.. فامتثل الملائكة كلهم سوى إبليس ولم يكن منهم جنساً ، كان من الجن فخانه طبعه

وجبلته أحوج ما كان إليه فاستنكف عن السجود لآدم وخاصم ربه عز وجل وادعى أنه خير من

آدم .. وقد أخطأ في ذلك وخالف أمر الله تعالى وكفر بذلك فأبعده الله عز وجل وأرغم أنفه

وطرده عن باب رحمته ، ومحل أنسه ، وحضرة قدسه ، وسماه إبليس إعلماً له بأنه قد إبلس

من الرحمة وأنزله من السماء مذموماً مدحوراً ..) .

﴿ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ و صار من الكافرين بإباءٍ للأمر .

﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ ﴾ مامنعك عن السجود^(١) .

﴿ لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ ﴾ أي : بلا واسطة إمتثالاً لأمرى وإعظاماً لخطابى ، وقد مر أن ذا اليمين يباشر أكثر أعماله بيده^(٢) ، فغلبَ العمل باليمين على سائر الأعمال التى تباشر بغيرها حتى قيل عمل القلب هو مما عملت يداك ، وحتى قيل لمن لا يدين له : يَدَاكَ أَوْ كَتَا^(٣) وَفُوكَ نَفَخَ^(٤) ، وحتى لم يبق فرقٌ بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله تعالى : ﴿ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا ﴾^(٥) وقوله تعالى : ﴿ وَلِمَا خَلَقْتَ

(١) يقول ابن عطية فى المحرر الوجيز جـ ١٤ ص ٥١ : (وقوله ﴿ مَا مَنَعَكَ ﴾ تقرير وتوبيخ) .

(٢) قال السمرقندي فى بحر العلوم جـ ٣ ص ١٤١ : (قال بعضهم تؤمن بهذه الآية ونقرؤها ، ولا نعرف تفسيرها .. وقال بعضهم تفسيرها كما قال تعالى : ﴿ خَلَقْتَهُ يَدَيَّ ﴾ ولا يفسر اليد ولا نقول يد كالأيدي ، وهذا قول أهل السنة والجماعة) .

قال ابن جزى الكلبي فى التسهيل جـ ٣ ص ١٨٩ : (الضمير فى قول الله عزوجل : ﴿ يَدَيَّ ﴾ من المتشابه الذى ينبغى الإيمان به وتسليم علم حقيقته إلى الله) .

وقال الآلوسى فى روح المعاني جـ ٢٣ ص ٢٢٥ : (والسلف يقولون : اليد مفردة وغير مفردة ثابتة لله عزوجل على المعنى اللائق به سبحانه وتعالى ، ولا يقولون فى هذا الموضع إنها بمعنى قدره أو النعمة ، وظاهر الأخبار أن للمخلوق بها فرية على غيره) .

قلت : وهذا هو الصحيح فيجب عدم الخوض فى مثل هذه الأمور الغيبية ، وعدم تأويلها ، ففي هذه الآية يثبت الله أن له يدين ونحن نؤمن بذلك من غير تمثيل ولا تعطيل ، فالله أخبرنا أنه خلقه بيديه ولم يخبرنا عن الكيفية إذا نمرها كما جاءت ، فالمؤلف هنا : شبه يد الله بيد المخلوقين وهو خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة ، وهو ما عليه الأشاعرة ومن إقتفى أثرهم من المؤلة .

(٣) أو كتنا : وكى الوكاء كلُّ سير أو خيط يُشد به فم السقاء أو الوعاء ، وقد أو كيته بالوكاء إيكاءً إذا شدته ، لسان العرب جـ ١٥ ص ٤٠٥ ، مادة : وكى .

(٤) مجمع الأمثال جـ ٣ ص ٥١٩ وقال الميداني : يُضرب لمن يجنبى على نفسه الحين .

(٥) سورة يس آية : ٧١ .

يَدِيَّ ﴿^(١)﴾ .

[١٦١/ب]

/ ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ إستفهام إنكار^(٢) .

﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ ممن علوت وفُتتَ ، وقيل : إستكبرت الآن ، أم لم تنزل مُذْ كُنْتَ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ .

﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ يعني : لو كان مخلوقاً من نار لما سجدت له لأنه مخلوق مثلي فكيف أسجد لمن هو دوني لأنه من طين^(٣) ؟ والنار تَغْلِبُ الطين وتأكله ، وقد جرت الجملة الثانية من الأولى وهي : خلقتني من نار مجرى المعطوف عطف البيان من المعطوف عليه^(٤) فى البيان والإيضاح . ﴿قَالَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا﴾ من الجنة ، أو من السموات ، أو من الخِلْقَةِ التى أنت فيها ، لأنه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته وَأَسْوَدَّ بعد ما كان أبيض ، وَقَبَّحَ بعد ما كان حَسَنًا ، وَأَظْلَمَ بعدما كان نورانياً^(٥) .

﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ مَرْجُومٌ ، أي : مطرود ، تَكَبَّرَ إبليس أن يسجد لمن خُلِقَ من طين ، وَزَلَّ عنه أن الله أمر به ملائكته واتبعوا أمره إجلالاً لخطابه، وتعظيماً لأمره ، فصار مرجوماً ملعوناً بترك أمره .

(١) نفس السورة آية : ٧٥ .

(٢) الدر المصون ج٥ ص ٥٤٥ .

(٣) يقول ابن عطية فى المحرر الوجيز ج٤ ص ٥٣ : (وقول إبليس : ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ قياس أخطأ فيه ، وذلك أنه لما توهم أن النار أفضل من الطين قاس أن ما يخلق من الأفضل فهو أفضل من الذى يخلق من المفضول ، ولم يَدْرُ أن الفضائل تخصيصات من الله تعالى يسم بها من شاء ، وفى قوله رَدُّ على حكمة الله تعالى .. وظاهر أمره أنه كفر عناد ..) .

(٤) (من المعطوف عليه) ساقط من المطبوع .

(٥) معالم التنزيل ج٧ ص ١٠٢ ، المحرر الوجيز ج٤ ص ١٤٤ ، ورجح القرطبي فى الجامع لأحكام القرآن ج٥ ص ٢٢٩ قول من قال : أنه من الجنة ، لباب التأويل ج٤ ص ٤٨ ، إرشاد العقل السليم ج٤ ص ٤٥١ ، روح المعاني ج٢٣ ص ٢٢٧ و٢٢٨ .

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي ﴾ بفتح الياء مدني^(١) ، أي : إبعادي من كل خير . ﴿ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ أي : [يوم]^(٢) الجزاء ، ولا يُظنُّ بأن لعنته غايتها يوم الدين ، ثم تنقطع ، لأن معناه : أن عليه اللعنة في الدنيا وحدها ، فإذا كان يوم الدين إقترن بها العذاب فينقطع الإفراد ، أو لَمَّا كان عليه اللعنة في أوان الرحمة فأولى أن تكون عليه في غير أوانها ، وكيف تنقطع وقد قال تعالى : ﴿ فَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾^(٣) .

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي ﴾ فأمهلني .

﴿ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴾ ، قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ، إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿ الوقت المعلوم : الوقت الذي تقع فيه النفخة الأولى ، ويومه اليوم الذي وَقَّتْ النفخة جزء من أجزائه ، ومعنى المعلوم : أنه معلوم عند الله مُعَيَّنٌ لا يتقدم ولا يتأخر .

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ أقسم بعزة الله، وهي بسلطانه وقهره .

﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ وبكسر اللام مكِّيٌّ وبصريٌّ وشاميٌّ^(٤) .

﴿ قَالَ فَالْحَقُّ ﴾ بالرفع كوفيٌّ غيرُ عَلِيٍّ على الإبتداء، أي : الحقُّ مني^(٥) ، أو على

الخبر أي : أنا الحق ، وبالنصب غيرهم على أنه مُقسَمٌ به : كقولك : اللّهُ لأفعلن ، يعني : حذِفَ عنه الباء فأنصب وجوابه لأملأن^(٦) .

﴿ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴾ إعتراضٌ بين المُقسَمِ به والمُقسَمِ عليه، وهو منصوب بأقول^(٧) ،

(١) التلخيص ص ٣٨٧ ، النشر ج ٢ ص ٣٦٢ ، الإتحاف ج ٢ ص ٤٢٤ .

(٢) ساقط من (أ) .

(٣) سورة الأعراف آية : ٤٤ .

(٤) الحجّة في القراءات السبع / للإمام ابن خالويه ص ١٩٤ في سورة يوسف والموضح ج ٢

ص ٦٧٦ و ص ٦٧٧ ، النشر ج ٢ ص ٢٩٥ ، والإتحاف ج ٢ ص ١٤٥ .

(٥) في المطبوع : قسمي .

(٦) الحجّة في القراءات السبع ص ٣٠٧ ، والتلخيص ص ٣٨٧ ، والموضح ج ٣ ص ١١٠٧ ،

النشر ج ٢ ص ٣٦٢ ، الإتحاف ج ٢ ص ٤٢٥ .

(٧) انظر : إعراب القرآن / للنحاس ج ٢ ص ٨٠٦ ، التبيان في إعراب القرآن ج ٢ ص ١١٠٧ ،

الفرید في إعراب القرآن المجید ج ٤ ص ١٧٩ و ص ١٨٠ ، الدر المصون ج ٥ ص ٥٤٦ .

ومعناه : ولا أقول إلا الحق ، والمراد بالحق ، إما اسمه عز وجل الذي فى قوله : ﴿ أَنْ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ ﴾^(١) ، أو الحق الذي هو نقيض الباطل ، عظمه الله بإقسامه به^(٢) .

﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ ﴾ من جنسك وهم الشياطين .

﴿ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ ﴾ من ذرية آدم .

﴿ أَجْمَعِينَ ﴾ أي : لأملأن جهنم من المتبوعين والتابعين أجمعين لا أترك منهم

أحداً .

﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾ الضمير للقرآن ، أو للوحي^(٣) .

﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ من الذين يتصنعون ويتحللون بما ليسوا من أهله ، وما

عرفتوني قط مُتَّصِعاً ولا مُدَّعِياً ما ليس عندي / حتى أنتحل النبوة وأتقول القرآن .

﴿ إِنَّ هُوَ ﴾ ما القرآن . ﴿ إِلَّا ذِكْرٌ ﴾ من الله .

﴿ لِلْعَالَمِينَ ﴾ للثقلين أُوْحِي إِلَيَّ فَأَنَا أبلغه ، وعن رسول الله ﷺ : « للمتكلف

ثلاث علامات : يُنَازِعُ مَنْ فَوْقَهُ ، وَيَتَعَاطَى مَا لَا يَنَالُ ، وَيَقُولُ مَا لَا يَعْلَمُ »^(٤) .

(١) سورة النور آية : ٢٥ .

(٢) معالم التنزيل جـ ٧ ص ١٠٣ ، البحر المحيط جـ ٩ ص ١٧٦ ، إرشاد العقل السليم جـ ٤ ص ٤٥٣ ، روح المعاني جـ ٢٣ ص ٢٢٩ وقال الآلوسى (وَرُجِّحَ - أي الحق ، الذى هو نقيض الباطل - بحديث إعادة الإسم معرفة أوفأنا الحق ، أو فقولي الحق) بتصرف يسير .

(٣) انظر : الوسيط جـ ٣ ص ٥٦٣ ، معالم التنزيل جـ ٧ ص ١٠٣ ، البحر المحيط جـ ٩ ص ١٧٧ ، فتح البسقيدير جـ ٤ ص ٤٤٦ ، روح المعاني جـ ٢٣ ص ٢٣٠ ، قلت : ومن قال بالوحي فإنه أعم وأشمل .

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان جـ ٤ ص ٢٧٠ فى الباب الرابع والثلاثين وهو من كلام ، أرطاة بن المنذر إلا أنه قال فى أوله : « ويتكلم فيما لا يعلم » ثم اتى بالباقي ، وذكره أبو نعيم فى الحلية جـ ٤ ص ٤٧ عند ترجمة وهب بن منبه إلا أنه قدم : (ويقول ما لا يعلم على ويتعاطى ما لا ينال) .

وقال الزيلعى : فى تخريج أحاديث الكشاف جـ ٣ ص ١٩٤ : (رواه الثعلبي فى تفسيره) وذكره ابن حجر فى الكافى الشافى ص ١٤٢ وذكره عن الثعلبي بسنده إلى سلمة بن نفيل مرفوعاً .

﴿ وَتَلْعَلْمُنَّ نَبَأَهُ ﴾ نَبَأُ الْقُرْآنِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ، وَذِكْرِ الْبَعْثِ وَالنَّشُورِ .
 ﴿ بَعْدَ حِينٍ ﴾ بَعْدَ الْمَوْتِ ، أَوْ يَوْمَ بَدْرٍ ، أَوْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(١) ، خَتَمَ السُّورَةَ بِالذِّكْرِ
 بَعْدَ مَا إِفْتَتَحَهَا بِالذِّكْرِ .

(١) معاني القرآن / للزجاج ج٦ ص ١٤٢ و ١٤٣ وقال الزجاج : (والحين مبهم فهو مطلق يقع لكل وقت علموه فيه) ، بحر العلوم ج٣ ص ١٤٢ ، النكت والعيون ج٥ ص ١١٢ وقال الماوردي : (فيه ثلاث تأويلات : أحدها بعد الموت قاله قتادة ، الثاني : يوم بدر قاله السدي ، الثالث : يوم القيامة قال ابن زيد وعكرمة) ، تفسير القرآن / للسمعاني ج٤ ص ٤٥٦ ، معالم التنزيل ج٧ ص ١٠٣ ، زاد المسير ج٧ ص ١٥٩ ، الجامع لأحكام القرآن ج١٥ ص ٢٣١ ، تفسير القرآن العظيم / لابن كثير ج٤ ص ٦٧ وقال ابن كثير رحمه الله (قال قتادة : بعد الموت وقال عكرمة يعني يوم القيامة ، ولا منافاة بين القولين فإن من مات فقد دخل في حكم القيامة) ، التسهيل ج٣ ص ١٩٠ ، روح المعاني ج٢٣ ص ٢٣٠ ، وقال الآلوسي رحمه الله (وأياً ما كان ففي الآية من التهديد مالا يخفى) . قلت : وقول الزجاج أقرب للصواب لعمومه .

سورة الزمر مكية إلا قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا - إِلَى - تَشْعُرُونَ﴾^(١). وهي خمس وسبعون آية كوفى وإثنان بصرى ومدنى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ أي : القرآن ، مبتدأ خبره: ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ أي: نُزِّلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ^(٢)، أو خبر مبتدأ محذوف والجارُ صلةُ التنزيل ، أو غير صلة بل هو خبر بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره : هذا تنزيل الكتاب هذا من الله^(٣) .

﴿الْعَزِيزِ﴾ في سلطانه . ﴿الْحَكِيمِ﴾ في تديره .

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ هذا ليس بتكرارٍ لأن الأول كالعنوان للكتاب ، والثاني لبيان مافي الكتاب .

﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا﴾ حال^(٤) . ﴿لَهُ الدِّينَ﴾ أي : ممحضاً له الدين من

(١) هو قول : ابن عباس رضي الله عنهما ذكره السيوطي في الدر المنثور جـ٧ ص ٢٤٠ ونسبه إلى النحاس في تاريخه ، وذكر السيوطي قولاً آخر لإبن عباس رضي الله عنهما قال : (أنزلت سورة الزمر بمكة) وعزاه لابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل ، وقال النحاس في معاني القرآن جـ٦ ص ١٤٧ : (هي مكية) وقال ابن عطية في المحرر الوجيز جـ١٤ ص ٥٧ : (هذه السورة مكية بإجماع غير ثلاث آيات في شأن وحشي قاتل حمزة بن عبدالمطلب وهي ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ..﴾ الآيات ، وقالت فرقه : (بل إلى آخر السورة مدني ، وقيل فيها مدني سبع آيات) ، وقال ابن الجوزي في زاد المسير جـ٧ ص ١٦٠ : (وتسمى سورة الغرف) ونسب القول بأنها مكية إلى ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وقتادة وجابر بن زيد رحمهم الله .

(٢) ساقط من المطبوع .

(٣) انظر : إعراب القرآن / للنحاس جـ٢ ص ٨٠٩ ، التبيان في إعراب القرآن جـ٢ ص ١١٠٨ ،

الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ٤ ص ١٨٣ ، الدر المصون جـ٦ ص ٣ و٤ .

(٤) إعراب القرآن / للنحاس جـ٢ ص ٨٠٩ ، التبيان في إعراب القرآن جـ٢ ص ١١٠٨ ، الفريد في

إعراب القرآن المجيد جـ٤ ص ١٨٤ ، الدر المصون جـ٦ ص ٤ .

الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر فالدين منصوب. بمخلصاً ، [وقرىء الدين بالرفع ،
وحق من رفعه أن يقرأ مُخْلِصاً^(١)] (٢) .

﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ ﴾ أي : هو الذي وجب إختصاصه بأن تُخْلِصُ له الطاعة
من كلِّ شائبةٍ كَدَرٍ لإطلاعه على الغيوب والأسرار (٣) . وعن قتادة^(٤) رحمه الله الخالص
: شهادة أن لا إله إلا الله ، وعن الحسن رحمه الله^(٥) : الإسلام (٦) .

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ أي : آلهة ، وهو مبتدأ محذوف الخبر
تقديره : والذين عبدوا الأصنام يقولون : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾
مصدر^(٧) ، أي: تقريباً^(٨) .

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) و (ب) .

(٢) يقول السمين الحلبي في الدر المصون ج٦ ص ٤ : (والعامه على نصب الدين .. ورفع ابن
أبي عيلة ..) وقال أبو حيان في البحر المحيط ج٩ ص ١٨٢ (وقرأ الجمهور : الدين
بالنصب ، وقرأ ابن أبي عيلة : بالرفع فاعلاً بمخلصاً) .

(٣) انظر : تفسير القرآن / للسمعاني ج٥ ص ٤٥٧ ، البحر المحيط ج٩ ص ١٨٢ .

(٤) سبق ترجمته ص ١٢١ .

(٥) سبق ترجمته ص ٣٦ .

(٦) تفسير عبدالرزاق ج٢ ص ١٣٩ وذكر رحمه الله قول قتادة ، جامع البيان ج٢٣ ص ١٢٢ ، معاني
القرآن / للنحاس ج٦ ص ١٥٠ ، النكت والعيون ج٥ ص ١١٤ ، الوسيط ج٣ ص ٥٧٠ ، تفسير
القرآن / للسمعاني ج٥ ص ٤٥٧ ، معالم التنزيل ج٧ ص ١٠٧ وذكر البغوي قول قتادة رحمه الله فقط ،
المحرر الوجيز ج٤ ص ١٤٤ ، البحر المحيط ج٩ ص ١٨٢ ، تفسير ابن كثير ج٤ ص ٦٩ ، التسهيل
ج٣ ص ١٩٠ : ورجح الكلبي قول : الحسن رحمه الله وقال : (وهذا أرجح لعمومه) .

(٧) إعراب القرآن / للنحاس ج٢ ص ٨١٠ وقال النحاس : ﴿ زلفى ﴾ في موضع نصب بمعنى
المصدر أي : تقريباً ، التبيان في إعراب القرآن ج٢ ص ١١٠٨ ، الفريد في إعراب القرآن
المجيد ج٤ ص ١٨٤ ، الدر المصون ج٦ ص ٥ .

(٨) وهو قول ابن زيد، انظر : النكت والعيون ج٥ ص ١١٤ وقال الماوردي رحمه الله : (فيه
ثلاثة أوجه : أحدها : أن الزلفى الشفاعه في هذا الموضع قاله قتاده ، الثاني : أنها المنزلة قاله
السدي ، والثالث : أنها التقرب قاله ابن زيد) ، الوسيط ج٣ ص ٥٧٠ ، تفسير القرآن /
للسمعاني ج٥ ص ٤٥٨ ، المحرر الوجيز ج٥ ص ١٥٩ ، زاد المسير ج٧ ص ١٦٢ ، معالم
التنزيل ج٧ ص ٢٣٣ ، روح المعاني ج٢٣ ص ٢٣٥ .

﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ بين المسلمين والمشركين . ﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ قيل : كان المسلمون إذا قالوا لهم من خلق السموات والأرض؟ قالوا: الله ، فإذا قالوا لهم: فما لكم تعبدون الأصنام؟ قالوا : ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، والمعنى : أن الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين^(١) .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ أي : لا يهدي من هو في علمه أنه يختار الكفر ، يعنى : لا يوفقه للهدى ولا يعينه وقت إختياره الكفر ولكنه يخذله^(٢) ، وكذبهم قولهم فى بعض من إتخذوا من دون الله أولياء : بنات الله ، ولذا عَقَّبَهُ محتجاً عليهم بقوله: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أي : لو جاز إتخاذ الولد على ماتظنون لاختار مما يخلق مايشاء لاما تختارون أنتم وتشاءون .

﴿سُبْحَانَهُ﴾ نَزَّهَ ذاته [عن]^(٣) أن يكون له أحد مانسبوا إليه من الأولياء والأولاد ، ودلَّ على ذلك بقوله : ﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ يعنى : أنه واحد متبرئ عن إنضمام الأعداد ، متعالٍ عن التجزؤ والولادِ ، قَهَّارٌ غلاب لكل شيء ، ومن الأشياء ألتهتم فأنى / يكون له أولياء وشركاء ؟ ثم دلَّ بخلق السموات والأرض، وتكوير كل واحد من

[١٦٢/ب]

(١) يقول السيوطي في لباب التأويل : قوله تعالى ص ١٨٤ : ﴿الذين إتخذوا﴾ الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أنزلت فى ثلاثة أحياء عامر ، وكنانة ، وبنى سلمه كانوا يعبدون الأوثان ويقولون الملائكة بنات فقالوا : ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ ، وانظر: معالم التنزيل جـ ٧ ص ١٠٨ .

(٢) يقول ابن عطية رحمه الله فى المحرر الوجيز جـ ١٤ ص ٥٩ ، عند قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ هذه الآية (أ) - إما أن يكون معناها أن الله لا يهدي الكاذب الكفار فى حال كذبه وكفره . (ب) - وإما أن يكون لفظها العموم ومعناها الخصوص فيمن ختم الله عليه بالكفر وقضى فى الأزل أنه لا يؤمن أبداً ، وإلا فقد وجد الكاذب الكفار قد هدى كثيراً) وقال ابن كثير رحمه الله فى تفسيره جـ ٤ ص ٦٩ (أنى : لا أرشد إلى الهداية من قصده الكذب والإفراء على الله تعالى ، وقلبه كافر باياته وحججه وبراهينه) .

(٣) فى (أ) : من .

الملوين^(١) على الآخر ، وتسخير النيرين^(٢) وجريهما لأجل مسمى ، وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة ، وخلق الأنعام على أنه واحد لا يُشَارِكُ ، قهاراً لا يُغَالَبُ بقوله :

﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ﴾ والتكوير : اللَّفُّ واللِّيُّ يقال : كَارَ الْعِمَامَةَ عَلَى رَأْسِهِ وَكَوَّرَهَا ، والمعنى : أن كل واحد منهما يُغَيِّبُ الْآخَرَ إِذَا طَرَأَ عَلَيْهِ ، فشبه في تَغْيِيهِ إِيَّاهُ بِشَيْءٍ ظَاهِرٌ لَفٌّ عَلَيْهِ مَا غَيَّبَهُ عَنْ مَطَامِحِ الْأَبْصَارِ ، أو أن هذا يُكْرَهُ عَلَى هَذَا كَرُوراً مُتَتَابِعاً ، فَشَبَّهَ ذَلِكَ بِتَتَابِعِ أَكْوَارِ الْعِمَامَةِ بَعْضُهَا عَلَى إِثْرِ بَعْضٍ^(٣) .

﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي : يوم القيامة .
﴿ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ ﴾ الغالب القادر على عقاب من لم يُعْتَبِرْ بتسخير الشمس والقمر فلم يؤمن بمُسخِرِهُمَا .

﴿ الْفَقَارُ ﴾ لمن فكر وإعتبر فأمن بمُدَبِّرِهِمَا .
﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ أي : آدم عليه السلام .
﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ أي : حواء من قُصِيرَاهُ^(٤) ، قيل : أخرج ذرية آدم من ظهره كالذرِّ ثم خلق بعد ذلك حواء^(٥) .

(١) الملوين أي : الليل والنهار .

(٢) النيرين أي : الشمس والقمر .

(٣) انظر : لسان العرب ج ٥ ص ١٥٦ ، مادة : كور ، معاني القرآن / للنحاس ج ٦ ص ١٥٢ .

(٤) الْقُصْرِيَّانِ وَالْقُصَيْرِيَّانِ ، بضمهما : ضلعان يليان الترفوتين ، القاموس المحيط ص ٥٩٥ مادة : قصر .

(٥) يقول الزجاج في معاني القرآن ج ٤ ص ٣٤٥ : (أي : خلقها ثم جعل منها زوجها قبلكم) المحرر الوجيز ج ١٤ ص ٦١ و ٦٢ ورجح ابن عطية : القول الثاني ، البحر المحيط ج ٦ ص ١٨٥ ، التسهيل ج ٣ ص ١٩١ ورجح الكلبي قول من قال : (أن العطف إنما هو على معنى قوله : ﴿ واحده ﴾ لا على ﴿ خلقكم ﴾ كأنه قال خلقكم من نفس واحدة ، ثم خلق منها زوجها) ، فتح القدير ج ٤ ص ٤٥٠ ، روح المعاني ج ٣ ص ٢٤٠ وقال الألوسي رحمه

﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ﴾ أي : جعل، عن الحسنِ رحمه الله^(١) ، أو خلقها في الجنة مع آدم عليه السلام ثم أنزلها ، أو لأنها لا تعيش إلا بالنبات والنبات لا يقوم إلا بالماء، وقد أنزل الماء فكأنه أنزلها^(٢) .

﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾ ذكراً وأنثى من الإبل والبقر والضأن والمعز كما تقدم في سورة الأنعام^(٣) ، والزواج : إسم لواحد معه آخر فإذا أنفرد فهو فردٌ ووتر .
﴿ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ ﴾ نطفةً، ثم علقةً ثم، مضغةً [ثم]^(٤)، إلى تمام الخلق .

﴿ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾ ظلمة : البطن ، والرَّحِم ، والمشيمة^(٥) ، أو ظلمة الصُّلب^(٦) ، والبطن ، والرحم^(٧) .

← الله : (وقد تضمنت الآية ثلاث آيات : خلق آدم عليه السلام بلا أم ولا أب ، وخلق حواء من قصيراه ، وخلق ذريته التي لا يحصى عددها إلا الله عزوجل) .

(١) سبق ترجمته ص ٣٦ .

(٢) النكت والعيون ج ٥ ص ١١٥ وقال الماوردي رحمه الله (وفي قوله : « أنزل » وجهان أحدهما : يعنى ، جعل قاله الحسن ، الثاني : أنزلها بعد أن خلقها في الجنة ، حكاة ابن عيسى) ، الوسيط ج ٣ ص ٥٧١ ، المحرر الوجيز ج ١٤ ص ٦٢ ، الجامع لأحكام القرين ج ١٥ ص ٢٣٥ ، البحر المحيط ج ٩ ص ١٨٥ ، التسهيل ج ٣ ص ١٩١ وقال الكلبي رحمه الله عن القول الثالث : (وهذا بعيد) فتح القدير ج ٤ ص ٤٥٠ ، روح المعاني ج ٢٣ ص ٢٤٠ .

(٣) عند الآية ١٤٣ ، ١٤٤ .

(٤) ساقط : من (أ) .

(٥) المشيمة : يقال لما يكون فيه الولد والكيس والقميص . لسان العرب ج ١٢ ص ٣٣١ ، والقاموس المحيط ص ١٤٥٦ ، مادة : شيم .

(٦) الصُّلبُ : من الظهر ، وكل شيء من الظهر فيه فقار فذلك الصُّلبُ . لسان العرب ج ١ ص ٥٢٦ و ٥٢٧ . مادة : صلب .

(٧) قال النحاس في معاني القرآن ج ٦ ص ١٥٤ : (قال : مجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك في

﴿ ذَلِكُمْ ﴾ الذي : هذه مفعولاته هو : ﴿ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ فكيف يعدل بكم عن عبادته إلى عبادة غيره ، ثم يبين أنه غني عنهم بقوله : ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ ﴾ عن إيمانكم ، وأنتم تحتاجون إليه لتضرركم بالكفر وإنتفاعكم بالإيمان .

﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ لأن الكفر ليس برضا الله وإن كان بإرادته^(١) .
 ﴿ وَإِن تَشْكُرُوا ﴾ فتؤمنوا . ﴿ يَرْضَاهُ لَكُمْ ﴾ أي : يرضى الشكر لكم ، لأنه سبب فوزكم فيثيبكم عليه الجنة ، (يرضه) بضم الهاء والإشباع مكى وعلية ، (يرضه) بضم الهاء بدون الإشباع نافع وهشام وعاصم غير يحيي وحماد وغيرهم (يرضه)^(٢) .
 ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ أي : لا يؤخذ أحد بذنب أحد .
 ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ ﴾ إلى جزاء ربكم رجوعكم .

◀ ظلمة الرحم ، وفي ظلمة المشيمة ، وفي ظلمة البطن ، وقيل في الصلب ، ثم في الرحم ، ثم في البطن وهذا مذهب أبي عبيده ، والأول أصح (قلت : وهو قول جمهور المفسرين ، انظر : بحر العلوم جـ ٣ ص ١٤٥ ، النكت والعيون جـ ٥ ص ١١٥ ، الوسيط جـ ٣ ص ٥٧١ ، تفسير القرآن / للسمعاني جـ ٤ ص ٤٥٩ ونسب القول إلى ابن عباس رضي الله عنهما ، معالم التنزيل جـ ٧ ص ١٠٩ ، المحرر الوجيز جـ ١٤ ص ٦٣ ، زاد المسير جـ ٧ ص ١٦٣ وص ١٦٤ ونسب ابن الجوزي رحمه الله القول الأول إلى الجمهور ، وقال بصحة قول الجمهور القرطبي في الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ٢٣٦ ، أبو حيان البحر المحيط جـ ٩ ص ١٨٦ وابن كثير في تفسيره جـ ٤ ص ٧١ ، والكلبي في التسهيل جـ ٣ ص ١٩٢ ورجح الكلبي القول الأول حيث قال : (والأول أرجح لقوله : ﴿ في بطون أمهاتكم ﴾ ولم يذكر الصلب) ، فتح القدير جـ ٤ ص ٤٥٠ ، روح المعاني جـ ٢٣ ص ٢٤١ .

(١) قال البغوي في معالم التنزيل جـ ٧ ص ١٠٩ : (ومعنى الآية : لا يرضى لعباده أن يكفروا به ، يروون ذلك عن قتاده رحمه الله ، وهو قول السلف ، قالوا : كفر الكافر غير مُرضٍ لله عزوجل ، وإن كان بإرادته) .

(٢) الحجة في القراءات ص ٣٨٠ ، التلخيص ص ٣٨٩ وص ٣٩٠ ، الموضح جـ ٣ ص ١١٠ وص ١١١ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٤٢٧ .

﴿ فَيَنْبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ فيخبركم بأعمالكم ويجازيكم عليها .

﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ بخفيات القلوب .

﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ﴾ هو أboجهل ، أو كل كافر^(١) .

﴿ ضُرٌّ ﴾ بلاءٌ وشدة ، والمس في الإغراض مجاز^(٢) .

﴿ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ﴾ راجعاً إلى الله بالدعاء لا يدعو غيره .

/ ﴿ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ ﴾ أعطاه . ﴿ نِعْمَةً مِنْهُ ﴾ من الله عزوجل .

﴿ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوًا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي : نسي ربه الذي كان يتضرع إليه ،

و(ما) بمعنى^(٣) من ، كقوله : ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾^(٤) ، أو نسي الضر الذي

كان يدعو الله إلى كشفه .

﴿ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا ﴾ أمثلاً . ﴿ لِيُضِلَّ ﴾ (لِيُضِلَّ) مكِّي وأبو عمرو ويعقوب^(٥) .

﴿ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ أي : الإسلام . ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد .

﴿ تَمَتَّعْ ﴾ أمرٌ تهديد . ﴿ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ﴾ أي : في الدنيا .

﴿ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ من أهلها .

(١) يقول ابن عطية رحمه الله في المحرر الوجيز ج٤ ص ٦٥ : (في هذه الآية : يُراد به الكافر

بدلالة ما وصفه به آخرًا من اتخاذ الأنداد لله تعالى ..) وبذلك قال : القرطبي في الجامع

لأحكام القرآن ج٥ ص ٢٣٧ ، وقال أبو حيان في البحر المحيط ج٩ ص ١٨٧ : (الظاهر

أن الإنسان هنا جنس الكافر ، وقيل : معين كعتبه بن ربيعة) ، وقال ابن جزى الكلبي في

التسهيل ج٣ ص ١٩٢ : (يراد بالإنسان هنا الكافر بدليل قوله : ﴿ وجعل له أنداداً ﴾) ،

قلت : فجمهور المفسرين على أن المراد بالإنسان هنا : عموم الكافر فلا داعي للتخصيص .

(٢) أي : في الشيء المعنوي غير المحسوس فإن مسَّهُ مجاز لاحققة ، والأغراض جمع عِرْض ،

ويقول ابن منظور في لسان العرب ج٧ ص ١٧٠ : (وَعِرْضُ الرَّجُلِ : حَسْبُهُ ، وَقِيلَ نَفْسُهُ ،

وقيل خليفته المحموده ، وقيل ما يحمده به ويذم) ، مادة : عرض .

(٣) البحر المحيط ج٩ ص ١٨٨ .

(٤) سورة الليل آية : ٣ .

(٥) الموضح ج٣ ص ١١١ ، الإتحاف ج٢ ص ٤٠٧ .

﴿ أَمَّنْ ﴾ قرأ بالتخفيف : مكى ونافع وحمزة على إدخال همزة الإستفهام على من ، وبالتشديد غيرهم^(١) على إدخال أم عليه ، ومن مبتدأ وخبره محذوف تقديره أَمَّنْ : ﴿ هُوَ قَانِتٌ ﴾ كغيره ، أي : أمن هو مطيع كمن هو عاص^(٢) ، والقانت : المطيع لله^(٣) ، وإنما حذف للدلالة الكلام عليه وهو جَرِيٌّ ذكر الكافر قبله ، وقوله بعده : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٤) .

﴿ وَأَنَاءَ اللَّيْلِ ﴾ ساعاته^(٥) .

﴿ سَاجِدًا وَقَائِمًا ﴾ حالان من الضمير فى قانت^(٦) .

(١) السجده / ص ٢٠٨ ، الموضح جـ ٣ ص ١١١٢ ، النشر جـ ٢ ص ٣٦٢ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٤٢٨ .

(٢) انظر : التبيان فى إعراب القرآن جـ ٢ ص ١١٠٩ ، الفريد فى إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ١٨٥ و ١٨٦ .

(٣) هو قول ابن مسعود رضي الله عنه ، انظر : النكت والعيون جـ ٥ ص ١١٧ وذكر الماوردي رحمه الله في معنى قانت أربعة أوجه : (أحدها : أنه المطيع ، قاله ابن مسعود رضي الله عنه ، الثاني : أنه الخاشع في صلاته قاله ابن شهاب ، الثالث : أنه القائم فى صلاته قاله يحيى بن سلام ، الرابع : أنه الداعي لربه) ، وقال القرطبي فى الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ٢٣٩ : (وقول ابن مسعود رضي الله عنه يجمع ذلك) .

(٤) آية ٩ من نفس السورة .

(٥) وهو قول الحسن البصري ذكره : الماوردي فى النكت والعيون جـ ٥ ص ١١٧ ، قلت : وهو قول جمهور المفسرين انظر : تفسير القرآن / للسمعاني جـ ٤ ص ٤٦٠ ، معالم التنزيل جـ ٧ ص ١١١ ، المحرر الوجيز جـ ١٤ ص ٦٨ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ٢٣٩ وذكر القرطبي عدة أقوال فى ذلك منها : جوف الليل ، ما بين المغرب والعشاء ، ثم قال رحمه الله : (وقول الحسن عام) ، تفسير القرآن العظيم / لابن كثير جـ ٤ ص ٧٢ ونسبه إلى قتادة رحمه الله أيضاً .

(٦) التبيان فى إعراب القرآن جـ ٢ ص ١١٠٩ ، الدر المصون جـ ٦ ص ٩ ، وقال النيسابوري فى غرائب القرآن جـ ٥ ص ٦١٦ و ٧١٧ : (وفيه تنبيه على فضل قيام الليل ، ولا يخفى أنه كذلك ، لبعده عن الرياء ، ولمزيد الحضور ، وفراغ الحواس من الشواغل الخارجية ، ولأن الليل وقت الراحة ، فالعبادة فيه أشق على النفس فيكون ثوابه أكثر) .

﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾ أي : عذاب الآخرة .

﴿وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ أي : الجنة ، ودلت الآية : على أن المؤمن يجب أن يكون بين الخوف والرجاء ، يرجوا رحمته لاعمله ويحذر عقابه لتقصيره في عمله ، ثم الرجاء إذا جاوز حده يكون أمناً والخوف إذا جاوز حده يكون إياساً^(١) ، وقد قال الله تعالى : ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٢) ، وقال : ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٣) ، فيجب أن لا يجاوز أحدهما حدّه .

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي : يعلمون ويعملون [به]^(٤) ، كأنه جعل من لا يعمل غير عالم ، وفيه إزدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يفتنون ويفتنون فيها ثم يفتنون بالدنيا ، فهم عند الله جهلة ، حيث جعل القانتين هم العلماء ، أو أريد به التشبيه ، أي : كما لا يستوى العالم والجاهل كذلك لا يستوى المطيع والعاصي ، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ جمع لب ، أي : إنما يتعظ بوعظ الله أولو العقول^(٥) .

(١) قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره جـ ٤ ص ٧٢ : (فإذا كان عند الإحتضار فليكن الرجاء هو الغالب عليه) ثم ذكر رحمه الله الحديث المروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : دخل رسول الله ﷺ على رجل وهو في الموت فقال له : ((كيف تجدك)) فقال أرجو وأخاف ، فقال رسول الله ﷺ : ((لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو ، وأمنه مما يخاف)) .

أخرجه الترمذي في سننه جـ ٢ ص ٢٢٧ أبواب الجنائز باب ماجاء في التشديد عند الموت .

وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي جـ ١ ص ٢٨٩ .

(٢) سورة الأعراف آية : ٩٩ .

(٣) سورة يوسف آية : ٨٧ .

(٤) ساقط من : (أ) .

(٥) انظر : معاني القرآن : للزجاج جـ ٤ ص ٣٤٧ .

﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ بلا ياءٍ عند الأكثر (١) .

﴿ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾ بامثال أوامره واجتناب نواهيه .

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴾ أي : أطاعوا الله في الدنيا ، وفي يتعلق

بأحسنوا لباحسنه ، معناه : الذين احسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الآخرة وهي دخول الجنة ، أي : حسنة لاتوصف ، وقد علقه السدي (٢) رحمه الله : بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية (٣) ، ومعنى :

﴿ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ﴾ أن (٤) لا عذر للمفرطين في الإحسان البتة حتى إن إعتلوا

بأنهم لا يتمكنون في أوطانهم من التوفّر على الإحسان ، قيل لهم : فإن أرض الله واسعة وبلاده كثيرة فتحولوا إلى بلادٍ أُخرى ، وأقتدوا بالأنبياء والصالحين في مهاجرتهم إلى غير بلادهم ليزدادوا إحساناً إلى إحسانهم ، وطاعة / إلى طاعتهم .

﴿ إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ ﴾ على مفارقة أوطانهم وعشائرتهم وعلى غيرها من تجرّع

الغصص وإحتمال البلايا في طاعة الله وإزدياد الخير .

﴿ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما : لا يهتدي إليه

(١) التلخيص ص ٣٨٩ ، النشر ج ٢ ص ٣٦٢ ، الإتحاف ج ٢ ص ٤٢٨ .

(٢) السدي : إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة ، الإمام المفسر ، أبو محمد الحجازي ثم الكوفي الأعور ، أحد موالي قريش ، توفي سنة سبع وعشرين ومئة ، انظر ترجمته : سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٢٦٤ .

(٣) النكت والعيون ج ٥ ص ١١٨ ، ورجح ابن عطية رحمه الله في المحرر الوجيز ج ١٥ ص ٦٩ قول من قال أن الحسنة هي في الآخرة ، وكذلك الفخر الرازي في مفاتيح الغيب ج ٢٦ ص ٢٥٣ وذكر لذلك عدة وجوه فليرجع إليها لتمام الفائده ، وقال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج ١٥ ص ٢٤٠ : (يقول القشيري والأول أصح - أي : أن الحسنة هي في الآخرة - لأن الكافر نال نعم الدنيا) وبذلك قال الكلبي في التسهيل ج ٣ ص ١٩٢ .

قلت : هو قول جمهور المفسرين : وأن المراد أن الذين أحسنوا في الدنيا لهم حسنة في الآخرة وهي : الجنة .

(٤) في المطبوع : أي .

(٥) قال ابن الجوزي في زاد المسير ج ٧ ص ١٦٨ : (أي : يُعطون عطاءاً كثيراً أوسع من أن يُحسب ، وأعظم من أن يُحاط به ، لا على قدر أعمالهم) .

حِسَابُ الْحُسَابِ وَلَا يُعْرَفُ^(١) ، وهو حال من الأجر ، أي مؤفراً^(٢) .

﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ ﴾ بأن أعبد الله .

﴿ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ أي : أمرت بإخلاص الدين .

﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ وَأُمِرْتُ بِذَلِكَ لِأَجْلِ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ

المسلمين ، أي : مُقَدِّمَهُمْ وَسَابِقَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، والمعنى : أن الإخلاص له السُّبْقَةُ فِي الدِّينِ فَمَنْ أَخْلَصَ كَانَ سَابِقًا ، فَالْأَوَّلُ : أَمْرٌ بِالْعِبَادَةِ مَعَ الْإِخْلَاصِ ، وَالثَّانِي بِالسُّبْقِ ، فِلَاخْتِلَافِ جِهَتَيْهِمَا نَزْلًا مِنْزِلَةَ الْمَخْتَلِفِينَ فَصَحَّ عَطْفُ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ .

﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ لِمَنْ دَعَاكَ بِالرُّجُوعِ إِلَى

دِينِ آبَائِكَ ، وَذَلِكَ أَنَّ كُفْرَانَ قَرِيشٍ قَالُوا لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَلَا تَنْظُرُ إِلَى أَيْبِكَ وَجَدِّكَ وَسَادَاتِ قَوْمِكَ يَعْبُدُونَ اللَّاتَ وَالْعُزَّى فَنَزَلَتْ^(٣) رَدًّا عَلَيْهِمْ^(٤) . ﴿ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا

لَهُ دِينِي ﴾ فَهَذِهِ الْآيَةُ إِخْبَارٌ بِأَنْ يَخُصَّ اللَّهُ وَحْدَهُ بِعِبَادَتِهِ مُخْلِصًا [لَهُ]^(٥) دِينَهُ دُونَ غَيْرِهِ ،

وَالْأَوَّلَى : إِخْبَارُهُ بِأَنْ مَأْمُورٌ بِالْعِبَادَةِ وَالْإِخْلَاصِ ، فَالْكَلَامُ أَوَّلًا : وَاقِعٌ فِي نَفْسِ الْفِعْلِ

وَإِثْبَاتِهِ ، وَثَانِيًا : فَيَمُنُ يُفْعَلُ الْفِعْلُ لِأَجْلِهِ ، وَلِذَلِكَ رَتَّبَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ : ﴿ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ

مِنْ دُونِهِ ﴾ وَهَذَا أَمْرٌ تَهْدِيدٌ ، وَقِيلَ : لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنْ خَالَفْتَ دِينَ آبَائِكَ فَقَدْ

خَسِرْتَ فَنَزَلَتْ^(٦) : ﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ ﴾ أَي : الْكَامِلِينَ فِي الْخَسِرَانِ الْجَامِعِينَ

(١) الكشاف ج٤ ص ١١٨ ، وإرشاد العقل السليم ج٤ ص ٤٦١ .

(٢) التبيان في إعراب القرآن ج٢ ص ١١٠٩ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ١٨٦ ،

الدر المصون ج٦ ص ١٠ .

(٣) ذكر ذلك : السمرقندي في بحر العلوم ج٣ ص ١٤٦ ، وابن الجوزي في زاد المسير ج٧

ص ١٦٨ ، والخازن في لباب التأويل ج٤ ص ٥٣ .

(٤) يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره ج٤ ص ٧٤ عند هذه الآية : (يقول تعالى قل يا محمد

وأنت رسول الله : ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، وَهَذَا

شَرْطٌ وَمَعْنَاهُ التَّعْرِيفُ بِغَيْرِهِ بِطَرِيقِ الْأَوَّلَى وَالْآخِرَى) .

(٥) ساقط من (أ) .

(٦) انظر : بحر العلوم ج٣ ص ١٤٧ .

لوجوهه وأسبابه .

﴿ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ بإهلاكها في النار .

﴿ وَأَهْلِيهِمْ ﴾ أي : خسروا أهلهم .

﴿ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ لأنهم أضلّوهم فصاروا إلى النار ، ولقد وصف خسرانهم بغاية الفضاة في قوله : ﴿ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ حيث صدرّ الجملة بحرف التنبيه، ووسطَ الفصل بين المبتدأ والخبر ، وعرفّ الخسران ونعته بالمبين ، وذلك لأنهم إستبدلوا بالجنة ناراً وبالدرجات درجات .

﴿ لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ أطباق^(١) .

﴿ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ أطباق من النار ، وهي ظُللٌ لآخرين ، أي : النار محيطة بهم .

﴿ ذَلِكَ ﴾ الذي وُصِفَ من العذاب ، أو ذلك الظلُّ .

﴿ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ﴾ ليؤمنوا به ويجتنبوا مناهيه .

﴿ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴾ ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي، خوّفهم بالنار ثم حذّرهم نفسه .

﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ الشياطين^(٢) ، فعلوت من الطغيان ، كالملكوت والرحموت ، إلا أن فيهما قلباً بتقديم اللام على العين^(٣) ، أطلقت على الشيطان أو الشياطين لكون الطاغوت مصدراً ، وفيها مبالغت وهي : التسمية بالمصدر كأنَّ عين / الشيطان طغيان وأن البناء بناءً مبالغاً ، فإن الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك

(١) بحر العلوم ج٣ ص ١٤٧ ، الوسيط ج٩ ص ٥٧٥ وقال الواحدي رحمه الله : (يعني أطباقاً من النار تلتهب عليهم) .

(٢) هو قول : مجاهد وابن زيد رحمهما الله : النكت والعيون ج٥ ص ١٢٠ ، تفسير القرآن / للسمعاني ج٤ ص ٤٦٣ ، المحرر الوجيز ج١٥ ص ٧٢ ، وذكر ابن عطية رحمه الله أنه قول السدي رحمه الله بالإضافة إلى مجاهد وابن زيد ، زاد المسير ج٧ ص ١٧٠ ، الجامع لأحكام القرآن ج١٥ ص ٢٤٣ .

(٣) أي : في فعلوت .

المبسوط ، والقلب وهو للإختصاص ، إذ لا تطلق على غير الشيطان ، والمراد بهما ههنا الجمع^(١) ، وقرئ الطواغيت^(٢) .

﴿ أَنْ يَعْبُدُوهَا ﴾ بدل إشتغال من الطاغوت^(٣) ، أي : عبادتها^(٤) .

﴿ وَأَنَابُوا ﴾ رجعوا ﴿ إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبَشْرَى ﴾ هي البشارة بالثواب ، تتلقاهم

الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يُحشرون .

﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ هم الذين إجتنبوا

وأنابوا، وإنما أراد بهم أن يكونوا مع الإجتنب والإنابة على هذه الصفة ، فوضع الظاهر

موضع الضمير ، أراد أن يكونوا نقاداً في الدين يميزون بين : الحسن والأحسن والفاضل

والأفضل، فإذا إعترضتهم أمان واجب وندب أختاروا الواجب ، وكذا المباح والندب

حراًصاً على ما هو أقرب عندالله وأكثر ثواباً ، أو يستمعون القرآن وغيره فيتبعون

القرآن، أو يستمعون أوامر الله فيتبعون أحسنها نحو القصص والعفو ونحو ذلك ، أو

يستمعون الحديث مع القوم فيه محاسنٍ ومساوٍ فيحدثُ بأحسن ماسمع ويكفُّ عما

سواه^(٥) .

(١) الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ١٨٧ .

(٢) قراءة للحسن رحمه الله وهي شاذة : المحتسب جـ ٢ ص ٢٣٦ .

(٣) الدر المصون جـ ٦ ص ١١ .

(٤) وذكر الواحدى في أسباب النزول ص ٤٢٦ سبباً لنزول هذه الآية بدون سند حيث قال رحمه

الله : (قال ابن زيد : نزلت في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون : لا إله إلا الله وهم : زيد

بن عمرو ، وأبو ذر الغفاري ، وسلمان الفارسي) وذكره السيوطي : في لباب النقول

ص ١٨٤ و ص ١٨٥ .

(٥) انظر هذه الأقوال : بحر العلوم جـ ٣ ص ١٤٧ ، النكت والعيون جـ ٥ ص ١٢٠ و ص ١٢١ ،

تفسير القرآن / للسمعاني جـ ٤ ص ٤٦٤ ، معالم التنزيل جـ ٧ ص ١١٣ ، المحرر الوجيز

جـ ١٤ ص ٧٣ ، زاد المسير جـ ٧ ص ١٧٠ و ص ١٧١ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥

ص ٢٤٤ ، البحر المحيط جـ ٩ ص ١٩٣ .

وذكر الواحدى لهذه الآية سبباً في كتابه أسباب النزول ص ٤٢٦ حيث قال : (قال عطاء عن

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾ أي: المتنفعون بعقولهم.
 ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتُ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴾ أصل الكلام: أمن
 حق عليه كلمة العذاب، أي: وجب أفأنت تنقذه، جملة شرطية دخلت عليه همزة
 الإنكار، والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التي في أولها للعطف على محذوف تقديره:
 أنت مالك أمرهم فمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذه، والهمزة الثانية هي الأولى
 كررت لتوكيد معنى الإنكار، ووضع من في النار موضع الضمير، أي: تنقذه، فالآية
 على هذا جملة واحدة^(١)، أو معناه: أفمن حق عليه كلمة العذاب ينجو منه فأنت
 تنقذه، أي: لا يقدر أحد أن يُنقذ من أضله الله وسبق في علمه أنه من أهل النار^(٢).

﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ ﴾ أي: لهم منازل في الجنة
 رفيعة وفوقها منازل أرفع منها^(٣)، يعني: للكفار ظلل من النار وللمتقين غُرَفٌ ﴿ مَبْنِيَّةٌ ﴾

← ابن عباس رضي الله عنهما: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه، آمن بالنبي ﷺ وصدقه، ف جاء
 عثمان وعبدالرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعيد وزيد وسعد بن أبي وقاص، فسألوه
 فأخبرهم بإيمانه فأمنوا، ونزلت فيهم: ﴿ فبشر عباد الذين يستمعون القول ﴾ قال: يريد من
 أبي بكر: ﴿ فيتبعون أحسنه ﴾، قال أبو حيان رحمه الله في البحر المحيط جـ ٩ ص ١٩٢
 بعد أن ذكر سبب النزول: (وهي محكمة في الناس إلى يوم القيامة)، وقال ابن كثير رحمه
 الله في تفسيره جـ ٤ ص ٧٤: (والصحيح أنها شاملة لهم ولغيرهم ممن اجتنب عبادة الأوثان
 وأتاب إلى عبادة الرحمن).

قلت: فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

(١) الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ١٨٨، الدر المصون جـ ٥ ص ١٢.

(٢) يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره جـ ٤ ص ٧٥: (يقول تعالى: أفمن كتب الله أنه شقي
 تقدر تنقذه مما هو فيه من الضلال والهلاك؟ أي: لا يهديه أحد من بعد الله، لأنه من يضل
 الله فلا هادي له، ومن يهده فلا مضل له).

(٣) فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف
 من فوقهم كما تتراءون الكواكب الدرّى الغابر في الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما
 بينهم)) قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: ((بلى والذي نفسي
 بيده))

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿١﴾ أي : من تحت منازلها .

﴿ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِعَادَ ﴾ وعد مصدر مؤكّد^(١) ، لأن قوله : لهم غرف

في معنى وعدهم الله ذلك .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ يعني المطر ، وقيل : كل ماء في

الأرض فهو من السماء ينزل منها إلى الصخرة ثم يقسمه الله^(٢) .

﴿ فَسَلَكَهُ ﴾ فأدخله .

﴿ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ﴾ عيوناً ومسالك ومجاري كالعروق في الأجساد ، نُصِبَ

على الحال ، أو على الظرف ، وفي الأرض صفةً لنبايع^(٣) .

﴿ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ ﴾ بالماء . ﴿ زُرْعًا / مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ﴾ هيئاته من خضرة وحُمْرة

وصُفْرة وبياض ، أو أصنافه من بُرٍ وشعير وسِمْسِمٍ وغير ذلك .

﴿ ثُمَّ يَهِيْجُ ﴾ يَجِفُّ . ﴿ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ﴾ بعد نضارته وحُسْنِهِ .

◀ بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » .

أخرجه البخاري في صحيحه جـ ٢ ص ١٠٠٤ كتاب بدء الخلق باب ماجاء في صفة الجنة ، وأخرجه مسلم في صحيحه جـ ٤ ص ١٧٢٦ كتاب الجنة وصفة نعيمها باب : ترائي أهل الجنة الغرف كما يرى الكوكب في السماء .

(١) إعراب القرآن / للنحاس جـ ٢ ص ٨١٥ ، التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١١١٠ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ١٨٨ وقال الهمداني : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ ﴾ مصدر مؤكّد لفعله ، وفعله محذوف دل عليه : ﴿ لهم غرف ﴾ والتقدير : وعدهم الله تلك الغرف (، الدر المصون جـ ٥ ص ١٢ .

(٢) قال الشعبي رحمه الله : (كل ماء عذب في الأرض فمن السماء نزل) انظر : معالم التنزيل جـ ٧ ص ١١٤ ، المحرر الوجيز جـ ١٥ ص ٧٤ ، زاد المسير جـ ٧ ص ١٧٢ ، لباب التأويل جـ ٤ ص ٥٤ ، إرشاد العقل السليم جـ ٤ ص ٤٦٤ وذكر عبارة النسفي رحمه الله ، روح المعاني جـ ٢٣ ص ٢٥٦ .

(٣) الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ١٨٩ .

﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ﴾ فتاتاً متكسراً، فالحطام: ما تفتت وتكسر من النبت وغيره^(١).

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ ﴾ في إنزال الماء وإخراج الزرع .

﴿ لَذِكْرَى لَأُولَى الْأَبَابِ ﴾ لتذكيراً وتنبهاً على أنه لا بد من صانع حكيم ، وأن

ذلك كائن عن تقدير وتدبير لاعن إهمال وتعطيل^(٢) .

﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ ﴾ أي : وسع صدره .

﴿ لِلْإِسْلَامِ ﴾ فأهتدى ، وسئل رسول الله ﷺ عن الشرح فقال : « إذا دخل النور

القلب إنشرح وإنفسح » فقليل : هل له علاقة ؟ قال : « نَعَمْ : الإنابة إلى دار الخلود ،

والتجافي عن دار الغرور ، والإستعداد للموت قبل نزول الموت »^(٣) .

(١) معاني القرآن / للزجاج ج٤ ص ٣٥١ .

(٢) يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره ج٤ ص ٧٧ : (أي : الذين يتذكرون بهذا فيعتبرون إلى

أن الدنيا هكذا تكون خضرة نضرة حسناء ، ثم تعود عجوزاً شوهاء ، والشاب يعود شيخاً هرمًا كبيراً ضعيفاً وبعد ذلك كله الموت ، فالسعيد : من كان حاله بعده إلى خير ، وكثيراً ما يضرب الله تعالى مثل الحياة الدنيا بما ينزل الله من السماء من ماء وينبت به زروعاً وثماراً ثم يكون بعد ذلك حطاماً) .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک ج٤ ص ٣١١ كتاب الرقاق وسكت عنه الحاكم وتعقبه الذهبي

فقال : عدي بن الفضل ساقط ، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان في الباب الحادي والسبعين ج٧ ص ٣٥٢ ، وأخرجه أبو عبد الله الترمذي الحكيم في نوادر الأصول ج١ ص ٢٧٤ ، الأصل السادس والثمانين ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، مطبعة دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى عام ١٤١٣ هـ .

وقال ابن حجر في الكاف الشاف ص ١٤٣ : (وفي إسناده إبراهيم بن يحيى وهو ضعيف وقال رواه الثعلبي والحاكم والبيهقي في الشعب من حديث بن مسعود وفيه أبو فروة الرهاوي فيه كلام) .

وذكره الزيلعي في تخريج أحاديث تفسير الكشاف ج٣ ص ٢٠٢ و ص ٢٠٣ : وأن ابن مردويه رواه في تفسيره وكذلك الثعلبي .

وذكره السيوطي في الدر المنثور ج٧ ص ٢١٩ وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة .

﴿ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ بيان وبصيرة ، والمعنى : أفمن شرح الله صدره فأهتدى كمن طبع على قلبه فقسا قلبه فَحَدَفَ لِأَنَّ قَوْلَهُ : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ يدل عليه^(١) .

﴿ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ أي : مِّن تَرْكِ ذِكْرِ اللَّهِ ، أو مِّنْ أَجْلِ ذِكْرِ اللَّهِ ، أي : إذا ذُكِرَ اللَّهُ عندهم أو آياته إزدادت قلوبهم قساوةً كقوله : ﴿ فَزَادَتْهُمْ رَجْسًا إِلَىٰ رَجْسِهِمْ ﴾^(٢) .

﴿ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ غواية ظاهرة .

﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴾ في إيقاع إسم الله مبتدأ وبناء نَزَّلَ عليه تفخيم لأحسن الحديث^(٣) .

﴿ كِتَابًا ﴾ بدل من أحسن الحديث ، أو حال منه^(٤) .

(١) وقال السمرقندي في بحر العلوم جـ ٣ ص ١٤٨ : (يعني لمن قست ويست قلوبهم .. ويقال القاسية : الخالية من الخير) باختصار ، وقال البغوي في معالم التنزيل جـ ٧ ص ١١٥ : (قال مالك بن دينار ما ضُربَ عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلب ، وما غَضِبَ الله عزوجل على قوم إلا نزع منهم الرحمة) .

(٢) سورة التوبة آية : ١٢٥ .

(٣) يقول السمرقندي في بحر العلوم جـ ٣ ص ١٤٨ : (يعني أحكم الحديث ، وهو القرآن) ، وقال الخازن رحمه الله في لباب التأويل جـ ٤ ص ٥٥ : (يعني القرآن : وكونه أحسن الحديث لوجهين : أحدهما من جهة اللفظ ، والآخر من جهة المعنى ، أما الأول : فلأن القرآن من أفصح الكلام وأجزله وأبلغه وليس هو من جنس الشعر ولا من جنس الخطب والرسائل ، بل هو نوع يخالف الكل في أسلوبه ، وأما الوجه الثاني : وهو كون القرآن من أحسن الحديث لأجل المعنى : فلأنه كتاب منزله عن التناقض والإختلاف ، مشتمل على أخبار الماضين وقصص الأولين ، وعلى أخبار الغيوب الكثيرة ، وعلى الوعد والوعيد ، والجنة والنار) .

(٤) التبيان في إعراب القرآن جـ ٢ ص ١١١٠ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ١٩٠ ،

الدر المصون جـ ٦ ص ١٣ .

﴿ مُتَشَابِهًا ﴾ يُشْبَهُ بعض بعضاً فى : الصدق والبيان والوعظ والحكمة والإعجاز وغير ذلك .

﴿ مَثَانِي ﴾ نعت كتاباً ، جمع مُثْنَى مُرَدِّدٍ ، ومكررٍ لِمَا ثَنَى من قصصه ، وأنبائه ، وأحكامه ، وأوامره ، ونواهيه ، ووعده ، ووعيده ، ومواعظه ، فهو بيانٌ لكونه متشابهاً لأن القصص المكررة وغيرها لا تكون إلا متشابهه ، وقيل : لأنه يُثْنَى فى التلاوة فلا يُمل ، وإنما جاز وصف الواحد بالجمع لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل ، وتفاصيل الشيء : هى جملته ألا تراك تقول القرآن أسباع وأحماس وسور وآيات ، فكذلك تقول : أقاصيص وأحكام ومواعظ مكررات ، أو منصوب على التمييز من متشابها كما تقول رأيت رجلاً حسناً شمائل^(١) ، والمعنى : متشابهاً مثانيه^(٢) ، ﴿ تَقَشَّرُ ﴾ تضطرب وتتحرك .

﴿ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ ويقال : إقشعرَّ الجلد إذا تقبض تقبضاً شديداً ، والمعنى : أنهم إذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده أصابتهم خشيته تقشعرُّ منها جلودهم ، وفى الحديث : « إِذَا أَقْشَعَرَ جِلْدُ الْمُؤْمِنِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَحَاتَّتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا يَتَحَاتُّ عَنِ الشَّجَرَةِ الْيَابِسَةِ وَرَقُّهَا »^(٣) .

(١) إعراب القرآن / للنحاس جـ ٢ ص ٨١٦ ، الفريد فى إعراب القرآن المجيد جـ ٤ ص ١٩٠ ، الدر المصون جـ ٦ ص ١٣ .

(٢) انظر الأقوال ؛ معانى القرآن / للنحاس جـ ٦ ص ١٦٩ ، بحر العلوم جـ ٣ ص ١٤٨ ، النكت والعيون جـ ٥ ص ١٢٣ ، وذكر الماوردي رحمه الله فى معنى : ﴿ مَثَانِي ﴾ سبعة تأويلات ، تفسير السمعاني جـ ٤ ص ٤٦٦ ، معالم التنزيل جـ ٧ ص ١١٥ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ٤٢٩ ، البحر المحيط جـ ٩ ص ١٩٥ ، تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٧٧ .

(٣) أخرجه المنذرى فى الترغيب والترهيب جـ ٤ ص ٢٣٤ بصيغة التمرىض عن العباس بن عبدالمطلب رضى الله عنه عن النبي ﷺ وقال المنذرى : (رواه الشيخ ابن حبان فى الثواب) ، مطابع قطر الوطنية ، عنى بطبعه ونشره الشيخ : عبدالله إبراهيم الأنصارى رحمه الله . وذكره السيوطى فى الجامع الصغير جـ ٣٤ ص ٣٥ بلفظ : « إِذَا أَقْشَعَرَ جِلْدُ الْعَبْدِ .. » ورمز إليه بالضعف ، مطبعة دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى عام ١٤١٠ هـ .

﴿ ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ أي : إذ ذُكِرَت آيات الرحمة لانت جلودهم وقلوبهم ، وزال عنها ما كان [بها] ^(١) من الخشية والقشعريرة ، وَعَدِّي بِإِلَى لتضمُّنه معنى فِعْلٍ متعديٍّ بِإِلَى ، كأنه قيل : اطمأنت إلى ذكر الله لِيِنَّةً غير منقبضة ، أو إقتصر / على ذكر الله مِنْ غير ذكر الرحمة ، لأنَّ رحمته سبقت غضبه فَلأَصَالَةِ ^(٢) رحمته إذا ذُكِرَ الله لم يخطر بالبال إلا كونه رؤوفاً رحيماً ، وذكرت الجلود وحدها أولاً ثم قُرِنَتْ بها القلوب ثانياً لأن محل الخشية القلب فكان ذكرها يتضمن ذكر القلوب .

﴿ ذَلِكْ ﴾ إشارة إلى الكتاب وهو : ﴿ هُدَى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ من عباده ، وهو من عَلِمَ منه ^(٣) إختيار الإهداء ^(٤) .

﴿ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ ﴾ يخلق الضلالة فيه .

﴿ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ إلى الحق .

﴿ أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ كمن أَمِنَ من العذاب ، فحذف الخبر كما حُذِفَ في نظائره ، وسوء العذاب : شِدَّتُهُ ، ومعناه : أن الإنسان إذا لقي مَخُوفاً من المخاوف إستقبله بيده وطلب أن يَقِيَّ بها وجهه لأنه أعزُّ أعضائه عليه ، والذي يُلقى في النار يُلقى مغلولاً يداؤه إلى عنقه فلا يتهيأ له أن يتقيَّ النار إلا بوجهه الذي كان يتقيَّ المخاوف بغيره وقايةً له ومحاماةً عليه .

← وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣١٠ : (رواه البزار ، وفيه أم كلثوم بنت العباس ، ولم أعرفها وبقية رجاله ثقات) ، وذكره الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته ص ٥٦ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ج ٧ ص ٢٢٢ .

(١) في من (أ) : منها .

(٢) أي : أنها الأصل .

(٣) في اب،، والمطبوع (منهم) .

(٤) يقول الألويسي في روح المعاني ج ٢٣ ص ٢٦٠ : (أي : من يشاء الله تعالى هدايته بأن يوفقه

سبحانه للتأمل فيما تضاعفه من شواهد الحقيقة ودلائل كونه من عنده عزوجل) .

﴿ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ﴾ أي : تقول لهم خزنة النار . ﴿ ذُوقُوا ﴾ وبال . ﴿ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ أي : كسبكم .

﴿ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ من قبل قريش .

﴿ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِن حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها ، بيناهم آمنون إذ فوجئوا من مأمئهم .

﴿ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ ﴾ الذل ، والصغار ، كالمسخ ، والخسف ، والقتل ، والجلاء ونحو ذلك من عذاب الله .

﴿ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ ﴾ من عذاب الدنيا .

﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ لآمنوا .

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ليتعظوا .

﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ حال مؤكدة كما تقول جاءني زيد رجلاً صالحاً وإنساناً عاقلاً فتذكر رجلاً أو إنساناً توكيداً ، أو نصب على المدح^(١) .

﴿ غَيْرِ ذِي عِوَجٍ ﴾ مستقيماً بريئاً من التناقض والاختلاف ، ولم يقل مستقيماً للإشعار بأن لا يكون فيه عوج قط ، وقيل المراد بالعوج : الشك .

﴿ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ الكفر .

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا ﴾ بدل^(٢) .

﴿ فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ ﴾ متنازعون ومختلفون .

﴿ وَرَجُلًا سَلَمًا ﴾ مصدر^(٣) سلِمَ والمعنى ذا سلامة .

﴿ لَرَجُلٍ ﴾ أي : ذا خلوص له من الشركاء ، سالماً مكي

(١) انظر : اعراب القرآن / للنحاس ج٢ ص ٨١٧ ، التبيان في اعراب القرآن ج٢ ص ١١١١ ، الفريد في اعراب القرآن المجيد ج٤ ص ١٩٠ ، الدر المصون ج٦ ص ١٣ .

(٢) التبيان في اعراب القرآن ج٢ ص ١١١١ وقال العكبري : (رجلاً بدل من مثل) ، الفريد في اعراب القرآن المجيد ج٤ ص ١٩٠ .

(٣) الفريد في اعراب القرآن المجيد ج٤ ص ١٩١ ، الدر المصون ج٦ ص ١٤ و ص ١٥ .

وأبو عمرو^(١) ، أي : خالصاً له .

﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾ صفة، وهو تمييز^(٢) ، والمعنى : هل تستوي صفاتهما وحالهما ، وإنما إقتصر في التمييز على الواحد لبيان الجنس ، وقرئ (مَثَلَيْنِ)^(٣) .

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ الذي لا إله إلا هو .

﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فيشركون به غيره ، مثل الكافر ومعبوديه بعد إشتراك فيه شركاء بينهم تنازع وإختلاف وكل واحد منهم يدعي أنه عبده ، فهم يتجادبونه ويتعاورنه^(٤) في مهن شتى وهو متحير لا يدري أيهم يرضي بخدمته ، وعلى أيهم يعتمد في حاجاته ، وممن يطلب رزقه ، وممن يلتمس رفقه ، فهمه شعاع ، وقلبه أوزاع ، والمؤمن بعد له سيد واحد فهمه واحد وقلبه مجتمع .

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ ﴾ أي : ستموت . ﴿ وَإِنَّهُمْ / مَيِّتُونَ ﴾ وبالتخفيف من حل به الموت ، قال الخليل^(٥) : أنشد أبو عمرو^(٦) :

وتسألني تفسير مَيِّتٍ ومَيِّتٍ فدونك قد فسرتُ إن كنتَ تعقلُ
فَمَنْ كَانَ ذَا رُوحٍ فَذَلِكَ مَيِّتٌ وما المَيِّتُ إلا مَنْ إلى القبرِ يُحْمَلُ^(٧)

(١) الحجة في القراءات السبع / لابن خالويه ص ٣٠٩ ، التلخيص ص ٣٩٠ ، والموضح ج ٣

ص ١١١٢ و ص ١١١٣ ، النشر ج ٢ ص ٣٦٢ ، والإتحاف ج ٢ ص ٤٢٩ .

(٢) الفريد في إعراب القرآن المجيد ج ٤ ص ١٩١ ، الدر المصون ج ٦ ص ١٥ .

(٣) البحر المحيط ج ٩ ص ١٩٨ ، أنور التنزيل ج ٢ ص ٣٢٥ ، روح المعاني ج ٢٣ ص ٣٦٣ .

(٤) يتعاورنه: قال ابن منظور في لسان العرب ج ٤ ص ٦١٨: (العاريه، والعارة: ماتداولوه بينهم، وقد أعاره

الشيء، وعاوره إياه، والمعاورة، والتعاور: شبه المداولة، والتداول في الشيء يكون بين اثنين). مادة: عور.

(٥) سبق ترجمته ص ٢٨٠ .

(٦) أبو عمرو : سبق ترجمته ص ٢٦١ .

(٧) لم أقف عليه .

كانوا يتربصون برسول الله ﷺ موته فأخبر أن الموت يعمهم فلا معنى للتربص
وشماتة الباقي^(١) بالفاني ، وعن قتادة رحمه الله^(٢) : نعى إلى نبيه نفسه ونعى إليكم
أنفسكم^(٣) ، أي : إنك وإياهم في عداد الموتى لأن ما هو كائن فكأن قد كان .

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ ﴾ أي : إنك وإياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب .

﴿ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ فتحتج أنت عليهم بأنك بلغت فكذبوا
وأجتهدت في الدعوة ، فلجؤا في العناد ، ويعتذرون بما لا طائل تحته ، تقول الأتباع :
أطعنا ساداتنا وكبرائنا ، وتقول السادات : أغوتنا الشياطين وأباؤنا الأقدمون ، قال
الصحابة رضون الله عليهم : ما خصومتنا ونحن إخوان ؟ فلما قُتل عثمان رضي الله عنه
قالوا هذه خصومتنا^(٤) ، وعن أبي العالية^(٥) : نزلت في أهل القبلة وذلك في الوفاء
والمظالم التي بينهم^(٦) ، والوجه هو الأول الا ترى إلى قوله : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ

(١) في المطبوع : الفاني .

(٢) سبقت ترجمته ص ١٢١ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ٢٥٤ ، وانظر لباب التأويل جـ ٤ ص ٥٦ ، وذكره السيوطي
في الدر المنثور جـ ٧ ص ٢٢٦ وقال : أخرجه عبد بن حميد .

(٤) ذكره عبدالرزاق في تفسيره جـ ٢ ص ١٤٠ ، والطبري في جامع البيان جـ ٢٤ ص ٢ ، وقال
الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف جـ ٣ ص ٢٠٤ : (رواه عبدالرزاق والطبري والتعلي في
تفاسيرهم ونسب القول إلى إبراهيم النخعي) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥
ص ٢٥٥ .

(٥) أبو العالية : رُفيع بن مهران بالتصغير ، الإمام المقرئ ، الحافظ المفسر ،
الرياحي البصري ، أحد الأعلام ، أدرك زمان النبي ﷺ وهو شاب ، وأسلم في
خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ودخل عليه من الطبقة الثانية وأختلف في
سنة وفاته ، فقيل سنة تسعين ، وقيل سنة ثلاث وتسعين وقيل : بعد ذلك . سير
أعلام النبلاء جـ ٤ ص ٢٠٧ ، شذرات الذهب جـ ١ ص ٢٠١ ، تقريب التهذيب
ص ٢١٠ .

(٦) انظر : بحر العلوم جـ ٣ ص ١٥٠ ، البحر المحيط جـ ٩ ص ١٩٩ .

عَلَى اللَّهِ ﴿ وقوله: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾^(١) ، وما هو إلا بيان وتفسير للذين تكون بينهم الخصومة ، كَذَبَ عَلَى اللَّهِ : إفتري على الله باضافة الولد والشريك إليه .

﴿ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ ﴾ بالأمر الذي هو الصدق بعينه ، وهو ماجاء به محمد ﷺ .

﴿ إِذْ جَاءَهُ ﴾ فأجاء بالتكذيب لما سمع من غير وقفة لإعمال رَوِيَةٍ ، أو إهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل أهل النُصْفَةِ فيما يسمعون .

﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ أي : لهؤلاء الذين كذبوا على الله ، وكذبوا بالصدق ، واللام في الكافرين إشارة إليهم .

﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ هو : رسول الله ﷺ جاء بالحق وآمن به وأراد به إياه ، ومن تبعه ، كما أراد بموسى إياه وقومه في قوله ﴿ وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾^(٢) ، فلذا قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ وقال الزجاج^(٣) : روي عن علي رضي الله عنه أنه قال : والذي جاء بالصدق محمد رسول الله ﷺ والذي صدَّقَ به أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وروي أن الذي جاء بالصدق [جبريل ، والذي صدَّقَ به محمد صلى الله عليهما وروى أن الذي جاء بالصدق]^(٤) محمد رسول الله ﷺ والذي صدق به المؤمنون والكل صحيح ، كذا قاله^(٥) ، قالوا : والوجه في العريية أن يكون جاء وصدَّقَ لفاعل واحد ، لأن التغاير يستدعي إضمار الذي وذا غيرُ جائز ، أو إضمار الفاعل من غير تقدم الذكر وذا بعيدٌ .

﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ، لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ إضافة أسوأ وأحسن من إضافة

(١) نفس السورة رقم : ٣٣ .

(٢) سورة المؤمنون آية : ٤٩ .

(٣) سبق ترجمته ص ٤٧ .

(٤) ما بين القوسين تكمله من كتاب معاني القرآن / للزجاج ج ٤ ص ٣٥٤ ليستقيم المعنى .

(٥) معاني القرآن ج ٤ ص ٣٥٤ ، وانظر هذه الأقوال : في المحرر الوجيز ج ٤ ص ٨٤

وص ٨٥ ، والجامع لأحكام القرآن ج ١٥ ص ٢٥٦ ، والدر المنثور ج ٨ ص ٢٢٨ .

الشيء إلى ما هو بعضه من غير تفصيل^(١) ، كقولك : الأشجج أعدل بني مروان^(٢) .

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ ﴾ أدخلت همزة الإنكار على كلمة النفي فأعيد معنى إثبات

الكفاية وتقريرها .

[١٦٦/أ] / ﴿ عَبْدُهُ ﴾ أي محمداً ﷺ ، (عِبَادَةٌ) حمزة وعلي^(٣) ، أي : الأنبياء والمؤمنين وهو

مثل : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾^(٤) ، ﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ أي :

بالأوثان التي إتخذوها من دونه ، وذلك أن قريشاً قالت لرسول الله ﷺ : إنا نخاف أن

تُحِبِّكَ آلِهَتِنَا ، وإنا نخشى عليك مضرَّتها لعيبك إياها^(٥) .

﴿ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ، وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ

بِعَزِيزٍ ﴾ بغالب منيع .

﴿ ذِي انتِقَامٍ ﴾ ينتقم من اعدائه ، وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بأنه ينتقم لهم

منهم وينصرهم عليهم ، ثم اعلم بأنهم مع عبادتهم الأوثان مُقِرُّونَ بأن الله خالق

السموات والأرض بقوله : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ

قُلْ أفرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِسُوءٍ لَيْسَ لَهُ شَافِعٌ عِنْدَ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِي ظَنَرْتُمْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ كُفَّارًا ﴾ بفتح الياء سوى حمزة^(٦) .

(١) الدر المصون ج٦ ص ١٦ وفيه : (الأشجج والناقص أعدل بني مروان) .

(٢) الأشجج : هو عمر بن عبدالعزيز رحمه الله ، وذكر أهل السير أنه له شجرة في رأسه فلقَّبَ بها ،

وقد سبقت ترجمته ص ١٨٢ .

(٣) الحجة فى القراءات السبع ص ٣٠٩ و ص ٣١٠ ، التلخيص ص ٣٩٠ ، الموضح ج٣

ص ١١١٣ ، النشر ج٢ ص ٣٦٢ و ص ٣٦٣ ، الإتحاف ج٢ ص ٤٢٩ .

(٤) سورة الحجر آية : ٩٥ .

(٥) أخرجه عبدالرزاق فى تفسيره ج٢ ص ١٤١ بسنده عن قتاده رحمه الله ، وذكره : النحاس فى

معانى القرآن ج٦ ص ١٧٧ ، والواحدى فى الوسيط ج٣ ص ٥٨٢ ، والبغوي فى معالم

التنزيل ج٧ ص ١٢٠ ، والقرطبي فى الجامع لأحكام القرآن ج١٥ ص ٢٥٨ ، وذكره السيوطي

فى الدر المنثور ج٧ ص ٢٢٩ ونسبه لابن المنذر عن قتادة رحمه الله .

(٦) التلخيص ص ٣٩٢ قال أبو معشر الطبرى : (سَكَّنَ حمزة ﴿ أَرَادَنِيَ اللَّهُ ﴾) ، الموضح ج٣

ص ١١١٩ ، النشر ج٢ ص ٣٦٤ ، الإتحاف ج٢ ص ٤٢٩ .

﴿بِضْرٌ﴾ مرض ، أو فقر ، أو غير ذلك ^(١) .

﴿هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ دافعات شدته عني .

﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ﴾ صحة ، أو غنى ، أو نحوهما .

﴿هَلْ هُنَّ مُمَسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ كاشفات ضره ، وممسكات رحمته بالتنوين على

الأصل بصري ^(٢) ، وفرض المسألة في نفسه دونهم لأنهم خوفوه معرفة ^(٣) الأوثان وتخيلها ، فأمر بأن يقرّرهم أولاً بأن خالق العالم هو الله وحده ، ثم يقول لهم بعد التقرير فإن أرادني خالق العالم الذي أقررتهم به بضر أو برحمة هل تقدرّون على خلاف ذلك ، فلما أفحمهم قال الله تعالى : ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ كافياً لمعرفة أوثانهم .

﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ يروى أن النبي ﷺ سألهم ، فسكتوا ، فنزل ؛ قل

حسبي الله ^(٤) ، وإنما قال : كاشفات وممسكات على التأنيث بعد قوله : ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ لأنهن إناث وهن اللات والعزى ومناة ، وفيه تهكّم بهم وبمعبودهم .

﴿قُلْ يَا قَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَيَّ مَكَانَتِكُمْ﴾ على حالكم التي أنتم عليها ، وجهتكم من

العداوة التي تمكنتم منها ، والمكانة : بمعنى المكان فأستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار : هنا وحيث للزمان وهما للمكان .

﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ أي : على مكاتي وحذيف للإختصار ، ولما فيه من زيادة الوعيد ،

والإيدان بأن حالته تزداد كل يوم قوة ، لأن الله ناصره ومعينه ألا ترى إلى قوله :

(١) يقول السمرقندي في بحر العلوم جـ ٣ ص ١٥٢ : (يعني : إن أصابني الله ببلاء ، ومرض في جسدي ، وضيق في معيشتي ، أو عذاب في الآخرة) .

(٢) الحجة في القراءات السبع ص ٣١٠ ، التلخيص ص ٣٩٠ ، الموضح جـ ٣ ص ١١١٤ ، النشر جـ ٢ ص ٣٦٣ ، الإتحاف جـ ٢ ص ٤٣٠ .

(٣) معرفة : لها عدة معان في اللغة كما ذكر ذلك بن منظور في لسان العرب جـ ٤ ص ٥٥٦ : فقال أن المعرفة : الإثم ، والمعرفة بالأذى ، والمعرفة الجناية ، والمعرفة الغرم ، مادة : عرر .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ٢٥٩ ، ولباب التأويل جـ ٤ ص ٥٨ ، وأنوار التنزيل جـ ٢ ص ٣٢٦ ، وروح المعاني جـ ١٢ ص ٦ ، ونسبه الألوسى إلى مقاتل رحمه الله .

﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ، مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ كيف تورعدهم بكونه منصوراً عليهم غالباً عليهم في الدنيا والآخرة ، لأنهم إذا أتاهم الخزي والعذاب فذاك عزّه وغلبته من حيث إن الغلبة تتم له بعزّ عزيز من أوليائه وبذلّ ذليل من اعدائه ، ويخزيه : صفة للعذاب كمقيم ، أي : عذاب مُخزٍ له وهو يومٌ بدر ، وعذاب دائم وهو عذاب النار ، (مَكَانَاتِكُمْ) : أبو بكر وحماد^(١) .

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ القرآن .

﴿ لِلنَّاسِ ﴾ لأجلهم ولأجل حاجتهم إليه لِيُبَشِّرُوا وَيُنذِرُوا فتقوى دواعيهم إلى إختيار الطاعة على المعصية .

/ ﴿ بِالْحَقِّ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ﴾ فمن إختار الهدى فقد نفع نفسه .

﴿ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ ومن أختار الضلالة فقد ضرها .

﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾ بحفيظ ، ثم أخبر بأنه الحفيظ القدير عليهم بقوله : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ الأنفس: الجمل كما هي ، وتوفيها إمامتها ، وهي أن تُسَلَّب ما هي به حية حساسة درآكة .

﴿ وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها ، أي : يتوفاها حين تنام تشبيهاً للنائمين بالموتى حيث لا يُمَيِّزُونَ ولا يتصرفون كما أن الموتى كذلك ، ومن قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ ﴾^(٢) .

﴿ فَيَمْسِكُ ﴾ الأنفس ، ﴿ الَّتِي قَضَى ﴾ (قَضَى) حمزة وعلي^(٣) .

﴿ عَلَيْهَا الْمَوْتَ ﴾ الحقيقي ، أي : لا يرُدُّها في وقتها حية .

﴿ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ ﴾ النائمة .

(١) الحجة في القراءات السبع ص ١٤٩ و ص ١٥٠ ، التلخيص ص ٢٦١ ، النشر ج ١ ص ٦٣ ، عند سورة الأنعام آية ١٣٥ ، الإتحاف ج ٢ ص ٤٣٠ .

(٢) سورة الأنعام آية : ٦٠ .

(٣) الحجة في القراءات السبع ص ٣١٠ ، التلخيص ص ٣٩٠ ، الموضح ج ٣ ص ١١١٤ و ص ١١١٥ ، النشر ج ٢ ص ٣٦٣ ، الإتحاف ج ٢ ص ٤٣٠ .

﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ﴿﴾ إلى وقتِ ضَرْبِهِ لموتِها ، وقيل يتوفى الأنفس ، أي : يستوفىها ويقبضها وهي الأنفس التي تكون معها الحياة والحركة ، ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها وهي أنفس التمييز ، قالوا : فالتى تتوفى في النوم : هي نفس التمييز لانفس الحياة لأنَّ نَفْسَ الحياة إذا زالت زال معها النَّفْسُ والنائم يتنفس ، ولكل إنسان نَفْسَانِ : أحدهما نَفْسُ الحياة : وهي التى تُفَارِقُ عند الموت ، والأخرى نفس التمييز وهي التى تفارقه إذا نام^(١) ، وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما : في ابن آدم نفس وروح [بينهما]^(٢) مثل شعاع الشمس ، فالنفس التي بها العقل والتمييز ، والروح التي بها النفس والتحرك فإذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه^(٣) ، وعن عليٍّ رضي الله

(١) يقول ابن عطية رحمه الله حول هذا الموضوع في المحرر الوجيز جـ ١٤ ص ٨٨ : (وكثرت فرقة في هذا الآية وفي هذا المعنى ففرقت بين النفس والروح ، وفرق قوم أيضاً بين نفس التمييز ونفس التخيل إلى غير ذلك من الأقوال التي هي غلبة ظن ، وحقيقة الأمر في هذا هي مما استأثر الله به غيبه عن عباده في قوله : ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ .. فظاهر أن التفصيل والخوض في هذا كله عناء ، وإن كان قد تعرض القول في هذا ونحوه أئمة ...) .
وقال أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط جـ ١ ص ٢٠٧ : (والخوض في هذا وطلب إدراك ذلك على جليته عناء ولا يُوصَلُ إلى ذلك) .

ومن الملاحظ أن المفسرين ذكروا أقوالاً حول هذه الآية ، ولكن الإمام ابن كثير رحمه الله لم يطول عند هذه المسألة لأنها من الأمور الغيبية حيث قال في تفسيره جـ ٤ ص : (قال تعالى : مخبراً عن نفسه الكريمة بأنه المتصرف في الوجود بما يشاء ، وأنه يتوفى الأنفس الوفاة الكبرى بما يرسل من الحفظة الذين يقبضونها من الأبدان ، والوفاة الصغرى عند المنام كما قال تعالى : ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ..﴾ (الآية) سورة الأنعام آية ٦٠ ، ولابن القيم كلاماً نحو هذا في كتاب القيم الروح : ص ٥٠ و ص ٥١ ، مطبعة دار الكتاب العربي ، تحقيق ودراسة د. السيد الجميلي ، الطبعة الرابعة عام ١٤١٠ هـ . فليرجع إليه لتمام الفائدة .

قلت : فعدم الخوض في مثل الأمور أفضل وأسلم .

(٢) ساقط من (أ) وفي المطبوع : (فيهما شعاع) .

(٣) قال الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف : (غريب جداً) جـ ٣

عنه قال : تخرجُ الروحُ عند النوم ويبقى شعاعها في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فإذا [انتبه] ^(١) من النوم عاد الروح إلى جسده بأسرع من لحظه ، وعنه رضي الله عنه : ما رأت نفس النائم في السماء فهي الرؤيا الصادقة ومارأت بعد الإرسال فيلقبها الشيطان فهي كاذبه ^(٢) ، وعن سعيد بن جبير رحمه الله ^(٣) : أن أرواح الأحياء وأرواح الأموات تلتقي في المنام فيتعارف منها ما شاء الله أن يتعارف ، فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجسادها إلى إنقضاء مدة حياتها ^(٤) ، وروي : أن أرواح المؤمنين تعرج عند النوم في السماء فمن كان طاهراً أُذِن له في السجود ، ومن لم يكن منهم طاهراً لم يُؤذَن له فيه ^(٥) .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ ﴾ إن في توفي الأنفس مائةً ونايئةً وإرسالها إلى أجل :
﴿ لآيَاتٍ ﴾ على قدرة الله وعلمه .

⇐ ص ٢٠٥ ، وقال ابن حجر في الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف : (لم أجده) ص ١٤٣ وذكره ابن الجوزي في زاد المسير جـ ٧ ص ١٨٦ ، بدون سند ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن جـ ٥ ص ٢٦١ .

(١) في (أ) : بُبِّه .

(٢) النكت والعيون جـ ٣ ص ١٢٩ ، والجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ٢٦٠ ، ومعالم التنزيل جـ ٧ ص ١٢٢ ، ولباب التأويل جـ ٤ ص ٥٩ ، روح المعاني جـ ٢٤ ص ٨ و ص ٩ .

(٣) سعيد بن جبير : ابن هشام الإمام الحافظ ، المقرئ ، المفسر ، الشهيد ، أبو محمد ، ويقال : أبو عبدالله الأسدي الوالبي ، مولاهم الكوفي ، أحد الأعلام قرأ القرآن على ابن عباس ، وقد قتله الحجاج كما هو معروف وهو من الطبقة الثالثة ، وكان قتله في شعبان سنة خمس وتسعين . سير أعلام النبلاء جـ ٤ ص ٣٢١ وقد أطال الإمام الذهبي في ترجمته فليعد إليه لتمام الفائدة ، شذرات الذهب جـ ١ ص ١٠٨ ، تقريب التهذيب ص ٢٣٤ .

(٤) معاني القرآن / للنحاس جـ ٢ ص ١٧٩ ، بحر العلوم جـ ٣ ص ١٥٣ ، النكت والعيون جـ ٥ ص ١٢٨ ، معالم التنزيل جـ ٧ ص ١٢٢ ، زاد المسير جـ ٧ ص ١٨٦ ورفعه إلى ابن عباس رضي الله عنهما ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ٢٦٠ ، لباب التأويل جـ ٤ ص ٧٩ .

(٥) لم أقف عليه عند المفسرين ، وهو قول غريب جداً .

﴿ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ يُجِيلُونَ فِيهِ أَفْكَارَهُمْ وَيَعْتَبِرُونَ .

﴿ أَمْ اتَّخَذُوا ﴾ بَلِ اتَّخَذَ قَرِيشٌ ، وَالْهَمْزَةُ لِلْإِنْكَارِ .

﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ مِنْ دُونِ إِذْنِهِ .

﴿ شَفَعَاءَ ﴾ حِينَ قَالُوا : ﴿ هُوَ لَأَنْ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (١) وَلَا يَشْفَعُ عِنْدَهُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ .

﴿ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَآ يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ مَعْنَاهُ أَيَشْفَعُونَ وَلَوْ كَانُوا

لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا قَطُّ وَلَا عَقْلَ لَهُمْ .

﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾ / أَي : هُوَ مَالِكُهَا فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ شَفَاعَةً إِلَّا بِإِذْنِهِ ، [١/١٦٧]

وَأَنْتَصَبَ جَمِيعًا عَلَى الْحَالِ (٢) . ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ تَقْرِيرٌ لِقَوْلِهِ : ﴿ لِلَّهِ

الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ لَهُ الْمُلْكُ كُلَّهُ وَالشَّفَاعَةُ مِنَ الْمَلِكِ كَانَ مَالِكًا لَهَا .

﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ مُتَّصِلٌ بِمَا يَلِيهِ ، مَعْنَاهُ : لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْيَوْمَ ثُمَّ

إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَا يَكُونُ الْمَلِكُ فِي ذَلِكَ إِلَّا لَهُ ، فَلَهُ مَلِكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ ﴾ مَدَارُ الْمَعْنَى عَلَى وَحْدِهِ ، أَي : إِذَا أُفْرِدَ اللَّهُ بِالذِّكْرِ وَلَمْ

تُذَكَّرْ مَعَهُ الْهَتَمُ : ﴿ أَشْمَأَزَّتْ ﴾ أَي : نَفَرَتْ وَأَنْقَبَضَتْ .

﴿ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ يَعْنِي الْهَتَمُ ذُكْرَ

اللَّهِ مَعَهُمْ أَوْلَمْ يَذَكَّرْ . ﴿ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ لِأَفْتَانِهِمْ بِهَا ، وَإِذَا قِيلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

وَحْدَهُ لِأَشْرِيكَ لَهُ نَفَرُوا ، لِأَنَّ فِيهِ نَفِيًّا لِأَلْهَتَمِ ، وَلَقَدْ تَقَابَلَ الْإِسْتَبْشَارُ وَالْإِشْمِئزَازُ إِذْ

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا غَايَةٌ فِي بَابِهِ ، فَالْإِسْتَبْشَارُ : أَنْ يَمْتَلِئَ قَلْبُهُ سُرُورًا حَتَّى تَنْبَسِطَ لَهُ بَشْرَةٌ

وَجْهَهُ وَيَتَهَلَّلُ ، وَالْإِشْمِئزَازُ : أَنْ يَمْتَلِئَ غَمًّا وَغِيظًا حَتَّى يَظْهَرَ الْإِنْقِبَاضُ فِي أَدِيمِ وَجْهِهِ ،

وَالْعَامِلُ : فِي إِذَا ذُكِرَ هُوَ الْعَامِلُ فِي إِذَا الْمَفْاجَأَةُ ، تَقْدِيرُهُ : وَقْتُ ذِكْرِ : ﴿ الَّذِينَ مِنْ

دُونِهِ ﴾ فَاجئُوا وَقْتُ الْإِسْتَبْشَارِ (٣) .

﴿ قُلْ أَللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أَي : يَا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ ، وَلَيْسَ بِوَصْفِ

(١) سورة يونس آية ١٨ .

(٢) الفريد في إعراب القرآن المجيد ج ٤ ص ١٩٤ .

(٣) الدر المصون ج ٦ ص ١٨ .

كما قاله المبرد والفراء^(١) .

﴿عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ السر والعلانية .

﴿أَنْتَ تَحْكُمُ﴾ تقضى . ﴿بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من الهدى والضلالة، وقيل : هذه محاكمة من النبي للمشركين إلى الله عزوجل^(٢) ، وعن ابن المسيب^(٣) رحمه الله ، لا أعرف آية قرئت فدُعيَ عندها إلا أجيب سواها^(٤) ، وعن الربيع بن خثيم^(٥) رحمه الله وكان قليل الكلام أنه أخبر بقتل الحسين رضي الله عنه وقالوا الآن يتكلم فمازاد وأن قال : آه أَوْ قَدْ فَعَلُوا وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ، وروى أنه قال على إثره : قُتِلَ مَنْ كَانَ ﷺ يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه^(٦) .

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ الهاء تعود إلى ما . ﴿لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ﴾ شدته . ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط في حسابهم ولا يحدثون به نفوسهم ، وقيل : عملوا أعمالاً حسبوها حسنات فإذا هي سيئات^(٧) ، وعن سفيان

(١) قال النحاس في إعراب القرآن جـ ٢ ص ٨٢٢ : (نُصِبَ لِأَنَّهُ نِدَاءٌ مُضَافٌ) ، ولم أقف على كلام الفراء في كتابه معاني القرآن . وسبق ترجمة المبرد ص ١٠٩ ، والفراء ص ٢٢٠ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) هو : سعيد بن المسيب ابن حزن بن أبي وهب بن عمرو .. الإمام العالم ، أبو محمد القرشي عالم أهل المدينة وسيد التابعين في زمانه ، ولد لستين مضتا من خلافة عمر رضي الله عنه رأى عمر رضي الله عنه ، وغيره من الصحابة رضوان الله عليهم من كبار الطبقة الثانية ، .. توفي سنة ثلاث وتسعين . انظر ترجمته : سير أعلام النبلاء جـ ٤ ص ٢١٧ وقد أطال الذهبي رحمه الله في ترجمته فليعد إليه لمن أراد تمام الفائدة ، شذرات الذهب جـ ١ ص ١٠٢ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ٢٦٥ ونسبه لسعيد بن جبير رحمه الله .

(٥) الربيع بن خثيم : ابن عائذ ، الإمام القدوة العابد ، أبو يزيد الثوري ، الكوفي ، أحد الأعلام ، أدرك زمان الرسول ﷺ ، وأرسل عنه ، روى عن عبدالله بن مسعود ، وأبي أيوب الأنصاري ، وعمرو بن ميمون من الطبقة الثانية ، توفي قبل سنة خمس وستين .

سير أعلام النبلاء جـ ٤ ص ٢٥٨ ، الحليه جـ ٢ ص ١٠٥ ، تقريب التهذيب ص ٢٠٦ .

(٦) تفسير القرآن / للسمعاني جـ ٤ ص ٤٧٢ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ٢٦٥ ، غرائب القرآن جـ ٦ ص ٨ ، روح المعاني جـ ٢٤ ص ١١ .

(٧) لباب التأويل جـ ٤ ص ٦٠ .

الثوري^(١) رحمه الله : أنه قرأها فقال : ويلٌ لأهل الرياء ويلٌ لأهل الرياء^(٢) وَجَزَعٌ محمد بن المنكدر^(٣) رحمه الله عند موته فقيل له ، فقال : أخشى آيةً من كتاب الله وتلاها فأنا أخشى أن يبدوا لي من الله ما لم أحتسبه^(٤) .

﴿ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴾ أي : سيئات أعمالهم التي كسبوها ، أو سيئات كسبهم حين تُعْرَضُ صحائفهم^(٥) وكانت خافيةً عليهم ، أو عقاب ذلك .

﴿ وَحَاقَ بِهِمْ ﴾ ونزل بهم وأحاط .

﴿ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ جزاء هزئهم .

﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ / ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ ﴾ أي : أعطيناه تفضلاً ، يقال : [١٦٧/ب] خَوَّلَنِي إِذَا أَعْطَاكَ عَلَى غَيْرِ جَزَاءٍ^(٦) .

(١) سبق ترجمته ص ١٥ .

(٢) المحرر الوجيز جـ ١٤ ص ٩١ ، والجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ٢٦٥ ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان جـ ٦ ص ٨ ، والبحر المحيط جـ ٩ ص ٢٠٩ .

(٣) محمد بن المنكدر : بن عبدالله بن الهدير بن عامر بن الحارث ... بن مره بن كعب بن لؤي ، الإمام الحافظ ، القدوة ، شيخ الإسلام ، أبو عبدالله القرشي التيمي المدني ، ولد سنة بضع وثلاثين ، وحدث عن النبي ﷺ وعن سلمان وأبي رافع ، وأسماء بنت عميس ، وأبي قتادة مرسلأ ، قال البستي : كان من سادات القراء ، من الطبقة الثالثة ، توفى سنة ثلاثين ومئة . سير أعلام النبلاء جـ ٣ ص ٣٥٣ ، شذرات الذهب جـ ١ ص ١٧٧ ، تقريب التهذيب ص ٥٠٨ .

(٤) تفسير القرآن / للسمعاني جـ ٤ ص ٤٧٣ ، معالم التنزيل جـ ٧ ص ١٢٤ ، المحرر الوجيز جـ ١٤ ص ٩٢ ، الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ ص ٢٦٥ و ٢٦٦ ، لباب التأويل جـ ٤ ص ٦٠٠ .

(٥) في المطبوع : صحائف أعمالهم .

(٦) انظر : معاني القرآن / للزجاج جـ ٤ ص ٣٥٧ ، معاني القرآن / للنحاس جـ ٦ ص ١٨٢ ، ويقول أبو حيان رحمه الله في البحر المحيط جـ ٩ ص ٢٠٩ : (والإنسان : جنس ، وضر :

﴿ نِعْمَةٌ مِّنَّا ﴾ ولا تقف عليه لأن جواب إذا : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ مني أني سأعطاؤه لما في من فضل وإستحقاق ، أو على عِلْمٍ مني بوجوه الكسب ، كما قال قارون : ﴿ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾^(١) ، وإنما ذكر الضمير في: أوتيته وهو للنعمة نظراً إلى المعنى لأن قوله : ﴿ نِعْمَةٌ مِّنَّا ﴾ شيئاً من النعمة وقِسْماً منها ، وقيل : ما في : ﴿ إِنَّمَا ﴾ موصولة لا كافة فيرجع الضمير إليها ، أي : إن الذي أوتيته على علم^(٢) .

﴿ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ ﴾ إنكاراً له كأنه قال : ما خوئناك من النعمة لِمَا تقول بل هي فتنة أي : إبتلاء وإمتحان لك أتشكر أم تكفر ؟ ولَمَّا كان الخبر مؤثراً أعنى : ﴿ فِتْنَةٌ ﴾ ساغ تأنيث المبتدأ لأجله ، وقرئ بل هو فتنة^(٣) على وفق إنما أو تيته . ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أنها فتنة ، والسبب في عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها في أول السورة بالواو^(٤) : أن هذه وقعت مُسَبِّبَةً عن قوله : ﴿ وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ ﴾^(٥) على معنى أنهم يشمئزُّون عن^(٦) ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة ، فإذا مس أحدهم ضُرٌّ دعا من اشمأز [بذكره]^(٧) دون من إستبشر بذكره وما بينهما من الآي إعتراض^(٨) .

فإن قلت : حَقَّ الإعتراض أن يُوكَّدَ المعترض بينه وبينه ، قلت : ما في الإعتراض

← مطلق، والنعمة : عامة في جميع مايسر) .

(١) سورة القصص آية ٧٨ .

(٢) الفريد في إعراب القرآن المجيد ج٤ ص ١٩٤ ، الدر المصون ج٦ ص ١٩ .

(٣) أنوار التنزيل ج٢ ص ٣٢٨ ، روح المعاني ج٢٤ ص ١٢ .

(٤) وهي قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرًّا دَعَانَا ﴾ والآية التي في أول السورة بالواو بدون

الفاء وهي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرًّا دَعَا رَبَّهُ .. ﴾ آيه رقم ٨ .

(٥) آية ٤٥ من نفس السورة .

(٦) في المطبوع : من .

(٧) في (أ) : عن ذكره .

(٨) هي قوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ .. ﴾ الآية ٤٦ من نفس السورة إلى

قوله تعالى ﴿ ... وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ الآية ٤٨ .

من دُعاء الرسول ﷺ رَبِّهِ بِأَمْرٍ مِنَ اللَّهِ ، وقوله : ﴿ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ ﴾ (١) ، ثم ما عَقَبَهُ من الوعيد العظيم تأكيداً لإنكار إشمئزازهم وإستبشارهم ورجوعهم إلى الله في الشدائد دون آلهتهم كأنه قيل : يارب لا يحكم بيني وبين هؤلاء الذين يجترئون عليك مثل هذه الجرأة إلا أنت .

وقوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا .. ﴾ (٢) ، متناولٌ لهم ولكل ظالم إن جُعِلَ عاماً ، أو إياهم خاصةً إن (٣) عنيتهم به ، كأنه قيل : ولو أن هؤلاء الظالمين ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به حين أُحْكِمَ (٤) عليهم بسوء العذاب ، وأما الآية الأولى فلم تقع مُسَبَّةً وما هي إلا جملةٌ ناسبت جملةً قبلها فَعُطِفَتْ عليها بالواو نحو : قام زيد وقعد عمرو ، وبيان وقوعها مُسَبَّبةً أنك تقول : زيدٌ يؤمن بالله فإذا مسه ضرٌ إلتجأ إليه ، فهذا تسببٌ ظاهر ، ثم تقول : زيدٌ كافر بالله فإذا مسه ضرٌ إلتجأ إليه ، فتجيء بالفاء مجيئك به (٥) ثَمَّةً ، كَأَنَّ الكافر حين إلتجأ إلى الله التجأ المؤمن إليه مُقيمٌ كفره مقام الإيمان في جعله سبباً في الإلتجاء (٦) .

﴿ قَدْ قَالَهَا ﴾ هذه المقالة وهي قوله : إنما أوتيته على علم .

﴿ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ أي : قارون وقومه حيث قال : ﴿ إِنَّمَا أُوتِيْتَهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾

(١) جزء من آية ٤٦ من نفس السورة .

(٢) جزء من آية ٤٧ من نفس السورة .

(٣) في ب: (إن عليك عنيتهم) .

(٤) في المطبوع : حكم .

(٥) في المطبوع : بها .

(٦) قلت : قد أطلال النسفي هنا في الربط بين الآيات، وهي عبارة الزمخشري في الكشاف ج٤

ص ١٣٤ ، قال أبو حيان رحمه الله في البحر المحيط ج١ ص ٢١٠ بعد ان ذكر بعض

النقول عن الزمخشري حول هذا الموضوع : (.. وهو ملتقط أكثره من كلام الزمخشري،

وهو متكلف في ربط هذه الآية بقوله : ﴿ وإذا ذكر الله وحده إشمأزت ﴾ مع بُعد ما بينهما

من الفواصل ، وإذا كان أبو علي الفارسي لا يجيز الاعتراض بجملتين ، فكيف يجيزه بهذه

الجميل الكثيره) .

عِنْدِي ﴿١﴾ وقومه راضون بها فكأنهم قالوها ، ويجوز أن يكون في الأمم الخالية آخرون قائلون مثلها .

﴿ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ من متاع الدنيا وما يجمعون منها .

﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴾ أي : جزاء سيئات كسبهم ، أو سمِّي جزاء

السيئة سيئة للإزدواج كقوله : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ (٢) / ﴿ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ [١/١٦٨] كفروا . ﴿ مِنْ هَؤُلَاءِ ﴾ أي : من مشركي قومك .

﴿ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴾ أي : سيصيبهم مثل ما أصاب أولئك ، فقتل

صناديدهم بيدر ، وحبس عنهم الرزق ففحطوا سبع سنين .

﴿ وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ بفائتين من عذاب الله ، ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين

فقيل لهم : ﴿ أَوْلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ ويضيق ، وقيل :

يجعله على قدر القوت .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ بأنه لا قابض ولا باسط إلا الله عزوجل .

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ ﴾ وبسكون الياء بصري وحمزة وعلي (٣) .

﴿ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾ جنوا عليها بالإسراف في المعاصي والعلو فيها .

﴿ لَا تَقْنَطُوا ﴾ لا تيأسوا ، وبكسر النون علي وبصري (٤) .

﴿ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ بالعمو عنها إلا الشرك (٥) ، وفي

(١) سورة القصص آية : ٧٨ .

(٢) سورة الشورى آية : ٤٠ .

(٣) الموضح ج٣ ص ١١١٥ ، الإتحاف ج٢ ص ٤٣٠ .

(٤) الموضح ج٣ ص ١١١٥ ، الإتحاف ج٥ ص ٤٣٠ .

(٥) قال الواحدى في الوسيط ج٣ ص ٤٦٨ : (المفسرون كلهم قالوا : إن هذه الآية نزلت في

قوم خافوا إن أسلموا أن لا يغفر لهم ما جنوا من الذنوب العظام كالشرك ، وقتل النفس ،

ومعاداة النبي ﷺ ، والقتال ضده ، والزنا ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، وفرح النبي ﷺ بهذه

الآية ، ورآها الصحابة من أوسع الآيات في مغفرة الذنوب) .

قراءة النبي ﷺ: ﴿يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا وَلَا يَبَالِي﴾^(١)، ونظير نفي المبالاة نفي الخوف في قوله: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾^(٢)، قيل: نزلت في وحشي^(٣) قاتل حمزه رضي الله عنه^(٤).

وعن رسول الله ﷺ: « مَا أَحَبُّ أَنْ لِي الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا بِهَذِهِ الْآيَةِ »^(٥).

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ٥ ص ٤٥٤، والإمام الترمذي في سننه ج ٥ ص ٤٨ كتاب التفسير باب سورة الزمر وقال: (هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث ثابت عن شهر بن حوشب)، وقال الألباني في ضعيف سنن الترمذي ص ٤١٠: (ضعيف الإسناد). وأخرجه البغوي في شرح السنة ج ١٤ ص ٣٨٤.

(٢) سورة الشمس آية: ١٥.

(٣) وحشي: بن حرب الحبشي، أبو وسمة، وهو من سودان مكة وهو مولى لطعيمة بن عدي، وقيل مولى جبير بن مطعم بن عدي قاتل حمزة رضي الله عنه يوم أحد، وشارك في قتل مسيلمة الكذاب يوم اليمامة وكان يقول: قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام، شهد اليرموك ثم سكن حمص ومات بها في خلافة عثمان رضي الله عنه. انظر: ترجمته أسد الغابه ج ٥ ص ٤٣٩ وص ٤٤٠، والإصابة ج ٣ ص ٦٣١.

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ج ٥ ص ٤٢٥ الباب السابع والأربعون، وقال السيوطي في الدر المنثور ج ٧ ص ٢٣٥: (أخرجه ابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان بسند لين)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ١٠١: (رواه الطبراني في الأوسط وفيه أئبن بن سبعين ضعفه الذهبي).

وذكره الواحدى في أسباب النزول ص ٤٢٩، والسيوطي في لباب النقول ص ١٨٥ وقال رحمه الله: (أخرجه الطبراني بسند فيه ضعف).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ٥ ص ٢٧٥، وأخرجه الطبراني في الأوسط ج ١ ص ١٤٤، تحقيق الدكتور: محمود الطحان، مطبعة مكتبة المعارف، الطبعة الأولى عام ١٤٠٥هـ.

وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان ج ٥ ص ٤٢٣ الباب السابع والأربعون وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ١٠٠: (رواه الطبراني في الأوسط وأحمد بنحوه وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وحديثه حسن).